

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صُوى « ومناراً » كمنار الطريق

٢٩ المحرم سنة ١٣٥٣ برج الثور سنة ١٣١٢ هـ ش مايو سنة ١٩٣٤

﴿ فاتحة المجلد الرابع والثلاثين من المنار ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى) أحمده وأصلي وأسلم على محمد رسوله الصادق ، وخاتم أنبيائه المجتبى ، وعلى آله الطيبين ، وخلفائه الراشدين ، وسائر أصحابه الهادين المهديين ، وأوليائه الائمة الوارثين ، الذين استخلفهم في الارض لاقامة أمر الدنيا والدين ، ومن اتبعهم الى يوم الدين (٦ : ١٦٥ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ ، إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ)

أما بعد فانني أذكر قراء المنار في فاتحة مجلده الرابع والثلاثين بفاتحة المجلد الذي قبله إذ عرضت عليهم فيها حال شعوب الاسلام كلها بعد حرب الامم الكبرى ، ليجعلوا نصب أعينهم ما وقع على بعضها من الغبن والخسار ، وما أصاب

بعضهما من الربح والانتعاش، وما هي عرضة له من الأسر بن تجاه دول الاستعمار، اذا وقعت الواقعة، وجاءت الطامة الكبرى بالحرب الثانية المتوقعة، وما يجب عليهم في دينهم ودنياهم، وما لكل منهما من الصلة والتأثير في الآخر، فان أكثر المسلمين عن هذا غافلون (فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى * سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى *) (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ)

اقدعرفوا من تلك الفاتحة أن وطأة دولتي الاستعمار الكبيرتين على الشعوب العربية التي نصرتهما في الحرب وجاهدت معهما بأموالها وأنفسها، كانت أشد وطأة منها على الشعوب الاعجمية التي قاتلتهما والتي سالمتهما، وكذلك تكون في الحرب الآتية المتوقعة، لان هذه الدول دول مادية، قد فقدت جميع الفضائل الانسانية

وقد انقضى العام وحال الشعوب الافريقية معهما على شر ما كانت عليه من مصر إلى مراكش، ولهي في آسية أشر، وأدهى وأمر

إن انكلترة لا تزال ممعنة في إرهاق عرب فلسطين وانتزاع وطنهم منهم وأعطائه لليهود الصهيونيين، لتجدد لهؤلاء ملكا في قلب البلاد العربية حاجزاً بين مصر وبين الحجاز وفلسطين، وإن فرنسة لا تزال جادة في جعل عرب سورية مللا متعادية في الدين، وشعوبا متفرقة في الدنيا، ومصرة على إبقاء الأكثرين من مسلميهم محصورين في سجون المدائن الاربع داخل البلاد لا منفذ لهم إلى البحر، ولا متسع أمامهم في طلب الرزق، ولا حرية لهم في عمل ولا علم ولا حكم

ولم تكن انكلترة في وقت ولا في مكان شرا من فرنسة وأظلم مما هي الآن في فلسطين، فقد لانت فرنسة في إرهاقها للمغرب الاقصى بعض اللين، إلا قتالها لقبائل السوس التي لم تخضع لها باسم حماية المخزن، ولا تزال (انكلترة) بارزة أمام الامة العربية بروز الفاتح الظافر، المستعمر القاهر، تنازعها حقها القومي والديني في جزيرتها المقدسة، بأساليب دسائسها وكيدها المعروفة، فهي قد ربحت في العام المنقضي أن خدعت الامام يحيى حميد الدين حتى غلبته على طبعه في شدة الحذر من الاجانب وفي صلابته في السياسة السلبية، فأمضى لها معاهدة أقرها

فيها على حمايتها للمقاطعات اليمانية التسع ، إلى مدة جيل اجتماعي كامل هو أربعون سنة كاملة كمدة تيه بني إسرائيل ، يمكنها أن تنشئ جيلا جديداً في هذه المقاطعات بجميع وسائل التمكين ، يكون بينه وبين سائر اخوانه في المقاطعة اليمانية الامامية بعد المشرق والمغرب : عقيدة وثقافة ورأيا وذوقا الخ

هذا مافعلته في الجنوب، وانها لتفعل في الشمال ماهو أشد خطراً على الامة العربية في دينها ودنياها: انها لتمكن لنفسها النفوذ في منطقة شرق الاردن بحيلة الانتداب، وفي العقبة الحجازية التي سلبت من الحجاز بعد عقد صك الانتداب، وهي حبل الوريد للجزيرة العربية ، ومجرى دمها ودهليز حياتها الحربية والسياسية والمدنية، لكيلا تتجدد لهذه الامة حياة مستقلة فتعجز الدولة البريطانية عن خنقها متى شاءت، وقد تواترت الروايات من فلسطين وشرق الاردن أنها افترصت الشقاق بين ملك السعودية العربية وإمام اليمن فعادت إلى ما كانت بدأت به في أثناء فتنة ابن رفادة من تحصين خليج العقبة المنيع وامتلاك رقبة أرضه لأن صاحب الحجاز أيضا لا يستطيع أن يعارضها في ذلك (وقد بينا هذا في الجزء الماضي من المنار)

ان انكلترة لا تجهل أن عجز صاحب الحجاز عن معارضتها اليوم أو غداً لا يسقط حق الحجاز وحق الامة الاسلامية وحق الدين الاسلامي نفسه في هذا الحصن الحصين من سياج الحرمين الشريفين ، بل لو فرضنا أن ملك العربية أجاز (لاسمح الله) هبة علي بن حسين هذا الموقع لاخيه عبد الله بن حسين إجازة رسمية لما كانت إجازته لهذه الهبة إلا مثل بدء إنشائها أو أضعف منها ، فالانكليز يعلمون أنها هبة باطلة في الشرع الاسلامي وفي أصول القوانين الدولية ، فهي لا تفيدهم إلا فرصة عجز الحجاز الموقت عن منع ما يعملون فيه ، وأنه متى سنحت الفرصة لأية حكومة حجازية إلى استعادته فلا يمكنها أن تضيعها، ولا سيما إذا قام الشعب العربي بتأييد العالم الاسلامي لمطالبتها به ، وان ذلك لقريب واقع ، ما له من دافع

هذه الجرأة من الدولة البريطانية على عداوة العرب والاسلام ستكون من أكبر أسباب زوال سلطانها من الشرق الادنى والشرق الاوسط أيضاً، وإن خليج العقبة لهو أكبر هذه الاسباب، فهو خطر على الشرق الادنى كله ، كما بيناه في الجزء الماضي وغيره،

وماذا تفعل الامة العربية والشعوب الاسلامية في طغيان هذه الدولة القوية ؟

الامة العربية في طور يقظة وسعي حثيث للوحدة والاستقلال ، والشعوب الاسلامية كلها على استعداد نفسي وعملي لتأييدها ، وناهيك بمحافظتها على مهد دينها ، وتنفيذ وصية نبيها مصلح البشر الاعظم ﷺ في مرض موته بأن لا يبقى في جزيرة العرب دينان ، وهذا التفرق بين البلاد العربية والشعوب الاسلامية لا يدوم ، وبشائر الفوز والفلاح، تبتسم له بجميع الثغور في جميع النواحي، فعلى الامة الانكليزية إن كان فيها بقية من تلك العقول الناضجة، والاخلاق الحكيمة الماضية، لم تسلبها منها الافكار المادية كما قال حكيمها الأكبر (هربرت سبنسر) أن تفكر في هذا الخطر عليها قبل وقوعه وتعذر تداركه

ماذا تجدد في العام الماضي من وسائل النجاح للعرب وللاسلام، ويجب عليهم أن يوجهوا اليه أفكارهم وأعمالهم في هذا العام ؟

أما في جزيرة العرب فقد تبين أن التنازع بين إمامي الجنوب والشمال الذي خشينا أن يكون هادما أو مضعفا لما كان فيها من بقايا القوة القديمة، قد أثبت لنا دلالته على قوة عصرية جديدة ، وأن القتال الذي نشب بين جيوشهما سيكون فصداً يخرج به ما في عروق الامة من الدم الفاسد الذي ولدته الجهالة والتقاليد المذهبية والوضعية ، التي فرقت الامة وجعلت أقوامها شيعا متعادية ، فمن الجهل أن نحزن لخروج هذا الدم وإن كرهنا سببه ، وأن نبرم الصلح قبل خروجه فيكون صلحا على دخن ، لا يعقبه إلا عدوان شر منه، ربما يتجدد في وقت يكون فيه الطامعون في الامة العربية أقدر على الاستفادة منه مما هم الآن ، فلقد كان أخوف ما خفنا من العاقبة أن يتذرع به الاجانب لاضعافنا والدخول فيما بيننا ، فظهر أن هذا الوقت غير موات لهم ولله الحمد ، وأمنا هذا الخطر الآن فيجب أن نقطع عليه الطرق فيما بعده

وظهر لنا من خلال هذه الفتنة أن القوة العربية السعودية حية صحيحة المزاج، سليمة من الامراض والآفات، وأنها على درجة من النظام العسكري والمدني فوق ما كان يتصوره الاقارب والاجانب ، وان كانت لا تزال دون الواجب، كما ظهر من قبل ذلك قدرة إمامها ومجددها على حفظ الامن في الحجاز كنجد على أكمل وجه، وعلى إيجاد أسباب

الحضارة المصرية من أنواع المواصلات، والصحة بأعظم ما تخوله إياه الموارد المالية والرجال العاملين، فثبت بذلك أن الأمة العربية مستعدة أتم الاستعداد لتجديد دولة اسلامية مدنية في مهد الاسلام ومنبت أرومة العرب، فعلى طلاب الوحدة العربية والتجديد الاسلامي الذي يعيد الحياة الاسلامية المادية والمعنوية سيرتها الاولى من حيث أشرق نورها، وأتم الله ظهورها، أن يؤيدوا هذا التجديد ويمدوه ويعلموا أنه مصداق قول رسول الله وخاتم النبيين، الذي فضلهم الله باتباعه ما صدقوا فيه على جميع العالمين، إن الاسلام ليأرز الى جزيرة العرب، وليعقلن الدين من الحجاز معقل الأروية من رأس الجبل

وأما القوة اليمانية العربية فانها على قدم تأسيسها، وكثرة عددها وعددها وسعة ثروة إمامها وقائدها، وكثرة ما نوه به العرب والافرنج من وصفها، قد ظهر أنها ملتاثة بعلل من التربية الادارية والسياسية في بلادها، واختلاف التقاليد المذهبية بين شيعة الزيدية الحاكمة والسنة الشافعية المحكومة فيها، وتجلت للامة العربية الحقيقة التي يجب أن تعرفها من هذا القسم المهم من قومها ووطنها، لتكون على بصيرة من علاجه، وإعداده للاتحاد بغيره، بدلا من وقوعه موقف العداء له وتربص الدوائر به، كما عني الدعاة المفسدون بتصويره، بل لم يستح بعضهم أن ينشر في الصحف بعد هزيمة جيشه أن يذيع أن الامام ينظم جيشا لجبا يقوده بنفسه لفتح نجد واحتلال الرياض، كما أذاعوا في أول الفتنة أنه سيفتح الحجاز !! ولعلنا ننشيء مقالا خاصا نبين فيه حقيقة حال الزيدية، وما ينبغي أن يكونوا عليه لاصلاح شأنهم، وتأمينهم والامن منهم، مع النظر في شروط إمامتهم، وحكم قتال البغاة عندهم، وكنا منذ سنين قد كتبنا تقريرا أرسلناه إلى مولانا الامام الهمام مع وفد خاص فيما يجب عليه من الاصلاح والادارة، فشكر ذلك لنا، ولم ينفذ منه شيئا

هذا وإن من بشائر الاستعداد للوحدة العربية القريبة أن لاح لنا من جانب حكومة العراق بارقة أخرى صغيرة في صورتها كبيرة في معناها، هي قصة تمثيلية في بث الدعوة الى الوحدة العربية، أطلق عليها اسم (مثلنا الاعلى) كانت وضعت في آخر مدة المرحوم الملك فيصل وحضر تمثيلها أول مرة معجبا بها، ثم طبعت منذ

شهر أو شهرين في مطبعة الحكومة العراقية بإيعاز وزارة معارفها ، وتوجت بإهدائها إلى (روح فيصل بن الحسين) ونشرت في هذا الشهر (المحرم سنة ١٣٥٣ هـ ١٩٣٤ م) فكانت بهذا وذاك دعاية رسمية أو شبه رسمية للوحدة العربية ، عرفنا بها ما كنا نجهل من رأي هذه الحكومة في الوحدة من بعد فيصل رحمه الله تعالى

فهذه خلاصة ما تجدد في سبيل الوحدة العربية وحياتها الجديدة في العام الماضي نستقبله في هذا العام راجين مستبشرين

وقد حدث فيه من الاحداث المؤسفة أن كلا من دولتي العراق والافغان قد خسرت ملكها المحبوب المحنك ، بيد أنه حل محل كل منه نجله الشاب المثقف ، فسارت الدولتان معها سيرتها الاولى مع والديهما بحنكة رجالها واستقرار النظام فيهما

ومن الانباء السارة أن حكومة الجمهورية اللادينية التركية قد رجعها الاختبار عن بعض الاعمال التي خالفت بها شريعة الاسلام وهدايته، وأن رئيسها مصطفى كمال حضر صلاة العيد مع رجال دولته الرسميين في المسجد، وأنها لفاتحة خير تدل على ما يرجوه كثير من عقلاء الترك وغيرهم من رجوع هذه الحكومة إلى كل ما هو قطعي من هداية الاسلام

وحدث في أحد الشعوب الاسلامية التي كانت مستعبدة للاجنبي أن استقلت في إثر ثورة حامية الوطيس ، ألا وهو شعب تركستان الصينية ، وانها لقوة اسلامية حربية ، تدل على ان المسلمين لم يفقدوا هذه المزية القديمة، وانهم لا ينقصهم في هذا العصر الا السلك الجامع ينتظمون فيه كما قال حكيمهم السيد جمال الدين قدس الله روحه، ولن تعيده لهم الا هداية القرآن ، ولتأطرنهم عليه موقظات الزمان أطرا ، بدعاية المصلحين المجددين ، وبالرغم من أنوف الملحدين والجامدين

رب رجل مستشرق من رجال الدول القاهرة لا ألوف الالوف من المسلمين، ورب رجل شرقي متفرنج يائس من حياة الشرق والشرقيين، يقرآن هذه الجوائب التي تبتسم للعرب والاعاجم من المسلمين ، وتبشرهم بوحدتهم وجامعتهم فيضحكان من غرور كاتبها وتغريره بقومه وأهل ملته (التغرير والتغرة بالشخص أو الشيء تعريضه للهلاك) بزعمهما أنه يخيل اليهم امكان تأسيس الوحدة العربية، والجامعة الملية بالرغم من الدولة البريطانية التي تقطع جميع سبل الحياة في وجوههم بل بالرغم من

أنوف الدول الثلاث الكبرى المتعاونة على استعبادهم ، مستعينات بجميع وسائل القوة الحربية والعلمية والمدنية والسياسية التي عندهن ، وبجميع وسائل الضعف الموروثة التي ما زالت تفرق بين المسلمين ، من المذاهب والاوطان والزعامات والآراء الالحادية ، والشهوات الحيوانية ، فلئن قضى ابن السعود السني الحنبلي ، على قوة ابن حميد الدين الشيعي الزيدي ، فليزيدن قضاؤه هذا سعير الشقاق بين السنة والشيعة ضراما ، ولتكونن رواية « المثل الاعلى » للوحدة العربية في العراق ، مهزلة من المهازل المضحكة لأهل الآفاق ، ولتجدن من حزب الشرفاء آل الرسول (ص) من يزداد إيمانا بفضل السيطرة الانكليزية ، على هذه الوحدة العربية الاسلامية ، ويستعين بالوطن اليهودي ، على الوطن السعودي ، فلا تكون هذه الوثبة السعودية التي تجددت بها آمال العرب والمسلمين في نجد والحجاز ، وخفقت لها القلوب وشخصت اليها الابصار في مصر والشام ، الا حافزة للهمم ومغرية للدول وصنائعهم من العرب بالكيد لها ، والاسراع الى القضاء عليها

مهلا أيها الافرنجي المستشرق ، والشرقي المتفرنج ، ما أنا بجاهل لقوى الدول المعادية للعرب والاسلام ، وما أنا بمغرور بما نوهت به من المبشرات الجديدة لقومي وامتي ، ولا بغافل عن مساويهما الراسخة بطول العمر فيهما ، ولكنني أنظر إلى الشرق والغرب نظرا جديدا فأرى أن الشرق كان مريضا فدخل في طور الشفاء ، وأرجو له سرعة الابلال ، وأنه ضعيف نفخت فيه روح القوة الصورية والمعنوية فأتمنى بلوغها أوج الكمال ، وأرى أن الغرب كان صحيحا سليم المزاج فدبت في بنيته سموم الانحلال ، وبلغت قواه ما قدر لها من وسائل الكمال ، ثم عرض لها من ضعف القوى الروحية والهرم ما ينذرها الزوال ، من حيث تتجدد قوى الشرق المادية والروحية وتدخل في سن الشباب

أما القوة المادية من حربية ومالية فقد نبغت في الشرق الاقصى دولة سبقت بها دول الغرب كلها ، ووقفت في وجهها وقفة الضارع المنازع لها ، فوجل منه قديمها وجديدها ، وصفعت عصبة أممهم المنافقة صفعة على وجهها أضحكت منها أمم الارض كلها ، وإنما ينقص هذه الأمة (اليابان) أن تعزز قوتها المادية التامة من جانبيها الحربي والمالي بالقوة المعنوية من طرفيها السياسي والروحي ، في هذا العهد الذي فقدتهما فيه أوربة بشدة تماديها ، وتربص دوائر السوء بينها ، وانفصام عرى الدين

والفضيلة التي كانت تستمسك بها ، وأن اليابان فاعلة ذلك إن شاء الله تعالى

وأما القوة المعنوية فحسبنا من آيات تجددها في الشرق شعور شعوبه كلها بالآلام وما يليها من الآمال وما يقتضيهما ، ألا وإن في الشرق قوة هي فوق جميع قوى العالم الجامعة لكل ما تحيا به الأمم الحياة المعنوية والمادية من جميع جوانبهما وأرجائهما ، ألا وإنها روح الوحي الإلهي الذي نزل به الروح الأمين من السماء ، فألقاه إلى محمد الأمي في غار حراء فأحيا به الأمة العربية الأمية ، فأحيت به جميع الأمم الأعجمية وفتحت به نصف العالم في النصف الأول من القرن الأول من ظهوره ، ثم شمل نوره العالم كله حتى حجبه المسلمون عن أنفسهم وعن سائر الناس ، ووضعوا مصباحه المضيء بنور الله تحت المكيال – كما قال المسيح عليه السلام – ولكن قد سخر الله المصلحين في هذا العهد لكشف المكيال عنه ، وتوجيه أبصار العقلاء إلى اقتباس النور منه ، وسيرى جميع المسلمين بأشعته أن الخلفاء الراشدين الأربعة كانوا إخوانًا متعاونين على نشر هذا الدين ، وأن أئمة آل البيت النبوي كزيد بن علي وجعفر ابن محمد بن علي عليهم السلام ، وأئمة السنة من حفاظ الحديث ومستنبطي الفقه الأعلام ، ما كانوا إلا إخوانًا متحابين ، وأن المفرقين بين المسلمين لأجل المذاهب والمتفرقين في الدين شيعًا بعضهم على بعض هم أعداؤهم وأعداء الله تعالى ورسوله ﷺ وأنه يجب عليهم أن يقضوا على دعاة التعصب المذهبي ما يحملهم عليه من المنافع ، ويتفقوا على ما أجمعت عليه الأمة ، ويعذر بعضهم بعضًا فيما اختلف فيه الأئمة

ألا وإن هذا القرآن شمس الله المشرقة لهداية جميع الأمم ، ومأدبته المعنوية لتغذية جميع البشر ، وإن بعض علماء الإفرنج المستقلين في العقل والرأي ليقولون في هدايته ما يدعون به قومهم إليه ، وإن دولة اليابان الشرقية كانت أجدر من غيرها ، وستكون العاقبة في سيادة الأرض لمن سبق إلى الاهتداء به ، كما بينا ذلك مفصلاً بالبرهان في كتاب (الوحي المحمدي) وإنا بهذا لموقنون وقد سبقنا إليه حكيمنا السيد جمال الدين الأفغاني وشيخنا الأستاذ الإمام ، وصرح به برنارد شو الكاتب الإنكليزي وغيره من الأعلام ، وقد تطلع الشمس من مغربها وإنما العاقبة للإسلام (قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى) والسلام على من اتبع الهدى

فتاوى المنار

﴿ كتمان القرآن عن أهل الكتاب وسورة يوسف عن النساء ﴾

(س ١ — ٣) من صاحب جريدة الوطنية بمصر نشر في العدد ٤٢٧ منها وتاريخه ٢٨ ذي الحجة سنة ١٣٥٢ هـ و ١٢ ابريل سنة ١٩٣٤ م ووجه إلى علماء الاسلام كافة وقد أرسله إلى صاحبها مع كتاب بخطه يخصني به بالسؤال ، وقد ذكر في مقدمته ان أستاذاً من الشيوخ المعلمين في المدارس الاميرية ، وخطباء بعض الجمعيات الاسلامية ، قال له (وقد سأله عما بلغه من إنكاره لقراءة القرآن لتبليغه بالمذياع - أي آلة الراديو - ما يأتي بنص الجريدة وهو :

« ان في القرآن آيات ضد أهل الكتاب كان لها وقت نزولها ما يبررها ، أما وقد أصبحوا بعد ذلك ذوي ذمتنا فلا يجوز أن يسمعوا تلك الآيات

« (ثم تجاوز هذا وقال) انني أمقت قراءة سورة يوسف في البيوت حتى لا تسمع النساء حديث يوسف مع زليخة فيفهمنها بما يثير الريبة في عفاف النبي الكريم سيدنا يوسف (وزاد على هذا قوله) إنني لا أسمح أن يقرأ القرآن في حفل عام من رجل لا يفهم معانيه الخ

« فأنكرت عليه رأيه في هذا كله ، ولكني جئت أستفتي علماء الدين في رأيه هذا ، فماذا يقولون ؟ اهـ بحروفه بدون مقدمته وذيله الذي رد به صاحب الجريدة على الاستاذ

﴿ جواب المنار ﴾

ان هذا الذي عزي الى هذا الاستاذ رأي باطل لا يوافقه عليه مسلم عالم ولا جاهل ، بل هو بدع من الرأي الافين ، لم يبلغنا عن أحد من الاولين ولا من الآخرين ، وما علل به إنكار إسماع أهل الكتاب الآيات التي سماها ضدهم وإسماع النساء سورة يوسف باطل مثله ، وكل تعليل يراد به الاحتجاج على كتمان شيء من القرآن فهو باطل ،

فالقرآن كلام الله الحق ، وحجته الكبرى على جميع الخلق ، وكل ما فيه هداية صالحة لكل زمان وكل مكان ، وتبليغه واجب ، وكتمانه فسق ، واستحلاله كفر . (٢ : ١٥٩ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون (١٦٠) إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم)

عسى أن يكون ما عزي الى الاستاذ الفاضل قد نقل على غير وجهه الذي ذكره السائل في جريدته وبينه في كتابه ، وعسى أن يتوب ويصلح ويبين ان كان قد قال بنصه أو بمعناه . وقد كتمنا اسمه تكريما له ، وانتظارا لما نرجو من تأويل أو تفصيل له فيه مخرج . ولكن في الكلام ثلاث شبهات تعلق بأذهان قرائه فيجب أن نكشف عنها الحجاب على كل حال ، لانها طبعت وانتشرت بين الناس :

(١) منع قراءة القرآن في المحافل بشرطه

أما منع من لا يفهم معانيه من قراءته في المحافل فهو باطل محرم ، وهو يقتضي منع أكثر المسلمين الحفاظ له وغيرهم من تلاوته فيها ، وتخصيص تجويزها بالعلماء الذين يفهمون معانيه وقليل ما هم ، ولا ندري ما الفرق بين المحافل وغيرها إذا كانت علة المنع عدم الفهم للمعاني ، فان كانت العلة إسماعه للجمهور كتمايل منعه اقراءته في المذياع ، فما الفرق بين من يفهم المعاني ومن لا يفهمها ؟

(٢) ما نزل في شأن أهل الكتاب

وأما ما نزل في شأن أهل الكتاب فكله حق وعدل محكم يجب إظهاره في كل وقت ، حتى ما نزل في الاعداء المحاربين منهم ، دع ما هو خاص بالذميين والمعاهدين ، وقد قال تعالى فيهم (ليسوا سواء) وأثنى على بعضهم بالحق وذم أكثرهم بحق ، ولا يزال فيهم من هم أشد عداوة للمسلمين من سلفهم في عصر التنزيل وما يليه ، وكان أهل الذمة في الصدر الاول أشد محافظة على شروطها من أهل زماننا ، وقد قال تعالى فينا وفيهم (ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله) الخ بل قال في المشركين الذين كانوا أشد عداوة للاسلام من أهل الكتاب ولا سيما النصارى الذي كان

فيهم من هم أقرب مودة للذين آمنوا (لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين) الخ فما الذي يريد هذا الاستاذ كتمانه من القرآن أن يسمعه أو يقرأه أهل الكتاب وغيرهم وهو يعلم ما يقولون ويكتبون من الطعن بالكذب والبهتان على الله ورسوله وكتابه ودينه، وما يكيدون لرد أطفال المسلمين عنه إلى دينهم، وان من يسميهم الذميين كالمعاهدين في هذا ولا راعي شروط الذمة والعهد أحد منهم، فهل يجد في سفهاء قومه من لا يفضل أعلم قسوسهم وكتابهم في التنزه عن مثل هذا، أم يريد أن يقول انه يشرع لنا نسخ بعض القرآن حتى في التلاوة لارضائهم وهو يعلم ماقال الله تعالى في الغاية التي لا يرضيهم دونها شيء، والله أعلم منه بهم، والقرآن لا ينسخ بالرأي، ولا يصح إطلاق القول بكتمانه لمصلحة راجحة فكيف يكتم بمثل هذا الوهم، على أن هذا الكتمان متعذر في هذا الزمان ولله الحمد

(٣) سورة يوسف وسماع النساء لها

وأما سورة يوسف عليه السلام، فهي منقبة عظيمة له، وآيات بينة في إثبات عصمته وأفضل مثل عملي يقتدى به في العفة والصيانة يجب أن يهذب به النساء والرجال، فكل منهما يعلم بشعوره الطبيعي قوة سلطان الشهوة الجنسية على نفسه، ويسمع ويقرأ من أخبار الناس ولا سيما أهل هذا العصر في مثل هذا المصر مافي طغيانها على غيره، من الفضائح والخيانات والجنايات وتخريب للبيوت وإضاعة للمال والعيال والدماء والشرف، أفلا يكون افضل مثل للعفة والصيانة، وأحسن أسوة في الايمان والامانة، أن يتلى على النساء المؤمنات والرجال المؤمنين وعلى غيرهم من الملحدين، قصة شاب كان أجمل الرجال صورة وأكملهم بنية، يخلو بامرأة ذات منصب وسلطان، هي سيدة له وهو عبد لها، فيحملها الافتتان بجماله وكماله على أن تذل له نفسها، وتخون بعلها، وتدوس شرفها، وتراوده عن نفسه، والمعهود في أدنى النساء وأسفلهن تربية ومنزلة أن يكن مطلوبات لا طالبات، فيسمعها من حكمته، وبرهان كماله وعصمته، ما هو أفضل قدوة في الايمان بالله والاعتصام به، وفي حفظ أمانة السيد الذي أحسن مثواه وائتمنه على عرضه وشرفه،

فيقول لها (معاذ الله انه ربي أحسن مثواي ، انه لا يفلح الظالمون) فتشمر بالذل والمهانة ، والتفريط بالشرف والصيانة ، وتحقير مقام السيادة والكرامة ، فتهم بضربه أو قتله ، ويهم هو بالدفاع عن نفسه ، ويكاد يبطش بها لولا أن رأى برهان ربه ، وعصمه من فحشاء الشهوة الطبيعية المضعفة للارادة ، ومن سوء ثورة القوة الغضبية التي تذهل صاحبها عن عاقبة الجناية ، ففر منها وهو الشجاع فرار الجبان ، فكان كما قال الله تعالى ﴿ ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ﴾ وهو المتبادر من التعبير اللغوي في هم الشخص بالشخص ، وبيناه بالشواهد في الرد على من أنكره وقلنا انه المعهود بين البشر في مثل هذه الحالة المذلة ولما نقرؤه في القصص والصحف في هذا العصر ، والمناسب لقوله تعالى بعده (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين)

واني ما اخترت هذا المعنى لتبرئته عليه السلام مما ينافي العصمة فان الهم من حديث النفس الذي لا يؤاخذ الله الناس به ، وان الهم بايقاع السوء كالهم بالمواقعة كلاهما بمعصية . إلا انه في الاول دفاع عن النفس وقد عصمه الله منه ، وان عصيان النفس فيما اشتدت الداعية الجنسية له أدل على العصمة ، وأحق بحسن الاسوة

ولما انهتك — والعياذ بالله — الستر ، وعرف ذلك الامر ، خاض نساء المدينة في امرها ، ولجوا في عذلها لعلها تقضي اليهن بعذرها ، فتريهن طلعة هذا المملوك الذي استعبد مالكه ، وسلب منه عقله وكرامته وشرفه ، ولم يجزه على هذا كله بنظرة عطف ، ولا بلمسة كف ، (فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن وأعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن ، فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن ، وقلن حاش لله ما هذا بشرا ، إن هذا الا ملك كريم * قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ، ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ، ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين) فلما هددته بالسجن ، وهو يعلم أن بيدها الامر والنهي ، (قال رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه ، وإلا تصرف عني كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين) اي أكن من

سفهاء الاحلام، الذين يقصمون شهواتهم الحيوانية كالانعام، ولا يستطاع الهرب من كيد النساء، وهو عظيم، ولا مايغري به، وهو دونه، من كيد الشيطان الرجيم، إلا بالاستعاذة بالله السميع العليم، (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم) وكل من استعاذ به تعالى مؤمناً مخلصاً اعاذه، فكيف اذا كان من رسله لهداية عباده (فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم) الخ

وهكذا امتحن الله يوسف وفتنه بجماله فتوناً، فلبث في السجن سبع سنين وخرج منها كما يخرج الذهب من بوتقة الصائغ إبريزاً خالصاً، وجزاه الله في الدنيا قبل الآخرة على صبره (وقال الملك ائتوني به، فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله مابال النسوة اللاتي قطعن أيديهن، ان ربي بكيدهن عليم * قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه؟ قلن حاش لله ماعلمنا عليه من سوء)

طلبه ملك مصر ليستعين بعلمه ورأيه على الخروج من الحمصة التي أنذرته إياها رؤياه، وكان يظن أنه مسجون بجريمة ولكنه احتاج اليه، فاشترط لاجابته أن يسأل النسوة اللاتي تواطأن مع مولاته على الكيد له ليعيش في وسطهن عيشة اللهو والخلاعة: هل آنسن منه صبوة اليهن، فجرأتهن على ما كان من مراودتهن؟ فاستعذن بالله أن يلمزنه او يغمزنه دفاعاً عن أنفسهن، وشهدن بأنهن ماعلمن عليه من سوء، اي أدنى شيء وأقل نقص يسوءه، ولم يبق إلا شهادة مولاته امرأة العزيز، فبم شهدت؟ (قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين)

أي قالت «الآن حصحص الحق» أي ظهر أجرد أمرد لاتستره شبهة ولا تهمة كما يحص ويسقط الشعر أو ريش الطائر، وثبت واستقر من قولهم حصحص البعير اذا ألقى مبازكه للاناخة، فالكلمة بمعنييها أبلغ مايعبر به عن المعنى المراد في هذا المقام، وإنما كانت هذه الحصحصة بما ظهر من وقائع القصة الثانية، وهي فرار يوسف منها (أولاً) ومن كيد جماعة النسوة (ثانياً) ومن إيثاره عيشة السجن البائسة في خشونتها ومهانتها، على عيشة القصور العالية في نعمتها وزينتها (ثالثاً) ومن شهادة النسوة اللاتي تصبينه (رابعاً)

وقد علم من ذلك كله ان يوسف كان فوق أفق البشر في حسنه وجماله، ولا يقل عن الملائكة الكرام في عصمته وكماله وجلاله فكأنها تقول (أنا راودته عن نفسه) مغلوبة على نفسي، فاقدة لعقلي ورشدي وحسي (وانه لمن الصادقين) في قوله هي راودتني عن نفسي)

ثم ذكر يوسف عليه السلام سبب امتناعه عن الخروج من السجن الى أن تبين الملك مصر وملئه براءته مما اتهم به، فقال (ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين * وما أبرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم) أي ذلك الذي اشترطته للخروج من السجن ليعلم عزيز مصر أنني لم أخنه في حال الغيبة عنه، إذ غلقت امرأته الابواب وقالت ما قالت وقلت ماقلت (وان الله لا يهدي كيد الخائنين) فيما يكيدون به للامناء الصادقين، بل يجعل العاقبة للمتقين، وما أبرىء نفسي مما هممت به من دفع صيال السيدة علي بمثله، لولا أن رأيت ما صرفني عنه من عصمة ربي، ولا من الميل الطبيعي الى الجمال وأمرها الفطري بالاستمتاع، الا ما رحم ربي من الانفس فصرف عنها السوء والفحشاء بهداية الايمان، ان ربي غفور رحيم، فأسأله أن يغفر لي مالا أملكه من نزغات النفس، وغرائز الطبع

هذه خلاصة مختصرة من قصة يوسف عليه السلام، هي مايتبادر الى الافهام من بلاغة القرآن، دون ما شيبت من دسائس الروايات الاسرائيلية المخالفة لذوق اللغة ومقام الانبياء عليهم السلام

فهل هي الا أفضل هداية من الله تعالى تمثل للنساء والرجال أكمل المثل العليا لفضيلة العفة والصيانة التي لاتتم لبشر الا بصدق الايمان بالله تعالى ومراقبته في الخلوات والجلوات، فليوازن قارئها بينها وبين ما تقرؤه النساء في القصص الغرامية، وفي صحف الاخبار اليومية، من الحوادث المناسبة لموضوعها، ومما يجب تدبره وتذكره من العبرة بها، ومنها أن خلوة الرجل بالمرأة مهما تكن صفتهما من أقوى ذرائع الفتنة وقد حذر النبي ﷺ منها في عدة وصايا حتى من أقارب الزوجين فقد قال « إياكم والدخول على النساء » فقال رجل من الانصار أرأيت الحمو ؟ قال « الحمو الموت » رواه الشيخان في الصحيحين . ولنمسك عنان القلم فقد جمح في الموضوع بما زاد على عزمنا عليه عند البدء في الجواب ، والحمد لملهم الصواب، ومؤتي الحكمة وفصل الخطاب

جزيرة العرب والوحدة العربية

(وسعينا لعقد الاتفاق بين الامامين وفقهما الله تعالى)

قد اضطررنا في السنة الماضية أن نصرح ببعض ما كنا نخفيه تارة ونشير اليه تارة ، أو نجمجم به آونة بعد آونة ، من أنباء سعينا الى وحدة الامة العربية وجعل جزيرتها مركز القوة وأساس الدولة ، وما يليها من الارض المقدسة والمباركة موطن الحضارة ومورد الثروة ، وهو ما بدأت بوضع النظام له وتأسيس جمعية (الجامعة العربية) التي كانت خاصة بالامراء والزعماء ، وكنت المتولي لجميع الاعمال فيها ، ومكاتبة أمراء الجزيرة وزعماء الامصار في سورية والعراق بامضاء (الناموس) ويرى المطلعون على مذكرات جمال باشا سفاح الترك كتابا منها وجده في أوراق أحد شهداء الظالم بسيفه محمد المحمصاني (رحمه الله تعالى) وأما إمام اليمن وملك العربية السعودية فهما أعلم الناس بهذه الجمعية وناموسها منذ ٢٣ سنة كاملة ، وقد نشرنا يعينها في ترجمة الملك فيصل (رح) في المجلد ٣٣ من المنار

كان أساس النظام الاول لهذه الجامعة عقد معاهدة حلفية بين أمراء الجزيرة كما بيناه في العام الماضي ، وقد انحصر هذا الحلف بعد استيلاء ابن السعود على الحجاز في جلالته وجلالة امام اليمن المستقلين ، وأخر ناضم سلطنة مسقط وعمان اليهما لما كان بين سلطانها وبين امام الاباضية هنالك من الخلاف ، الذي سعيت الى تلافيه واستقلال البلاد بما عرضته على السلطان فيصل بن تركي (رح) في مسقط عند زيارتي له فيها أثناء منصرفي من الهند سنة ١٣٣٠ هـ (الموافق سنة ٩١٢ م) فتعذر عليه تنفيذه ، ثم وقع بعد ذلك بسنة واحدة من الحرب الاهلية ما توقعته بالفكر والفراسة وأنذرت ذلك السلطان وقوعه ، كما يعلم ذلك شقيقه السيد نادر وبطانته في ذلك الوقت

وكان الملك فيصل الهاشمي (رح) آخر من بلغته إياه وأقنعته بتوقفه على الاتفاق مع ابن السعود صاحب نجد فوافقني على ذلك كما تقدم في ترجمته وستأتي تتمتها

ولقد كان الامام يحيى أول من كاتبته وعرضت عليه مشروع الجامعة العربية وكان ذلك قبل تأسيس جمعيتها التي أشرت اليها بالفعل ، ثم تكررت الكتابة اليه

بعدها ، ومن بعده كتبت الى السيد محمد الادريسي في عسير والى الامير فالسلطان عبد العزيز السعودي امام نجد بالامس وملك العربية اليوم. وقد كان الامام يحيى أول من أجابني مستحسنا ما اقترحت معتذراً عن تنفيذه بالشكوى من السيد الادريسي الذي عبر عنه بالجار بالجنب ، ولمزه بالغدر ونقض العهد ، ورفض دعوة الود ، وبأنه « حالف أعداء الله الطاليان » ـ بهذا اللفظ ـ ولكنه هو عاد بعده فخالفهم محالفة رسمية مكتوبة والادريسي لم يفعل هذا ، فأدع الكلام في التاريخ الماضي في مسألة الجزيرة والوحدة العربية بالحلف وغيره ، واقول كلمة في سعيي للاتفاق بين إماميها المستقلين بعد استيلاء ابن السعود على الحجاز

سعينا الجديد للاتفاق بين الامامين

لما تم للامام عبد العزيز الاستيلاء على الحجاز أظهر رغبته في عقد مؤتمر اسلامي في مكة المكرمة في أثناء موسم الحج ، وأرسل إلي مكتوباته إلى ملوك المسلمين وأمرائهم وكبار زعمائهم في الدعوة لأرسلها من مصر وكان منهم امام اليمن بالطبع ففعلت ـ إلا جلالة ملك مصر فأرسلها هو اليه مباشرة ـ وظهرت في إثر ذلك بوادر الجفاء بينه وبين دولة مصر ، فبادرت الى السفر الى مكة في شوال لأجل السعي لدى الملك عبد العزيز في تلافي هذا الجفاء ، وتمهيد سبيل المودة والاخاء ، لما لي من لسان الصدق والاخلاص الاسلامي في اعتقاد جلالته ، وكان من ذلك ما كان ، وبسطته بوقته في المنار كما وقع لا كما يحرفه الآن بعض الكتاب

ولما انتهى المؤتمر الاسلامي بعد اداء المناسك كلها رغب إلي الملك أن أرجيء سفري إلى مصر مدة للمحادثة معه فيما أراه من وسائل الاصلاح فأجبته بل امتثلت ، وكان أهم ما اقترحته مرارا : وأوسعته إلحاحا وإلحافا وجوب عقد المعاهدة الحلفية بينه وبين الامام يحيى ، وهو ما كان تكرر مني اقتراحه عليهما ، فكان يظهر لي قبول الاستحسان بشيء من الفتور وقلة الاهتمام ، أتأوله بضيق الوقت وسعة النطاق في موضوعات الكلام ، حتى اذا ما سنحت فرصة سمر لنا على سطح قصره حيث كنا نسهر عدت إلى إلحاحي لقرب موعد سفري فأجابني بما هو ملخص ما تقدم من الكلام متفرقا

وقال : اني والله وبالله وتالله لا أنوي التعدي على بلاد الامام يحيى ، واني أرغب

أصدق الرغبة في موادته ومحالفته ، واذا قبل اليوم أن نعقد محالفة هجومية دفاعية بيننا فلا أرجيء عقدها إلى غد ، وأذن لي أن أبلغ وكيله في المؤتمر السيد محمد عبد القادر هذا عنه . وقال انه مستعد للتصريح له اذا اقتضت الحال

ثم قال ما فحواه : وأما اذا كنت تخاف أن يعتدي الامام يحيى علينا فكن مطمئنا بأن وبال ذلك يكون عليه ، فنحن بفضل الله وعنايته أقوى منه ، بل قال انه يستطيع أن يطارده في بلاده من جهتين أو ثلاث ، وإنه ان شاء وجد من أهل البلاد التابعة له من يخرجون معه عليه ، لان أكثرهم ساخطون لا راضون منه

واني قد بلغت الشق الاول من هذا الحديث لوكيل الامام السيد محمد عبد القادر الذي كان عامله على الحديدة ، وكتبت إلى الامام به كتابا أعطيته لوكيله هذا بيده،

ثم تركت ذلك إلى الامامين حتى اذا ما خاب الوفد الاخير الذي أرسله الملك إلى صنعاء في العام الماضي وتجدد الشقاق، ورأيت من خلل الرماد وميض نار ما خشيت أن يكون له ضرام، عدت إلى السعي للاتفاق من أوله ، بما يعلم تفصيله من المكتوبات الآتية (ومنها تعلم قيمة ما يدعيه محبو الشهرة من السبق اليه بارسال البرقيات ومحاولة تأليف الوفد بعد فوات الوقت)

أقتصر من هذه المكتوبات على أكثر ما دار بيني وبين جلالة الامام يحيى الذي كنت أشك في إقناعه لما أعلم من طباعه وسياسته السلبية ، ومن كون الخطر عليه من الحرب أقوى ، ولان المكاتبة بيني وبين الملك عبد العزيز فيها من الحرية والصراحة التامة في جميع المسائل ما لا يجوز نشره إلا أن يكون بإذنه بعد العلم بالمصلحة فيه ، ولانني أعتقد أن إقناعه سهل اذا اقتنع الآخر بالوفاق، لتصريحه لي بعد إعلامي بتجهيز الجيوش وزحفها في شهر رمضان بأنه لا يبغي بذلك الا إقناع يحيى بقوته ، وانها الوسيلة الاخيرة لاقناعه بعقد المحالفة اذا كان مثله يكره الحرب كما يعلن به ، حتى اذا ما يئس من اجابته ، وأعلن له الحرب بقطع مفاوضة أبها ، علمت أن قد بطل قول الالسنة والاقلام، وأعطي القول الفصل للحسام ، فلن يقبل الملك لاحد قولا الا من بعد حكمه ، وهذا هو الرأي كما بيناه في الجزء الماضي، وسيعلم الامام وأنصاره عما يضر ولا ينفع من الكلام، من نصح له عن إخلاص وعلم ، ومن غشه بالدهان وقول الأثم،

(المكتوبات بين صاحب المنار وجلالة الامام يحيى في التنازع الاخير)

(بينه وبين جلالة الملك عبد العزيز آل سعود)

المكتوب الاول في ٢٤ ربيع الاول سنة ١٣٥٢

(بسم الله الرحمن الرحيم)

من محمد رشيد آل رضا الى حضرة صاحب الجلالة الامام الهمام سليل الائمة الاعلام ، عليهم السلام

السلام ورحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد . أما بعد فقد أزعجنا وأمضنا نبأ مرضكم، وما كدنا نبتهج بنبأ نقاهتكم، إلا وتلاه النبأ الصادع بوقوع الشقاق بين حكومتكم والحكومة السعودية المنذر بقرب وقوع الحرب، وبخيبة الامل الذي كان ينتظره كل عربي مخلص لامته وكل مسلم لملته ، وحريص على سلامة مهد دينه ، من عقد الحلف بينكم وبين الدولة العربية السعودية بمساعي الوفد السعودي الذي كان في رحابكم منذ أشهر ، اذ تجاوبت الانباء بأن الوفد كان في صنعاء كالمحجور عليه ، وانكم أذنتم له بالرجوع أدراجه بعد إلحاح منكم بالطلب فانقلب خائبا مخذولا ، الى ما أنتم أعلم به ، ولا يعنينا تفصيل جزئياته ، ولا تحقيق مقدماته ، وانما تسيئنا النتيجة ، وهي تسوء كل عربي وكل مسلم ، إلا الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون ، ولو علمتم بسوء تأثيرها في مصر وسورية وفلسطين لهالكم ، ولتجافى بجنبكم عن مضجعكم ، ولعلمتم أنه لولا عذر الناس لسيادتكم بمرضكم لخسرتم بهذه الحادثة مالكم في القلوب من السيرة الحميدة في العقل والرأي والتقوى ، والحرص على حفظ سلطان الاسلام وحكمه، واستقلال الجزيرة العربية، وسد ذرائع تسرب النفوذ الاجنبي اليها ، وخطره على بلادكم أشد ، ولا شك أن حرم الله تعالى ورسوله عليكم أعز ، ولكن الامل فيكم لم ينقطع ، ولن ينقطع إن شاء الله تعالى ، وقد تضاعف الاعجاب بأخيكم الملك السعودي : دينه وعقله وحكمته ، إذ علموا بما أرق اليكم في الخطب المدلهم

أيها الامام الحكيم ، التقي الحليم : لقد علم الرأي العام الاسلامي ولا سيما العربي ، أنه لو فجعت الامة بكم في هذا المرض ، لقضى ولي عهدكم الشاب على جزيرة العرب ، فهو (أي الرأي العام) يرجو أن تبادروا قبل كل عمل الى الاتفاق مع أخيكم الملك الحكيم ، على التحالف والتعاون على حفظ هذه الجزيرة المقدسة من دسائس الاجانب والمفسدين ، وعلى عمران المملكتين اللتين وكل الله أمرها اليكما ، وتعزيز قوتهما في حياتكما الشريفة العزيزة قبل أن يئول أمرها الى أنجالكما ، الذين لا تضمن أمتكما وملتكما أن يكون لها من الحكمة والخبرة والروية مثل ما آتاكما الله تعالى ، إلا أن يتربوا في كنفكما ، وظل ماتضمنان من النظام ، وماتنفذانه منه لاعزاز الاسلام ، بعز العرب في جزيرتهم ، ومنبت أرومتهم ، ومهد دينهم ، و « اذا ذلت العرب ذل الاسلام » كما قال الصادق المصدوق عليه وعلى آله السلام ، ولا ذل للعرب إلا اذا ذلوا في جزيرتهم ، وحصن دينهم ، ومأرزه الوحيد في هذا المهد : عهد تداعي الامم عليهم ، كما نطقت به الاحاديث النبوية الصحيحة الصريحة وسيادتكم أعلم بها

أيها الامام العليم ، الحكيم الحليم

مهما يكن عليه أمر الحدود بين اليمن السعيدة والمملكة السعودية من حق سياسي أو جغرافي ، فلا قيمة له تجاه الاتفاق والتحالف بين المملكتين ، فكل منهما واسع الاطراف ، قابل لأضعاف ماهو عليه من العمران ، فلا يعذر أحد منكما بتعريضه للخراب لاجل توسيع حدوده بحق أو باطل ، وأما اذا اتفقتما وتحالفتما تحالفا صريحا ، وعاهدتم الله تعالى والامة على الاخلاص في الولاء والتعاون ، فان كلا منكما يأمن على حدوده ، ويخلو له الجو لعمران بلاده ، وجعل استعداده الحربي موجها إلى أعداء الله وأعداء قومه ، وذلك ربح لا يعلوه ربح ، وهو ما يطالبكم به الدين وأهله أجمعون

أيها الامام : إن جزيرة العرب هي تراث محمد رسول الله وخاتم النبيين ،

الاسلام والمسلمين ، لا لعبد العزيز الفيصل السعودي ولا ليحيى حميد الدين ،

فاختلافكما وتماديكما يضيع الاسلام ، واذا ضاع في جزيرة العرب فلن تقوم له قائمة في غيرها ، فجميع المسلمين تحت سلطان الاجانب ، إلا قليلا من الاعاجم، أنتم تعلمون حالهم ، وما ينتظر من مآلهم ، فيجب أن تتذكرا هذه التبعة ، وتتقيا الله وتحرصا على حسن الخاتمة ، والسلام منشيء المنار

محمد رشيد رضا

(حاشية) قد كتبت الى الامام عبد العزيز ملك العربية السعودية بهذا المعنى أيضا

(جواب الامام يحيى عن المكتوب الاول)

(ختم إمارة المؤمنين)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

السيد العلامة الاستاذ محمد رشيد رضا حفظه الله وأدام عليه نعمه والسلام عليه ورحمة الله وبركاته

قد تناولنا كتابكم الكريم وشكرنا ما أظهرتموه من الغيرة المحمودة بازاء ما نفخ به الشيطان في مناخر من لاخلاق لهم . ولقد عجبنا واستغربنا جداً ما يشيعه خدمة الدرهم والدينار ، وما يشوهون به وجه الحقيقة الذي هو أجلى من شمس النهار من توتر العلاقات بيننا وبين حضرة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن حرسه الله، وحصول مقدمات الحرب،والتأهب من الطرفين لاقتحام مجال الطعن والضرب، مع ما ينسبونه الينا من إرادة ذلك ، وما ينسبونه إلى ولدنا العلامة سيف الاسلام، أحمد بن أمير المؤمنين حفظه الله من التشوق لاضرام نار الحرب وكل ذلك محض الافتراء وقد خاب من افترى . فانه ولله الحمد لم يحدث ولم يتجدد الآن بيننا وبين حضرة الملك عبد العزيز ما يقدح زند العدوان، فما حدث إلا الجميل وحسن الرعاية من الطرفين ، وحتى الآن المراجعات الودية بيننا مستمرة ، والاحوال

كما هي عليه مستقرة ، وكيف يكون من مثلنا سعي يخالف صالح المسلمين ، واقامة شريعة سيد المرسلين ؟ وهل يقبل العقل السديد أن يكون منا الآن اثارة فتنة تخالف صالح الاسلام والمسلمين ؟

والحال أنا مازلنا ولا نزال نسمع من شعبنا السعيد مايثير الحفيظة مما كان بتنومة من قتل نحو ثلاثة آلاف مسلم آمين بيت الله الحرام، لاداء فريضة الاسلام، ويرفعون بذلك عقائرهم، ولم نزل نصبرهم بحسن العبارات، وألوان الاعتذارات ولم يمكن لنا أن نصدع حضرة الملك بذلك ، مع أنا حكمناه في ذلك عقيب الواقعة وأجاب بكل انصاف . أفهذا السكون يكون من مريد لتأجج جحيم الهيجاء، ياذوي الحجى ؟ كلا

ولقد علم من تحت أديم السماء ما كان من فصل قطعة من اليمن الميمون عن أمها اليمن الخضراء مع علم كل ذوي العقول أن قطعتي عسير وما اليها ، وجازان وما اليه ، هما من اليمن جغرافية ونسباً ومع ذلك فلم يصدر منا غير الجميل، بل كان منا السعي الكامل للاصلاح في الفتنة الناشئة بين السيد حسن الادريسي وبين حضرة الملك عبد العزيز ولم نقل جاآن لما عندي مزاجا ، أفيكون هذا من مريد لبذر البوس ، واقتباس نار أحر من نار حرب البسوس ؟ كلا ولكنها الاهواء عمت فأعمت

وأما ولدنا سيف الاسلام أحمد بن أمير المؤمنين فلم يكن من أعلاج الاغتام، وانما هو بضعة من رسول الله ﷺ ، ومن العلماء العاملين ، وانه لاشد الناس رعاية للصداقة بيننا وبين حضرة الملك عبد العزيز ، وانا نعلم يقينا ردوده على المحرشين بأعظم رد ، فليكف المفترون عن أقوالهم المزورة ، وليستحيوا من العالم بأكمله لافتضاح لهجاتهم الكاذبة مرة بعد مرة، إن كانت لهم ديانة ورعاية لمكارم الاخلاق ، فقد أوضحنا لكم الحقيقة برمتها حيث شاهدنا في كتابكم وفي غيره مايومي الى اعتقاد أن المنشور في الجرائد من قبيل الحقائق ، وما كنا نؤمل أن تخفى عليكم مصادرها ، ومن هو الملوم فيها ، وثقوا بأنه لا يكون أي اندفاع الى خصام ، ولا امتشاق حسام، مهما استمرت الحالة على ما كانت من قبل، سواء كان

اسعافنا بانصاف أو بقيت الحالة على ماهي عليه لم تدع لنا فيها الحقوق ، والحامل على هذه الطريقة هو رعاية مافيه صالح الاسلام والمسلمين ، هذا والدعاء مستمد والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته في ٢٢ جمادى الاولى سنة ١٣٥٢ هـ

المكتوب الثاني الى الامام في ٦ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٢

(بسم الله الرحمن الرحيم)

من محمد رشيد آل رضا الى حضرة صاحب الجلالة الامام الهمام ، سلالة الائمة الاعلام ، عليه وعلى آله السلام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد . أما بعد فقد تشرفت أمس بكتابكم الجوابي فسررت جد السرور ببشارتكم إياي بما شرح الصدر في مسألة الملاقة بينكم وبين أخيكم في الدين ، وصونكم في حراسة جزيرة العرب ، وتنفيذ وصية جدكم خاتم النبيين ، وكون الخلاف من الهيأة العارضة لن يكون ذريعة لسفك الدماء، الذي يتمناه أعداؤنا الاجانب وسفهاؤنا الغوغاء ، وهذا ماكنت أعتقد في دينكم وعلمكم وعقلكم وحلمكم وتجاربكم، ولكنني لا أنكر أنني كدت أصدق مايقوله الكثيرون في مشرب نجلكم سيف الاسلام أحمد عليه السلام، على أنني كنت أقول لهم إنه إن صح مايقال في رأيه ومشربه، فلن يصح أن يخالف أمر أبيه وإمامه وطاعته واجبة عليه لوصفيه كليهما ، وانحصر طوقي في المستقبل، كما أشرت اليه في كتابي الاول . وأقول الآن إنني مستعد كالاول أو أشد، لاعادة السعي لما سبقت جميع الناس اليه من شد أواخي الاخاء وإتمام مقدمات الحلف بينكما ، وأتمنى أن تجدوا لي طريقا وسطا في تعديل الحدود بين المملكتين أدنى إلى العقل والشرع مما صرحتم به في كتابكم من عد قطعتي العسير ونجران وما إليها من عقر دار اليمن الميمون جغرافية ونسباً وأما وأبا، فان في هذا القول مقالا، ولعل التساهل فيه والحال كما تعلم خير ما لا ، ولو قلتم هذا أولا لكان عذركم أظهر عند الاكثر ، أما وقد أقررتم ما كان ، فقد قامت عليكم الحجة والبرهان ،

ولا يزال موقوف في توسط من يراد في حيز الإمكان ، فاذا جهدتم الى هذا الداعي بالسعي اليه ، بذل جهده في الحصول عليه

وأما مسألة التعويض على أهل القتلى من الحجاج فلكم فيها كل الحق(١) وتعلمون أني كنت أول الساعين اليه ، ولما تم التواصل بينكم وبين الملك عبد العزيز تركت ذلك إليكم ، وقد بدأت اليوم بالتذكير به عما كتبت اليه قبل هذا ، فان كنت أعلم أن تنفيذ المطالب في هذه الايام متعذر ، فاني لا أشك في أنه يكون بعد زوال الغمة أول متيسر ، وإني منتظر أمركم ، وقد جربتم كتماني لما يجب كتمانه ولما لا يجب ، لا كالذين يتبجحون بنشر كل ما تكتبون اليهم ، وما يكتبه اليهم كل عظيم وإن كان دونكم

هذا وإني قد سررت من الوجهة العلمية الدينية أشد مما سررت من الوجهة السياسية بما تفضلتم به علي من البشارة باستحسانكم الكتابي (الوحي المحمدي) واحتمال توجه عزمكم الى اعادة طبعه وأبشر جلالتكم بأنه قد نال استحسان العلماء والعقلاء في جميع الاقطار الاسلامية ، ولا تزال تأتينا المكتوبات منها بتفضيله على كل ما كتب في إثبات النبوة المحمدية واعجاز القرآن والدعوة الى الاسلام من الوجوه اللغوية والعقلية ، والاجتماعية السياسية ، وقد شرعوا بترجمته بعدة من اللغات الشرقية والغربية الخ (٢)

والسلام عليكم وعلى نجلكم وولي عهدكم سيف الاسلام ، وسائر أنجالكم الكرام عليهم السلام

منشيء المنار

محمد رشيد رضا

---

(١) أعني الحق في تطييب القلوب ، بما يوضع في الجيوب ، ولكن تكرير الامام للتذكير بهذه المسألة كان محركا للاضغان ، مثيرا للاشجان ، مانعا من الأداء بالاحسان

(٢) بقية هذا الكتاب خاصة بكتاب الوحي وقد رجوت من جلالة الامام ان يبين لي ما يراه فيه منتقدا . فقرظه بما نشرته بنصه في أول التقاريظ من الطبعة الثانية مستقلا ، ولم ينتقد منه شيئا

جواب الامام عن المكتوب الثاني

(الختم الامامي المعروف)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حضرة السيد العالم الفاضل ، والجهبذ الفذ الكامل صاحب المنار محمد رشيد رضا المحترم حفظه الله ، وشريف السلام عليه ورحمة الله وبركاته

وصل كتابكم الكريم وأحسنتم بما أفدتم ، واعلموا عافاكم الله أنا صرحنا لحضرة الملك عبد العزيز أن يكون ربط الاواصر مع ابقاء الحالة في عسير على ماهي عليه ، فانا نكره تجزئة اليمن وفصل قطعة منها عن أمها الطبيعية ، وأن مثل هذه المسألة هي التي أخرت المعاهدة بيننا وبين انكلترا ، وآخر الكلام كان البناء مع انكلترا على تأخير البت في شأن الاراضي التي يدعونها تحت الحماية إلى المستقبل وتكون المذاكرة عنها . ثم ان كراهيتنا لعدم الخوض في الاراضي العسيرية بيننا وبين حضرة الملك عبد العزيز وإبقاءها كما هي عليه الآن ، ليس المراد به انا سنهاجم كلا : بل صرحنا لحضرة الملك عبد العزيز في جملة برقيات ، أن من المحال أن يحصل منا عدوان قطعا حتى الممات ، ولا نعلم بعقد كلام في شأن تلك الاراضي

وفي شأن السيد الحسن الادريسي كتبنا لحضرة الملك : إنا حاملون بوجهنا وذمتنا أنا لانساعده على عدوان ولا نرضى له ، وهو عدونا ليس بيننا وبينه صداقة ، وانما حملنا على الخوض في مسألته محبة صلاح الشأن بينه وبين حضرة الملك ، وتسكين الثورة الشيطانية التي حدثت بتلك الجهة ، ثم تعويل الحسن علينا . وأشار الينا حضرة الملك أن بعض الناس من الذين يريدون بذر الشقاق في البلاد العسيرية يترددون بين مصوع وبعض مراسينا فأمرنا بمنعهم من الدخول الى بلادنا وطرد من كان منهم في بلادنا[1] وأشار حضرة الملك الى أن قرب السيد الحسن الادريسي

(١) المنار : المراد بهؤلاء المفسدين دعاة حزب الشرفاء المسمى بالحزب الوطني الحجازي ، وكان لهم تأثير في ثورة عسير الماضية في زمن فتنة ابن رفادة وقد تبين أن مولانا الامام لم يطردهم في هذه المرة كما قال او ان أمره بطردهم لم ينفذ فقد نشرت لهم رسائل في بعض الجرائد جاءت من بلاده ، كما ان إبعاده للسيد حسن الادريسي لم يتحقق للملك السعودي

من تلك الجهات زعماً يكون مصدر شر ، فكان منا إقناع السيد الحسن بحسن انتقاله الى جهة في بلادنا تبعد عن تلك الجهات بمسافة ثلاثة أيام . وعلى الجملة فاعلموا يقينا أنه لايكون منا أدنى عدوان مادمنا على الحياة .

وولدنا سيف الاسلام حفظه الله هو من أحرص الناس على حفظ الصداقة بيننا وبين حضرة الملك ، واذا بلغكم مايخالف هذا فكذبوه ثم كذبوه ثم كذبوه وإنا لنعجب لما تنشره بعض الجرائد مما نظنه كذبا كما هي عادة الجرائد من التجنيد والتجييش والتجهيز من جهة حضرة الملك عبد العزيز إذ ليس لذلك من جهتنا مايحمل على ذلك غير ما عرفناكم ههنا من الكتابة الودية ، وكامل التأمينات لحضرته بعضها مؤكد بالايمان ، على أنا نعلم أن بالشقاق بيننا وبين حضرته كل بؤس وضرر على العرب عموما بل وعلى المسلمين . وانا نستعيذ بالله من ذلك ، ومن أن يكون لنا سبب لما هنالك ، هذا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

حرر في ٢١ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٢ ﻫ

المكتوب الثالث أو الرابع إلى الامام في ٢٥ رجب

من محمد رشيد رضا الى حضرة الامام الهمام سليل الائمة الغر الميامين ، جلالة الامام يحيى حميد الدين ، عليه وعلى آله السلام

السلام ورحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد . أما بعد فقد حظيت بكتابكم الكريم المؤرخ في ٤ رجب وبتقريظكم الشريف لكتاب الوحي المحمدي فسررت بهما ، ولكن ساءني أنني لم أجد في الكتاب ما يفتح لي باب الخدمة لما عرضته من رغبتي في السعي للصلح بينكم وبين أخيكم الملك عبد العزيز آل سعود ، على أساس تعديل ما بين المملكتين من الحدود ، لعقد المحالفة التي تحول دون الخلاف في الحال والمآل ، وتكون بها قوة كل منكما يداً واحدة على من عاداكما اذا عادا كما أو عادى واحداً منكما

ولكنني رأيتكم تمدون السير برمتها كنجران من عقر دار اليمن ، وأن بقاء حكمه

في أي جزء منها إنما من عقد حلف بينكما، وأن قصارى الامر أنكم لا تقصدون الآن نزعها بالقوة الحربية

وهو لا يعترف لكم بهذه الدعوى وتعلمون ما يتهمكم به[1] وبقاء هذه الحال غير ممكن ، لهذا ساق جيوشه إلى الحدود، ولأنه يعتقد أن سبب رفضكم لامضاء العهد، وما عاملتم به الوفد، وبقاء قواتكم على الحدود، إنما سببه كله اعتقادكم أنه ضعيف، وأن ضعف قوته سيلجئه إلى الاعتراف لكم بالبلاد العسيرية كلها جبالها وسواحلها ، وكتب إلي أنه يرجو بإرساله قواته إلى الحدود ومواجهتها لقواتكم أن يجنحوا للسلم، وتفضلوها كما يفضلها على الحرب ، وتجيبوه إلى ما يدعوكم اليه من عقد العهد، وتجديد الود ، ولكن فاجأتنا البرقيات اليوم من رومية باشتعال نار الحرب ، فوجلت القلوب ، واضطربت الافكار، وبتنا لا نهتدي إلى الوساطة سبيلا، إلا أن تهدونا إليها عا تجدونه معقولا، وما هو في رأينا إلا الاعتراف بالحال الحاضرة في عسير ، مع تحديد عادل في نجران ، يبقى فيها حد نجد كما كان، ويعترف لكم بما كان مستقلا منها قبل الحوادث الاخيرة إن لم يكن مرتبطا فيها بعهد سابق يحتاج إلى المفاوضة هذا ما خطر ببالي اليوم أنه لا يزال ممكنا ، كتبت به لجلالتكم ولم أكتب إليه شيئا جديداً ، وإني منتظر لأمركم بالبرق وبالبريد لأنهض بما أقدر عليه من خدمة للاسلام ، ولميراث محمد ﷺ لقومه وأمته، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(جواب الامام عنه وهو الاخير)

(الختم)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حضرة السيد العلامة المحقق ، بحر العلوم المتدفق، محمد رشيد رضا الحسيني منشيء مجلة المنار الغراء ، حفظه الله من بين يديه ومن خلفه ، وأتحفه في جميع

(١) أعني أنه يتهمه بالمراوغة وبما هو شر منها ، ويقول إنه كالشريف حسين

مواقفه بالمعين من لطفه ، وشريف السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

قد تناولنا كتابكم الكريم على الحقيقة ، لما يحويه من البيان الجميل والاشفاق بتلك الحمية على مثلى الطريقة ، فشكرنا لكم ذلك النصح وذاك التطارع ، ودعونا لكم بدوام التوفيق وحسن التشييع ، وقد عرفنا من كتابكم أن مصدر ما استحوذ به القلق ليس إلا تلك المنابع الملومة ، وهي عن التحري فيما تنقل بمعزل ، ولا يوجد ما يحملها على تحري الصدق في النقل، بل دواعيها محصورة في ترويج بضاعة الكذب وربما كان الكذب مقصوداً لذاته ، واذا عرفتم أن الحالة السابقة هي الآن كما كانت لم تتغير، والمراجعات بيننا وبين حضرة الملك عبد العزيز مستمرة ، والاتجاه فيها الى السلم أوضح مما سواه ، وأنه لولا وجود شرذمة من شذاذ الاقطار يلقون فيما نظن الى الملك عبد العزيز مايثير الحفيظة لما تغير من الوضعية التي استمرت طوال السنين شيء يذكر، اتضح لديكم مقدار ما في الاخبار المفتعلة من الكذب والتقول بما لا أصل له ، وقد أوضحتم ما لأجله كان حشد الجنود من الملك عبد العزيز بن سعود

وكان يكفي لدفع تلك التوهمات ونفي اتخاذ الحالة الراهنة فرصة تذكر الحالات الماضية ، وهي كثيرة الصور دالة على أنا لا نتحين فرصة ، ولا نبغي له غصة ، وإلا فما الحامل على ترك اعانة ابن عايض ومخاليه ناشبة فيها من أقصاها إلى أدناها ، ولم تطأها قدم نجدي إذ ذاك، وعلى ترك اعانة الاشراف في الحجاز بعد التوسل الينا في كلتا الحالتين بما هو فوق المرغوب

وكذلك رأينا فيما جرى بعدهما من الاطوار ، وحتى الآن لم يتجدد شيء سوى التأديب لقبائل يام ، الذين ضررهم على المنتمين الى الملك عبد العزيز من القبائل الذين وراءهم، أكثر من الضرر على من ثبتت أقدامهم على طاعتنا من القبائل المجاورة لهم من جهة الجنوب، وقبائل يام يمنية ، ولم يكن التعرض لهم إلا بعد أن كتبنا الى حضرة الملك عبد العزيز أنهم يمنيون، بل هم مصاصة قبائل اليمن، وإنا لم نتركهم إلا خشية أن تتشوش الافكار، فرجع منه الجواب بأنه لا كلام له منهم ، وغاية الامر أن بينه وبين أهل وادي نجران الذين هم بعض قبائل يام بعض تملقات ، ثم بعد هذا وصل منه ما هو أصرح ، والبرقيات لدينا محفوظة

وأيت أنكم تصلون الينا لعرض كل المكاتبات عليكم فسيظهر لكم منها ما لم يكن في حسبانكم من انصافاتنا

أما المعاهدة فاننا أفدنا الوفد انه لا بأس بها غير انه لا يمكن لنا أن نقرر انفصال جزء من اليمن عنه، لكنها تكون المعاهدة مبنية على إبقاء بلاد عسير وما اليها على حالتها التي هي عليها الان ، واذا كان من الوفد كلام بأنه كان منا أدنى جفاء فسترجع أمره الى الله ، فانه لم يعزم الا على غاية من الرضا والشكران وتحريراته لدينا محفوظة ، غاية الامر أنها طالت مدة لبثه ههنا ، فهل في المرض الذي كاد أن يقضي علينا عذر يوجب تأخر تسريحه ؟ إنا لانظن أيا كان لايعذر في مثل ذلك المرض ، وإنا لنظن ان الذي غير نهج حضرة الملك عبد العزيز ، إنما هم خدمة الافرنج الذين يتلذذون باهراق دماء المسلمين ، وهدم عزهم وانحطاط علو شأوهم تقربا بذلك الى أعداء الاسلام ، مع فرار داعي الباطنية المكرمي ومنصوبه من بدر الى أبها عسير لدى أمير حضرة الملك عبد العزيز بأبها

ولا يخفى عليكم ماعليه الباطنية وارتباط باطنية الهند بهذا الداعي وامدادهم إياه ، ولو كان الامعان بانصاف، لكان العلم بأنه لاحق لاحد غيرنا في الكلام عن بلاد يام لانه لاراية فيها منصوبة ، ولا هي من غير بلاد اليمن محسوبة ،وقد رأينا في منشورات الجرائد عن المصادر المعلومة والمجهولة كذبا صراحا ، بأن المصادمات بين الجيش اليمني والنجدي قد وقعت،وأن الجيش اليمني زحف الى بلاد الدواسر وبلاد نجد ، والحقيقة أنه لاشيء من ذلك أصلا ، لاصدام ولا التحام ولا زحف،بل الواقع أن الولد سيف الاسلام بعد أن بلغ اليه قرب الجيش النجدي من الحدود أمر الجيش اليمني بتخلية بعض المواقع التي كان يحتلها، بداعي التحاشي الموجب للاشتباك ،وهو بصفته تقهقر اختياري أريد به ما أوضحناه من التباعد عن موجبات تحقق أحلام المفسدين ،والمتوسم عند تحرير هذا انه لايكون شيء من التشاجر ان شاء الله ، فلا يوجد لذلك من الدواعي والاسباب مايقتضي تحرير وقوعه،وبالله المستعان،والدعاء مستمد،والسلام لتاريخه ١٨ شعبان سنة ١٣٥٢

(تقريظ)

الاستاذ الشيخ عبد الحميد الصائغ النابلسي (*

منذ مدة وأنا أفكر في كتاب يصلح أن يكون هاديا وبشيراً للامم غير الاسلامية بأسلوب مألوف لديهم، وعلى نمط يكون في متناول جمهورهم، حتى ينادى في الاوساط الاوروبية والاميركية بالدعوة الى دين الاسلام بالحجة والبرهان وامتلاء النفس قناعة وطمأنينة، ومع هذا يتيسر لنشئنا المثقف ونابتتنا الزاهية ان تتصفحه وتطالعه، ويزيل مايترددها من شبهات، ويزيح مايتورها من اعتراضات، فلم أعثر على ذلك الكتاب الى ان اهتديت الى كتاب (الوحي المحمدي) لعلامة المحقق السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار، ذي الاراء الاسلامية الناضجة، والابحاث الدينية الموفقة، فوجدت فيه الضالة وتحققت فيه الرغبة.

اني قانع كل القناعة ان القرآن كفيل بحاجة مطالعه، قمين بان يملأ نفس قارئه ايمانا وحكمة وعلماً وادبا وسياسة وخبرة، ولكن هذا يتوقف على أن يكون القارىء خبيراً باللغة العربية ملماً بعلومها متضلعا من بلاغتها وفصاحتها، ولا ريب ان هذا غير متيسر لكثير من ابناء العربية وعلماء المسلمين، فكيف بغير العرب وغير المسلمين؟ خصوصاً وان المسلمين اعرضوا عن الاستفادة من هذا الكتاب المقدس الاستفادة اللائقة به، واصبحوا لايعتنون الا بمظاهر ختمه فقط ورسم اسمه الشكلية.

من اجل هذا كانت حاجة المسلمين الى كتاب يبشر بدينهم على الوجه الذي بينا ماسة وشديدة

وليس من شك في ان هذا العمل يتطلب تفكيراً عميقاً وخبرة واسعة ووقتاً

*) نشره في جريدة الجامعة الاسلامية في ١٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٢ ١٥ أكتوبر

غير قصير، حتى يخرج الى الملأ مستكمل النواقص وافياً بالحاجة، وان الاستاذ السيد محمد رشيد هو اجدر من يقوم بهذا العمل واحق من يتحمل هذا العبء، وان مبادرته الى اخراج هذا المؤلف مسارعة الى اداء فرض محتم عليه، وفهم موجب لامناص منه، لكفايته النادرة، وشهرته في العالم الاسلامي بجودة الثقة والاعتماد على آرائه، والاستفادة من نتائج قريحته، والوثوق من خبرته وسعة اطلاعه.

بدأ المؤلف كتابه في البحث بموضوع الوحي والاستفاضة فيه ومناقشة القائلين بانيانه من اهل الاديان السماوية، وبحث آراء نفاته من الماديين، وأفاض في نفيها واقامة الحجة على ابطالها. ثم رقى على ماذكر بمقاصد القرآن، في ترقية نوع الانسان، شارحاً اركان الدين وانواع الاصلاح التي يحتاج اليها الانسان في حياته، وتخلل ذلك بحث مسئلة المعجزات وخوارق العادات التي هي مدار الاشتباه الكثير من المثقفين والمتعلمين، وقصور الدين بصورته الحقيقية، فاطلع القارىء على كثير من قواعد الدين الاصلاحية الاجتماعية والمالية والسياسية، مستنداً في ذلك كله على آي القرآن ونصوص الاسلام. ثم ختم المؤلف كتابه في بحث تحرير الرقاب ومنعه، وازاح ما يخفى على كثير من المتعلمين من الشبهات في هذا الموضع وغيره،

وبالجملة فان الكتاب بالنسبة لابحاثه الاجتماعية والمالية والسياسية لا ريب انه واف بالمقصود من هذه النواحي على شكل يسر كل مسلم، ويحفز كل غيور على دينه ان يقبل على مطالعته وتصفحه.

وليس من شبهة في أن المقصود الاول من هذا الكتاب جعله في متناول العلماء غير الاسلاميين وخصوصاً غير العرب كما ذكر المؤلف نفسه (النتيجة المقصودة بالذات دعوة شعوب المدنية : أوروبة وامريكة واليابان، بلسان علمائها الى الاسلام، لاصلاح فساد البشر المادي وتمتيعه بالسلام، والاخاء الانساني العام)

ولا يتيسر هذا الا اذا ترجم لغات الاجنبية من قبل متضلعين بتلكم اللغات عارفين باسرارها. فينبغي والحالة هذه على الهيئات الاسلامية ان تقوم بهذا الواجب، ونرجو ان يسارع مكتب المؤتمر الاسلامي العام بالقدس وغيره من الهيئات الاسلامية الى هذا فانه عمل منتج، ويرجى ان يكون له اثر خطير في العالم، وان هذا

العصر عصر طغت فيه المادية واعتز المبشرون فيه بتشكيكاتهم واموالهم، فعلى الاقل يجب على علماء المسلمين وهيئاتهم ان يقوموا بنشر مبادئهم الدينية الحقة واذاعتها في الملأ لتكون سلاحا يوجه الى كل من أراد هذا الدين بسوء وقصد تشويه تعاليمه ومبادئه

وان هذا الكتاب رغما عما يؤخذ عليه يفيد مطالعه فائدة جليلة جداً، ويعود على قارئيه بنتائج لا يتيسر الوقوف عليها من غيره، ويعطي صورة عظيمة القدر لتعاليم الاسلام خالية من تلك الاغشية التي وضعها عليها بعض العلماء، ويوصل الى معرفة حقائق اسلامية بشكل يثلج له الصدر، وعلى وجه تطمئن له النفس، واني ادعو بني قومي واخواني الى المسارعة لمطالعته واقتنائه والاستفادة من ابحاثه ومحتوياته

وان ما يؤخذ على الاستاذ المؤلف قد شعر هو به فيما قال: على انني لم اكتب هـذا البحث أول وهلة لهـذا الغرض (وضع مصنف في اثبات الوحي المحمدي) وانما بدأت منه بفصل استطرادي لتفسير آية: «أكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم» الخ. ثم قال. ولو انني قصدت هـذا منذ بدأت بالكتابة لوضعت له ترتيباً آخر يغنيني عن بعض ما فيه من الاستطراد والتكرار، الخ. فاكثر ما يؤخذ عليه يرجع الى استطراد في البحث يكاد ان يكون مملا وخصوصاً في فصل اقامة الحجة على مثبتي الوحي ونفاته(١)

وقد ابدى معذرته في قوله. ولكنني كتبته في اوقات متفرقة وحالات بؤس وعسرة، لا اراجع عند موضوع منه ما قبله الخ. وبيان المآخذ وذكر المعذرة لا يعني التقليل من اهمية هذا الكتاب وشخصية مؤلفه بل على العكس يجعلنا نرجوه ان يوالي تصنيفاته في تلك المواضيع باذلا الجهد في مجانبة ما لاحظه على نفسه، جزاه الله عن الامة الاسلامية خير الجزاء، وضاعف له الاجر على مجهوداته التي لا تنكر والله ولي التوفيق

نابلس. عبد الحميد السائح

---

(١) من الغريب أني عنيت بالاستطراد بحث الخوارق كما قال هذا الاستاذ الذكي حتى اني استشرت بعض كبار العلماء أولي الرأي في اختصاره في الطبعة الثانية فلم يوافقني أحد بل قال الاستاذ العلامة الشيخ المراغي انه من أهم المباحث فلا ينبغي حذف كلمة منه

(تقريظ أمير البيان،شكيب ارسلان)

ان المسلمين على بينة من أمرهم لا يحتاجون إلى دعاية ولا إلى التماس الادلة حتى يعتقدوا بوجود واجب الوجود الذي لا يمكن العقل البشري أن يتصور هذا الكون بدونه ، وكذلك لا يفتقرون إلى الادلة على صحة نبوة محمد ﷺ بعد أن تلقوا خلفاً عن سلف النور الذي أنزل عليه والذي مازال ينير هم من العهد المصطفوي إلى الآن . فكتاب الوحي المحمدي للاستاذ العلامة حجة الاسلام في هذا العصر السيد محمد رشيد رضا لم يكتب في الحقيقة للمسلمين لانه كتاب يقيم الادلة على صحة أمر يحيا المسلمون ويموتون عليه ، ويرون جميع براهينه من قبيل البديهيات التي لا تحتاج عندهم إلى برهان كما لا يحتاج النهار إلى دليل . وإنما وضع الاستاذ هذا الكتاب للاوربيين الذين يريدون أن يعلموا ما عند الاسلام من الادلة على صحة الوحي المحمدي ، والذين منهم من إذا أثار لهم الدليل لم يكابروا فيه تعصباً وعدواناً وصدوداً عن رؤيته. وقد كتبه أيضاً لكل من نشأ نشأة أوربية أي خالية من التربية الاسلامية التي يكون الناشيء قد ارتضع فيها مباديء الاسلام مع لبن أمه فيقال انها رسخت فيه من الصغر ، ولما كان جميع من يقرءون العلوم العصرية اليوم ويتعلمون بحسب برامج الحكومات الاسلامية الحاضرة هم في الحقيقة أشبه بناشئة الاوربيين ولو كانوا مسلمين نسباً ، كان هذا الكتاب موجهاً أيضاً إليهم ، لانهم في حكم الاوربيين من جهة فقد التربية الاسلامية أو على ما يقرب من ذلك

فلهذا كنا ندعو لقراءة هذا المؤلف ليس الاوربيين فحسب بل ناشئة المسلمين أيضاً ولا سيما الناشئة التي أبت الحكومات الاسلامية إلا أن تطبعها بالطابع الاوربي لاننا في هذا العصر مغلوبون وأوربة هي الغالبة ، والمغلوب مولع بتقليد الغالب حتى في الخطأ كما قال ابن خلدون. فالاستاذ الحجة يسرد لامرتابين الاسباب التي تحمل المسلم على أن لا يرتاب بصحة الوحي النازل على محمد عليه السلام يقول :

ان محمداً كان أمياً لم يقرأ سفراً ولم يكتب سطراً. وهذا القرآن العظيم بفصاحته وبلاغته وإشارته إلى جميع مناحي الاجتماع بأرشق إشارة وأوجز عبارة ، لو لم يكن

من عند الله لا يعقل أن يقوم به رجل أمي لم يقرأ ولم يكتب ولم يحصل علما من قبل ،
بل قضى طفولته في البادية عند بني سعد بن بكر يرعى الغنم مع إخوته في الرضاع . ثم
انه نشأ يتيما وكان مع يتمه المثل الأعلى في حسن التربية واستقامة الأخلاق حتى
لقب بالأمين ، ولم يكن أحد يماري في استقامته ، وكانوا لنزاهته يختارونه ليقوم بما
يختلفون فيه فيما بينهم ، فيستحيل أن يكون رجلا موصوفا بالصدق والأمانة إلى
هذا الحد من أول نشأته إلى أن يبلغ سن الاربعين ثم يتحول دفعة واحدة فيصير
كاذبا مفتريا ، ويضع من عنده أشياء يدعو الناس اليها ويقول انه سمع صوتا ولو لم
يسمع صوتا ، وشاهد ملكا ولو لم يشاهد ملكا . ان هذا من الامور المستحيلة عرفا
ثم انه لم يكن طالبا شيئا من وراء ماقام به من الدعوة لنقول انه كذب على الناس
لينال حظا من حظوظ هذه الدنيا . فكل أحد يعلم انه لم يكن ينشد ملكا ولا مالا
ولا ثروة ولا جاها . فلأي شيء يقوم بدعاية غير صحيحة ويضع أشياء من عند
نفسه ويتحمل عليها الهزؤ والسخرية ثم البغضاء والشنآن ثم الاضطهاد والانتقام
ويتعرض لخطر القتل وهو لا يريد رياسة ولا نفاسة ولا نعمة دنيوية من جميع هذه
النعم ، بل كل ما يريده أن يترك قومه عبادة هذه الاصنام التي ما أنزل الله بها من سلطان
والرجوع إلى عبادة الواحد الأحد مبدع هذا الكون لا إله إلا هو

قد كان محمد عليه السلام مؤثراً العزلة لا يخالط أبناء عصره في مجامعهم ،
ولا يشاركهم في عباداتهم الوثنية ، ونشأ من صغره لا يعبد إلا الله تعالى ، وكان
من مزاياه انه لا يقول الشعر ولا يخطب في الاندية ولا يتصدى لشيء من مظاهر
الرياسة ولا الشهرة ، فكيف يمكن أن ينقلب دفعة واحدة فيخالط الناس ويدعوهم
إلى التوحيد وإلى مكارم الاخلاق ، ويقوم فيهم بشيراً ونذيراً ، ويتجشم من
العذاب ما يتجشم ، ويتعرض لآلام أمر من العلقم ، ولم يكن هناك باعث فوق
العادة حافز له على الخروج من عزلته التي بلغ الاربعين وهو عاكف عليها

ويقول السيد رشيد انه من المقرر عند علماء النفس وعلماء الاجتماع ان من

يبلغ سن الخامسة والثلاثين ولم ينبغ في علم أو عمل عقلي عظيم لا يمكنه بعد ذلك أن يقوم بشيء منها أُنُفًا (بضمتين) أي جديدًا لم يسبق إليه فضلًا عن الجمع بينهما. والحال ان محمدًا ظهر بهذا الامر العظيم وبهذا البيان الالهي الذي لم يعهد العرب مثله وذلك بعد الاربعين فلم يكن قبل هذا التاريخ استعد له بشيء ولا وجد ما يدل عليه من قول ولا فعل ولا علم ولا عمل

قلت وقد يقول بعض الناس ان محمدًا كان يظن في نفسه أنه يوحى اليه فهو لم يتعمد التكذيب تعمدًا، وإنما بلغ به التأمل انه كان يسمع تلك الاصوات، ويرى تلك الخيالات، ويظن ما سمعه وحيا. وما رآه ملكا. والجواب على ذلك ان هذا الوحي كان قولا ثقيلا خارقا للعادة وكان يؤخذ به أخذًا شديدًا حتى كان يخاف على نفسه، وطالما خاف(١) أن يكون به جنون. وهذا من جملة الادلة على صدقه وكونه لم يتعمد النبوة تعمدا ولا استشرف لها بشيء من الاشياء، وانه قد فاجأه الوحي مفاجأة لم يتقدمه عنده سوى الرؤيا الصادقة، وانه جاء وحيا فيه من العلوم العالية كما يقول السيد رشيد والاعمال العظيمة ما كان قلبا للاحوال والاوضاع الدينية والمدنية والاجتماعية بل انقلابا لا يماثله انقلاب معروف في التاريخ

ثم ان هذا الكلام الذي نفث في روع محمد (٢) ليس من نسق كلامه الذي يعرفه الناس له فقد تكلم محمد عليه السلام قبل البعثة وتكلم بعد البعثة ولا شك انه كان من أفصح البشر وأبلغهم وقد نطق بجوامع من الكلم تحار فيها العقول ولكنه لا يزال بين كلامه الخاص وبين القرآن الموحي اليه بون بعيد، فلا كلامه الخاص ولا كلام أحد من الانبياء يسامت درجة القرآن في كثير ولا قليل. وكل من تأمل في القرآن العظيم وكان بصيرا بالبلاغة وقابله بكلام البشر يدرك هذا الفرق الكبير.

لا جرم أن القرآن يعلو في بلاغته وفصاحته وأسلوبه وشدة تأثيره علوا كبيرا عن جميع كلام العالمين، وكيف يكون ذلك إن لم يكن القرآن وحيا إلهيا؟ فقول بعض

(١) الصواب أن يقال: وربما خاف اولا الخ فان الخوف على نفسه انما عرض له (ص) في بدء الوحي (٢) الروع بالضم الخاطر والخلد والنفث فيه عبارة عن إلهام يلقى فيه، وهو دون وحي القرآن.

الناس ان محمدا عليه السلام كانت تعروه نوبة عصبية فيظن نفسه يوحى اليه، ليس مما يعالج هذا العلو الذي يعلوه القرآن الذي أوحي اليه على الكلام الذي كان يقوله من نفسه بدون أن يوحى اليه، فان النوبة العصبية التي يزعمونها ليس من شأنها أن تأتي بهذا الاعجاز كله وأن تجعل هذا الفرق البعيد في كلام انسان واحد

ثم اننا لا نفهم لماذا يأبون أن يعتقدوا بكون تلك الحالة التي كانت تعرو محمداً عند نزول الوحي عليه هي من شدة وطأة الوحي وكونه قولا ثقيلا ؟ ولماذا يأبون إلا أن يسموا هذه الحالة التي كانت تعروه نوبة عصبية ناشئة عن مرض من أمراض الجسم ولم يقم على وجود هذا المرض دليل ؟ فأي استحالة في كون باريء الوجود يوحي إلى أحد عباده الذين اصطفى قولا يحدث نزوله عليه نوبة عصبية يضطرب لها ويتفصد جسده عرقا كما كان يعتري محمداً عليه السلام . وأيضا فالنوبة العصبية الناشئة عن علة بدنية تقتضي أن يكون صاحبها مصابا بداء الصرع أو بمرض عصبي آخر تحدث منه هذه النوبات ، والحال ان النبي عليه السلام كان سليم الجسم ولم يكن مريضا، ولم يقل أحد من أهل عصره : لا من أعدائه ولا من أصحابه انه كان يصيبه شيء من أعراض الصرع أو من أعراض مرض آخر مزمن ، والذين ذهبوا إلى ذلك لم يستندوا على أدنى دليل ، وانما هي افتراضات مبنية على غير أساس ، وتخرصات بغير الواقع ، وبمجرد التخيل كما هو شأن كثير من الاوربيين ، أو هي فرار من التسليم ان تلك الحالة التي كانت تعرو محمداً عند نزول الوحي عليه هي حالة خاصة بنزول الوحي لم تكن لتحدث لولا ذلك . ولكن محاولة هذا الفرار لا تغني هؤلاء الفارين من الحقيقة شيئا إذ قد ثبت ان النبي ﷺ كان مزاجه عقلا وبدنا بغاية الاعتدال حتى ان المستشرق الافرنسي ماسينيون نفسه برغم صبغته الكاثوليكية الشديدة يعترف بأن مزاج محمد كان موزونا لا شائبة فيه . إذاً فافتراض النوبة العصبية بغير تأثير الوحي لم يبق له مجال إلا التعنت .

وقد أشار السيد رشيد إلى هذا الموضوع فقال : إن أعداء الرسول من الافرنج وتلاميذهم تأولوا هذه الحالة التي كانت تحدث له بأنه كان يعرض له نوبات عصبية،

وتشنجات هيستيرية ، وما أبعد الفرق بين حالته تلك وحالة أولي الامراض العصبية في المزاج ، فقد كان مزاجه ﷺ معتدلا ، ولعله إلى الدموي العضلي أقرب ، فذو النوبة العصبية يعرض له في اثرها من الضعف والاعياء البدني والعقلي ما يرثي له العدو الشامت ، وأما صاحب تلك الحالة الروحانية العليا فكان يتلو عقب فصمها وتسريها عنه آيات أو سورة كاملة من القرآن الذي بينا في هذا البحث بعض وجوه إعجازه اللفظي والمعنوي الخ

قد اهتممنا بهذه النقطة دون سواها من هذا المعترك لانه لا يكاد يوجد أحد اليوم في أوربة من العلماء المحققين إلا وهو معترف بأن محمدا لم يتعمد ادعاء النبوة تعمدا لينال بها رياسة أو مجدا أو مالا أو حظا من حظوظ الدنيا ، وانه انما أراد صلاح عقائد بني عصره من نقلهم عن عبادة الوثن الى عبادة الحق ، فهذا أمر قد اتفقوا عليه تقريبا ولكنه لا يزال يصعب عليهم التسليم انه كان نبيا يوحى اليه ، ولما كانوا لا يقدرون أن ينكروا الحالة التي كانت تصيبه قبل ان ينطق بالقرآن وأنها حالة لم يكن يتعمدها ولم يكن يمكنه لو اراد أن يتعمدها ويتظاهر بها ـ لجأ بعضهم لتعليل هذه الحالة إلى قضية النوبة العصبية وذهب آخرون انه من قبيل الوله بالله تعالى الذي يخرج الانسان عن الطور المعتاد . وعلى كل حال قد اجتاز الاوربيون المرحلة الاولى من مراحل الاعتقاد بصحة دعوة محمد ، فقد لبثوا طوال القرون الوسطى يزعمون بتأثير كلام رهبانهم ان محمدا كان كاذبا ، فرجعوا الآن عن هذا القول إلى القول بأنه كان صادقا معتقدا ما يقوله حقا ، وان هذا القرآن كان ينزل عليه وكان يعتقد هو انه من عند الله ، وكان يرى الملك ماثلا أمامه ، ولكن هذا كان نتيجة المرض بقول بعضهم أو التخيل بقول الآخرين ، فادعاء الكذب على محمد قد سقط اليوم في أكثر بلاد النصرانية ، وقد اجتيزت المرحلة الاولى فبقيت المرحلة الثانية وهي تصديق كون محمد عليه السلام انما كانت تحدث له هذه الحالة

غير المعتادة لسبب وحي كان يأتيه من قبل الله تعالى لا بمجرد التخيل ولا من قبل المرض . وليس بعجيب أن يتأول هذا التأول أهل عصر مادي كهذا العصر يصعب عليهم الاعتقاد بالغيب وتعليل الامور بغير ما يقع تحت الحس . ولكنهم لو تأملوا لوجدوا أنفسهم عاجزين عجزا تاما بازاء الاسرار الكونية لا يحلون منها مشكلا إلا وصلوا الى سد واقف في وجههم لا يقدرون ان يجتازوه الا بعد التسليم ان هناك قوة خارقة للمادة ، وان القول بوجوده اقرب الى العقل والى العلم من هذه التمحلات الواهية التي يحاولون بها تعليل الحوادث كلها بالاسباب المادية ، ويلجئهم الامر في اكثر الاحيان الى تلمس الافتراضات المبنية على غير اساس

ان كتاب الوحي المحمدي الذي جاء به الاستاذ السيد رشيد رضا في هذه الايام قد أتى عصره على قدر ، لانه زمن صار يجب فيه التعليل حتى في الامور التي هي معدودة الى اليوم من البديهيات . ومادمنا نقفو الاوربيين صاعدا ونازلا ولا مناص لنا من هذا الاقتداء ، كان لا بد لعلماء المسلمين من إعداد الاسلحة العقلية اللازمة لمكافحة الشبهات التي هي من أصل أوربي ، فكتاب الاستاذ واف بهذا الغرض لا يخطر في البال معنى من المعاني التي يقتنع بها القارىء بعلو مزايا الاسلام إلا وقد أشار اليه

ثم قد فات هذا الكتاب موضوع جليل ربما كان أدل على إعجاز القرآن وعلى صحة الوحي به وكونه من عند الله حقا من سائر الموضوعات . وهذا هو ما في القرآن من الآيات المطابقة للقواعد العلمية التي انتهى اليها تحقيق الاوربيين في هذا العصر من جهة التحولات الكونية . فمن المعلوم أن محمداً عليه السلام فضلا عن أنه كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ، قد نشأ في مكة حيث لم تكن علوم ولا معارف ولا جامعات ولا مدارس وكذلك لم يكن في المدينة . وان قلنا انه كانت علوم ومعارف ومدارس تقرأ فيها العلوم الكونية وذلك في غير جزيرة العرب

كالشام أو كالاسكندرية أو كأثينة أو كرومية مثلا فان محمداً كان بعيداً عن ذلك المحيط العلمي كله لا صلة له به ثم ان العلوم الكونية التي كانت في ذلك العصر لم تكن فيها هذه النظريات الحديثة كالرأي السديمي مثلا الذي يقتضي أن تكون الاجرام السماوية كلها في الاصل دخانا ثم تتجمد كتلة واحدة ثم ينفصل بعضها عن بعض أجراما متفرقة . وانك لتجد هذا في القرآن صريحا (أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي) فلو لم يكن القرآن وحيا ما كان يمكن محمداً أن ينطق بحقيقة علمية لم تتقرر فعلا إلا في هذا العصر . وكذلك كون مبدأ الحياة في الماء قيل إنه قال به بعض فلاسفة اليونان ولكنه لم يكن قاعدة علمية كما هي اليوم . وكذلك كون الزوجية منبثة في الممالك الثلاث الكونية الحيوان والنبات والجماد لم يكن ذلك معروفا في عصر محمد عليه السلام وانما كانوا يعرفونه في المملكة الحيوانية وشيء من المملكة النباتية المشابهة للحيوانية ، والحال أن القرآن جعل هذا المبدأ عاما (ومن كل شيء خلقنا زوجين) وغير ذلك من الآيات التي جاء فيها مثل (من كل زوج بهيج) و (من كل زوج كريم) . وكذلك حركة الاجرام الفلكية ، فقد كان الفلكيون في القديم يعتقدون بوجود سيارات وثوابت ولم يتغير هذا الاعتقاد إلا بحسب علم الهيئة الجديد . والحال ان في القرآن مايدل على أنه ليس من جرم غير متحرك (وكلٌ في فلك يسبحون) وغير ذلك مما أحصاه المرحوم الغازي أحمد مختار باشا نحوا من تسعين آية فيما أتذكر ، وفسره تفسيراً علمياً أثبت ما فيه من المطابقة للنظريات العلمية الحديثة . وكان مختار باشا من أفذاذ الدهر في علم الهيئة والرياضيات والطبيعيات فلا يقدر أحد أن ينكر ضلاعته في هذه العلوم . ولقد أشرت على الاستاذ الحجة السيد رشيد بأن يلحق بكتابه هذا ليكون مستوفياً جميع شروط

الافادة خلاصة كتاب مختار باشا الغازى المسمى « سرائر القرآن » لان الذى يؤثر في عقول الاوربيين وعقول النشء الجديد في الشرق من مطابقة القرآن للنظريات العلمية الحديثة هو أعظم مما تؤثره البراهين العقلية والادبية والاجتماعية

شكيب أرسلان

[المنار] كتب أمير البيان هذا التقريظ بعد قراءته لكتاب الوحي المحمدي بضعة أشهر وكان قد نسي على مايظهر أن الموضوع الذى قال هنا انه قد فاتنا — لم يفتنا ، فاننا قد أشرنا اليه في مواضع كان آخرها ماتراه القارىء في آخر صفحة من خاتمة الكتاب ، وفيها ذكر هذه المسائل التي مثل بها لما في القرآن من المسائل العلمية التي في القرآن وزيادة عليها ، وقد وعدنا في هذه الخاتمة كما وعدنا في تصدير هذه الطبعة بأننا سنعقد لها فصولا في ملحقات الكتاب التي ستكون في الجزء الثاني منه مع أمثال لها من سنن الكون الاجتماعية والاخبار الغيبية والوصايا الصحية

وفات الامير حفظه الله تعالى ما كنا اقترحناه عليه عند ما كتب الينا انه سيكتب تقريظا للكتاب بأن يجعله استدراكا على كلام له في كتاب (حاضر العالم الاسلامي) النفيس مضمونه انه لم يوجد في هذا العصر كتاب يصلح لدعوة الافرنج إلى الاسلام

وأما ماذكره في أول التقريظ من استغناء المسلمين الصادقين عن هذا الكتاب أو كونه غير موجه اليهم فغرضه خاص بصحة عقيدتهم في أصل الاسلام ، ولكن السواد الاعظم منهم عرضة للتشكيك بالشبهات العلمية العصرية أو دعاة التنصير لأنهم أسرى التقليد ، وأشرنا الى حاجتهم الى براهينه على إعجاز القرآن والنبوة في مقدمة التصدير لهذه الطبعة

وقد وصل هذا التقريظ الينا في ٢ من ذي الحجة سنة ١٣٥٢ بعد طبع ما اخترناه من التقاريظ فجعلناه مسك الختام

كتاب الوحي المحمدي

نقد وتحليل ـ نظرة عصرية في اعجاز القرآن(*)

(سوء أعمال المبشرين — أخلاق سيدنا محمد العالية — العناية بالوحي المحمدي)

عند ما يخرج أحد المؤلفين كتابا يتصدى له النقاد فيثيرون الى مباحثه بين تقريظ وانتقاد . وأخذ ورد . ويكشفون عن محاسن الكتاب وعن المآخذ التي يرونها فيه وهذه الطريقة قديمة وأصبحت اذا قرأت نقداً لكتاب لا تتوقع إلا أحد أمرين : إما اعلانا أدبياً عن الكتاب وإما تنفيراً منه وفي كلتا الحالتين يكون القاريء مظلوما

وقلما أعرض لموضوع كتاب بالنقد أو التقريظ فليس من شأني أن أجامل المؤلفين أو أخدع القارئين . وانما يدفعني إلى الكتابة عن كتاب ما ذلك الاثر الذي يحدثه في نفسي ذلك المؤلف . وتلك العاطفة التي تتجاذبني من أثر هذه القراءة

ولعل أصوب طريق للنقد في نظري أن تجعل من الكتاب الذي تتعرض له موضوعا لتبدي رأيك وما يعن لك من الافكار بصدد هذا الكتاب

ولعلي لا أجامل اذا قلت ان كتاب الوحي المحمدي الذي ألفه الاستاذ السيد محمد رشيد رضا أثار في دافعا للتعليق عليه ونقده ، وأن أجعل ذلك الموضوع مجالا للمناظرة في موضوع هام له أثره في العالم الاسلامي إن لم يكن في العالم أجمع

فالكتاب كله أدلة لاثبات صحة الوحي المحمدي وبحث علمي في المعجزات والدعوة إلى الاسلام .

***

أما ان الوحي المحمدي في حاجة إلى أدلة منطقية أو علمية لاثباته فهذه مسألة فيها نظر . لان الاسلام جلي ظاهر لا يحتاج إلى أدلة منطقية أو علمية لاثباته . ولكن المسألة ليست مسألة اثبات ، بل هي مسألة ردود على فتنة أشعل لظاها جماعة من المستشرقين والمبشرين ، فأخذ الاستاذ السيد رشيد يرد الدليل بالدليل

(*) بقلم الدكتور حسين الهراوي بمصر ونشر في جريدة الجامعة الاسلامية بيافا ، ولم ينشر في خاتمة الطبعة الثانية لكتاب الوحي

والحجة بالحجة ، وما زال يدر منفام حتى سد عليه الطرق ، وكبله حتى تلاشت تلك المواصف التي أثارها هذا المستشرق، وجعلتنا نرى أغراض جماعة من الاوروبين واضحة من طعنهم في الاسلام ونبي المسلمين ، وعلم الله أن لم تكن بالاستاذ حاجة الى المناقشة أو ترديد الادلة لو ان هؤلاء الناس كانوا خالين من الغرض في مباحثهم،

ولعل هذا ماجعل الاستاذ رضا يقارن بين معجزة القرآن الدائمة والمعجزات التي سبقت الاسلام بإسلوب منطقي وعلمي

غير انا نلاحظ ان الاستاذ السيد رشيد أغفل ذكر بعض مسائل هي في نظرنا آية الاعجاز في القرآن . فاسلوب القرآن البياني واعجازه الادبي والمنطقي كل هذه الانواع من الاعجاز مسلم بها من المسلمين والمنصفين من غير المسلمين، إلا أن في القرآن انواعا من الاعجاز العلمي استلفتت نظرنا بصفة خاصة خصوصا ان القرآن أشار إلى الموضوعات العلمية وأحالها على الراسخين في العلم وقال (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم) فاشار الى العلم وانه سيكشف عن كثير من اعجاز القرآن (١)

فالذي يقرأ مثلا الآية (ايحسب الانسان أن لن نجمع عظامه؟ بلى قادرين على ان نسوي بنانه) لايرى فيها شيئا من الاعجاز العلمي إلا ان الله سبحانه وتعالى سيجمع العظام ويعيد البنان وهي نهاية الاصابع

ولكن بعد أكثر من الف وثلاثمائة يثبت العالم ان اصابع الانسان هي التي تحدد شخصيته وتكون بصمات الاصابع هي الوسيلة الوحيدة لتحقيق الشخصية وانه تقام لها الادارات الخاصة وتعتمدها المحاكم ، كل هذا يجعلك تدهش لسر اعجاز هذه الآية بان آيات الله قد أظهرها في انفسنا ويكون تفسير الآية انه سيجمع عظام الانسان ويعيده بشخصيته كما لو فعل ذلك فلم تحقيق الشخصية

هذا النوع من الاعجاز العلمي ما زال بكراً في القرآن ومازال محتاجا إلى الدراسة والتفسير والسبب في ذلك بعد الطبقة المتعلمة تعليما فنيا عن النظر ودراسة القرآن من هذه الوجهة (٢)

---

(١) المنار . قد بينا هذا في كتاب الوحي واستشهدنا بهذه الآية في خاتمته

(٢) انه ليس بكرا فقد بحث فيه ولكن عجائب القرآن لا تحصى كما ورد في الحديث

وأذا ما اضطر دنا الى أنواع الاعجاز الفني في القرآن فلا يصير ذلك كتاب الاستاذ رشيد لانه كتاب في الحقيقة لرد على أولئك الناس الذين يتشدقون بالفهم والعلم للطعن في الاسلام ولذلك نمر سريعا على تلك المقارنات التي عقدها الاستاذ رشيد للمقارنة بين الاديان .

***

أعجبتني تلك الفصول الفياضة الممتعة عن حرية الفكر في الاسلام . وذم التقليد والحض على التفكير الحر في دائرة العقل . تلك الفصول التي دبجها الاستاذ في كتابه مستشهدا بالقرآن والحديث

والحق أن هنالك فرقا شاسعا بين الاسلام والمسلمين . ولقد أتى على المسلمين حين من الدهر تسلطت عليهم الاعاصير السياسية فقام جماعه باسم الدين يبتدعون المذاهب لاعراض سياسية . ويستغلون الشعور الديني لمآرب دنيوية . ولا زلنا نسمع عن بعض زعماء يستغلون الدين لانفسهم ويفرضون على اتباعهم زكاة من الذهب كل عام . ولذلك كان موقف الاستاذ رشيد في كتابه عن هذه النقطة موقفا مشرفا . فقد كشف عن الوجه الصواب وما أحوج المسلمين الى أمثال هذا الموضوع ليفتح أعينهم للحقائق حتى يروا الحق كما هو لا كما صوره الواهمون المغرضون . وما أحوج الناس الى ترجمة هذه الفصول لنشرها على العالم فالناس في البلاد الاجنبية معذورون لعدم معرفتهم حقيقة الاسلام وقد ذكر الاستاذ رشيد أسباب الحجب بين الفرنج وحقيقة الاسلام . وعددها واحداً واحداً . ولكنه لم يذكر المستشرقين في فصل خاص ولم يذكر أسباب طعنهم في الاسلام ولم يفرد في كتابه فصلا يأتي فيه على ذكرهم وأثرهم في مطاردة الاسلام في بلاده وان كان لمح الى ذلك تلميحا في رده على درمنغام(١)

ونحن لا نزال نقول إن المستشرقين أكبر الأثر في اظهار الاسلام على غير حقيقته وأنهم يطعنون في سيدنا محمد ﷺ من غير حق . ومهما تكن الاسباب الداعية لذلك فنحن أحوج ما نكون للرد عليهم واظهار أغلاطهم وتسفيه أحلامهم

(١) ان كتاب الوحي ليس بكتاب تاريخ فلذلك اكتفينا في هذه المسألة بالتلميح

أما ما كتبه الاستاذ عن الكرامات ودعوى جماعة من المشعوذين الدينيين باسم الولاية والكرامة الى غير ذلك من المسائل التي مازالت تشغل أذهان السذج من الناس — فما ذكره في ذلك يعد آية من آيات الايمان الصادق والاسلام الصميم الذي لايستغل لمآرب دنيوية . وعندي ان المسلمين قد آن لهم أن تفتح أعينهم لتلك المسألة الجوهرية ، وانه لعار أن تظل تلك العقائد الخرافية ممسكة بالرقاب إلى الامة في عهد النور والعرفان

والحق ان في العالم أشياء كثيرة غامضة ولا زالت مسألة الاعمال الخارقة للمادة موضوع بحث ، وإن كان العلم لم يحدد مركزها تماماً ، ولكن على أي حال لاصلة بين هذه الاعمال وبين الدين لاننا نسمع الكثير منها في مذاهب الاديان المختلفة حتى في الديانات الوثنية التي لا يقبلها عقل مثقف الآن وحتى في الاديان التي لازالت تعبد الاصنام وتقدس الانسان

على ان السيد رشيد تصدى الى مسألة (جان دارك) وكتب عنها بما وسعه علمه الواسع . ولكني أظن أنني اطلعت على مقالة لكاتب فرنسي عن كتاب يعزو سر نجاح جان دارك إلى أنها كانت من العائلة المالكة الفرنسية وأن شاراتها كانت تمتاز بالشعار الملكي

والحق أن كتاب الاستاذ رشيد يعد نوعاً جديداً في التفكير الاسلامي الحديث وأنه نواة صالحة للنسج على منواله بتوسع

وإنني كنت نهجت في عدة مقالات في التحليل النفسي لحياة سيدنا محمد أن نطبق علم النفس والغرائز على أخلاق وعادات وآداب سيد المرسلين واستنتجت من ذلك أنه كان آخر حلقة في سلسلة الغرائز العالية من أجداده ، ولعل الاستاذ السيد رشيداً اذا توسع في هذا الموضوع وأدمجه يكون قد أدى خدمة جليلة باذاعة هذه المباحث التي عدها كل من اطلع عليها بحثاً مبتكراً في هذا النوع من التفكير الاسلامي

وأخيراً أهنيء الاستاذ على إخراج هذا الكتاب وأغتبط إذ نفدت طبعته الاولى ولا زال الاستاذ يوالي الطبعة الثانية . وانني أشد اغتباطا إذ أعلم أن هذا الكتاب جار ترجمته لعدة لغات شرقية وغربية . كل هذا في أقل من بضع شهور على ظهور الكتاب وهذا كله شهادة ناطقة لما لاقاه هذا المؤلف الثمين من التقدير بين المسلمين ، اهـ

العبرة بسيرة الملك فيصل

رحمه الله تعالى

(٦)

اعلان استقلال سورية

كان جل اشتغالنا في دمشق وأهمه في الأسبوع الاول من جمادى الآخرة أو الاسبوع الاخير من فبراير (شباط) سنة ١٩٢٠ محصوراً في الاستعداد لاعلان استقلال سورية المتحدة فلم يدر بيني وبين فيصل أحاديث خاصة في غير هذا مما كتبتها بعد إرسال وفده إلى مصر فالحجاز

ولقد كنت على ما أعلم أول من اقترح على الاخوان في دمشق ثم على المرحوم يوسف بك العظمة في بيروت أن تعلن سورية استقلالها التام المطلق وتجعل دول الحلفاء معها أمام أمر واقع - كما يقال - ولما عاد الامير فيصل من أوربة ليقيم أسبوعا واحداً يأخذ فيه تفويض البلاد إياه أو توكيلها له في المسألة السورية وأبى عليه الزعماء وجمهور الاخوان هذا التوكيل رأوا أن خير مايشغله أو يصرفه عن العودة الى أوربة للاتفاق مع فرنسة وانكلترة على شكل الانتداب الذي رضيه - أن يقنعوه باعلان الاستقلال ونصبه ملكا على البلاد ، فاقتنع ظانا ان مايرون أنه هو الصارف له عن ذلك هو أقوى ما يمكنه منه ، وهو يرى أنه لامندوحة عنه

وكان أول عمل لحزب الاستقلال بالاتفاق مع الامير دعوة أعضاء المؤتمر العام إلى دمشق ، ثم وضع الاساس الذي يبنى عليه الاستقلال ، فعقدوا لهذا عدة جلسات في دار علي رضا باشا الركابي ودار رفيق بك التميمي وغيرها كنت أحضرها الى أن قرروا بموافقة الامير أن أذهب إلى بيروت لاقناع زعمائها والمجيء بهم الى دمشق لانهم كانوا قد امتنعوا عن إجابة الدعوة ، فسافرت الى بيروت في أول مارس ، ولم أتمكن من جمع كلمتهم المتفرقة إلا في مدة أسبوع كامل كانت آخر ليلة منه آخر جلسة لنا معهم في دار الاتحاد التي يشغلها باسم حكومة الشام يوسف بك العظمة ، وقد كتبت عنها في مذكرتي ما يلي :

يوم الاحد ٧ مارس (١٦ جمادى الآخرة)

اجتمع مندوبو بيروت البارحة بدار الاعتماد وتذاكروا في مسألة السفر فاختلفوا وكان رأي الاكثرين عدم السفر حتى يجيء من الشام نبأ رسمي بتحديد جلسة المؤتمر المنتظرة، ورأي أبي علي سلام السفر، فوافقته وأصررنا فاقتنعوا وسافرنا صباح اليوم

وصلنا إلى الشام الساعة ٤ و ٣٥ ق مساء فوجدنا المؤتمر مجتمعا فصليت الظهر والعصر جمع تأخير وحضرت الجلسة فوجدت البحث دائراً على خطاب المؤتمر الى الامير فيصل فطلبت أن يقرأ علينا كتابه الى المؤتمر - وكان قد قرئ - فأعيدت قراءته، واقترحت شيئا من التعديل والاصلاح في جواب المؤتمر له فقبل

ثم قرئ في الجلسة قرار المؤتمر (ونوقش فيه) وعهد إلي أخيرا تصحيح عبارته . اه ما كتبته بعد الجلسة من تلك الليلة لاجل الذكرى . وهذا القرار حرر في أثناء غيبتي في بيروت بعد تلك الجلسات التي عقدت للبحث في موضوعه وأشرت اليها آنفا

وقد اقترح بعض أعضاء المؤتمر من غير المسلمين في هذه الجلسة أن ينص في قرار المؤتمر على أن حكومة سورية المتحدة لا دينية (لايك) ووافقه بعض المسلمين الجغرافيين، وعارضه آخرون مقترحين أن ينص فيه على أنها حكومة اسلامية عربية أو دينها الرسمي الاسلام . واحتدم الجدال فلم أر مخرجا من هذه الفتنة إلا اقتراح السكوت عن هذه المسألة . ومما قلته ان إعلان كونها لا دينية يفهم منه جميع المسلمين أنها حكومة كفر وتعطيل لاتتقيد بحلال ولا حرام، ومن لوازم ذلك أنها غير شرعية فلا يجب طاعتها ولا إقرارها بل يجب إسقاطها عند الامكان، فالاولى السكوت عن ذلك فوافق الاكثرون على هذا الرأي والاكتفاء باشتراط أن يكون دين ملكها الرسمي هو الاسلام فتقرر ذلك

واني بهذه المناسبة أذكر ما كتبته في مذكرتي عن الجلسات الثلاث الاخيرة التي حضرتها قبل سفري إلى بيروت لما فيها من تفصيل هذه المسألة والعبرة في العبر الكثيرة فيما يسمونه الحالة الروحية في ذلك المؤتمر بل في سورية كلها، وهذا نصها :

يوم السبت ٨ جمادى الآخرة ٢٨ فبراير

دعاني الاخوان الى جلسة بدار رفيق التميمي للمذاكرة فيما يبنى عليه اعلان الاستقلال فقرأ عزت (افندي دروزة) كاتب المؤتمر شيئاً كتبه في معنى ما كنا بيناه في جلسة عند توفيق (بك الناطور) ولكنه ترك فيما أهم ما اقترحته عليهم في تلك الجلسة وهو بناء التقرير على قاعدة كون الاستقلال السياسي حقاً طبيعياً للشعوب كما أن الحرية الشخصية حق طبيعي للافراد — وقاعدة قيام العرب من السوريين وغيرهم بثورة على حكومتهم التركية ونجاحهم فيها — وذكر النص المؤيد لذلك من القانون الدولي — وقاعدة اعتراف مؤتمر الصلح العام ببلادنا بالاستقلال وايداعه في المادة ٢٢ من عهد عصبة الامم الخ ثم انه ذكر فيما كتبه اسم الثورة ولكن بغير هذه الصورة والقوة . فقال رفيق التميمي ان هذه الصورة حسنة ولكنها تشبه المقالة (قلت المراد الموضوع لا الاسلوب)

وسألت عوني (بك عبد الهادي) عما كلفته إياه وأمره الامير به بناء على اقتراحي من استخراج الشهادات الرسمية (من قبل الدولة البريطانية) للجيش العربي ، فاذا هو لم يأت الا بعبارة اللورد كرزون منها

يوم الاحد ٩ جمادى الآخرة ٢٩ فبراير (شباط)

اجتمعنا البارحة بالاخوان في دار الركابي (باشا) وتناقشنا في عدة مسائل مما يتعلق بقرار اعلان الاستقلال ، وتأليف حكومة جديدة ملكها فيصل ودينها الاسلام ، منها مسألة العلم السوري ، ومن يعلن الاستقلال : الامير أم المؤتمر ، وغير ذلك مما سبق البحث فيه في جلستين سابقتين ، وكان ترجح أن يكون لسورية علم مستقل غير علم الحجاز المرفوع الآن في الشام وملحقاتها ، وتقرر هذا ولكن لم يتقرر شكل العلم ، ثم ان بعضهم قال في هذه الجلسة ان الامير فيصلا لم يقبل ذلك

بحال، وقيل انه يسوءه والده الملك جداً ولكنه يقبل أن يوضع في العلم الحجازي علامة امبراطورية كصورة نجم في المثلث الاحمر أو في غيره، واختلف الرأي في تبديله أو إبقائه مع علامة فيه، فتقرر الثاني بأغلبية ضعيفة هي واحد او اثنان اهـ

يوم الاثنين اول مارس قبل سفري الى بيروت

اجتمعنا بالإخوان ليلة الاثنين البارحة بدار الركابي (باشا) للمذاكرة في المسائل التي تتعلق بالاستقلال أيضاً، وكان أهم ما ألقي فيها من البحث: هل يكون للحكومة (شيخ إسلام) أو وزير للامور الشرعية ام لا؟ وعلى الاول هل يكون من أعضاء مجلس الوكلاء أو الوزراء أم لا؟ فقال بعضهم بالسلب (اي لا حاجة الى وزير ديني او اسلامي)! وبعضهم بالحاجة إلى رئيس ترجع اليه أمور المحاكم الشرعية والاوقاف، ثم طلبوا مني بيان رأيي في الموضوع فتكلمت من وجوه:

(١) مكان العرب من الاسلام وإمامة المسلمين الذين يقتبسون دينهم ويتعبدون ربهم بلغتنا، ويحجون الى بلادنا ناسكين وزائرين

(٢) كون هذا الامر قوة أدبية وسياسية واقتصادية لنا لا يمكننا الاستفادة منه إلا اذا كان لحكومتنا صفة اسلامية

(٣) ما استفاده الترك من انتحالهم لمنصب الخلافة وجعل دين حكومتهم الاسلام من عطف مئات الملايين من مسلمي الاقطار عليهم وانتصارهم لهم الى الآن وكون هذا من أسباب بقاء ملكهم على اختلاله الى اليوم (*)

(*) هذه المسألة يمكن تكبيرها وبسطها بمقال طويل يفند فيه خطأ متأخري الترك الذين ألغوا منصب الخلافة تقربا الى أوربة، وزعمهم أن الاسلام وخلافته لم تفدهم بل أضرتهم، وان الحجة البالغة على هذا عدم ثورة العالم الاسلامي على الحلفاء في الحرب الاخيرة، فهذا جهل طالما بيناه فى المنار ويمكن الزيادة فيه

(٤) كون العرب في الجزيرة وغيرها لا يمكن جمع كلمتهم وتكوين وحدتهم إلا بدعوة دينية (كما حققه ابن خلدون من قبل) ولا يمكن لسورية أن تبقى مملكة مستقلة إلا باتحادها مع غيرها من البلاد العربية المتصلة بها

(٥) كون السواد الاعظم من العرب مسلمين يغارون على الاسلام اعتقاداً وإيمانا ، فاذا جعلنا حكومة سورية مجردة من الصفة الاسلامية يوشك أن يقابلوها بدعوة دينية في أول فرصة

(٦) ماتقرر في علم أصول القوانين من كون القانون لا يكون صالحا للأمة إلا اذا كان مراعى فيه عقائدها وعاداتها وتاريخها . وعلى هذا يجب أن تكون الشريعة هي المستمد الاعظم للقوانين التي نحتاج اليها على فرض عدم تدين حكومتنا بالاسلام ، وعدها أئمة الفقه كعلماء القوانين ، فاذن لابد لنا من وزير شرعي ومن رجال آخرين من علماء الشرع لهذه الحكومة .

(٧) كون شريعتنا صالحة لهذا الزمان كغيره وليس فيها ماينافي المدنية اذا لم تتقيد بمذهب الحنفية أو غيره . وذكرت أمثلة في ذلك وقواعد شرعية ، فاعتمدوا رأيي وقرروه اهـ

هذا ماكتبته من خلاصة تلك الجلسة الطويلة في ذلك الوقت القصير وقت السفر . ولكن ماتقرر بعد سفري لم يبن عليه ، ولم يمنع أن يقترح بعضهم أن يكتب في نص قرار الاستقلال جعل الحكومة السورية لادينية

وقد ظهر بعد ذلك من الضرر في المؤتمر نفسه ماقد نبينه عند سنوح الفرصة له وأغربه مانجم من رءوس الالحاد والاباحة في أثناء المناقشة في القانون الاساسي للدولة السورية

هذا وان ما كان من الجلسات الخاصة بيني وبين الملك فيصل بعد اعلان الاستقلال قد انحصر في صباح يومي الجمعة والاحد اذ لا تعقد فيهما جلسات المؤتمر ، وقد نفذ ما كنا قررناه من ارسال وفد الى ابن السعود بكتاب منه وكتاب مني ، ثم تجددت أمور اختلف فيها رأيي مع رأيه وسألخص ما أراه مفيدا من ذلك

حركة النازي اللادينية

وشجاعة الفاتيكان وصراحته

منقولة عن المقطم الذي صدر بتاريخ ٢١ ذي القعدة سنة ١٣٥٢ — ٧ مارس سنة ١٩٣٤

لما شجر الخلاف في الكنيسة الانجيلية في ألمانيا ، وكثر التحدث عندهم بالكنيسة الالمانية الرسمية أو النازية وبالطائفة التي تسمي نفسها بالالمانيين المسيحيين لم يدر الناس في الشرق كثيراً ولا قليلا عن هذا الخلاف في الكنيسة البروتستانتية الالمانية ، وظنوه خلافا وطنيا عارضاً لا يلبث أن يسوى بينهم ، وانه لا يمس جوهر المسيحية بشيء

ولكننا ما لبثنا أن سمعنا باشتداد الخلاف ، وبأنه خلاف على جوهر حتى ذهبت الاكثرية المعارضة إلى مدى القول ان النازي يريدون أن يمزجوا جوهر المسيحية بشوائب الوثنية ، ولم نفهم المراد بالوثنية حتى أفهمنا إياه النازي أنفسهم، إذ وكلوا الى اثنين من أساطين كتابهم فيما يظهر فكتبوا كتابين في جوهر هذا التغيير الذي يقرب المسيحية من الوثنية ؛ وأحد هذين الكاتبين اسمه روزنبرج واسم كتابه « خرافة القرن العشرين »

ونحن لم نر الكتاب ولكن نقلت الينا الانباء نبذاً منه ، وقيل لنا ان النازي سيتخذون هذين الكتابين قانونا لايمانهم الجديد ينشرونه فيما بينهم ويحفظونه أولادهم في المدارس ويعلقون آياته على ابواب عملهم وفي منازلهم ، ويعصبون بها رءوسهم لو كانوا يلبسون عصابات

وفي تلك النبذ التي قرأناها ما فهمنا منه ان النازي ينكرون المسيح قاعدة المسيحية ويحسبونه معلماً دينياً إن كان انجيله ملائما لعصره فهو لا يلائم هذا العصر ذلك لانه بشر في ذلك الزمان بالسلام ، والسلام لا يلائم فطرة الخلق ، وقد جرب كل التجارب في مدة ألفي السنة التي مرت فما احتمل تلك التجارب ، لان الناس

المسالمين الودعاء لايرضى أحدهم إذا لطم على خده أن يحول الآخر لضاربه، وإذا سئل ثوبه أن يعطي رداءه فوقه، وإذا سخر ميلا أن يمشي مع مسخره ميلين

لايرضى الرجل الوديع المسالم ذلك فما بالك بالالماني الشديد المراس في معاملة الغريب السلس القياد في أيدي حكامه مهما يكن مبلغ استبدادهم به وبنظام الحكم والدستور والبرلمان في بلاده

ألا ترى ان الالماني لايغفر لأجنبي أقل هفوة يهفوها ويعدها إيذاء لشعوره القومي وهو قد اغتفر للنازي حل البرلمان وإلغاء الدستور وإنشاء دكتاتورية مطلقة، وليس الفرنسوي ولا الانكليزي مثل ذلك إذ لايتصور أحد من الذين يعرفون أخلاقهما وتربيتهما الدستورية انهما يرضيان بانقلاب دستوري مثل الذي رضيه الالماني

ان الذين قالوا ان النازي يريدون مزج المسيحية بالوثنية قالوا شيئا كثيراً فان إنكار قاعدة المسيحية يعيد القوم إلى العصور السابقة لانتحالهم المسيحية، وقد كانوا فيها يعبدون مثلما كان العرب يعبدون في عصور الجاهلية: اللات والعزى ومناة الاولى، فليتهموا بأصنامهم وأوثانهم

وهذا الحنين إلى عهود الوثنية يبعد النازي عن أديان التوحيد الثلاثة، وهو شذوذ لم يختلف عن شذوذ امبراطور ألمانيا السابق، فقد كان يعتقد ان الشعب الالماني شعب الله الخاص، وانه هو ملك هذا الشعب المختار بحق إلهي، ولعل هذه الفكرة ورثها النازي عنه وهي التي تجعلهم ينقمون من اليهود ما ينقمون

وكاتب هذه السطور ليس كاثوليكيا ولكنه يرى من العدل والانصاف ألا يترك هذه العجالة من غير أن ينوه بفضل الفاتيكان ويده على المسيحية في رد هذا الكيد لها، فقد أبدى في هذا الحادث ما اشتهر عنه من الغيرة والسهر على الوزنات الخمس التي عهد اليه فيها، فكان بينه وبين النازي مفاوضات على عقد «كونكرداتو» يقرر به موقف الكنيسة الكاثوليكية في ألمانيا، فلما دري بحركة النازي هذه والتي هي في جوهرها لا دينية قطع المفاوضة ولم يمنعه من ذلك كون رئيس الوزارة ووكيلها

كالبلشفيين ، لانه إن كان لا حياء في الدين فهنا موضع إبداء الشجاعة والجرأة وعدم الحياء في المجاهرة بالضمير ، وان كانت المجاملة والمداراة والمناورة تصلح أساساً للسياسة فانها لا تصلح أساساً للديانة ، وكل من يبني عليها فهو «يشبه برجل جاهل بنى بيته على الرمل فنزل المطر وجاءت الانهار ، وهبت الرياح ، وصدمت ذلك البيت فسقط وكان سقوطه عظيما»

وعندنا ان هذه الحركة النازية تقلبه البلشفية من الوجهة الدينية ، وانه إن كانت ألمانيا قد سلمت من البلشفية السياسية لم تسلم من البلشفية الدينية ، والفرق بين البلاشفة والنازي ان الاولين صريحون في مروقهم من الدين ، وان الآخرين يعملون من وراء ستار

ومما يدل على أن النازي يريدون ان يمحوا عن الاذهان فكرة الله والالوهية قولهم في القسم الذي أقسموه لزعيمهم هتلر انهم «يقسمون لادولف هتلر والحق الابدي» فما هو هذا الحق الابدي ؟

وجاء في التلغرافات التي نشرت في الاسبوع الماضي ان قداسة البابا خطب في جمع من كبار رجال الدين أمس بعاصمة الروم على تطويب ثلاثة من القديسين فحمل على «العقائد الوثنية» الحديثة في ألمانيا وقال «ان حياة أولئك القديسين كانت مثالا باهراً من المحبة المسيحية ، وإنذاراً من مثل الحركة التي تريد العالم على العود الى الوثنية والشعب الالماني النبيل هو الآن في مأزق من تاريخه ، والآراء والاعمال السائدة بينه ليست مسيحية ولا انسانية ، فان الزهو القومي لا ينتج الا زهواً بالحياة وهو بعيد عن روح المسيحية والانسانية معاً»

(ن ش)

المعارك الدينية في ألمانيا

بين طوائف البرتستانت

(ترجمة كوكب الشرق عن الطان الفرنسية في ١٢ ابريل سنة ١٩٣٤)

لا تزال المعارك الدينيـة تزداد خطورة بين الطوائف التابعة للكنيسة الانجيلية في ألمانية

وقد اجتمع السينودس الانجيلي الحر وهو مؤلف من رجال الدين ومن التابعين قبلا لثلاثين سنودس من ثلاثة وثلاثين سنودسيا، اعني من المصلحين واللوثريين وأعضاء الكنيسة المتحدة وهم من اللوثريين والمصلحين الذين انضموا معا في عهد حكم فردريك الاول ووافق السنودس المشار اليه على إصدار منشور جاء فيه ما يلي :

« ان الاسباب التي أحدثت الاضطراب الشديد في الكنيسة الانجيلية الالمانية ترجع إلى الحملات التي أثيرت ضد معتقدات هذه الكنيسة ، ويقع القائمون بالامر فيها في أغلاط تنافي ما جاء في الانجيل المقدس

ولم تعد لمجالس القساوسة ورجال الدين والسنودس الوطني سلطة روحية منذ انتخابها في صيف ١٩٣٣ والروح التي تسيطر على هذه الهيئات الدينية وإرادتها هي روح التدمير والهدم حتى أن الاوامر التي صدرت في ٤ يناير و٢٦ يناير و٣ فبراير سنة ١٩٣٤ هي اوامر لا تتفق والعدالة ودستور رجال الدين

ونحن نهيب إذاً باخواننا وزملائنا من القساوسة ألا ينفذوا هذه الاوامر ولا يعملوا بها لانها ضد تعاليم الانجيل المقدس ، ونهيب بأبنائنا التابعين لنا وبقساوستهم الذين عزلوا من مناصبهم ظلما وعدوانا ألا يأبهوا لهذه الاوامر ، وأن يحتفظوا بقساوستهم ، لان عصيان حكومة دينية تحكم بما يخالف كلام الله سبحانه وتعالى يعد طاعة له جل جلاله

واذا علمنا أن الطاعة من القواعد الاساسية التي تتمسك بها الكنيسة البروسية أدركنا أن هذه العبارات التي جاءت في المنشور هي عبارات تدل على الثورة

والعصيان والتمرد ، ويحتمل أن الذين كتبوها يعتقدون بأنهم لايشتغلون بالامور السياسية ولا دخل لهم فيها ، ولكن من المحال أن الحكومة الحالية في ألمانيا لاتتهمهم بالوقوع في الخطأ وتقف مكتوفة اليدين فلا تعمل بشدة ضد هذا القرار

وقد وافق السنودس الحر على هذا المنشور وكان مؤلفا من ٣٢٠ قسيساً من المصلحين ينتمون الى ١٢٧ أبروشية ووافق اتحاد كنائس المصلحين في ألمانيا بإجماع الآراء على هذا المنشور في ٥ يناير سنة ١٩٣٤ وصرح الاتحاد في الوقت ذاته بأن الذين ينضمون إلى جماعة المسيحيين الالمانيين يعدون خارجين على اتحاد كنائس المصلحين وغير تابعين له

وفي ٢١ فبراير أنشأت الحكومة مكتبا لرجال الدين للنظر في الشئون الخارجية وعينت الاسقف تيودور هيكل لادارته . ومن أعمال هذا المكتب توثيق العلاقات مع البروتستانت في البلاد الاجنبية ومع الكنائس التي تصادقهم وكذلك توثيق العلاقات بين كنيسة بلاد الريخ ودعاة الحركة المسكونية

ومما لاريب فيه أن جميع هاته القرارات كانت سبباً للنزاع الذي قسم الكنيسة الانجيلية في ألمانيا على نفسها وجعلها شطرين

ولم تمض ستة أيام على إصدار ذلك المنشور الذي أشرنا إليه حتى فاه الاسقف هيكل بتصريح قال فيه « ان منشور السنودس الحر عمل رجعي لايتفق مع مبادىء حكومة الريخ الثالثة بل ينافي النظام ويتحدى سلطة الكنيسة الالمانية ، وإن المسيحيين الالمانيين لم ينفصلوا عن اتحاد الكنائس في ألمانيا إلا لموقفه ضد المذهب الوطني الاشتراكي لا لاختلاف في العقائد ولا يغرب عن الأذهان أن القساوسة ورجال الدين قد أكدوا ولاءهم واخلاصهم للحكومة الحالية وأنهم لادخل لهم في الشئون السياسية فكان منشورهم هذا الذي أصدروه موضع دهشة في الدوائر الدينية »

وفي أول مارس الماضي عين أسقف حكومة الريخ رجال دين لم يشتركوا في المعارك الدينية الاخيرة وفي ٧ مارس جددت الوسائل التي تقرر اتخاذها ضد عمل البروتستانت واغرائهم الشبيبة الالمانية فازدادت الحالة خطورة

فانضمت إدارة كنيسة بروسيا وهي التي تعد أكبر إدارة كنسية في ألمانيا

إذ يتبعها ١٨ مليونا من الأنفس إلى كنيسة الرخ . وفي ٢٥ يناير استدعى المستشار هتلر يعاونه الهر جورنج والهر فريك وزير الداخلية مندوبي الكنائس وبعد اجتماع المستشار بهم صدر تصريح بعد يومين جاء فيه أن جميع زعماء الكنيسة قد تضامنوا وانضموا الى الاسقف ملر ووعدوه بتأييد سلطته

وفي ٢ مارس صرحت لجنة اتحاد المصلحين بأن التصريح الذي نشره رؤساء الكنيسة بتضامنهم وانضمامهم إلى الاسقف ملر ووعدهم بتأييد سلطته يناقض ذلك التصريح الذي أذاعوه من قبل، وأرسلت اللجنة إلى زعماء الكنيسة رسالة في ٣١ يناير قالت فيها

« لقد اشتد تأثرنا وحارت عقولنا في ذلك التصريح الذي أقدمتم على اذاعته ولا يسعنا غير القول أنه يناقض أقوال الانجيل المقدس ولا يتفق مع تعاليم الكنيسة »

وبعد شهر قدم أسقف هامبورج استقالته من منصبه واقتفى أثره جميع رجال الدين في كنيسة هامبورج وقررت حكومة الرخ حلها، وأصدر الاسقف ملر أوامر بتعيين قساوسة آخرين وعزل الذين لم يبدوا الخضوع له دون محاكمة أو سؤال وألغى استقلال كنيسة بروسيا وجعلها تابعة لكنيسة الرخ وعدل دستور الكنائس المتحدة وأبطل حق السنودس العام في التشريع، وسن القوانين لمجامع السنودس الفرعية في الاقاليم . وقد أصبحت حكومة الرخ قابضة على ناصية الحالة الآن، أما المستقبل ففي يد الله وحده اهـ

(المنار) نشرنا هذه المقالة وما فيها لاجل الرجوع اليها من أطوار هذا الانقلاب الديني في هذا الشعب الجرماني الذي هو أرقى شعوب أوربة بل العالم البشري كله في جميع العلوم الكونية وفنون الحضارة، فحكومته تحاول التفلت والتفصي من هذه الديانة الملفقة لمخالفته حقائق العلوم وبداهة العقول على إحكام عقائدها وشدة قيودها ونظم كنائسها وسعة ثروتها وعصبية أساقفتها وقسوسها ونفوذهم المعنوي في الشعب ، ولكن نفوذ حكومته النازية الجديدة أقوى وأعظم وقد سبقه مصطفى كمال فأطلق حكومته التركية دون الشعب من قيود الاسلام في مرحلتين أو ثلاث ولم يبق معه معارضة شديدة والترك أعرق في التدين من الالمان ولكنه ليس لهم نظام ديني الا عند الخرافيين من رجال طرق المولوية وأمثالهم وسبقهما الشيوعيون فهدموا جميع الاديان من روسية كلها حكومتها وشعوبها

﴿ نتيجة حرب الجزيرة وما تجب مراعاته في الصلح ﴾

لقد تجلت نتيجة الحرب بسرعة لم يكن أحد ينتظرها ، على اختلاف الآراء فيها فقد انهزمت الجيوش اليمانية امام الجيش النجدي السعودي - في كل من الميدانين - الذي يقوده فيهما نجلا الملك : الامير سعود ولي العهد في جهة نجران التي احتلها كلها ، والامير فيصل في تهامة فاحتل الحديدة وما حولها ، ودان له بقية أهلها ، وأمسى الاميران يهددان عاصمة اليمن (صنعاء) من طرفيها

ثبت عندنا في هذه الحرب أمور متعارضة أظهرها أن ضلع الرأي العام الاسلامي العام مع الملك السعودي ، وأنه لم تبث له دعاية رسمية ولا غير رسمية لا بتكبير قوته ، ولا باطراء فوزه ، ولا بالدفاع عنه ، ولكن أحد محرري الصحف زعم أن حكومته هي التي أتقنت هذه الدعاية بجميع وسائلها دون خصمه ، ومازال يكرر هذا حتى صدقه غيره وهو لم يصدق نفسه ، وصار من القضايا المسلمات

وأما الامام يحيى فقد بثت له دعاية واسعة بدون سعيه منها أن قوته الحربية أعظم عددا وعدة وبأسا ونظاما وقوادا ومالا ، وان قبائل الحجاز وقبائل شمر في نجد والعراق وقبائل شرق الاردن ستثور على خصمه الملك ابن سعود بله قبائل عسير الثائرة بالفعل ، حتى اذا ما دارت المعارك وانهزم الجيش اليماني في كل ميدان صاروا يكذبون أنباءها ويعدونها من الدعاية التي صارت مسلمة عندهم وعند غيرهم ، وما زالوا بالامام على جلالة قدره حتى أنزلوه الى ميدان تكذيب الحسيات المجمع عليها ، وأخيرا فسروها بما فسرها هو به وهو حب السلم وكراهة الحرب ، فاذا سلمنا هذا وجب أن يبني عليه الصلح الدائم فتجعل قوة الدفاع عن الجزيرة الى المملكة السعودية القوية الحربية ، فهل يقبل الاعتراف بهذه النتيجة لتلك المقدمات المتفقية ؟

حقا ان الامام يحيى قد جنح للسلم ، وأنه قد آن له أن يقبل ما طالما دعي اليه من ابرام العهد ، وان أدنى الدرجات لذلك ألا يعقد الصلح على دخن ، ولا تتخذ المعاهدة دخلا بين الفريقين فتكون هدنة يستعد بها كل منهما لاعادة الكرة والاخذ

بالثأر، في وقت ربما تكون الحرب وبالا عليهما وعلى الامة كلها، بل يجب استئصال جذور العداوة من أعماقها ، ويجب أن يتدبر وفد الصلح الآيات الآتية، ويقيموا بناء الصلح وحصن المعاهدة الثابتة على أساسها

وهي قوله تعالى (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ، إن الله يعلم ما تفعلون * ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة ، إنما يبلوكم الله به ، وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون * ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسألن عما كنتم تعملون * ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم)

بل أصرح بأن شر ما تنتهي به هذه الحرب أن يكون كل من الفريقين كفؤا الآخر قادرا على استئنافها عند سنوح الفرصة ، ففي هذه الحالة تجعل الدسائس الاجنبية كلا منهما خصما الآخر تهدده بمداده وتأليبه بالمساعدة عليه عند الحاجة ، وإن من شرار المسلمين لمن هم شر من الاجانب ، وقد كان كل البلاء في هذه الفتنة منهم ، فكل من أظهر الميل والانتصار للامام يحيى فيها سرا أو جهرا كان شرا له من كل من ظن أنهم عدوله، ولم يكن أحد منهم مخلصا له وإنما كانوا يتبعون أهواءهم

وأما الدرجة العليا للملة الاسلامية والامة العربية فهي أن تكون لجزيرة العرب حكومة واحدة بل للامة العربية كلها اذا أمكن ، فهذه سياسة الشرع ومقتضى العقل وتجارب الامم ، فان لم يمكن خضوعها أو اخضاعها لحكومة واحدة من غير فتنة ترجح فيها المفسدة على المصلحة ، فالواجب أن يكون التعدد في الصورة والشكل مع الوحدة في السياسة والقصد ، كالمعروف في الوحدات الغربية كألمانيا وسويسرة والولايات المتحدة في شمال أمريكة

وأما اختلاف الحكومات في تكافؤ القوى ومحاولة منع العدوان بينها بالتوازن فهو مثار كل شقاق وشقاء كما نراه في دول أوربة، فعسى أن يوفق وفد الصلح بين الامامين لسد ذرائع الفساد، وإحكام بناء الصلاح والاتحاد، هداهم الله سبيل الرشاد

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب

المنار

أنشئ ١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صُوًى «ومنارا» كمنار الطريق

٣٠ صفر سنة ١٣٥٣ برج الجوزاء سنة ١٣١٢ هـ ش يونيو سنة ١٩٣٤

فتاوى المنار

(أسئلة في طبع مصحف شريف ، بالرسم العرفي والترقيم الحديث)

(س ٤) من صاحب الامضاء في الزقازيق

حضرة صاحب الفضيلة صاحب مجلة المنار الغراء . الامل افادتنا عن رأيكم فيما يأتي : هل هناك مانع شرعا من طبع المصحف الشريف بالكيفية الآتية :

(١) أن يكون بالهجاء الحديث المتبع بالازهر الشريف وفروعه وجميع معاهد العلم بالديار المصرية وبغيرها من البلاد العربية وغير العربية

(٢) أن توضع علامات الترقيم الحديثة بين الكلمات ، بدلا من وضعها فوق الكتابة بحروف وكلمات غير مفهومة لكثير من البعيدين عن تعاليم الازهر وملحقاته وكثير ماهم

(٣) أن يوجد بهامش هذا المصحف تفسير عصري مختصر مفيد بمعرفة لجنة من كبار العلماء وكل هذا يراد به فائدة من يطلع على هذا المصحف من عامة الناس وخاصتهم . ومنعهم من الخطأ في التلاوة بسبب تعقيد الكتابة طبقا لقواعد مضى عليها كثير القرون ، وأصبحت غير معمول بها في جميع الاحوال . ولصون الناس عامة من الفهم الخطأ لما يتلونه من آيات الذكر الحكيم . وذلك تنفيذاً لقوله تعالى (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)

هذا ولا يخفى على فضيلتكم ان هذا القرآن انما هو رسالة الله إلى الناس كافة ونرجو نشر الرد بمجلتكم الغراء والافادة ولكم الشكر من المخلص

محمود عفيفي المحامي بالزقازيق

(ج) من المسائل المتفق عليها بين العلماء أو الاجماعية ان خط المصحف الشريف (أي رسمه) سماعي توقيفي يجب فيه اتباع الكتبة الاولى (بالكسر اي

هيئة الكتابة) التي أجمع عليها الصحابة (رض) ونشروها بالمصاحف الرسمية التي يعبر عن أصلها (بالمصحف الامام) ولهذا الاتباع فوائد ودلائل مبسوطة في محلها أولها أن كتاب الله عندنا منقول بالتواتر بلفظه وقراءاته ولهجاته ورسم خطه، وانه بهذا كله حفظ من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان حتى ان حروفه قد علمت بهذا الرسم ودّون عددها في الكتب. ومن فروع ذلك ان لأكثر ماخالف به رسمه الرسم العرفي أسبابا تتعلق بقراءاته ويدخل في هذا ترك نقطه، وشرح ذلك كله يطول

وكان المسلمون يعتمدون في تعلم القرآن وتلاوته على التلقين والرواية والحفظ من الالواح التي يكتبونها ثم يمحونها بعد حفظ مافيها ليكتبوا غيره فيها، ثم رأوا ان التلاوة في المصاحف غير المنقوطة يكثر فيها الخطأ لغير الحافظ فاستحدثوا النقط لمنع ذلك، ثم استحدثوا الشكل لضبط الاعراب وصحة النقط، ثم وضعوا علامات الوقف للحاجة اليها وكون معرفة مايحسن الوقف عليه منوطا بالفهم، وما كل قاريء يفهم، وجعلوا لهذه العلامات أشكالا بحسب درجاتها، ثم وضعوا الضبط التلاوة وتجويدها فنا وللوقف والابتداء فنا أفردوا كلا منهما بالتدوين، وجروا عليها في التلقين وفي كتابة المصاحف، فالغرض من كل هذه المستحدثات ضبط تلاوة القرآن واتقاء الخطأ فيها

ولكن لايزال فيه كلم كثير يخطيء في النطق به من لم يلقنه بالحفظ من زيادة حروف ونقص اخرى، وقد صرنا في زمان يقل فيه من القارئين من يتلقى التجويد وعلامات الوقف على حفاظ القرئين، فكثر الخطأ في القراءة وفي الوقف والابتداء، واشتهر في الخط وصناعة الطبع ترقيم جديد فيه علامات الوقف وللاستفهام والتعجب ألفها الناس بدون حاجة الى التلقين فاستغني بها عن علامات الوقف الكثيرة في المصاحف من الحروف المفردة والمركبة التي صارت منتقدة لعدم فهم الجمهور لها، ولاستغناء الحفاظ عنها، ولان منها كلمات قد يظن الجاهلون بالقرآن أنها منه ككلمتي صلى وقلى فانني أستنكر وضعهما في المصاحف أشد الاستنكار

ويرى السائل وغيره أنني جريت في تفسيري للقرآن الحكيم المعروف بتفسير المنار على التزام رسم المصحف الامام في الآيات المضبوطة بالشكل التام مع علامات

الترقيم المصرية ، ثم رسم الآيات في أثناء تفسيرها بالرسم العرفي الذي يعرفه جميع المتعلمين مع الترقيم فيها وفي تفسيرها، وأخالف الطريقة المتبعة في وزارة المعارف والأزهر في الياء المتطرفة فألتزم نقط ما ينطق بها ياء دون ما كانت ألفا منقلبة عنها لكثرة ما يقع من الاشتباه فيها كالفعل الماضي من الرواية في بنائه للمعلوم والمجهول

فعلم بهذا انني لا أرى مانعاً شرعياً يمنع مما سأل عنه السائل بل أرى أنه واجب ولهذا جريت عليه بالفعل منذ أكثر من ثلث قرن ، فان الخط والطبع صناعتان يقصد بهما أداء الكلام اداءاً صحيحاً . وتصحيح أداء القرآن واجب شرعا ، وتحريفه بالنطق محرم شرعا . وقد جرى جميع علماء المسلمين في تفاسيرهم على كتابة القرآن بالرسم العرفي ، وهم آمنون على حفظ رسمه الاصلي الذي كتبه به أصحاب النبي ﷺ بأمر الخلفاء الراشدين لكثرة المصاحف فيه بل خالفوا رسم المصحف الامام في كثير من الكلمات التي يشتبه في قراءتها الجمهور منذ قرون لم أقف على تاريخها ، وهذا ليس بحجة وانما الحجة وجوب صيانة القرآن من الخطأ في قراءته ، وهي مقدمة على حفظ رسم السلف لو تعذر الجمع بينهما ولا تعذر ،

وأما تيسير فهمه على الناس كافة بتفسير سهل العبارة مناسب لحاجة العصر فهو واجب لا معارض له ، وقد طبع بعض الناس تفسير البيضاوي على حواشي المصحف وهو تفسير دقيق وجيز وضع لتذكير العلماء بخلاصة ما في أشهر التفاسير، وبعضهم طبع الجلالين وهو مختصر مخل قلما يستفيد منه الدهماء ، وقد تحريت السهولة واجتناب الاصطلاحات الفنية والعلمية في تفسير المنار ولكنه مطول، وقد كثر اقتراح الناس علي أن أختصره أو أكتب تفسيراً مختصراً فشرعت وعلى الله توكلت .

(أسئلة في أهل السنة)

(س ٥ — ٨) من صاحب الامضاء من علماء الشيعة في جبل عامل (سورية)

حضرة الاستاذ العلامة الجليل السيد رشيد رضا وفقه الله لما يرضيه آمين .

سلام عليك ورحمة الله وبركاته . انني أرجو من واسع فضلك ، وزخار علمك أن تذكر لنا في مجلتك الغراء رأيك في الجواب عن هذه المسائل مع ذكر الدليل

١ — ما تعريف الحديث الصحيح الذي تثبت به الحجة وينقطع العذر عند علماء السنة

٢ — ما تعريف الصحابي

٣ — هل الصحابة كلهم عدول أم لا ؟

٤ — ما العدالة عند علماء السنة

وبالختام أسأل الله سبحانه لك حسن الختام والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

صاحب الكلمات

عبد الحسين نور الدين

(جواب المنار)

(٥) الحديث الصحيح

الحديث الصحيح عندهم ما كان متصل الاسناد من أوله إلى آخره بنقل العدل الضابط عن مثله من غير شذوذ ولا علة

(٦) العدالة في الرواية والشهادة

العدالة ملكة تحمل صاحبها على التقوى بأداء الواجبات واجتناب كبائر المعاصي وصغائر الخسة ، وزاد بعضهم الرذائل المخلة بالمروءة

(٧) الصحابي في عرفه المحدثين

الصحابي من اجتمع بالنبي ﷺ مؤمنا ، واشترط بعضهم طول الاجتماع به والرواية عنه ، وبعضهم أحدهما ، وقال بعضهم هم كغيرهم من الناس

(٨) عدالة الصحابة عندهم

أكثر أهل السنة على ان الصحابة كلهم عدول في الرواية ، وقال بعضهم : انما كانت العدالة عامة قبل حدوث الفتن من قتل عثمان [رض] وما بعده ، واستثنى بعضهم من قاتل علياً كرم الله وجهه

والذي أراه ان القول بعدالة جميع الصحابة على اصطلاح من لا يشترط في الصحبة طول العشرة وتلقي العلم والتربية النبوية افراط، يقابله في الطرف المقابل له تفريط الشيعة في تعديل نفر قليل منهم ولا سيما السائل، وطعنه في السواد الاعظم من جماعة نزل فيهم قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) الآية ، وقوله عز وجل (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه) وغير ذلك من الآيات، وورد من الاحاديث النبوية في تعديلهم والثناء عليهم، والنهي عن سبهم وحظر بغضهم مالا محل لذكر شيء منه في هذا الجواب الوجيز

ثم كان من سيرتهم المتواترة في نشر الاسلام في العالم واصلاح البشر به ماهو أكبر حجة عقلية تاريخية على تفضيل أصحاب محمد ﷺ على جميع أصحاب [illegible] وتفضيل أمته على جميع الامم ، وهذا لا يمنع ارتكاب أفراد [illegible] أو الاصرار على بعض الصغائر الذي يسلب صاحبه وصف العدالة، ولا يقول منصف ان مثل بشر بن أرطاة الذي رأى النبي طفلا عدل أو مجتهد متأول فيما فعله من استباحة دماء من كانوا خيرا منه ، وهذا لا يبيح هتك حرمة أولئك الاخيار في جملتهم كما فعل الاستاذ السائل في كتابه الكلمات الذي يعرف به نفسه حتى في إمضائه. والظاهر أنه يريد فتح باب هذه الفتنة بهذه الاسئلة الآن، كما طرقه منذ سنتين باقتراح المناظرة التي لم يقبلها قراء المنار وانه بناها على زعمه أن كلا من أهل السنة والشيعة يعتقد في الآخر أنه غير متبع سبيل المؤمنين !!

فأقسم عليك يا عبد الحسين بالله عز وجل وبحق رسوله الاعظم ﷺ وآله (ع م) عليك من الاتباع والاسوة الحسنة ، أن تكف عن إثارة الشقاق بين عباد الله من هذه الامة ، فيكفها ماهي مبتلاة به من مهاجمة المستعمرين والملحدين لها في دينها ودنياها ، وأسأل الله تعالى لي ولك التوفيق لجمع الكلمة على ما أجمع عليه سلفها في خير عصورها ، وجعل مسائل الخلاف مما يعذر فيه العلماء بعضهم بعضاً بالاجتهاد ، وأن يجعل خير أعمالنا كلنا خواتيمها ، وخير أيامنا يوم لقائه ، وما كان ينبغي لك أن تدعو لي وحدي بحسن الخاتمة كأنك مستغن عن الدعاء بها لنفسك ، والسلام على من اتبع الهدى

أسئلة عن بدع طالما كررت (س ٩ — ١٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد محمد فاضل إلى ... السيد محمد رشيد رضا ، حفظه الله للاسلام والمسلمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (أما بعد)

فنعرض على فضيلتكم ما يأتي لتفتونا فيه بالحق الذي تودون أن يدين الله به المسلمون

(١) ما حكم صلاة الظهر بعد صلاة الجمعة إذا تعددت المساجد ؟ ، هل هي واجبة أو سنة أو مستحبة ؟ وهل قولهم « الجمعة لمن سبق » حديث صحيح يجب على المسلمين العمل به ؟

(٢) ما حكم صلاة ركعتين بنية سنة الجمعة القبلية ؟ ، هل فعلها النبي ﷺ أو أمر بها ؟ وهل يقال في فعل لم يفعله النبي ﷺ ولا أمر به إنه سنة ؟ وعلام يعتمد من يقول ذلك ؟

(٣) ما حكم الصلاة والسلام على النبي ﷺ بعد الأذان جهرا بالكيفية المعروفة ؟ ، هل هي سنة أم بدعة ؟ ومن أول من أحدثها من المسلمين ؟

(٤) ما حكم الذكر برفع الصوت في تشييع الجنازة ؟ ، هل هو سنة أم بدعة ؟

(٥) ما حكم قراءة سورة الكهف برفع الصوت في المساجد يوم الجمعة بالكيفية المعروفة ؟

وأملنا في فضيلة السيد أن يبين لنا الحق في هذه المسائل بما آتاه الله من العلم النافع ، والاطلاع الواسع ، هدى الله بكم المسلمين للحق آمين ؟

محمد محمد فاضل

[المنار] سبق لنا بيان هذه المسائل مرارا تارة بالتطويل وتارة بالاختصار والسائل يعلم هذا ، وإنما أعاد السؤال لأنه يريد اقناع بعض المخالفين في هذه الايام ، فنعيد الجواب عن كل منها

(٩) صلاة الظهر بعد صلاة الجمعة

الذي أعتقده أن ما يفعله من يسمون أنفسهم شافعية من صلاة الجمعة في مساجد الأمصار وإتباعها فيها بصلاة الظهر يقيمونها جماعة بعدها زاعمين أن الله أوجب عليهم في هذا اليوم فريضتين في وقت واحد - هو بدعة . وقولهم الجمعة لمن سبق ليس بحديث نبوي يجب العمل به ، وإنما هو عبارة اجتهادية من فقه الشافعية مبنية على عدم جواز تعدد الجمعة إذا أمكن التجميع في مسجد واحد ، فإن خالفوا وعددوا صحت جمعة من سبق منهم وكانت جمعة الآخرين باطلة فإن جهل السابق وجب على جميع المسلمين صلاة الظهر بعد صلاة الجمعة ، وهذا ما يفعلونه الآن في جميع مساجد مصر وغيرها ، معتقدين أن هذا مذهب الامام الشافعي (رح) وأن الواجب على كل من يوصف بأنه شافعي أن يفعله وإلا كان عاصياً لله تعالى ، وإن هذا لحواب كبير لو كان الشافعي حياً لأنكره وتبرأ منه وإن كان يعتقد أن التجميع في مسجد واحد واجب ، فهذا الاعتقاد لا يستلزم ما ذكر

وفي هذه المسألة مباحث اجتهادية (منها) أنه لا يقوم دليل شرعي على أن التجميع في مسجد واحد شرط لصحة صلاة الجمعة قل الناس أو كثروا وإن عسر ذلك عليهم بأن كانوا في مدينة كالقاهرة يزيد أهلها على الف الف نسمة ومساحتها عدة أميال . وأما تجميع المسلمين في مسجد رسول الله ﷺ معه فقد كان واجبا قطعاً بحيث تعد جمعة من خالفه باطلة من أصلها لا يجوز الشروع فيها مطلقا ، فقد كانت جمعته ﷺ بمن معه هي الصحيحة وحدها وان فرضنا أنها تأخرت ، وكذلك حكم التجميع مع خلفائه وغيرهم من أئمة المسلمين . فاذا جمع الامام بالمسلمين في مسجد واحد لامكان ذلك بدون عسر ولا مشقة شديدة وجب اتباعه والتجميع معه وحرم مخالفته بالتجميع في مسجد آخر بدون إذنه لأنه شقاق بين المسلمين ، معصية للامام الواجب اتباعه في الطاعة .

وأما اذا كبرت الامصار وأذن الأئمة بتعدد المساجد وتعدد التجميع فيها فلا يعد المعددون مشاقين ولا مفرقين بين المسلمين ولا عاصين لأئمتهم بل متبعين

لهم في مسألة اجتهادية تجب طاعتهم فيها إذ لا دليل قطعيا على أن التجميع في مسجد واحد فرض مطلوب لذاته ، وانه شرط لانعقاد صلاة الجمعة ، والشرط أخص من الواجب المطلق فلا يثبت إلا بدليل خاص

(ومنها) أن اليسر في الدين ورفع الحرج منه قاعدتان أساسيتان من قواعده ثابتتان بنص القرآن القطعي فلا مجال فيها لاجتهاد أحد ، وهي تقتضي وجوب تعدد الجمعة لا جوازه فقط ، ومن المأثور عن الامام الشافعي قوله بناء على هذه القاعدة : اذا ضاق الامر اتسع .

(ومنها) أن من شروط صحة الصلاة صحة النية ومن شروطها الجزم بالمنوي فمن كان يشك في صحة جمعته لا تنعقد باحرامه بها ويكون عاصياً لله تعالى بشروعه فيها لانها عبادة فاسدة، فان قيل ان الاصل عند أهل كل مسجد من مساجد الجمعة ان جمعتهم صحيحة لعدم علمهم بسبق أحد لهم في جمعتهم ، وانما تجب صلاة الظهر بعدها احتياطا لاحتمال سبق غيرهم لهم ، قلنا ان احتمال سبق غيرهم كاف في حصول الشك المبطل لصحة النية ، وقد يرتقي في بعض المساجد إلى الظن الراجح لاهلها بسبق غيرهم ، فقد علم بالاختبار والتجارب أن بعض أئمة الجمعة يطيلون الخطبة وبعضهم يقصرونها حتى ان أهل هذه ينصرفون من صلاتهم ويمرون بالاخرى فيرون انهم لم يشرعوا فيها بالصلاة أو لم ينتهوا منها ، ومن المصلين من يتحرى هذه ومنهم من يتحرى تلك

(ومنها) ان من علم انه يمكنه السبق والحال ماذكر وجب عليه وذلك بأن يؤذن المؤذن عند الزوال بدون تطويل ويلقي الامام خطبة مختصرة يقتصر فيها على الاركان الواجبة من حمد الله تعالى والشهادتين والامر بالتقوى وقراءة آية أو آيتين كقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً)وما بعدها، والدعاء للمؤمنين في الثانية بالمغفرة ثم يصلي فيقرأ في الركعة الاولى سورة العصر أو الكوثر ، وفي الثانية الاخلاص ، ولم يقل أحد بوجوب مثل هذا ولا فعله أحد

(ومنها) ان الاحتياط في مسألة اجتهادية كهذه لا يصح أن يكون بايجاب الجمع بين فريضتين من شعائر الاسلام جهراً في المساجد بصفة دائمة فان مثل هذا

لايثبت في الدين إلا بنص قطعي الرواية والدلالة لايصح فيه الخلاف بالاجتهاد .
والمعروف عن جمهور من يسمون أنفسهم شافعية أنهم يعتقدون ان الله تعالى فرض عليهم يوم الجمعة في هذه الامصار المتعددة المساجد أن يصلوا فيها فريضتين كل منهما صحيحة لانهم شافعية ، وأخشى أن يكون هذا من الافتراء على الله والقول عليه بغير علم فان المسائل الاجتهادية لاتسمى علما باجماع المجتهدين

(ومنها) ان هؤلاء الذين يدعون التعبد بمذهب الامام الشافعي قلما يوجد في دارسي كتب هذا المذهب منهم من يعرفه، وانما هم عوام والعامي لامذهب له، وهم كغيرهم قلما يحفظون من فروع المذاهب إلا مافيه الخلاف بينهم وتفريق كلمتهم، ولا شيء أضر على المسلمين بعد الكفر من الشقاق والتفرق ، ولو كانت لهم دولة اسلامية لأزالت هذا الشقاق عما يجمع الكلمة ولو في الشعائر الظاهرة فقط، وأرى إن إزالة هذا التفرق ممكن بسرعة اذا اقتنع به جمهور علماء الشافعية ، على انه سيزول بانتشار أنصار السنة والدعوة إليها بالحكمة والموعظة الحسنة ، وهم فاعلون ان شاء الله تعالى

(١٠) دعوى سنة جمعة قبلية

لم يرو أحد من المحدثين أن النبي ﷺ كان يصلي ركعتين قبل الجمعة ولا أنه أمر بذلك بهذه الصفة وانما صح أنه أمر من دخل المسجد وجلس وهو يخطب أن يقوم فيصلي ركعتين وهما تحية المسجد المستحبة لكل من يدخله قبل أن يجلس فيه . وقد بينا من قبل انه لايقوم دليل على سنية راتبة قبل صلاة الجمعة وبعد الاذان لها ، وان الثابت عن النبي ﷺ انه كان يخرج من بيته إلى صلاة الجمعة فيبتدر المنبر فيؤذن المؤذن فيقوم ﷺ فيخطب خطبتيه فينزل فيصلي

وحكم صلاة الركعتين المسئول عنها انها صحيحة وانما الغلط فيها تسميتها سنة راتبة مأثورة وهذا يزول بالعلم ، فمن علم معنى السنة حتى في عرف المذاهب التي يقول مقلدوها بهذه الراتبة وعلم أنه لم يصح فيها ما يسوغ لهم أن يسموها سنة ترك ذلك ،إلا أن يقول له علماء المذهب المقلدون عنده إنه ثبت عند أئمتنا أنها سنة وصدقهم بغير استبانة

(١١) زيادة بعض المؤذنين في بعض الأمصار

هذه الصلاة والسلام في آخر الاذان بدعة في شعيرة من شعائر الاسلام بينا تاريخ حدوثها واسم الجاهل الفاسق الذي أحدثها ، وجهل من استحسنها من أنصار البدعة وأعداء السنة في الفتاوى ثم في مقال طويل فندنا فيه شبهات الشيخ يوسف الدجوي فيها لانه نشرها في مجلة الازهر الرسمية ، وقد نشر مقالنا في الرد عليها في بعض الجرائد اليومية واقتنع به الناس وفيه أن أول من ابتدعها محتسب القاهرة صلاح الدين عبدالله بن عبدالله البرلسي بعد سنة ٧٦٠

(١٢) قراءة سورة الكهف يوم الجمعة في المسجد

أهل بلدنا (القلمون) كلهم شافعية وقلما يوجد في الدنيا بلد يقام مذهب الشافعي في مسجده كبلدنا، ولعلي لا أذكر انني صليت فجر الجمعة فيه إلا والامام يقرأ فيه سورتي (الم) السجدة و الانسان، ولما اشتغلت بطلب العلم في مدينتنا (طرابلس الشام) رأيت الحنفية يقولون ان المواظبة على قراءة هاتين السورتين في فجر الجمعة مكروهة ، وعللوا هذا بأن فيه هجراً للقرآن ، فرأيته من أنكر ما يردون فيه السنة الصحيحة بالرأي . وبعد عشرات السنين طبعت كتاب الاعتصام للامام الشاطبي فرأيت فيه أن بعض السلف كانوا يتركون بعض السنن أحيانا لئلا يعتقد العوام فرضيتها اذا التزمت ، وان بعض العوام في الاندلس وقعوا في هذا حتى قال بعضهم ان فرض الصبح في يوم الجمعة ثلاث ركعات ، فظهر لي ان للحنفية وجها في الجملة ، ولكن لا ينبغي أن يدخلوا السنة الصحيحة في حكم المكروه شرعا، وانما يقال يحسن أن يقرأ في فجر الجمعة في بعض الايام غير هاتين السورتين لئلا يظن بعض العامة فرضيتهما

ثم رأيت هذا المحقق قسم البدعة إلى حقيقية واضافية ، وعرف الاضافية بأنها الاتيان بعمل مشروع في أصله بصورة غير مشروعة من التزام زمان أو مكان أو صفة أو اجتماع بحيث يعتقد العوام ان هذا القيد الملتزم مطلوب شرعا، قال ومنه اجتماع المصلين عقب الصلاة وقراءتهم للاذكار المشروعة برفع الصوت الخ . وقراءة الكهف في يوم الجمعة في المسجد من هذا القبيل ، هو في

أصله قراءة مشروعة ، ولكن التزام قراءته في المسجد برفع الصوت قبل صلاة الجمعة غير مشروع ، وورد حديث ضعيف في قراءتها يوم الجمعة رواه الحاكم والبيهقي عن ابي سعيد بلفظ « من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور مابين السماء والارض» وله عند البيهقي لفظ آخر بقراءتها ليلة الجمعة وباضاءة النور له مابينه وبين البيت العتيق وحسنه السيوطي

دع مافي قراءتها في المسجد برفع الصوت والناس يصلون تحية المسجد وغيرها من فائتة ونافلة من التشويش المنهي عنه . وقد فصلت هذا من قبل تفصيلا

﴿ نصيحة لدعاة السنة ﴾

واني أوصي نفسي وإخواني محبي السنة ومنكري البدع أن يسلكوا طريق اللين واللطف في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في أمثال هذه المسائل التي يقلد فيها الجمهور علماءهم ظانين انها من بقايا الدين ، واتباع السلف الصالحين ، ومذاهب الائمة المجتهدين ، فان الغلظة في الامر والنهي تزيد المقلد جموداً على التقليد، فلا يصغي سمعه إلى قول محمد فاضل ولا قول مفتيه محمد رشيد، ولا يغرنهم انهم على حق؟ وانهم يأمرون وينهون على علم ، وليتذكروا قول الله تعالى لمن شهد له بالخلق العظيم (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) وقوله (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) الآية وقول النبي ﷺ لاصحابه « يسروا ولا تعسروا » متفق عليه

بهذه الآداب الالهية تنتصرون أيها الاخوان على أعداء السنة وأنصار البدع من بقايا المتفقهة الجامدين، وشيوخ الطرائق المرتزقين، وسدنة الاضرحة الخرافيين ولا يفوتكم ان تذكروا العامة بأنهم لايفتونهم بالبدع ويتأولونها لهم إلا لأجل أكل أموالهم بالباطل، وأنكم تدعونهم إلى الكتاب والسنة لوجه الله وابتغاء مرضاته وان حجتكم اتباع خير القرون بشهادة الرسول ﷺ واجماع المسلمين، وهي الحجة العملية التي لاتحتمل التحريف والتأويل (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)

الحرب في جزيرة العرب

﴿ اطفاء نارها، وفوائدها وغايتها ﴾

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ، وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

ظهرت أمارات الحرب بين الدولتين الاسلاميتين العربيتين فساور العالم الاسلامي الروع مما يخشاه من سوء عاقبتها ، وكتبنا في ذلك مقالنا الاول الذي عنوانه الحديث النبوي « ويل للعرب ، من شر قد اقترب ، أفلح من كف يده » ونشرناه في بعض الصحف اليومية بغير إمضائنا ثم في المنار ، واتصلت المكاتبة في موضوع شر الحرب المقترب بين الكاتب والامامين فكان جواب كل منهما انه لا يريد الحرب ولن يكون هو المضرم لنارها باختياره . وكان كل منهما يكتب واثقا من نفسه بما يقول عنها راجيا أن يكون أخوه مثله ، بيد انه كان من المشكوك فيه أن يكون أمر الامام يحيى بيده ، كما ان أمر الامام عبد العزيز بيده ، اذ كان يقال ويكتب وينشر أن قوة اليمن الحربية بيد ولي عهد الامام وقائدها العام ، الامير أحمد سيف الاسلام ، وأنه مخالف لوالده في الرأي ، وانه حربي بالطبع ، وانه كان هو المعتدي على جبل العرو من قبل وعلى نجران من بعد ، وانه هو المحرض لآل الادريسي على الانتقاض على الملك عبد العزيز في الثورتين السابقة واللاحقة ، وانه هو المؤوي للمفسدين من أعضاء الحزب الحجازي، وعلى الرجاء للمفسدين في القطر المصري، وانه هو المتصل بالدساسين من أصحاب الطمع الاجنبي ، ولولا ذلك لم يسير صاحب المملكة العربية السعودية الجيش في إثر الجيش الى حدود المملكة الشرقية والغربية

أما والجيوش قد حشرت ، والمفاوضات البرقية بين الامامين قد عطلت ، والنذر قد تواترت ، والقسي قد أوترت ، وأعصاب الاوتار (الثارات) قد وترت ، فالحرب قد وقعت ، وكان وقوعها أمراً طبيعياً لا مفر منه ؛ وكان سببه الباطن دم فاسد في بنية الامة العربية هو علة مرضها ، والمانع من اتفاقها واتحادها ، ولا شفاء لها إلا بخروجه منها ، وإنما كان يخشى أن يخرج معه دم حياتها ، باعتداء الاجانب على استقلالها ونقص أرضها من أطرافها

كنت أخشى من شر اشتعال الحرب خطراً واحداً هو التدخل الاوربي باحتلال جيش إيطالية لثغور تهامة اليمن ، وإحداث انكلترة لحدث شر منه لحفظ الموازنة ، وهو الاستيلاء النهائي باسم شرق الاردن على خليج العقبة ، فلما أعلن كل من الدولتين الحياد اعتقدت أن ما كنا نكرهه من هذا القتال ، هو مصداق لقول الله تعالى الذي جعلته عنواناً لهذا المقال ، وأنه لا خير في منعه إلا بعد خروج الدم الفاسد الذي هاج فأحدثه ، وإمكان جعل جزيرة العرب في حالة استقرار ثابتة ، كما أشرت إلى هذا في مقالاتي السابقة

الامامان مسلمان تقيان شديدا الحذر من الطمع الاجنبي ، ولكن بين شعبيها خلافا في المذهب : هؤلاء سنية سلفية ، وهؤلاء شيعة زيدية اعتزالية ، بل يقال ان أكثرهم جارودية غالية ، لا كما نعرف في الكتب عن الزيدية المعتدلة ، وبين حكومتيهما خلافا في السياسة والحدود الدولية في العسير ونجران : هؤلاء يقولون ان كلا منهما يمانية لحما ودما ، ويؤيدهم الامام نفسه ، وما كان باطل وبما حل في عقد المحالفة لا لا جله ، وهؤلاء يقولون انهما سعودية في الحق الواقع والتاريخ الحديث ، وزد على ذلك أن الامام يحيى يقول ويكتب وينشر ان كل بيت في اليمن يحمل ثأراً دمويا على الدولة السعودية يطالبه بالاذن له بأخذه بالقوة الحربية ، وقد بدأ اليمانيون بالاعتداء المرة بعد المرة ، وكل من الفريقين يعتقد أنه أقوى من الآخر ، وقد أعقب ذلك كله أن زحفت الزحوف ، وتقابلت الصفوف ، وبدأت المعارك بالفعل ، والمفسدون ينفثون وينفخون فيها فيزيدونها ضراما ، أفيعقل كفها بدعوة محبي الصلح ، وأن يكون عقده على دخل ودغل ، وعلم بما هنالك من غل

وسخيمة ، خيراً للعرب ، ولجزيرتهم ولجامعتهم الاسلامية والعربية ؟ لا لا

كلا إن صلحا كهذا إن أمكن ووقع كان هدنة مؤقتة يخشى أن ينقض في وقت يكون فيه خطر الحرب أكبر ، وأن تكون معاهدته مما نهى الله عنه بقوله (ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا) الآية كما بيناه في الجزء الماضي

فالواجب إذاً أن تكون هذه الحرب شفاء من مرض الامة بالفعل أو بالاعداد والتهيئة على الاقل ، وأن يبنى الصلح على أساس قوي ، ولن يكون إلا بعد ظهور تفوق قوة على أخرى ، وأن يكون الاقوى حكيما حليما لا يبغي عظمة ولا إرهاقا للآخر ، وهذا عين ما وقع ، وقد عرض ملك العربية السعودية على إمام اليمن شروطه التي لا يغمد السيف بدونها فقبلها ، وأرسل مندوبه إلى الحجاز لوضع المعاهدة المطلوبة فوضعت في هذا الشهر ، وعسى أن تكون كافلة لما أشرنا إليه مما يغسل أدران الماضي ويضع الاساس للوفاق والاخاء الدائم في المستقبل

ذكرنا في الجزء الماضي ما رآه ويصرح به بعض أولي الرأي من توحيد الحكم والدولة في الجزيرة ، وقلنا إنه منتهى الكمال الشرعي والسياسي إن أمكن ، وكان يجب توخيه إذا أراد الفريقان السير بالحرب إلى آخر طاقتها كالحرب الاوربية الكبرى وهو ما كان يظن بالملك عبد العزيز السعودي بالقياس على حروبه السابقة ، وصرح به أحد الكتاب العارفين بشؤون البلاد وزعمائها في جريدة يومية مشهورة ، ولكنني قلت لهذا الكاتب وغيره مشافهة في مكتبي إن الذي أعلمه من اختباري الشخصي لعبد العزيز أعزه الله أنه لا يريد الاستيلاء على اليمن ولا إزالة حكم إمامها ، ولو كان يريد ذلك لكان كما قيل لا يصده عنه صد ، ولا يقف دونه عند حد ، وقد فتح له بابه ، وتمهدت له أسبابه بالوصول إليه (كما فعل في الحجاز) أو بالعجز النهائي عنه

أما كونه قد تمهد له سبيل هذا وتيسرت له أسبابه فهو ما عرفه الشرق والغرب

وأما كونه لا يريده وإن اعتقد أنه قادر عليه فله سبب معقول هو عين السبب الذي صرفه عن محاولة الاستيلاء على قطر آخر مهد له طريقه من قبل ، وهو أن أعباء ما ملكه تثقل عليه فتنوء به أن يحملها ، ويقوم بما يجب لها من حفظ الامن وتعميم العدل ، وإقامة العمران ونشر العلم ، وما يقتضيه ذلك من كثرة الرجال

والمال ، وهو يصرح بهذا على مسامع الناس

ومن المعلوم أنه أقام الركن الاول من هذه الاركان في جميع مملكته على أكمل وجه وهو حفظ الامن الذي يتوقف عليه غيره ، وان الرجال الذين يعتمد عليهم فيه هم أهل نجد وحدهم ، وليس فيهم من أهل الكفاية العلمية والمرانة العملية من يقوم بسائر مصالح الدولة ، فقلة الرجال هي العائقة عما يعوز البلاد من ضروب الاصلاح ، وحسب أهل نجد الآن حفظ الأمن واطفاء الفتن في داخلها، وحمايتها من الاعتداء على حدودها ، وأهل نجد لا يفضلون غيرهم من عرب الحجاز وعشائر الشام إلا بعقيدتهم السلفية ، واعتصامهم بما يعلمون من أحكام الاسلام الشرعية إيمانا وإذعانا ، وطاعة أولي أمرهم لامامهم سراً وجهراً، فشجاعتهم وثباتهم مستمدان من عقيدة التوحيد الخالص من شوائب النفاق والوثنية والمنافع الشخصية

ومن أركان سياسة هذا الامام فيهم المحافظة على عقيدتهم وأخلاقهم وآدابهم في محيط بيئتهم ، وليس من المصلحة تفريقهم في مملكة واسعة الاطراف ، مختلفة المذاهب والآداب والآراء ، وهم في حاجة الى تعليم جديد يرشحهم لما اشتدت حاجة بلادهم اليه في هذا العصر من تنظيم القوى الحربية الفنية التي لا ينفع في رد العدوان الخارجي عن البلاد غيرها ، ومن تنظيم القضاء والادارة ، وتفجير ينابيع الثروة ، مع هذه المحافظة على عقائدهم وأخلاقهم التي يفسد بدونها كل شيء

قد استولى الجيش النجدي على تهامة اليمن بدون عناء كبير لان أهلها ساخطون على حكومة الزيدية ، فكانوا إلبا واحداً معه عليها ، ويمكنه أن يحفظها بقوتهم ومالهم من اعتداء جيش الامام عليها وان يهاجم صنعاء بها ، ولكن ذلك يعقب ازدياد التعصب المذهبي بين السنة والزيدية . والمصلحة الاسلامية العربية تقتضي إزالته او تخفيفه تمهيداً لازالته ، وتحقيق الوحدة الاسلامية العربية في موضعه . فمراعاة هذا في الصلح ، أدنى اليها من طلبها بالغلب والقهر ، وهذا هو الذي يريده الملك عبد العزيز الفيصل ويحاول اقناع الامام يحيى به ، فاذا كان قد اقتنع به كما يظهر لنا ، وزالت ضغائن الخلاف التي صرحنا بها آنفا فستبنى قواعد الصلح على أساسه ، ويكون وسيلة الى ما كنا نسعى اليه ونمهد له منذ ثلث قرن ونيف ، وقد أشرت الى قوة الرجاء فيه ، والله هو المسئول وحده في إتمامه

ذكرى المولد النبوي

أحمد الله ان وفق المسلمين منذ سنين معدودة لاحياء ذكرى منة الله تعالى على البشر ببعثة محمد رسول الله وخاتم النبيين، وإرساله رحمة للعالمين، ونشر بعض المطوي في الصحف والمحفوظ في ألواح القلوب من مناقبه الكثيرة ، وسنته النيرة ، وآياته البينات ، من مرويات ومرئيات، في مثل يوم مولده على المشهور في التاريخ ، والتذكير بها في الجرائد والمجلات ، والتنويه بها في الخطب التي تلقى في المساجد والمحاضرات التي يحتفل لها في الجميات ، والرسائل المترجمة بأشهر اللغات . بعد أن كان مبدأ هذا التاريخ المجيد ، الذي غير نظام الاجتماع البشري فدخل به العالم في طور جديد ، لا يكاد يذكر إلا في قصص مؤلفة من الروايات المعروفة والمنكرة ، والحكايات المكررة في عجائب الحمل به ، وصفة ولادته ، وعجائب طفولته وشبيبته ، وصفات خلقه ومعيشته ، وما فيها من إرهاصات نبوته ، مما يقل فيه الحديث الصحيح المرفوع ، ويكثر فيه المنكر والموضوع ، ولا يخلو من مثار الشبهات ، ولا يسلم من توليد الاعتراضات ، بل يكثر في بعضها الاخيلة الشعرية ، والاناشيد الغرامية ، التي تشغل سامعها بتصور الجمال الخلقي الجسدي ، عن تمثل الجمال الخلقي الروحاني ، والجلال الملكي في الكمال الانساني ، والمثل الاعلى للتجلي الالهي ، والمظهر الأكمل لكلام الله ووحيه ، والوسيلة العظمى بين الرب تعالى وخلقه

طالما أنكرت في مجلة المنار احتفال المولد الرسمي الذي تتولى تنظيمه في القاهرة مشيخة الطرق الصوفية كل عام، ووصفت مايجري فيه من المعاصي والبدع ، واشد ما انتقدت قصة المولد التي تقرأ في محفله على مسمع من ولي أمر البلاد ووزرائه وخواص دولته من رجال الدين والدنيا ، وسفراء الدول الاجنبية فيها وقد أفاد الانكار والانتقاد فنع من الاحتفال بعض المنكرات والبدع ، وفي سنة ١٣٣٤ ألغيت قراءة قصة المولد المنكرة واستبدل بها قصة كتبتها لاجلها ، إذ

وعد في رئيس الاحتفال (السيد البكري) أن يجعلها هي الرسمية فتحل محلها فوق ، فكان لها ما كان من حسن القبول والتأثير اللائق بالموضوع والزمان والمكان والسلطان

اختصرت هذه القصة من رسالة في أنفع ما يقال في هذه الذكرى من السيرة المحمدية مبتدئاً فيها بأصح ما روي في قومه ﷺ ونسبه وحكمة ظهوره في العرب ، وما اصطفاهم الله به على الأمم ، وما اصطفى به قبيلته وعشيرته وأهل بيته عليهم وهو خلاصة من تاريخهم والتاريخ العام ، وأعقبتها ما صح من نسبه ، ومن خبر زواجه والحمل به ، وولادته ، ورضاعته وحضانته وكفالته ، ومعيشته وكسبه ، ثم ارتقيت من ذلك إلى خبر بعثته وجملة سيرته قبلها ، وتبليغ الدعوة وخلاصتها ، وفيها ما امتاز به دينه على جميع الاديان ، ثم الى الكلام في آية الله الكبرى على نبوته وهي القرآن الحكيم ، وما اختص به من الاعجاز في لغته وعلومه وتأثيره في العالم ، وقفيت عليه ببيان مناهضة قومه ووطنه للدعوة ، وإلجائه إلى الهجرة ، وذكر خلاصة من أخلاقه وسيرته بعد الهجرة مع المؤمنين ، وحاله مع أهل الكتاب والمشركين ، وجعلت خاتمتها في إكمال الدين ، وأثر نبوته ﷺ في العالمين ، وما أسسه من تشريع وأمة ودولة ، وما بشر به أمته من فتح قريب ، وملك كبير ، وما تركه فيها لحفظ دينها ودنياها من كتاب الله وهو الروح المحيي للأمم ، والنور الأعظم المضيء للعالم ، وسنته في بيان هدايته وتنفيذ شريعته ، وعترته آل بيته ، الذين هم الذكرى لشخصه الكريم ، وهديه القويم .

*

انتشرت رسالة ذكرى المولد النبوي ومختصرها في العالم الاسلامي انتشاراً بطيئاً ، فكان تأثيرها في اصلاح العادات السابقة ضعيفاً ، حتى نهض اخواننا مسلمو الهند منذ خمس سنين بجعل ذكرى المولد النبوي موسماً سنوياً عاماً يعنون فيه بتعريف جميع الامم بما كان لذلك المولود العظيم من التأثير بتغيير التاريخ البشري كله ، وتبرع أنفع ثروتي (لورد هدلي) بمبلغ من المال لنشر بعض رسائل في ذلك في الدعوة المحمدية النافعة لجميع الناس باللغات الكبرى للامم ، فنشرت مئات الالوف من أول رسالة بعثة لتالتهني أول مرة

وقد اقترحت عليّ اللجنة العامة ان أكتب لها رسالة في ذلك لنشرها في مولد سنة ١٣٥٠ فأرسلت اليها (خلاصة السيرة المحمدية) فترجمتها ونشرت مئات الالوف من نسخها بعشر لغات هي أشهر اللغات الشرقية والغربية منها لغتها العربية الاصلية وكانت اقترحت علي كتابة رسالة أخرى في حقوق النساء في الاصلاح المحمدي لتنشر في ذلك العام ، فكتبت الرسالة بل الكتاب الذي سميته (نداء للجنس اللطيف ، في يوم المولد النبوي الشريف ، أو حقوق النساء في الاسلام ، وحظهن من الاصلاح المحمدي العام) وأذنت للجنة باختصاره إن شاءت . ونشرته في يوم محمد ﷺ اي ١٢ من ربيع الاول سنة ١٣٥١ فكان له تأثير كبير في العالم الاسلامي ، وقرظه كثير من العلماء والادباء وأصحاب الصحف بما شهدوا له به أنه لم يؤلف مثله في موضوعه

ثم انني نشرت في مثل هذا اليوم المعظم من العام الماضي (١٣٥٢) كتاب (الوحي المحمدي : ثبوت النبوة بالقرآن ، ودعوة شعوب المدنية إلى الاسلام ، دين الاخوة الانسانية والسلام) الذي لم يحظ مصنف في حقيقة الاسلام بمثل ما حظي به من حسن التأثير وحسن التقريظ والترجمة باللغات المختلفة ، وسرعة انتشاره وإعادة طبعه مزيداً فيه وصدوره قبل انتهاء سنته الاولى

ولا يزال اخواننا من مسلمي الهند وغيرها وأصحاب المجلات والجرائد في مصر والعراق وفلسطين يقترحون علينا في كل عام أن نكتب لهم رسائل خاصة لتنشر في يوم ذكرى المولد النبوي الشريف ، وانما يطلبون شيئاً جديداً لم ينشر بعد ، وأنى لي أن أستجيب لكل طالب ، فاذا كانت المناقب المحمدية لا تنفد دررها ، ولا تبخل على الغائص عليها بفرائدها ، فأنى يتاح لمثلي على ضيق وقته وضعفه وكثرة أعماله ، أن يكرر الغوص عليها في وقت واحد لاجل طلاب كثيرين « من الرأسماليين لا الاشتراكيين » وإذ كان هذا غير مستطاع ، ولا مرجح لتفضيل بعضهم على بعض ، وكان رد الجميع يسوء الجميع ، فما علي إلا أن أرجح جمهور قراء صحفهم عليهم ، فأرسل ما اكتبه الى كل منهم ، وهذا مقام تقديم المصلحة العامة على الخاصة ، وقد بعث محمد (ص) للناس كافة بشيراً ونذيراً ، وأنزل عليه (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) وهذا ما كتبته لذكرى يوم محمد سنة ١٣٥٣

يوم محمد ﷺ او ذكرى مولده سنة ١٣٥٣

ماذا فعــــل محمد ؟

ما ذا فعل محمد ؟ كلمة قالها شاب حجازي في مكة المكرمة لاستاذ مصري مشهور ، فلم يره أهلا للرد عليه ، ولا للصفع بنعل الاحرام الخاصة بتربة تلك الارض المقدسة ، ولا بالحذاء المعد لدوس الارض المدنسة ، فظل مغمولا لا يعرفه أحد بوصفه ، كما لا يعرفه أحد بشخصه ، وما يدريك لعله يقول كلمة مثلها أمام بعض التجديين الذين لم تألف أسماعهم ما ألفه سمع الاستاذ المصري من الجهر بالكفر والتعطيل ، فتكون عاقبته شهرة وعقوبة شرا من عاقبة الذي كسر قطعة من الحجر الأسود فيما كان من تشهيره وعقابه، لانه شر منه .

وأما أنا فرأيته أهلا لأن أذكره في فاتحة هذه الذكرى لمحمد وما فعل محمد في يوم محمد ﷺ لعلل ثلاث (إحداها) ما كان لرواية هذه الكلمة الجاهلة الغبية عن شاب مكي من لذعة الالم وعميق الاسى في قلبي ، لما لمكة عندي من الحسب والكرامة ، ولما أحبه لاهلها من العلم بعظمة الاسلام ، وافاضتهم ذلك على حجاج بيت الله الحرام ، فعسى أن يعتبر ويزدجر ويتوب، ولا نسمع مثل هذا من أحد مقيم في البلد الامين

(الثانية) تنبيه أذهان قارئيها بدهشة هذا القول وغرابته إلى ما في البشر من التفاوت البعيد في الجهل والغباوة ، والعلم والفطنة ، وأعتقد أنه لم يكن أحد منهم يظن ولا يتوهم أنه يوجد في البشر نصراني ولا يهودي ولا وثني ولا معطل مادي يسفه نفسه ويطوّع له تعصبه أن يقول : ما ذا فعل محمد ؟

و (الثالثة) وهي العليا المقصودة بذاتها الجواب عن هذا السؤال ببعض ما فعل محمد ، وما علمت به أعمال محمد أو فسرت به معجزاتها من أجانب يعلم أجهلهم وأضلهم من أعمال محمد العظيمة التي لم يعمل مثلها أحد من عظماء خلق الله ما لا يعلم بعضه هذا الشاب الذي ينسب إلى أمة محمد ، ويعيش في بلد محمد ، ويرى بعينيه عشرات الالوف ومئات الالوف يفدون في كل عام على بلد محمد من جميع

أمم الارض في جميع أقطارها ، شعثاغبرا ، ناسكين ، طائفين ساعين، راكعين، ساجدين يتقربون إلى الله تعالى باتباع ملة محمد ويسمعهم بأذنيه يهتفون بالصلاة والسلام على محمد ، والدعاء لمحمد بالوسيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود الذي يغبطه به ويحمده عليه الاولون والآخرون ، ومنهم النبيون والمرسلون،صلى الله عليه وآله كلما ذكره وكلما ذكره الذاكرون

أيها الحجازي الجهول !

لا أعجب لك أن كنت لا تؤمن بنبوة محمد ورسالته، وأنت في هذا الدرك الاسفل من الجهل بما جاء به ؛ ولا أعجب لك أن كنت تجهل تاريخ محمد الذي غير تاريخ العالم الانساني بما نقله من ضعة وفساد الى رفعة وصلاح في أموره الدينية والمدنية والاجتماعية ، وانما أعجب لك أنك ترى نفسك أهلا لمخاطبة أستاذ مصري متعلم، بل مؤلف ومعلم ، بتلك الكلمة الجاهلة الغبية التي كان خيرا لك من النطق بها أن تخطفك الطير أو تهوي بك الريح في مكان سحيق ، وتيهور عميق

أيها الحيران المسكين،الذي استهوته شياطين الملحدين، ان كان محمد لم يعمل شيئا تذكره وتفخر به بانك من قومه ووطنه ، فأخبرنا أي عظماء البشر الذين يفخر بهم أقوامهم عمل عشر ماعمله محمد لقومه، وما عمله بنفسه وبقومه للبشر كافة ؟

هل يذكر عمل بسمارك الذي تفتخر به ألمانية في السعي للوحدة الجرمانية ، وكافور وغاريبالدي اللذين تباهي بهما إيطالية للوحدة الطليانية ، ما يقرب من عمل محمد ﷺ للوحدة العربية؟مع التفاوت البعيد بين الأمم الثلاث في الاستعداد لها وعدمه ،مما كانت عليه كل منهن من جاهلية أو علم وفن ونظام ؟

ارفع رأسك الى من فوق هؤلاء . ارفعه الى الانبياء المرسلين، فانك لا تجد أحداً منهم عمل لقومه أكبر مما عمله موسى عليه السلام لبني اسرائيل في دينهم ودنياهم ، ويعلم جميع مؤرخي الامم ان ما عمله محمد ﷺ أعظم في كل منها . أما الدين فأمره ظاهر ولعلك لا تعنيه من العمل الذي تسأل عنه. وأما الدنيا فقد مهد السبيل لقومه أن يملكوا فلسطين من بعده.ولكن قوم محمد ﷺ ملكوا فلسطين وما حولها من مشارق الارض ومغاربها واذا كنت فاقداً للشعور بعظمة الجامعة

الدينية التي يكرمك لاجلها الملايين من الامم فانني أضرب لك مثلا من كرامة الجامعة القومية .

نظم أديب سوري نصراني النشأة قصيدة مدح بها محمداً (ص) بمناسبة ذكرى مولده وأنشدها أصدقاءه من أمثاله ، فعذله بعضهم فأجابهم قائلا :

ان جميع الشعوب الراقية تفتخر بالنابغين والعظماء من طبقات أقوامهم وان الانبياء في عرف جميع الامم أعلى طبقات البشر في أممهم ، واني وإياكم من العرب نفتخر بالمتنبي والبحتري والمعري من شعرائنا ، أفلسنا أجدر بأن نفتخر بنبينا وهو أعظم قدراً ومقاما وعملا من شعرائنا الذين كانوا يفتخرون به ، ومن أنبياء غيرنا أيضا؟ ولماذا نفتخر بالمسيح وهو من أنبياء اليهود ولا نفتخر بمحمد وهو نبي قومنا العرب ، وما منا أحد يؤمن بألوهية المسيح فنجعلها هي المانعة من مدح نبينا العربي العظيم؟ (وأما نبوته وآياته فالقرآن يثبتها فهي مما تقتضي مدح نبينا لا مما تمنع منه) .

لقد كان أدنى ما ينتظر من ذلك المارق الحجازي ، أن يعرف من قدر نبي قومه ووجوب الفخر به ما عرفه هذا الاديب السوري ، ولكن المسألة مسألة علم وتاريخ ومفاخر قومية ، وهذا الحجازي لا يعقل من ذلك ما يعقل السوري ، واني لأعرف من هؤلاء السوريين الاحياء والميتين من يؤمنون بنبوة محمد ﷺ ولكنهم كانوا يكتمونها عن أهلهم والمتعصبين من أهل الدين الذي نشئوا فيه ، ومنهم من كان يصلي الصلوات الخمس ، وقد قال لي أحد المؤرخين المشهورين منهم : أكتب عقيدتك التي أعرفها منك لأضع عليها امضائي بأني أومن بها

وان منهم ومن غيرهم ممن لم يؤمن به لمن يعتقد أنه أفضل البشر على الاطلاق ، وانه عمل لترقية البشر بالعلم والعقل والحكمة والأخلاق والانسانية الكاملة مالم يعمله أحد من الانبياء ولا الحكماء ولا الادباء ، ولا يرجى أن يعمل مثله أحد ، وقد نقلت شهادة الدكتور شبلي شميل المشهور في هذا نظما ونثرا ، وما في معناها من شهادة الاستاذ وليم موير العالم الانكليزي في الطبعة الثانية من كتاب الوحي المحمدي

*

تساءل الناس من قبل هذا المسكي سؤال الاستفهام، عما سأل هو عنه سؤال الانكار: ماذا فعل محمد ؟

أجابهم التاريخ العام : ان محمداً أسس ديناً وأمة ودولة

جواب مختصر مفيد ، ثلاث كلمات ، صغيرات كبيرات ، يملأن الارض والسموات ، لم يختلف فيهن اثنان ، ولم ينتطح في النزاع فيهن عنزان ، ولكن وجد تيس في شكل إنسان ، ينطح جبل أبي قبيس من أدناه ، لانه يجهل ما حدث منذ ١٣٦٦ عاما في أعلاه من نزول الناموس الاعظم جبريل عليه السلام ، على محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، من الوحي الالهي الذي أسس به هذه المنشآت الثلاث

ليس من المعقول أن يكون هذا المسكي يجهل ما نزل في غار حراء من ذلك الجبل . وانما المعقول أنه يعوزه العلم التفصيلي بما كان بعد ذلك وما حصل ، وكيف بدل هذا النبي البشر غير البشر ، حتى ان اربعمائة مليون منهم يستقبلون بلده من مشارق الارض ومغاربها في كل يوم خمس مرات تعبداً لله تعالى ويشيدون برفع اسمه مع اسم الله في جميع أنحاء العالم حتى لندن وباريس في يومه هذا من عامنا هذا

الا وانني أعلم والاسى يفيض من قلبي فيكاد يقتلني ان أكثر المسلمين أمسوا بين جاهل كنه هذه الاعلام الثلاثة وغافل عن عظمتها ، ولو علمت الجاهل لعلم ، ولو نبهت الذاهل لفطن ، ولأقر بحقية الكلمات الثلاث ومدلولاتها بالاجمال ، ولكن يبقى عليك العلم التفصيلي الدال على صفة تأسيسها ، ووضع قواعدها ، وإقامة أركانها ، ورفع سمكها ، وتسوية سقفها ، وسرعة إتمامها ، ومن أوى اليها من الشعوب والقبائل ، ودرجة عظمة كل منها في نفسها ، وبالاضافة الى ما يشاركها باسمها من الاديان والامم والدول ، وهل اتفق ذلك أو ما يقرب منه لأحد من البشر قبل محمد ﷺ ؟

العلم الاجمالي أول خطوة بين الجهل المطلق والعلم المفصل الذي يثمر العبرة والحكمة والعمل ، فهو علم ناقص قابل للشك ، عاجز عن دفع الشبهات

من مقدمات هذا العلم التفصيلي في مسألتنا ، على المنهج المعروف بالنقد التحليلي في عصرنا ، تاريخ محمد ﷺ فن المعلوم بالتواتر القطعي أنه كان أميا نشأ بين

قوم أميين ليس عندهم شيء من العلوم الدينية ولا الدنيوية، ولا الفنون المدونة عند شعوب العالم التي تلقى بالتعليم والتلقين، وانه لم يزاول شيئا من معارف قومه الوراثية، ولا آداب لسانهم من الشعر والخطابة والمفاخرة والمماتنة التي ارتقت بها لغتهم وبلغت شأوا عاليا في البلاغة والتأثير، وانه لم يشاركهم في شيء من تقاليدهم الدينية، ولا عاداتهم الاجتماعية والحربية ولا الخرافية، وانه ظل كذلك حتى بلغ سن الاربعين

ومن المقدمات التي تقرن بهذه أنه قد ثبت عند علماء النفس والاجتماع والتاريخ في عصرنا هذا ان ما تنطوي عليه غرائز الانسان الشخصية والوراثية من استعداد للعلم والعمل إنما تظهر كلها في نشأته البدنية والعقلية وتكمل في سن الشباب فتنتهي الى سن الثلاثين حتى الخامسة والثلاثين، وانه لم يوجد في تاريخ البشر أحد ظهر منه بعد هذه السن علم جديد، ولا النهوض بعمل اجتماعي عظيم، وإنما قد يكون بعدها الاتمام والتكميل

ومن العلم التفصيلي في مسألتنا أو موضوعنا ان المباني الثلاثة التي اسسها محمد ﷺ كما يقول المؤرخون - وهي أعظم مقومات حياة البشر - هي أعلى وأكمل مما كان من قبلها، ولم يتجدد بعدها مثلها، وانه لم يتفق لنبي ولا ملك ولا حكيم الاضطلاع بواحدة مثل واحدة منها، وانها قد تمت كلها في مدة قريبة لم يقع في التاريخ نظير لها، فهي مجموعة معجزات في كتابها وفي كمال تشريعها واصلاحها وفلسفتها وفي إدماج أمتها لجميع أمم البشر في عقائدها وآدابها وتشريعها ولغتها، وفي بناء دولتها ووحدتها الانسانية على أساس العدل والمساواة والشورى والمصالح العامة، وغير ذلك من أصولها وفروعها العلمية والعملية التي بسطناها بالتفصيل مؤيدة بالبرهان والدليل في كتاب الوحي المحمدي، الذي صدرت الطبعة الاولى منه في مثل هذا اليوم: يوم محمد ﷺ من العام الماضي

*

لاموضع في هذه الذكرى الوجيزة للاشارة الى ما تمتاز به كل من دين محمد وأمته على ما يقابلهما من الاديان والامم وقد فصلناه في كتاب الوحي المحمدي بالشواهد

من القرآن والاكوان تفصيلا مقنعا بالاساليب التي تقتضاها من الاسلام حاجة هذا العصر في علمه وأفكاره وأسلوب تأليفه من جميع النواحي والجوانب الدينية والمدنية والعقلية والسياسية ، ولا سيما اعجاز القرآن وهو مشرق النور الاعظم ، وينبوع الحياة العليا ، ومصدر الاصلاح العام

وانا نختمها بالاشارة الى تعليل علماء الافرنج لبعض هذه المعجزات بعد ان عرفوها واضطر المنصفون منهم الى الاعتراف بها ، والاقرار بأن تعاليم محمد قد أصلحت تعاليم الاديان القديمة حتى المسيحية ، وأحييت علوم الحضارة القديمة بعد موتها ، وان حضارة أوربة الحديثة مستمدة منها كما صرح بهذا غوستاف لوبون ودرابر وغيرهما من علمائهم الاعلام

فأما علوم القرآن وما فيه من بينات الهدى والفرقان فقد قال منصفوهم لا شك أن محمدا كان أميا لم يتعلم شيئا ، وانه كان مطبوعا على الصدق والاخلاص ومكارم الاخلاق ، وان ما ثبت في تاريخه قبل الاسلام وبعده يفيد اليقين بأن مثله لا يكذب على الله ولا على الناس ، وانه صادق في تعبيره عن اعتقاده بأن هذا القرآن وحي من الله (قالوا) ولكنه وحي كان يفيض من استعداده النفسي العالي وعقله الباطن على قلبه وخياله ولسانه وحواسه ، وقد فندت هذا التعليل بالبراهين العقلية والنقلية الهادمة لشبهاته التي ذكروها ، وأثبت انه وحي من الله تعالى ، بما لا يدع للشك مجالا

وأما استعلاء دينه على جميع الاديان ودخول الملايين من النصارى واليهود فيه بله المشركين والوثنيين — فقد عللوه بأن تلك الاديان كلها كان قد دب فيها الفساد من قبل الملوك والاساقفة حتى غلبت على اهلها الوثنية وعبادة الشهوات والمال ، فأمكن دين التوحيد والفطرة السليمة والعقل والفكر ومكارم الاخلاق ان يظهر عليها في معاهد قوتها وشوكتها من البلاد المقدسة وغيرها ، اه

قلنا نعم ، ولكن كيف جاء هذا الدين النقي الكامل من قبل رجل أمي بعد استكماله سن الاربعين وقد ثبت بالاستقراء وعلم قوى النفس ان هذا من المحالات ،

وخوارق العادات ، فلم يبق إلا أنه من الله عز وجل كما شرحناه في كتاب الوحي المحمدي

وأما توحيد قوى القبائل العربية المتفرقة وجعلهم أمة واحدة في سنين معدودة فعللوه بأن العرب كانوا أذكياء الاذهان ، بلغاء اللسان ، أقوياء الجنان ، فجاءهم زعيم حكيم بدعوتهم إلى توحيد العقيدة وأخوة الايمان ، ويمدهم عن الله تعالى بالغنى والقوة والسلطان في الدنيا ، والخلود في جنات النعيم في الآخرة، فآمنوا به واتبعوه

وقلنا في الرد عليهم ان هذا صحيح في ظاهره ، ولكنه مخالف للطبع والوراثة وسنة الاجتماع في أقوام وقبائل رسخ فيها الشقاق منذ ألوف السنين ، فكيف يزول بمجرد الدعوة في سنين معدودة ؟ كلا إنهم ما اتبعوه إلا بما ثبت عندهم من إعجاز هذا القرآن لهم في لغتهم بنظمه وأسلوبه وبلاغته وسلطانه الروحي على عقولهم وإراداتهم ، وإيقانهم أنه من وحي الله تعالى لا من كلامه ، وبما أيد هذا من سيرته وأخلاقه وأعماله وآيات الله الاخرى له، قال تعالى له (هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما في الارض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم) وما كان من حكمته ﷺ في سياستهم فهو من توفيقه تعالى له وآياته في تربيته قال (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك)

على ان تربية الامم النفسية والاجتماعية لا تتم إلا بطول الزمن والانتقال من جيل إلى جيل ، وقد ضربت لهم المثل في كتاب الوحي المحمدي ببني اسرائيل وما شاهدوا من آيات الله لموسى في مصر ثم في التيه ، ولم يؤثر فيهم ذلك بما جعلهم أمة واحدة خاضعة لشريعة التوراة إلا بعد انقراض الجيل الاول في التيه وهو أربعون سنة وأما قوم محمد ﷺ فقد تربوا في كنفه في عشرين سنة صاروا فيها خلقاً جديداً ، وكان الجيل الاول أفضل الاجيال وأكملها في الدين والادب والاخلاق والسياسة وحكم الامم ، وتفضيل دينهم على أديانهم ، ولغتهم العربية على لغاتهم طوعا واختياراً ؟

وعللوا فتح الصحابة (رض) للممالك الكثيرة واسقاطهم لدولة الفرس العظيمة في مهد قوتها وتدويخ دولة الرومان العظمى واجلاءها عن ممالكها في آسية

وافريقية في سنين معدودة ، وامتداد ملك الاسلام في العصر الاول من شاطيء بحر الظلمات (المحيط الاتلانتي) إلى حدود الصين — بأن حكومات هذه الدول كانت قد هرمت وضعفت بالظلم والفسق والفساد في الارض ، وعبادة المال والشهوات ، واتباع الباطل ، فجاء هؤلاء العرب بدينهم الجديد معتصمين بالحق والعدل والعفة وسائر الفضائل على ما أوتوه من الشجاعة والقناعة، ففضلتهم الشعوب والامم على حكوماتها الفاسدة فكانت ظهيراً لهم على أنفسها

قلنا نعم ، ولكن تلك الدول وشعوبها لم كانت لا تزال أقوى من العرب وأكثر استعدادا للحرب ولاسيما الفنية بأسلحتها الخاصة بها وحصونها وخنادقها وكثرة عددها ، وما يقتضيه غزوها في عقر دارها ودفاعها عن حياتها القومية والدولية من الاستبسال، ولم يغن عنها كل ذلك شيئا ، أفلم يكن انتصار العرب عليها بالحق والعدل والفضائل آية من الآيات ، ومعجزة من خوارق العادات؟ ومصداقا لوعد الله لهم في كتابه بنصره ، وإعلاء دينهم على الدين كله ، ووعد نبيهم لهم بملك كسرى وقيصر؟

صرح بهذه المعاني كثير من علماء الافرنج المستقلين حتى المتحمسين في النصرانية كالدكتور ألفرد ج بتلر في كتابه (فتح العرب لمصر) الذي جمع فيه بين الانصاف التاريخي المضطرب ، والحماس الديني الانكليزي الملتهب.

هذه إشارة وجيزة إلى ما فعل محمد بن عبد الله ، بل محمد رسول الله وخاتم النبيين ، ولم يفعل مثله ولا ما يقرب منه أحد من النبيين ولا الفاتحين ، ولا الحكماء المصلحين ، ولا الساسة المشترعين ، والعجب العجاب أن يجهل تفصيله أكثر المسلمين ، وأن يعلمه الاجانب فيعترف به المنصفون ، ويؤمن به منهم الموفقون ، ويعلله غيرهم بما يزيده قوة وتأييداً ، فتى يثوب المسلمون إلى رشدهم ، ويرجعون إلى هداية دينهم فيعود به اليهم مجدهم.

(أفلم يدبروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين؟ أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون) عودوا إلى كتابكم وهدى نبيكم وسيرة سلفكم أيها المسلمون، فلن يصلح هذه الامة إلا ما صلح به أولها ، كما قال الامام مالك رحمه الله تعالى والسلام؟

(محمد رشيد رضا)

تقريظ كتاب الوحي المحمدي وانتقاده

(لما صدر كتاب الوحي المحمدي أهديته الى كثير من العلماء والأدباء وغيرهم وسألت من ألقى منهم هنا أن ينتقدوه ومنهم أكبر علماء مصر الاستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغي والاستاذ الشيخ عبد المجيد سليم مفتي الديار المصرية ، وكتبت الى بعض من في الأقطار البعيدة بذلك ، ومنهم امام اليمن وامام عمان . فلم ينتقد أحد منهم شيئا من مسائله ، ولكن جاءنا الكتاب الآتي من الاستاذ صاحب الامضاء وهو من علماء نجد ومقيم في القاهرة قبيل الفراغ من طبعة الكتاب الثانية فسررنا به وانا ننشره ونقفي عليه ببيان رأينا فيه ، وهذا نصه :)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

إلى حضرة الاخ المحترم والعلامة الفاضل محمد رشيد رضا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد فاني قرأت كتاب الوحي الذي ألفتموه فألفيته أولا في بابه ، بديعا في خطابه ، أبان بأن الدين ضرورة لازمة ، وحجة قائمة ، أقام الحجة على صحة الاسلام ، عند مثبت النبوة ومصدق الرسالة ، بأوضح برهان وأجلى تبيان ، وأظهر زيف الاعتراضات الصليبية ، والتشكيكات الالحادية ، والمغالطات الايهامية ، التي أرصدها دعاة الفتنة ، وأعدها رءوس الضلالة ، حرابا للدين ، وغوثا للشياطين ، وانه لكتاب جلي من دقائق الحكم ، وأسرار التشريع ما سطع التنزيل بيانه ، وأجلى تبيانه ، ومع ذلك فهو سهل المتناول ، قريب الى الفهم ، يشوق قراءه إلى تفهم كتاب الله ، ويوقف المنصفين على الايمان بالله

وبما ان مسائل العلم معترك العلماء ، ومجال الأذكياء ، وساحة الميدان ، وحلبة الرهان ، والجواد قد يكبو ، والسيف قد ينبو ، والخطأ لم يعصم منه إلا الشارع الذي لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى . فان لي في كتابكم ملاحظات سأبديها ، ومواضع سأتكلم فيها ، لمعرفتي أنكم ممن ينشد الحق ويتحراه ، ويطلب مرضاة خالقه على اتباع هواه ، والشاهد لي على ذلك أنكم الذين تنازلتم لمنازلة الانتقاد ، وتواضعتم لهذا المراد ، وتلك خلة العلماء السابقين ، وطريقة القادة المهديين .

(١) قلتم في صفحة ١٦٤ : قد شرع الله لابطال الرق طريقين : عدم تجديده

الاسترقاق في المستقبل. وإني أرى أن هذا القول معارض بالكتاب والسنة والأجماع أما الكتاب فان فيه كفارة القتل والظهار والأيمان بالعتق الذي هو نتيجة الاسترقاق والكتاب كتاب لكل زمان ومكان، فلا يصح أن يبنى شرائعه على شيء قد أبطل أساسه، وحرم تجديد أصله. وقد ندب الكتاب الى العتق في مواضع كثيرة وجعل العتق الذي لا يوجد إلا بالرق عملا من أعمال الخير التي توصل الى الجنة فهل تقولون إن تلك الآيات المذكورة في الكتاب انما محل العمل بها في عهد النبي ﷺ أما بعده فلا يصح لان تجديد الرق قد منع. فان قلتم بهذا فما رأيكم في الدليل الثاني وهو أن النبي ﷺ استرق بالفعل، وتجوز بالقول والتقرير، وما أرى أنكم تنكرون هذا لان كل من يعرف النبي ﷺ وسيرته يعلم علما يقينا لا شك فيه أنه لم يغز طائفة من طوائف العرب إلا واسترق من استولى عليهم من نسائهم وأولادهم

وأما الاجماع فان الصحابة والتابعين والتابعين لهم باحسان ما استولوا على شيء من نساء الكفار وأولادهم إلا استرقوه حتى انه ليوجد عند بعضهم المئون بل الآلاف من الرقيق. وكان عثمان بن عفان والعباس من أكثرهم رقيقا، ولعمر رقيق، ولأبي بكر رقيق، وهذا مالا ينكره أحد. واذا كان القتال ماضيا الى قيام الساعة والكفار موجودين في كل زمن، فسنة الاسلام جواز الاسترقاق لمن استولوا عليه بطريق الحرب.

(٢) قلتم في صفحة ١٤٩ على قوله (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) إن حروب النبي للكفار كانت كلها دفاعا، ومعنى ذلك أن حرب الكفار وقتال المسلمين إياهم لا يجوز إلا اذا قاتلوناه والكلام عليه من وجوه:

(أولا) انا لا نسلم أن قتال المسلمين في سبيل الله للكفار الذين لم يقاتلوهم اعتداء، إذ الاعتداء تجاوز بغير حق، وقتال المسلمين للكفار انما هو بحق وهو إدخال الاصلاح عليهم وحملهم على الطريق القويم، وانقاذهم من نار الجحيم

(ثانيا) غاية ما تدل عليه هذه الآية الامر بقتال من قاتلنا منطوقا والكف عمن لم يقاتل مفهوما، والمفهوم ليس بحجة عند أكثر العلماء اذا لم يخالف فكيف اذا عارض منطوقا صريحا

(ثالثا) ان الآية «وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله» وآية

« فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » والآية « قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر » وما يشابههن ، وقول النبي ﷺ « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لاإله إلا الله » وما في معناه من الاحاديث الكثيرة كل ذلك عام شامل لمن قاتل ومن لم يقاتل

(رابعا) ان آية (وقاتلوا في سبيل الله- وجاهدوا في سبيله) ومعنى كلمة القتال في سبيل الله لايفهم من ذلك الدفاع عن النفس فحسب ، وقد قال النبي ﷺ للذي قال له الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حمية ، ويقاتل رياء ، أي ذلك في سبيل الله ؟ فقال « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » فبين أن المراد من القتال في سبيل الله القتال لعلو الاسلام ورضوخ الكفر له

(خامسا) ان النبي ﷺ كان لايمنعه من الاغارة على قوم إلا سماع لاذان فان سمع أذانا أمسك وإلا أغار

(سادسا) أنه قد علم بالاضطرار عند المسلمين وغيرهم أنه لم يثبت أن كل من قاتلهم النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم من أئمة المسلمين ، قاتلوا قبل أن يقاتلوا ، وان مقام المسلمين معهم مقام دفاع عن النفس ، وإن كان ذلك حصل من بعضهم في بعض الاحيان فلا يسلم حصوله في الكل

(سابعا) ان سنته في بعثه للسرايا والجيوش أن يقول لهم اغزوا في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله ، واذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال وهو معلوم من حديث بريدة الطويل عند مسلم . وأما آية الاكراه في الدين فلا تمنع من قتالهم حتى يكون الدين عاليا عليهم ، وآية الجزية مبينة للاكراه ، واما تعليل الاذن بالقتال بظلم الكفار إياهم فغايته أنه ذكر علة ولم ينف سواها . وأما « وما أنت عليهم بجبار » وما في معناها فتلك آيات مكيات أتت بعدهن المدنيات

(٣) قلتم في صفحة ١٦٢ : على أن الشريعة تعطي المرأة حق اشتراط جعل عصمتها بيدها فتطلق نفسها اذا شاءت ؟؟ قول الشريعة هي الكتاب والسنة والاجماع فان رأيتم هذا القول فيها فهاتوا دليله مأجورين ، والمنار معروف أنه يدلل على مايذهب اليه ، والذي أعرفه أنه رأي لأبي حنيفة وأنا لا أعتقد أنكم تقلدونه ،

وأبو حنيفة الذي رأى هذا الرأي هو الذي رأى لو أن رجلا في المشرق تزوج باسرأة في المغرب فولدت ان الولد يلحق به ، وإن لم يثبت عنده اجتماعهما فهل تقولون ان الشرع ألحق الولد به ، وأنتم وفقنا الله وإياكم ذكرتم هـذا القول في الوحي المحمدي فلا يفهم إلا أنكم وجدتم ذلك في القرآن أو الحديث فان لم يكن إلا في رأي أبي حنيفة فهو شرط ليس في كتاب الله، ومن اشترط شرطا ليس في كتاب الله فهو باطل وإن كان مئة شرط وهو قول ليس عليه أمر الشارع ومن عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد ، مع أنه رأي يجعل للمرأة الناقصة عقلا ودينا ولاية على أمر الرجل ، ولن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة فكيف تولى تفكيك روابط الاسر وتفريق الجماعات ، وهي التي تغضب للكلمة ، وتطيش للصدمة ، وتتميز للاعراضة

(٤) قلتم في صفحة ١٨٧ : فكلام الله عندنا شأن من شؤونه وصـفة من صفات كماله كعلمه إلا أن وظيفة العلم انكشاف المعلومات له بدون سبق خفاء ووظيفة الكلام كشفه ماشاء من المعلومات لمن شاء بما شاء. هذا التعريف لا يعرف لأحد من علماء السنة ورواة الآثار كمالك والسفيانين واحمد واسحاق ويحيى بن معين والبخاري ولا كالزهري وأيوب وابن سيرين ولا عن أحد من الصحابة فان كان معروفاً لديكم فأزيلوا عنا اللبس ، وما رأيكم لو كشف الله لعبد بازالة الحجب فهل يقال انه كلمه فان تعريفكم صادق على هذا ؟ وهلا يجوز عندكم أن الله ينادي بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب؟ وهل تعريفكم هذا لكلام الله الذي هو القرآن فحسب أو لما هو أعم ؟ وهل أنتم تعتقدون ان القرآن كلام الله أم هو عبارة عنه ؟

(٥) وقلتم في صفحة ٨ : وحررت هذه المقدمة في ليلة المولد ؟ فهل عندكم خبر صحيح يعين ليلة المولد ، مع ان المحققين من العلماء قرروا أنها لا تعرف ، وفيها أقوال متعارضة متضاربة ليس بعضها أولى بالبطلان من بعض، ولا أظن أنكم تتابعون الناس على مادرجوا عليه من الباطل . على أني اختصرت خوف الاطالة والملل ، وتركت مواضع بغير تعليق لباعث العجل . والله يوفقنا جميعاً إلى سبيل الرشاد

عبدالله بن علي بن يابس

(١٠)

﴿ انتقاد مسألة الرق والجواب عنها ﴾

انتقد الاستاذ هذه المسألة من سبعة وجوه نتكلم على عباراتها بالايجاز ، ثم نرد على تلك الوجوه بالترتيب فنقول :

إن إطلاق إبطال الرق في عبارة الطبعة الاولى قد استثني منه بعد سطرين قولنا « إلا استرقاق الاسرى والسبايا » الخ

ونقحت في الطبعة الثانية بقولنا في الصفحة ٢٧٩ قد شرع الله تعالى لابطال الرق طريقتين : تحديد تجديد الاسترقاق في المستقبل أو تقييده الخ

وقد قال المنتقد قوله « إنه معارض بالكتاب والسنة والاجماع »

استدل على الاول بأن في الكتاب كفارة القتل والظهار والايمان بالعتق الذي هو نتيجة الاسترقاق «ولا يصح أن يبني شرائعه على شيء قد أبطل أساسه ، وحرم تجديد أصله » وبأنه ندب الى العتق وهو لا يوجد الا بوجود الرق وجوابه من وجوه الخ

(أولها) إننا لم نقل إن الله تعالى أبطل أساس الرق وحرم تجديد أصله ، بل بينا أنه قيد تجديده بالحرب الشرعية المعروفة ، وهذا القيد لا يمنع وجود الرقيق منعا باتا ، بل يجوز أن يوجد بوجود قيده وشرطه

(ثانيها) أنه يجوز أن يوجد بالارث والتناسل فان ولد الرقيق مثله

(ثالثها) ان ثبت ان تجديد الرقيق محرم شرعا تحريما مطلقا أو مقيدا فليس للمنتقد أن يعارضه بقاعدته التي اخترعها وهي أن الله تعالى لا يصح أن يبني شرائعه على كذا ، وان لم يثبت فلا حاجة الى هذه القاعدة لابطاله

(رابعها) ان كلمة ان الله لا يصح أن يفعل أو ان يشرع كذا كلمة جريئة جدا أستغفر الله من حكايتها مهما تكن صحة قائلها ونيته وأدع للاستاذ المنتقد بعد هذه الذكرى رأيه فيها

(خامسها) ان هذه الكلمة لا تنطبق على مسألتنا فان الله تعالى لم يبن شرع

للعتق لمباده على أساس الاسترقاق لاجل أن يوجدوا الرقيق ثم يعتقوه؛ فيكون كل من الاسترقاق والعتق قربة مطلوبة، وإنما بنى طلب العتق على وجود الرقيق بالفعل، وشرعية عتقه تدل على قبحه، لأن العتق ابطال للرق ولا يتقرب الى الله تعالى بابطال الخير وازالته، فهي كشرعية التوبة من الذنب لقبحه، ولا يقال ان تحريم المعاصي ممنوع لانها الاساس لوجوب التوبة، وهي أشد وجوبا من العتق الواجب فضلا عن المندوب

(سادسها) أن قوله: فهل تقولون ان العمل بتلك الآيات إنما محله العمل بها في زمن النبي ﷺ ولا تصح بعده — سؤال لا محل له وغفلة عما كان يظن محله الوقوع فيها

(سابعها) المعلوم بالاجماع أن العتق مشروع ومثاب عليه في كل زمان ومكان يوجد فيه الرقيق الى يوم القيامة، وسببه أن الرق قبيح يتقرب الى الله تعالى بتحريره الى أن يزول الرقيق، فان زال من مكان لم يجب على أهله ايجاده، لاجل عتقه، ولا يجب لذاته، ولكنه قد يشرع بوجود سببه الشرعي وهو ما بيناه، ولو صحت دعواه لكان تحرير المسلمين جميع ما يملكون من الرقيق محظورا لاقتضائه عدم تجديدهم العتق بعده، فهو بهذا الاقتضاء بمعنى عدم تجديدهم للاسترقاق

استدلاله على معارضته بالسنة والاجماع

واستدل على الثاني وهو معارضة ما قلناه بالسنة بأن النبي ﷺ قد استرق بالفعل وجوز الاسترقاق بالقول والتقرير، وعلى الثالث وهو معارضته بالاجماع بأن الصحابة والتابعين وتابعيهم قد استرقوا بالفعل أيضا، وهذا على ما فيه لا يرد على ما قلته، فانني قد صرحت فيه بأن لامام المسلمين في كل حرب شرعية أن يسترق الاسرى والسبايا اذا كانت المصلحة في الاسترقاق، وأما زعمه أن النبي ﷺ والصحابة ومن بعدهم لم يستولوا على أحد من نساء العرب وأولادهم الا استرقوهم، وان هذا معلوم من سيرته وغزواته ﷺ باليقين — فهذا غير صحيح على اطلاقه ومراده، ولو صح لم يكن ناقضا لما قلناه، والتحقيق أن عرف العرب في الحرب أن يكون الاسرى والسبايا ملكا للغالب، وان النبي ﷺ كان يتخذه ذريعة للعتق وجذب الناس الى الاسلام برحمته لا لابقاء الرق، كما فعل بتزوجه جويرية بنت الحارث سيد قومه فأعتق أصحابه جميع أسرى بني المصطلق وسباياهم وهم على

كفرهم فكان هذا سببا لاسلامهم ، وكما أعتق جميع قريش رجالهم ونساءهم يوم فتح مكة بقوله (اذهبوا فأنتم الطلقاء) وكما أعتقوا بعد ذلك سبايا هوازن

فان كان النبي ﷺ وأصحابه قد استرقوا جميع نساء العرب وأولادهم الذين استولوا عليهم تقربا إلى الله بالسبي كما يوهم كلامه، فأين كان أولئك السبايا والعبيد؟

إننا نعلم انه ﷺ كان يعتق ماملك من الرقيق ، ولا نعرف من سيرته ﷺ أنه كان عنده أحد من سبايا العرب ، ولكن روي عنه أنه كان عنده من سبايا يهود قريظة ريحانة بنت شمعون وأنها امتنعت أولا عن الاسلام ثم أسلمت وأنه خيرها ﷺ بين عتقها والتزوج بها كصفية أم المؤمنين واختلفت الروايات عنها ، والراجح فيما أذكر أنها اختارت بقاءها على الرق

وروي ان زينب أم المؤمنين أهدت اليه جارية ولا أدري هل كانت موروثة من رق الجاهلية أم هي من سبايا الاسلام ولا من أي جنس كانت

ثم ختم المنتقد كلامه في هذه المسألة بقوله «فسنة الاسلام جواز الاسترقاق لمن استولوا عليه بطريق الحرب» وأنا لم أنف جوازه وانما قيدت فعله أو تركه بالمصلحة، وقوله هذا يجيز تركه مطلقا ، وهو يعارض قاعدته الغريبة ، واستطالته العجيبة

وأما ماقررته من نوط الاسترقاق بالمصلحة التي ينفذها إمام المسلمين فهو مروي عن الامام احمد ومنصوص في كتب فقه الحنابلة وهو مذهب المعترض. ففي كتاب الفروع : ويختار الامام الاصلح لنا - لزوما كما في ولي اليتيم، وفي الروضة ندبا - في أسرى مقاتلة أحرار بين قتل ورق ومن وفداء نص عليه اه (ص٥٩٦ جزء٣)

وقال في بحث وجوب الجهاد اذا وقع النفير العام ولو بدون إمام مانصه: وسأله (يعني الامام احمد) أبو داود عن بلاد غلب عليها رجل فغزا معه قوم يغزو معهم؟ قال نعم ، قال يشتري من سبيه؟ قال دعنا من هذه المسألة «الغزو ليس مثل شراء السبي» الغزو فيه دفع عن المسلمين، لا يترك ذلك لشيء اه (ص٥٧٦ منه ، ومثله في (مسائل الامام احمد) وقال في المسألة فيتوجه أن يقال في سبيه كمن غزا بلا اذن اه والمراد ان الامام احمد امتنع من الفتوى بشراء سبي السلطان المتغلب . ولكن المعترض يبيح السبي لكل مسلم حتى قطاع الطرق النخاسين كما سمعنا منه ولعله رجع عنه عند كتابة هذا البحث

(البقية للجزء الآتي)

﴿ تفنيد اعتراض كاتب جزويتي على كتاب الوحي المحمدي ﴾

(نشره في مجلة المشرق الكاثوليكية في بيروت فألخص مسائله فيما يأتي وأرد عليها)

(١) تعريفه الموهم بالمؤلف صاحب المنار

افتتح الكاتب كلامه بأنه « لا حاجة إلى تعريف القراء بالسيد محمد رضا [1] منشئ مجلة المنار الاسلامية ومحررها المجاهد » ولكنه عرفه أو وصفه بقوله « والشيخ محمد علم من أعلام الادب الديني الاسلامي المحافظ ، في مصر ، وصديق ابن سعود الوهابي ، وأحد دعاة المسلمين إلى التمسك بالقديم ، ونبذ ما يستحدثه المحدثون مخالفا لتقاليد السلف »

فهذا التعريف بمن هو غني بشهرته عنه باعترافه يفهم منه قراء المشرق خلاف الحقيقة : يفهمون من كلمة « المحافظ » وكلمة « نبذ ما يستحدثه المحدثون » الخ مايشمل الامور الدينية والدنية والعلمية والفنية والصناعات ، وانما أنا محافظ على القرآن والسنة النبوية واجماع السلف وسيرتهم الصالحة في هداية الدين فقط . وداع المسلمين إلى الاخذ بكل نافع من مستحدثات العلم والفنون والنظم المدنية والعسكرية التي لاتخالف تلك الاصول ، ولا الهداية الدينية التي أكمل الله بها الدين ، وأتم نعمته على العالمين ، وإن خالفت بعض تقاليد المتقدمين ، التي مناطها اجتهاد المجتهدين ،

ولينظر ماذا يعني بصداقة ابن سعود الوهابي في التعريف بعالم مؤلف ؟

(٢) وصفه للكتاب كما رآه

قال إنه ليس كتاب الوحي المحمدي مايزيدهم معرفة بالمشاكل الجوهرية التي يدور الجدال حولها بين المسيحيين والمسلمين » وانه « ليس مستتقد المواد متناسب الاجزاء ، متسلسل القضايا ، فينور فيه فكر المفكرين ، بل هو مجموعة عجالات ظهرت أولا في المنار ثم برزت بكتاب مستقل ، على أن سهولة مطالعتها لما فيها من العناوين والفهارس ، ووقع المواضيع التي عالجها رداً على مسائل تجددت ،

---

(١) هذا الكاتب يسميني تارة السيد محمد رضا وتارة الشيخ محمد أو الشيخ رضا وتارة السيد رشيد رضا الخ والامر سهل

ومسها الدين المسيحي، تحول دون الاغضاء عنها ، من غير اعادة النظر فيها »اهـ

(أقول) ان كتاب الوحي المحمدي لم يوضع للجدال بين المسلمين والنصارى فتجعل مواده مناسبة لما بينهما من الخلاف ، متسلسل القضايا فيها ، وانما ذكر فيه بعض هذه المسائل بالقصد الثانوي ، والمناسبات الاستطرادية،ولو وضع للرد على النصارى كالكتب التي ذكر بعضها لرآه في نسقه وترتيبه وتسلسله و نظامه بحيث يغور فيه فكره فيقع في غور أو تيهور ، لايجد له منه مخرجا إلى يفاع يرى فيه النور ، الا أن يهتدي به الى الاسلام،وانما وضع الكتاب لاثبات الوحي المحمدي بالقرآن فشهد له نقاد الكتاب بأنه خير ما كتب فيه حجة ونظاما ، بل اضطر هو على نظره اليه بعين السخط من وراء زجاجة يسوعية سوداء أن يصفه أخيراً بما وصفه من السهولة وحسن التقسيم والرد على المسائل التي تجددت في هذا العصر ، وهو الذي حمله على الرد عليه

(٣)

(فساد الاخلاق والآداب الروحية ، على نسبة ارتقاء العلوم والافكار المادية)

خالفنا الكاتب الكاثوليكي الجزويتي في هذه الحقيقة التي بيناها في مقدمة كتاب الوحي فذهب إلى ان كفة ميزان الفضائل والآداب والخير في هذا العصر أرجح مما كانت عليه ، في جميع العصور السابقة في الشرق والغرب ، بفضل التمدن الاوربي !!!

ياسبحان الله ! أكاتب ينتمي إلى الديانة المسيحية يقول هذا ؟ ثم وانه قد كتبه ونشره في مجلة المشرق اليسوعية ؟ وما كان هذا ليخطر في قلب بشر

ان هذه الحقيقة التي بينتها بالاجمال ليست رأيا افتحرته افتحاراً من تلقاء نفسي ، وانما سبقني اليه حكماء أوربة وكتاب الغرب والشرق فنقلته مقتنعاً به.

وقول المنتقد اني أحكم به حكما عاما على جميع الشعوب هو صحيح في الجملة لا التفصيل، فأنا أحكم به على شعوب الافرنج أولا وبالذات،وعلى المفتونين بمدنيتهم المادية الاباحية من سائر شعوب العالم ، واني لأنعي على الافرنج انسلاخهم

من بقايا ما حفظه نظام التربية فيهم من الفضائل المسيحية ، لا جهلهم بالفضائل الاسلامية فقط .

وان أول حكم سجلته على أوربة في هذا الموضوع هو مارواه لنا شيخنا الاستاذ الامام عن شيخ فلاسفتها هربرت سبنسر الانكليزي من حكمه على قومه وعلى أوربة كلها ، ومثله من ينظر إلى لباب الحقائق الواقعة، ويتخذ منها القياس المنطقي على نتائجها المستقبلة

واني أنقل من الصفحة ٨٦٨ من تاريخ الاستاذ الامام نص مارواه لنا من حديثه مع الفيلسوف في مصطافه في (برايتون) من جنوب انكلترة في ١٠ أغسطس سنة ١٩٠٣ أي منذ ثلث قرن مشيراً إلى الفيلسوف بحرف (ف) وإلى الاستاذ الامام بحرف (م) وهو :

(ف) هل زرت انكلترة قبل هذه المرة ؟(م) نعم زرتها منذ عشرين سنة

(ف) كيف وجدت الفرق بين الانكليز اليوم والانكليز منذ عشرين سنة

(م) انى زرت هذه البلاد في المرة الاولى لغرض سياسي خاص وهو البحث مع رجال السياسة في مسألة مصر والسودان عقب الاحتلال البريطاني وأقمت أياما قليلة لم يتسع لي فيها ماجئت لاجله، وقد ألممت بها الآن منذ أيام فلم أدرس حالة الناس ... وانما يجب أن آخذ عنكم ذلك

(ف) ان الانكليز يرجعون القهقرى فهم الآن دون ما كانوا عليه منذ عشرين سنة

(م) فيم هذه القهقرى وما سببها ؟

(ف) يرجعون القهقرى في الاخلاق والفضيلة ،وسببه تقدم الافكار المادية التي أفسدت أخلاق اللاتين من قبلنا، ثم سرت إلينا عدواها، فهي تفسد أخلاق قومنا ، وهكذا سائر شعوب أوربة

(م) الرجاء في حكمة أمثالكم من الحكماء واجتهادهم أن ينصروا الحق والفضيلة على الافكار المادية

(ف) انه لا أمل لي في ذلك لان هذا التيار المادي لابد أن يأخذ مده غاية حده في أوربة : ان الحق عند أهل أوربة الآن للقوة

(م) هكذا يعتقد الشرقيون ، ومظاهر القوة هي التي حملت الشرقيين على تقليد الاوربيين فيما لا يفيد من غير تدقيق في معرفة منابعها

(ف) محي الحق من عقول أهل أوربة بالمرة وسترى الامم يختبط بعضها ببعض (ولعله ذكر الحرب) ليتبين أيها الاقوى ليسود العالم ، أو فيكون سلطان العالم اهـ

وقد كتب الاستاذ في مذكرته تعليقاً على هذا الحديث ونشرناه في ص ٧٥١ من مجلد المنار ١٨ ثم في ص ٨٦٩ من تاريخه وهو :

« ماذا حركت مني كلمة الفيلسوف « الحق للقوة » الخ ؟ جاءت منه مصحوبة بشعاع الدليل فأثارت حرارة وهاجت فكراً ، لو جاءت من ثرثار غيره كانت تأتي مقتولة ببرد التقليد ، فكانت (تكون) جيفة تعافها النفس فلا تحرك إلا اشمئزازاً وغثيانا

« هؤلاء الفلاسفة والعلماء الذين اكتشفوا كثيراً مما يفيد في راحة الانسان وتوفير راحته ، وتعزيز نعمته (أعجزهم) أن يكتشفوا طبيعة الانسان ويعرضوها على الانسان حتى يعرفها فيعود إليها ، هؤلاء الذين صقلوا المعادن حتى كان من الحديد (المظلم) اللامع المضيء ، أفلا يتيسر لهم أن يجلوا ذلك الصدأ الذي غشي الفطرة الانسانية ، ويصقلوا تلك النفوس حتى يعود لها لمعانها الروحاني ؟ حار الفيلسوف في حال أوربة وأظهر عجزه مع قوة العلم فأين الدواء ؟ الرجوع إلى الدين الخ الدين هو الذي كشف الطبيعة الانسانية وعرفها إلى أربابها في كل زمان لكنهم يعودون فيجهلونها » اهـ

ولقد رأى أهل البصيرة بعد الحرب الاوربية الكبرى ما رآه شيخ الفلاسفة قبلها، كما سمعنا بآذاننا فيها، ثم ما صرنا نقرؤه عنها إلى أن بلغ في هاتين السنتين درجة الخطر عليها من استعداد جميع دولها للحرب الآتية الحالقة الساحقة الماحقة، ومن انغماس شعوبها في حمأة الاباحة وانحلال عرى الزوجية المقدسة فيها، ولا أقول وعبادة المال، فان الجزويت أشد إسرافا وغلواً في عبادة المال من اليهود وغيرهم من الرأسماليين ،

وعندي قانونهم السري في ذلك، فهو مما يخالفون فيه وصايا الانجيل بقاعدتهم «الغاية تبرر الواسطة» وأما إباحة أعراض النساء بالسفاح واتخاذ الاخدان وما يسمى الرقيق الابيض، وإباحة هذه الضراوة بالحرب بهذه الدركة من الغلو المنذر للشعوب بالهلاك الذريع الذي تنقله البرقيات عن أوربة كل يوم، فما كنت أظن انه مما يدخل في عموم تلك القاعدة عندهم

أين الدين في أوربة وهذه أكبر دولة فيها (الروسية) تبذل كل قواها في محوه من بلادها الواسعة بل من جميع الارض، ودعايتها قد تغلغلت في سائر شعوبها الغربية، ولولا النظام العسكري الخاضع لحكوماتها المالية خضوع العبيد، بل المستعمل بأيديها كاستعمال آلات الحديد، لقضي عليها كلها، وها هي ذي فرنسة تتفق معها لأجل التعاون على الحرب القاضية التي تستعد لها ؟

أين الدين في أوربة وهذه الدولة الجرمانية التي تلي الروسية في كبرها وعظمتها وتفوقها في علومها وفنونها، تبتدع في مسيحيتها على علاتها فيها ما تراه الكنيسة الكاثوليكية وثنية محضاً، وهي لا تزال في أول حجلها في مرقصها هذا ؟

بل أين النصرانية في أوربة وقد صرح بعض أساقفة انكلترة بأن المسيح ليس أبا ولا إلها، واستفتي الشعب في اعتقاده بعصمة الكتب المقدسة فأفتى الالوف بعدم عصمتها، كما نشرنا ذلك في المنار

ظن الكاتب أنني أشكو من ضعف الدين الاسلامي فأجمل الشكوى عامة!

كلا، إن الدين الاسلامي يجدد هدايته وعلمه ونوره في كل قطر من أقطار الارض، وإنما يعارضه فساد أوربة الاباحي المادي، وظلمها الاستعماري، ولكنهما سيزيدانه حياة وقوة، ونورا وظهورا، كما يزيدان الاباحيين الظالمين خزيا وضعفا، حتى اذا ما بلغ فسادها غايته في شعوبها علمت هذه الشعوب أنه لا منقذ لها غير الاهتداء به، لانه هو الدين الوحيد الوسط بين أطراف الغلو من إفراط وتفريط في العقل والوجدان ومصالح الروح والجسد وأنه الحلال لمشاكل الاجتماع المالية والحربية والنسائية الموصل لسعادة الدنيا والآخرة، كما بيناه في (كتاب الوحي المحمدي)

(للرد بقية)

العبرة بسيرة الملك فيصل

(رحمه الله تعالى)

(٧)

المؤتمر والملك والحكومة

ان الرأي الذي كان مستقراً في ذهن الملك فيصل ان ينفض المؤتمر السوري بعد اعلانه الاستقلال ، وأن تؤلف لجنة تضع مشروع القانون الاساسي وقانون انتخاب المجلس النيابي ، وبعد إتمامها تشرع البلاد في انتخاب النواب ، ولكن إخواننا أعضاء حزب الاستقلال العاملين لم يوافقوه على هذا الرأي ، بل أجمعوا على بقاء المؤتمر وقيامه بعمله إلى أن يتمه وينتخب المجلس النيابي ويجتمع ، وما كان فيصل ليخالفهم فيما يتفقون عليه ، بل كان يوالي أفراد الاذكياء منهم الذين يكثرون لقاءه في أمور يتعارضون فيها كالعصابات

فكان من ذلك وقوع ما ساء صديقته انكلترة في فلسطين فوق ما يسوء فرنسة في سورية ولبنان ، على كونه متفقا مع حكومة فرنسة على قواعد علاقته معها في سورية وما عاد من باريس إلى سورية إلا ليحمل منها التفويض الذي يخوله حق امضائها كما تقدم ، وقد قبل إعلان الاستقلال والمبايعة معتقداً انه يكون أقدر على الاتفاق معها - وهو ملك - فكان مصرا على رأيه في العودة الى فرنسة بعد إرضاء أهل الرأي بذلك وكان رأيي ورأي الشيخ كامل قصاب تقييده في ذلك بما لا يرضيه وسأعود الى الكلام في هذه المسألة

تقرر بقاء المؤتمر وأن يتولى وضع القانون الاساسي للدولة السورية وكان أول اختلاف في الرأي حدث بيني وبين الملك فيصل وحكومته ان المؤتمر قرر ان تقدم له الوزارة بيانا بالسياسة التي تجري عليها وتطلب منه اعتمادها ، فعرض رئيسها علي رضا باشا الركابي الامر على جلالته فغضب وقال انه ليس للمؤتمر حق في هذا الطلب وإنه لا يأذن للحكومة أن تكون تحت سيطرة مؤتمر أكثر أعضائه شبان أغرار لا رأي لهم ولا شأن

ورأيت ان المؤتمر مصر على تنفيذ قراره ، وان الملك مصر على رفضه ، وان هذا أول شقاق في حكومتنا الجديدة يجب تلافيه لما يخشى من قبح أحدوثته ، وسوء عاقبته ، فزرت جلالته زيارة خاصة لأجل اقناعه بذلك فكان أول ماحدثني به : مارأيك فيما قرره المؤتمر في مسألة الوزارة ؟

قلت فوجئنا بهذا الاقتراح في الجلسة مفاجأة فكرهته لان مثله يجب التمهيد له بالبحث وإجالة قداح الرأي فيه فانه ذو وجهين : إما جعل الوزارة مستبدة لا يحاسبها على عملها محاسب في حكومة جديدة ليس لها تقاليد راسخة ، وإما سيطرة مجلس كمؤتمرنا أكثر أعضائه من الشبان الاغرار الذين تغلب عليهم الحماسة وحكم الشعور ، وكنت أميل إلى تأجيل الاقتراح لاجل تمحيص حزبنا له فلم أوفق لذلك لأن الأكثرين قبلوه بمنتهى الارتياح ، وحسبوه من الضروريات ، وامتنعت من التصويت له بدون بحث سابق حتى ان بعضهم أمسكوا بيدي عند أخذ الرأي لاجل رفعها فأبيت .

قال وما رأيك فيه الآن ؟

قلت رأيي انه لا يمكن الرجوع عنه بعد وقوعه فلا بد من تنفيذه

قال أنا لا أقبل ان أعطي هذه السلطة لهذا المؤتمر ، انه ليس بمجلس نيابي .

قلت بل هو أكبر من مجلس نيابي (وفي هذه الاثناء كان قد حضر احسان بك الجابري رئيس الامناء له فقال وهو واقف ان هذا المؤتمر يامولاي جمعية تأسيسية) .

قال الملك : إنه لا شأن له وانا الذي أوجدته

قلت حينئذ : بل هو الذي أوجدك ، انك كنت قبله قائد جيش الشرق التابع للورد اللنبي القائد العام للجيش الانكليزي فجعلك هذا المؤتمر ملكا لسورية وانا لا ننكر ان لك فضلا عظيما بمساعدة حزب الاستقلال العربي على جمع المؤتمر ولكن المؤتمر قد اجتمع وأثبت أنه ممثل للشعب السوري وموضع ثقته ، وأيده زعماء البلاد من علماء الدين والرؤساء الروحيين والزعماء والوجهاء ، ونيط به اعلان استقلال سورية الطبيعية التام المطلق وجعلها حكومة ملكية نيابية ، وشرع في وضع قانون أساسي لها بموجبه يكون لها مجلس نيابي منتخب .

فهو الآن مجلس تأسيسي تشريعي يجب ان يكون له الاشراف على هذه الحكومة إلى ان يتم عمله ، ويكون للبلاد مجلس نيابي يحل محله . فهل يصح أن يغمط حقه وان يقع الشقاق بينه وبين الحكومة من أول وهلة ، فنكون مضغة في الافواه ، وحجة للاجانب على أنفسنا بأننا لا نصلح للاستقلال ؟ هذا مالا ترضاه يامولاي

بعد هذا قنع جلالته وأذن لرئيس الوزارة علي رضا باشا الركابي بكتابة البيان المطلوب وإلقائه في المؤتمر ففعل

تنظيم قوى للعشائر والقبائل السورية

ذكرت في النبذة السادسة من هذه الترجمة أنني اقترحت على الاخوان وجوب إعلان استقلال سورية ليكون الحلفاء أو الانكليز والفرنسيس فيها أمام مايسمونه (بالامر الواقع) في وقت كانوا لايزالون فيه مختلفين في تقسيم البلاد العربية وتحديد نصيب كل منهم فيها

وكنت أعتقد انه اذا لم يكن للبلاد قوة دفاع تعتمد عليها في حفظ الاستقلال فانه لايكون لهذا الامر الواقع قيمة عندهم ، ولا يحسبون لاهلها أدنى حساب في أمرهم ، وأن من المتعذر أن تؤسس البلاد قوة عسكرية يؤبه لها في الدفاع عنها ، وانما غاية الممكن من هذه الناحية أن تكون لها قوة تكفي لحفظ الامن الداخلي وتنفيذ النظام فيها، وتكميل مظهر الدولة ، وأبهة الملك في نظر دهماء الامة

وأما الدفاع الممكن للاعتداء الخارجي الذي يعتد به فهو مايسمى الوطني أو الاهلي وهو يتوقف على تنظيم جميع قوى القبائل والعشائر المنتشرة فيها من الصحراء إلى ساحل البحر

فأما قبائل اعراب البادية من هؤلاء فكلهم مسلحون ، ولكن بأسهم بينهم شديد فهم لاينفكون يتقاتلون لأدنى الاسباب، وليس لهم مرجع وحدة ولا وازع قوة في وردهم وصدرهم ، وكان من الممكن أن يفيئوا الى وازع الحكومة السورية المستقلة ويدينوا لملكها ، وقد رأينا شيوخهم قبل الاستقلال وبعده يكثرون الاختلاف إلى باب الامير فالملك فيصل ولا سيما الشيخ نوري الشعلان وهو شيخ قبائل الرولة أقوى قبائل صحراء الشام وأعزهم نفراً

وأما العشائر المقيمون في داخل البلاد وأكثرهم متحضرة فلا تجمعهم عقيدة ولا نسب، ولا رابطة ترببة ولا مصلحة، ولكنهم أدنى إلى النظام وطاعة الحكومة الوطنية من أعراب البادية. ومنهم الدروز والنصيرية من باطنية الشيعة، والدنادشة والجراكمة من مذاهب السنة، ويمكن توجيههم كلهم إلى دفع العدوان الاجنبي عن وطنهم المشترك، ويكون سائر الاهالي عونا ومددا لهم

اقترحت على جلالة الملك فيصل وضع نظام لقوة كل قبيلة وكل عشيرة في موضعها يقرر فيه ما يحتاج كل منها من السلاح والذخيرة والنفقة لتشكيل العصابات عند الحاجة إلى الدفاع وجعلها تابعة لهيئة من الضباط السوريين أركان الحرب وتخصيص مبلغ من المال لذلك، وما كان هذا المبلغ لعزيد في أول الامر عما كان يبذله في سبيل العصابات السرية التي كان ضرها اكبر من نفعها، فاستحسن المشروع كما كان يستحسن غيره مما يعرض عليه، ولكنه لم يعطه حقه من الاكبار والاهتمام، والسبب الخفي لهذا انه كان يعتقد أن مستقبل سورية رهين بالاتفاق مع فرنسة على الوجه الذي تقرر بينه وبين وزيرها كليمنصو، وأحالني فيه على رئيس الوزارة صديقي علي رضا باشا الركابي فكان رجائي في إكباره له أكبر من رجائي في الملك الذي كنت راضيا منه بقبوله، فأظهر الوزير لي من الاستحسان ما كنت أحب، ولكنه كان يسوف في تنفيذه بكثرة الشواغل بتأسيس الحكومة والخلاف بينها وبين المؤتمر حتى انتهى ذلك

كنت أكلم كلا من جلالة الملك ودولة الوزير في ذلك منفردا فيعد، حتى اذا التقيت بهما مجتمعين رجوت الملك أن يصدر أمره الرسمي للوزير بتنفيذه فأمر، فسألت الوزير بعد أيام عما فعل، فقال انه قرر تخصيص مبلغ شهري قدره خمسة وعشرون جنيهاً ليكون راتبا لمدير المكتب الذي ينظر في تنفيذ المشروع

فساءني هذا الجواب وقلت له إن الامر أكبر من هذا المكتب ومديره وراتب مديره، إنه يجب أولا ان تؤلف له لجنة من أعلى الضباط الوطنيين معرفة وهمة لينظروا في المشروع مع بعض أهل الرأي، ويجب عليهم أن يدرسوا كل ما كتب في اللغة التركية واللغات الاجنبية في نظام العصابات البلقانية وعشائر الافغان التي

نظمها الامير عبد الرحمن خان وغيرها ، ليضعوا نظامهم في ضوء ساطع ويقدروا له الميزانية الموقتة للتنظيم ، والمال الاحتياطي الذي يتوقف عليه العمل اذا هوجمت البلاد ، واقتضت الحال اضرام نار الدفاع في جميع الاغوار والانجاد ، ولا أعتقد ان المشروع سينفذ إلا اذا ألفت هذه اللجنة وحضرت جلساتها بنفسي ، فوعد بالنظر في ذلك ولكنه لم ينظر ، فعلمت انه يرضيني بالكلام ، ويجعل راتب الادارة الجديدة معاشا لأحد صنائعه ، فزال ما كان عندي من الامل فيه ، وهو كل ما كنت أرجوه منه .

والظاهر أنه لم يكن يعتقد بضرورته أو بفائدته،ولكن الثورة السورية التي حدثت بعد قد أثبتت لنا ان هذا المشروع لو تم لنلنا به ما نريد

اسقاط وزارة علي رضا باشا الركابي

ثم كان من سيرة الركابي باشا ان سخط الملك فيصل عليه من ناحية وسخط عليه أكثر رجال حزب الاستقلال العربي من ناحية أخرى ،وعزم الملك على اسقاط وزارته وقد كتبت في مذكرتي يوم الاحد ٦ شعبان ٢٥ ابريل (نيسان) مانصه:

اشتد سخط الملك فيصل من هذا الوزير لسوء تصرفه ولما أحدثه من الشقاق في حزب الاستقلال العربي وجمعيته ، وعزم على إسقاط وزارته لاخراجه وبعض وزرائها الضعاف الرأي والعزيمة ،فأمر بتأليف لجنة سرية للنظر في تأليف وزارة جديدة ، والركابي لايزال يجاملني ويبالغ في احترامي،وأسوأ ماساءني منه مراوغته في مشروعي الاهم وهو تأليف إدارة للعشائر والقبائل وليس لي غرض شخصي أرجوه منه اه

وكتبت في يوم الاثنين ٧ شعبان ٢٦ ابريل في هذا الموضوع :

سمرنا البارحة عند احسان بك الجابري مع الملك فيصل سمراً مفيداً لاينسى، السمار القليل (أعني الملك) وساطع (بك الحصري) وهاشم (بك الاتاسي) وعزت (دروزه) وعثمان (سلطان) وسعدالله (الجابري) وصاحب الدار (إحسان بك) وقد تحقق زوال ثقة الملك بوزارة الركابي اه

وأقول الآن : كان موضوع ذلك السمر بيان حال وزارة الركابي وما يشكى منها وما يجب من استبدال غيرها بها وما يجب مراعاته في ذلك، وإذ كانت الجلسة سرية لم أكتب شيئاً عما دار فيها ولا فيما بعدها لئلا تسقط مذكرتي مني أو تسرق كما سرق دفتر مذكرات الملك فيطلع أحد عليها ، وإنما كنت أذكر أسماء السامرين وأعبر عن الملك بالقيل (بفتح فسكون)

وقد سمرنا الليلة التي بعدها في دار ساطع بك الحصري وكان في السمار زيادة عمن ذكرت من حاضري ما قبلها ، عبد الرحمن بك اليوسف ، ويوسف بك العظمة، ويحيى بك حياتي الضابط المشهور، ولم يحضرها جلالة الملك، وقد اقترحت في جلسة بعدها عند احسان بك أن يدخل في الوزارة الجديدة ، الدكتور عبد الرحمن شهبندر ، واستحسنت ان يكون يوسف بك رئيساً لها اذا كنا نريد ان تكون وزارة دفاع قوية - وكان قد رشح بالاتفاق - فقال الملك انه يحب يوسف بك ويثق به، ولكنه لا يرى ان يكون رئيساً للوزارة في سنه هذه فيكفي أن يكون وزيراً للحربية

تشكيل هاشم بك للوزارة وانتخابي لرياسة المؤتمر

ولم يبد الملك لنا رأيه في الرئيس حتى اذا ما انتهينا من رأينا في الاعضاء فاجأنا باصدار أمره الرسمي لصديقنا هاشم بك الاتاسي بتشكيل الوزارة ففعل ، واعتقدنا ان المرجح له عنده رويته وأناته تجاه حماسة العظمة وشهبندر ، وما يرجو من مواناته له ، وعين الدكتور عبد الرحمن شهبندر وزيراً للخارجية ، ويوسف بك العظمة وزيراً للحربية ، فكان كل منهما أشد مواتاة لجلالته من هاشم بك

كان رضا بك الصلح وزير الداخلية في وزارة الركابي أقدم أصدقائي فيها، توثقت عرى الصداقة بيني وبينه في الآستانة سنة ١٣١٢ (١٩٠٩) فلهذا وما له من المكانة في بيروت ساءني أن يظن أن خروجه كان برأيي ، فالحق انني لم أقترح اخراجه وما يمكنني أن أدافع عنه ولا عن علي رضا باشا الركابي

وقد ترتب على تشكيل هاشم بك الاتاسي للوزارة أن انتخبني المؤتمر السوري رئيساً له في ١٦ شعبان ٥ مايو (للترجمة بقية)

التنازع والتخاصم

« بين علماء الدين المجددين ، والجامدين الرسميين »

الاستاذ الشيخ ناجي أديب ، عالم كاتب أديب خطيب ، نشأ في مدينة اللاذقية من سورية ، وتخرج في الجامع الازهر ، وتأدب فيه بأدب الاستاذ الامام المصلح الاكبر ، وغذي بأفكاره ، واقتبس من أنواره ، ثم كان أستاذا في بعض مدارس التجهيز ومعهد الحقوق في دمشق ، ولما عقد المؤتمر السوري العام الذي أعلن استقلال سورية (سنة ١٣٣٩ و ١٩٢٠ م) كان عضواً منتخبا فيه عن بلده ، وهو لا يزال يدعو إلى الاصلاح الديني والاجتماعي بلسانه وقلمه

وقد كتب في رمضان (سنة ١٣٥١) مقالات وعظية نشرها في جريدة (ألف باء) الدمشقية المشهورة فاقترح عليه بعض الذين انتفعوا بها أن يطبعها في كتاب مستقل لتعميم نفعها فاستجاب لهم ، وزاد على تلك المقالات فصولا من كتاب له مخطوط سماه (التهذيب الاسلامي) نال قصب السبق في مباراة كتب أخرى في موضوعه في المجلس الاسلامي الاعلى بالقدس ، ثم صدر الكتاب الجديد في جمادى الاولى سنة ١٣٥٢ باسم (حديث رمضان ، دين وأدب ، وأخلاق ونقد ، وأصول واجتماع)

تقبله الناس بقبول حسن ، فرفع ذكره ، وطاب نشره ، فهاج ذلك حسد علماء بلده الرسميين فتصدوا لمعارضته والصد عنه بالطعن بأصلات ألسنتهم ، وأسنة أقلامهم ، لا يسين لقتاله لبوس ألقابهم الرسمية : مدرس جامع كذا ، مدرس جامع كذا ، فقد جاءتنا نشرة مطبوعة أحصوا فيها ما أنكروه عليه ، وأجازه لهم وأقره لهم مثنيا عليهم (مفتي اللاذقية : مصطفى أديب محمودي)

كان الكتاب قد أهدي إليّ فلم أفرغ للنظر فيه لكثرة الشواغل العائقة عن مطالعة كتب الهدايا الكثيرة ، وقد عرفت صاحبه في الجامع الازهر ثم في دمشق ، وانه من خيار علماء سورية المجددين في هذا العصر ، فلما رأيت ما نبزوه واتهموه به علمت انه من باب التنازع بين المجددين والجامدين ، وعهدي بمن هم أشهر منهم بالعلم من أمثالهم في مصر أنهم لا يوثق بعلمهم ، ولا بصدقهم في روايتهم ونقلهم ،

وانما يعتزون بتصديق العوام لهم وثقتهم بهم ، ويعتزون بمحافظتهم على أزيائهم القديمة التي تجذب هؤلاء العوام الى تقبيل أيديهم

واني وأيم الله ليحزنني أن يجنوا على أنفسهم بما يضيع كرامتهم، وهم لا يشعرون بما هم صائرون إليه، وأتمنى لو يتفقون والمجددين ويتناصحون فيما بينهم، ويردون مايختلفون فيه إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ عملا بقوله عز وجل (فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا)

واني على علمي بما ذكرت لم أستبح لنفسي ان أكتب هذا إلا وكتاب حديث رمضان أمامي ، ونشرة انكارهم في يدي، أراجع مااتهموه به مستبعداً صدوره عنه ، عالما أنه غير معصوم من مثله ، فاذا بي أرى في إنكارهم كذبا مفترى ، وتحريفا معيباً، وحقا جعل باطلا ، وكلاما محتملا فسر بالرأي والهوى، وسأفصل ما أجملت في جزء آخر إن شاء الله تعالى

﴿ تحسين الاغاني والاناشيد العربية لترقية الشعور القومي والخلق ﴾

دعت جمعية الشبان المسلمين من اختارت من (الشعراء والمطربين والملحنين) في مصر وطائفة أخرى من أهل العلم والادب إلى حفلة شاي نصبت موائدها لهم في مساء الجمعة ١٢ صفر (٢٥ مايو) فلبى أكثرهم الدعوة ، وبعد شرب الشاي وتناول مايتصل به من الحلوى والفاكهة وقف صاحب السعادة عثمان باشا مرتضى فرحب بالحاضرين وشرح لهم ماتقترحه عليهم الجمعية من تعاون الشعراء والمطربين (المغنين) والملحنين على خدمة الوطن المصري والادب العربي بما سمته « تحسين الاغاني والاناشيد » الخ « ووضع الخطة العملية لتنفيذ هذه الفكرة في أقرب وقت » كما رأوا في رقاع الدعوة ، فشكروا للجمعية هذا المشروع وتلقوه بالقبول، وتبارى خطباؤهم في بيان فوائده في ترقي الاقوام ، وضربوا لذلك الامثال، فذكروا الافرنج والعرب في جاهليتها وإسلامها وحضارتها الزاهرة ، وخطتها في هذه القرون الاخيرة التي هبطت فيها الآداب والاخلاق إلى الدرك الاسفل وانحصرت فيها الاغاني القومية المصرية في الخلاعة والمجون ولاسيما أغاني النساء فكانت من مفسدات الاخلاق والآداب

وأبى أحد الخطباء الا أن يعرض في شواهده لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فذكر في فضل الاناشيد وشرعيتها احتفال الانصار بقدوم النبي ﷺ عليهم يوم الهجرة بقولهم : طلع البدر علينا من ثنيات الوداع الخ

وقوله ﷺ وهو الذي حماه الله من الشعر حين جرحت أصبعه أو دميت من حجر في إحدى الغزوات :

هل أنت الا أصبع دَميت وفي سبيل الله مالقيت

فهذا البيت من الرجز أبلغ ما يقال في موضوعه وأعمقه تأثيرا وهو يصلح أن يبني عليه نشيد في التحريض على الجهاد واستصغار الآلام في سبيل عظائم الاعمال

قال كلاما في هذا المعنى ثم صعد مرتقيا الى ما هو فوق هذا فذكر أن القرآن نظم ذو فواصل كقوافي الشعر قابل للتلحين والتغني لم يكن له ذلك التأثير العظيم في قلوب العرب و الانقلاب العظيم فيهم الا بتلاوته بالتلحين الخاص به

نقلت هذا الكلام بفحواه لا بلفظه ، فأما البيت فقد نقل ابن هشام أنه للوليد بن المغيرة وصحح الحافظ ابن الجوزي أنه لعبد الله بن رواحة وقد تمثل به ﷺ قولا لا إنشاداً فسكن تاء قافيته . وأما القرآن فقد كان كلام الخطيب أدنى الى تشبيهه بالشعر مما صورته به آنفا ، والواجب في التفرقة بينهما أن يكون أبعد شأوا وأسمى مرتقى مما قلت ، وقد بينت معنى قابلية القرآن للترتيل الغنائي في كتاب الوحي المحمدي بما لو رآه الخطيب الاديب لبين هذا المعنى منزها للقرآن ، بما هو أدق مما نقلته عنه هنا ، وكان خطر في بالي في الجلسة أن أتعقبه فأمسكت لئلا أنطلق في الكلام بما يفسره هو بلازمه غير البين فيظن أني أريد لمزه والنيل منه

هذا واني أسررت الى الاستاذ يحيى الدرديري أن يقترح على الشعراء أن يبدأوا بوضع أغاني وأناشيد لحفلات الاعراس وغيرها يضمنونها تعظيم أمر العفة وعزة النفس والشرف وكرامة الامة ويلقونها الى الملحنين فيلقنونها الى المغنين ، فينسخون بها تلك الاغاني (والطقاطيق) المجونية ، فقال الاولى أن تقترح أنت هذا فاعتذرت ، فألقاها الى رئيس الجلسة وانصرفت . وقد سبق لي مثل هذا الاقتراح على عبده أفندي الحمولي أشهر مطربي عصره في مصر منذ ٣٥ سنة

فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب





قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صُوى «ومنارا» كمنار الطريق

٣٠ ربيع الأول سنة ١٣٥٣ برج السرطان سنة ١٣١٢ هـ ش يوليو سنة ١٩٣٤

فتاوى المنار

(س ١١ - ١٣) أسئلة من صاحب الامضاء في بيروت (قال بعد الديباجة)

(١و٢) هل هذان الحديثان الآتيان صحيحان معتمدان غير منسوخين يجوز العمل بهما أم لا ؟ وما معناهما ؟ وهما (١) «من غشنا فليس منا» وفي رواية أخرى «من غش فليس منا» (٢) «دعاء المرء المسلم مستجاب لاخيه بظهر الغيب» وهل هذا الحديث الاخير يؤخذ منه وصول إهداء ثواب قراءة القرآن الكريم إلى الاموات باعتبار ان قراءة القرآن الكريم عبادة ودعاء أم لا ؟

(٣) هل يجوز للرجال والنساء أن يذهبوا إلى المسارح العمومية أو غيرها لاجل أن يسمعوا ويروا الصور المتحركة «السينما» الناطقة أو غيرها وهي لا تخلو من الصور العارية والغناء والرقص والتقبيل والضم وغيره أم لا ؟ عدنان البربير

ناظر مدرسة عثمان ذي النورين لجمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت

(جواب المنار)

(١١) حديث «من غشنا فليس منا . ومن غش فليس منا» صحيح رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة مرفوعا وفيه زيادة وله ألفاظ أخرى عنده وعند غيره ، ومعناه ظاهر والغش بأنواعه المادية والمعنوية من المحرمات التي لا تقبل النسخ

(١٢) حديث «دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة» صحيح رواه أحمد ومسلم وابن ماجه عن أبي الدرداء (رض) وله تتمة «عند رأسه ملك موكل به كلما دعا لأخيه بخير قال الملك آمين ولك بمثل ذلك» وهذا خبر عن أمر غيبي والاخبار لا تنسخ وهو لا يدل على ان إهداء ثواب قراءة القرآن إلى الاموات أو غيرهم مشروعة ولا انها تصل اليهم ، وانما ثواب القراءة للقارىء اذا كان مخلصاً ، وكذا الدعاء ، ولكن الدعاء للغير مشروع ونافع وإن كان ثوابه للداعي كما بيناه من قبل في التفسير وفي الفتاوى

(١٣) لا يجوز للمؤمن أن يتعمد مشاهدة المنكرات الشرعية ولا سماعها في المسارح ولا في غيرها ، ورؤية الصور العارية غير محرمة لذاتها كرؤية الناس المرآة ولكن تصوير الشخوص والاعمال التي تمثل المعاصي ويجرىء عليها منكر ورؤيتها منكرة كرؤية العورات والخلوة بالاجنبيات من باب سد ذرائع الفساد

معاهدة الطائف(*)

بين
﴿ المملكة العربية السعودية ، والمملكة اليمانية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

نحن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية

بما أنه قد عقدت بيننا وبين حضرة صاحب الجلالة الملك الامام يحيى بن محمد حميد الدين ملك المملكة اليمانية معاهدة صداقة اسلامية وأخوة عربية لانهاء حالة الحرب الواقعة لسوء الحظ بيننا وبين جلالته ، ولتأسيس علاقات الصداقة الاسلامية بين بلادينا ، ووقعها مندوب مفوض من قبلنا ومندوب مفوض من قبل جلالته ، وكلاهما حائزان للصلاحية التامة المتقابلة ، وذلك في مدينة جدة في اليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والالف ، وهي مدرجة مع عهد التحكيم والكتب الملحقة بها فيما يلي :

معاهدة صداقة اسلامية وأخوة عربية
﴿ بين المملكة العربية السعودية ، وبين المملكة اليمانية ﴾

حضرة صاحب الجلالة الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية من جهة

وحضرة صاحب الجلالة الامام يحيى بن محمد حميد الدين ملك اليمن من جهة أخرى

(*) ننشر هذه المعاهدة العظيمة الشأن بنصها ، وننشر في هذا الجزء مقالا خاصا في عظمة شأنها في هذا العهد وفيما يأتي بعده من تاريخ الاسلام والعرب .

رغبة منهما في إنهاء حالة الحرب التي كانت قائمة لسوء الحظ فيما بينهما وبين حكومتيهما وشعبيهما ورغبة في جمع كلمة الامة الاسلامية العربية ورفع شأنهما ، وحفظ كرامتها واستقلالها

ونظراً لضرورة تأسيس علاقات عهدية ثابتة بينهما وبين حكومتيهما وبلاديهما على أساس المنافع المشتركة والمصالح المتبادلة .

وحبا في تثبيت الحدود بين بلاديهما وإنشاء علاقات حسن الجوار وروابط الصداقة الإسلامية فيما بينهما وتقوية دعائم السلم والسكينة بين بلاديهما وشعبيهما

ورغبة في أن يكونا عضداً واحداً أمام الملمات الفاجئة، وبنياناً متراصاً للمحافظة على سلامة الجزيرة العربية ـ قررا عقد معاهدة صداقة اسلامية ، وأخوة عربية فيما بينهما ، وانتدبا لذلك الغرض مندوبين مفوضين عنهما وهما :

عن حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية حضرة صاحب السمو الملكي الامير خالد بن عبد العزيز نجل جلالته ونائب رئيس مجلس الوكلاء

وعن حضرة صاحب الجلالة ملك اليمن حضرة صاحب السيادة السيد عبدالله ابن أحمد الوزير

وقد منح جلالة الملكين لمندوبيهما الآتي الذكر الصلاحية التامة والتفويض المطلق . وبعد أن اطلع المندوبان المذكوران على أوراق التفويض التي بيد كل منهما فوجداها موافقة للاصول قررا باسم ملكيهما الاتفاق على المواد الآتية :

(المادة الاولى)

تنتهي حالة الحرب القائمة بين المملكة العربية السعودية ومملكة اليمن بمجرد التوقيع على هذه المعاهدة وتنشأ فوراً بين جلالة الملكين وبلاديهما وشعبيهما حالة سلم دائم ، وصداقة وطيدة ، وأخوة إسلامية عربية دائمة، لا يمكن الاخلال بهما جميعها أو بعضها، ويتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بأن يحلا بروح الود والصداقة جميع المنازعات والاختلافات التي قد تقع بينهما، وبأن يسود علاقتهما روح الاخاء الاسلامي العربي في سائر المواقف والحالات ، ويشهدان الله على حسن نواياهما

ورغبتهما الصادقة في الوفاق والاتفاق سراً وعلناً، ونرجو أن منه سبحانه وتعالى أن يوفقهما وخلفاءهما وورثاءهما وحكومتيهما إلى السير على هذه الخطة القويمة، التي فيها رضاء الخالق وعز قومهما ودينهما .

(المادة الثانية)

يعترف كل من الفريقين الساميين المتعاقدين للآخر باستقلال كل من المملكتين استقلالا تاماً مطلقاً وبملكيته عليها، فيعترف حضرة صاحب الجلالة الامام عبد العزيز ابن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية لحضرة صاحب الجلالة الامام يحيى ولخلفائه الشرعيين باستقلال مملكة اليمن استقلالا تاما مطلقاً وبالملكية على مملكة اليمن . ويعترف حضرة صاحب الجلالة الامام يحيى بن محمد حميد الدين ملك اليمن لحضرة صاحب الجلالة الامام عبد العزيز ولخلفائه الشرعيين باستقلال المملكة العربية السعودية استقلالا تاما مطلقاً وبالملكية على المملكة العربية السعودية . ويسقط كل منهما أي حق يدعيه في قسم أو أقسام من بلاد الآخر خارج الحدود القطعية المبينة في صلب هذه المعاهدة .

ان جلالة الامام الملك عبد العزيز يتنازل بهذه المعاهدة عن أي حق يدعيه من حماية أو احتلال أو غيرهما في البلاد التي هي بموجب هذه المعاهدة تابعة لليمن من البلاد التي كانت بيد الادارسة وغيرها . كما أن جلالة الامام الملك يحيى يتنازل بهذه المعاهدة عن أي حق يدعيه باسم الوحدة اليمانية أو غيرها في البلاد التي هي بموجب هذه المعاهدة تابعة للمملكة العربية السعودية من البلاد التي كانت بيد الادارسة أو آل عائض أو في نجران وبلاد يام

(المادة الثالثة)

يتفق الفريقان الساميان المتعاقدان على الطريقة التي تكون بها الصلات والمراجعات بما فيه حفظ مصالح الطرفين وبما لا ضرر فيه على أيهما على أن لا يكون ما يمنحه أحد الفريقين الساميين المتعاقدين للآخر أقل مما يمنحه لفريق ثالث . ولا يوجب هذا على أي الفريقين أن يمنح الآخر أكثر مما يقابله بمثله .

(المادة الرابعة)

خط الحدود الذي يفصل بين بلاد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين موضح بالتفصيل الكافي فيما يلي ويعتبر هذا الخط حداً فاصلا قطعيا بين البلاد التي تخضع لكل منهما :

يبدأ خط الحدود بين المملكتين اعتباراً من النقطة الفاصلة بين ميدي والموسم على ساحل البحر الاحمر إلى جبال تهامة في الجهة الشرقية ثم يرجع شمالا إلى أن ينتهي إلى الحدود الغربية الشمالية التي بين بني جماعة ومن يقابلهم من جهة الغرب والشمال ثم ينحرف إلى جهة الشرق إلى أن ينتهي إلى ما بين حدود نقعة ووعار التابعتين لقبيلة وائلة وبين حدود يام ثم ينحرف إلى أن يبلغ مضيق مروان وعقبة رفادة ثم ينحرف إلى جهة الشرق حتى ينتهي من جهة الشرق إلى أطراف الحدود بين من عدايام من همدان بن زيد وائلي وغيره وبين يام: فكل ما عن يمين الخط المذكور الصاعد من النقطة المذكورة التي على ساحل البحر إلى منتهى الحدود في جميع جهات الجبال المذكورة فهو من المملكة اليمانية وكل ماهو عن يسار الخط المذكور فهو من المملكة العربية السعودية ، فما هو في جهة اليمين المذكورة هو ميدي وحرض وبعض قبيلة الحرث والمير وجبال الظاهر وشذا والضيعة وبعض العبادل وجميع بلاد وجبال رازح ومنبه مع عرو آل امشيخ وجميع بلاد وجبال بني جماعة وسحار الشام بياد وما يليها ومحل مريصفة من سحار الشام وعموم سحار ونقعة ووعار وعموم وائلة وكذا الفرع مع عقبة نهوقة وعموم من عدايام ووادعة ظهران من همدان بن زيد هؤلاء المذكورون وبلادهم بحدودها المعلومة وكل ماهو بين الجهات المذكورة وما يليها مما لم يذكر اسمه مما كان مرتبطا ارتباطا فعليا أو تحت ثبوت يد المملكة اليمانية قبل سنة ١٣٥٢ كل ذلك هو في جهة اليمين فهو من المملكة اليمانية. وما هو في جهة اليسار المذكورة وهو الموسم ووعلان وأكثر الحرث والخوبة والجابري وأكثر العبادل وجميع فيفا وبني مالك وبني حريص وآل تليد وقحطان وظهران وادعة وجميع

وادعة ظهران مع مضيق مروان وعقبة رفادة وما خلفهما من جهة الشرق والشمال من يام ونجران والحضن وزور وادعة وسائر من هو في نجران من وائلة وكل ماهو تحت عقبة نهوقة إلى أطراف نجران ويام من جهة الشرق هؤلاء المذكورون وبلادهم بحدودها المعلومة وكل ماهو بين الجهات المذكورة وما يليها مما لم يذكر اسمه مما كان مرتبطا ارتباطا فعليا أو تحت ثبوت يد المملكة العربية السعودية قبل سنة ١٣٥٢ كل ذلك هو في جهة يسار الخط المذكور فهو من المملكة العربية السعودية وما ذكر من يام ونجران والحضن وزور وادعة وسائر من هو في نجران من وائلة فهو بناء على ما كان من تحكيم جلالة الامام يحيى لجلالة الملك عبد العزيز في يام والحكم من جلالة الملك عبد العزيز بأن جميعها تتبع المملكة العربية السعودية وحيث أن الحضن وزور وادعة ومن هو من وائلة في نجران هم من وائلة ولم يكن دخولهم في المملكة العربية السعودية إلا لما ذكر فذلك لا يمنعهم ولا يمنع أخوانهم وائلة عن التمتع بالصلات والمواصلات والتعاون المعتاد والمتعارف به . ثم يمتد هذا الخط من نهاية الحدود المذكورة آنفا بين أطراف قبائل المملكة العربية السعودية وأطراف من عدا يام من همدان بن زيد وسائر قبائل اليمن فللمملكة اليمانية كل الاطراف والبلاد اليمانية الى منتهى حدود اليمن من جميع الجهات . وللمملكة العربية السعودية كل الاطراف والبلاد الى منتهى حدودها من جميع الجهات وكل ما ذكر في هذه المادة من نقط شمال وجنوب وشرق وغرب فهو باعتبار كثرة اتجاه ميل خط الحدود في اتجاه الجهات المذكورة وكثيراً ما يميل لتداخل ما الى كل من المملكتين . أما تعيين وتثبيت الخط المذكور وتمييز القبائل وتحديد ديارها على أكمل الوجوه فيكون اجراؤه بواسطة هيئة مؤلفة من عدد متساو من الفريقين بصورة ودية أخوية بدون حيف بحسب العرف والعادة الثابتة عند القبائل .

(المادة الخامسة)

نظراً لرغبة كل من الفريقين الساميين المتعاقدين في دوام السلم والطمأنينة

والسكون وعدم ايجاد أي شيء يشوش الافكار بين المملكتين فانهما يتعهدان تعهدا متقابلا بعدم إحداث أي بناء محصن في مسافة خمسة كيلو مترات في كل جانب من جانبي الحدود في كل المواقع والجهات على طول خط الحدود

(المادة السادسة)

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بسحب جنده فوراً عن البلاد التي أصبحت بموجب هذه المعاهدة تابعة للفريق الآخر مع صون الاهلين والجند عن كل ضرر

(المادة السابعة)

يتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بأن يمنع كل منهما أهالي مملكته عن كل ضرر وعدوان على أهالي المملكة الاخرى في كل جهة وطريق وبأن يمنع الغزو بين أهل البوادي من الطرفين وبرد كل ما ثبت أخذه بالتحقيق الشرعي من بعد ابرام هذه المعاهدة وضمان ما تلف وبما يلزم بالشرع فيما وقع من جناية قتل أو جرح وبالعقوبة الحاسمة على من ثبت منهم العدوان ويظل العمل بهذه المادة سارياً الى أن يوضع بين الفريقين اتفاق آخر لكيفية التحقيق وتقدير الضرر والخسائر

(المادة الثامنة)

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين تعهداً متقابلا بأن يمتنعا عن الرجوع للقوة لحل المشكلات بينهما وبأن يعملا جهدهما لحل ما يمكن أن ينشأ بينهما من الاختلاف سواء كان سببه ومنشؤه هذه المعاهدة أو تفسير كل أو بعض موادها أم كان ناشئا عن أي سبب آخر بالمراجعات الودية وفي حالة عدم امكان التوفيق بهذه الطريقة يتعهد كل منهما بأن يلجأ الى التحكيم الذي توضح شروطه وكيفية طلبه وحصوله في ملحق مرفق بهذه المعاهدة . ولهذا الملحق نفس القوة والنفوذ اللذين لهذه المعاهدة ويحسب جزءا منها وبعضاً متمما للكل فيها

(المادة التاسعة)

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن يمنع بكل ما لديه من الوسائل المادية والمعنوية استعمال بلاده قاعدة ومركزاً لأي عمل عدواني أو شروع فيه أو استعداد له ضد بلاد الفريق الآخر كما أنه يتعهد باتخاذ التدابير الآتية بمجرد وصول طلب خطي من حكومة الفريق الآخر وهي :

١ — ان كان الساعي في عمل الفساد من رعايا الحكومة المطلوب منها اتخاذ التدابير فبعد التحقيق الشرعي وثبوت ذلك يؤدب فورا من قبل حكومته بالادب الرادع الذي يقضي على فعله ويمنع وقوع أمثاله

٢ — وان كان الساعي في عمل الفساد من رعايا الحكومة الطالبة اتخاذ التدابير فانه يلقى القبض عليه فورا من قبل الحكومة المطلوب منها ويسلم الى حكومته الطالبة . وليس للحكومة المطلوب منها التسليم عذر عن انفاذ الطلب وعليها اتخاذ كافة الاجراءات لمنع فرار الشخص المطلوب أو تمكينه من الهرب وفي الاحوال التي يتمكن فيها الشخص المطلوب من الفرار فان الحكومة التي فر من أراضيها تتعهد بعدم السماح له بالعودة الى أراضيها مرة أخرى وان تمكن من العودة اليها يلقى القبض عليه ويسلم الى حكومته

٣— وإن كان الساعي في عمل الفساد من رعايا حكومة ثالثة فان الحكومة المطلوب منها والتي يوجد الشخص على أراضيها تقوم فوراً وبمجرد تلقيها الطلب من الحكومة الاخرى بطرده من بلادها وعده شخصاً غير مرغوب فيه ويمنع من العودة إليها في المستقبل .

(المادة العاشرة)

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بعدم قبول من يفر عن طاعة دولته كبيراً كان أم صغيراً ، موظفاً كان أم غير موظف ، فرداً كان أم جماعة ، ويتخذ كل من الفريقين الساميين المتعاقدين كافة التدابير الفعالة من إدارية وعسكرية وغيرها لمنع دخول هؤلاء الفارين إلى حدود بلاده ، فان تمكن أحدهم أو كلهم من

اجتياز خط الحدود بالدخول في أراضيه فيكون عليه واجب نزع السلاح من الملتجيء وإلقاء القبض عليه وتسليمه إلى حكومة بلاده الفار منها ، وفي حالة عدم إمكان القبض عليه تتخذ كافة الوسائل لطرده من البلاد التي لجأ إليها إلى بلاد الحكومة التي يتبعها

(المادة الحادية عشرة)

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بمنع الامراء والعمال والموظفين التابعين له من المداخلة بأي وجه كان مع رعايا الفريق الآخر بالذات أو بالواسطة ويتعهد باتخاذ كامل التدابير التي تمنع حدوث القلق أو توقع سوء التفاهم بسبب الاعمال المذكورة .

(المادة الثانية عشرة)

يعترف كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن أهل كل جهة من الجهات الصائرة إلى الفريق الآخر بموجب هذه المعاهدة رعية لذلك الفريق .

ويتعهد كل منهما بعدم قبول أي شخص أو أشخاص من رعايا الفريق الآخر رعية له إلا بموافقة ذلك الفريق ، وبأن تكون معاملة رعايا كل من الفريقين في بلاد الفريق الآخر طبقاً للاحكام الشرعية المحلية .

(المادة الثالثة عشرة)

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين باعلان العفو الشامل الكامل عن سائر الاجرام والاعمال العدائية التي يكون قد ارتكبها فرد أو أفراد من رعايا الفريق الآخر المقيمين في بلاده (أي في بلاد الفريق الذي منه إصدار العفو) كما انه يتعهد باصدار عفو عام شامل كامل عن أفراد رعاياه الذين لجأوا أو انحازوا أو بأي شكل من الاشكال انضموا إلى الفريق الآخر عن كل جناية ومال أخذوا منذ لجأوا إلى الفريق الآخر إلى عودهم كائنا ما كان ، وبالغاً مابلغ ، وبعدم السماح باجراء أي نوع من الايذاء أو التعقيب ، أو التضييق بسبب ذلك الالتجاء أو الانحياز أو الشكل الذي انضموا بموجبه . وإذا حصل ريب عند أي الفريقين بوقوع شيء مخالف لهذا العهد كان لمن حصل عنده الريب أو الشك من الفريقين

مراجعة الفريق الآخر لأجل اجتماع المندوبين الموقعين على هذه المعاهدة ، وإن تعذر على أحدهما الحضور فينيب عنه آخر له كامل الصلاحية والاطلاع على تلك النواحي ممن له كامل الرغبة والعناية بصلاح ذات البين والوفاء بحقوق الطرفين بالحضور لتحقيق الامر حتى لا يحصل أي حيف ولا نزاع وما يقرره المندوبان يكون نافذاً

(المادة الرابعة عشرة)

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين برد وتسليم أملاك رعاياه الذين يعفى عنهم إليهم أو إلى ورثتهم عند رجوعهم إلى وطنهم خاضعين لاحكام مملكتهم وكذلك يتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بعدم حجز أي شيء من الحقوق والاملاك التي تكون لرعايا الفريق الآخر في بلاده ولا يعرقل استثمارها أو أي نوع من أنواع التصرفات الشرعية فيها .

(المادة الخامسة عشرة)

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بعدم المداخلة مع فريق ثالث سواء كان فرداً أم هيئة أم حكومة أو الاتفاق معه على أي أمر يخل بمصلحة الفريق الآخر أو يضر ببلاده أو يكون من ورائه احداث المشكلات والصعوبات له أو يعرض منافعها ومصالحها وكيانها للاخطار .

(المادة السادسة عشرة)

يعلن الفريقان الساميان المتعاقدان اللذان تجمعهما روابط الاخوة الاسلامية والعنصرية العربية أن أمتهما أمة واحدة . وأنهما لا يريدان بأحد شراً ، وأنهما يبذلان جهدهما لاجل ترقية شئون أمتهما في ظل الطمأنينة والسكون ، وأن يبذلا وسعهما في سائر المواقف لما فيه الخير لبلادهما وأمتهما غير قاصدين بهذا أي عدوان على أية أمة .

(المادة السابعة عشرة)

في حالة حصول اعتداء خارجي على بلاد أحد الفريقين الساميين المتعاقدين يتحتم على الفريق الآخر أن ينفذ التعهدات الآتية :

أولا — الوقوف على الحياد التام سراً وعلناً .

ثانياً — المعاونة الادبية والمعنوية الممكنة .

ثالثاً — الشروع في المذاكرة مع الفريق الآخر لمعرفة أنجع الطرق لضمان سلامة بلاد ذلك الفريق ومنع الضرر عنها والوقوف في موقف لا يمكن تأويله بأنه تعضيد للمعتدي الخارجي .

(المادة الثامنة عشرة)

في حالة حصول فتن أو اعتداءات داخلية في بلاد أحد الفريقين الساميين المتعاقدين يتعهد كل منهما تعهداً متقابلا بما يأتي :

أولا — اتخاذ التدابير الفعالة اللازمة لعدم تمكين المتعدين أو الثائرين من الاستفادة من أراضيه .

ثانياً — منع التجاء اللاجئين إلى بلاده وتسليمهم أو طردهم اذا لجأوا إليها كما هو موضح في المادة (التاسعة والعاشرة) أعلاه .

ثالثاً — منع رعاياه من الاشتراك مع المتعدين أو الثائرين وعدم تشجيعهم أو تموينهم .

رابعاً — منع الامدادات والارزاق والمؤن والذخائر عن المتعدين أو الثائرين

(المادة التاسعة عشرة)

يعلن الفريقان الساميان المتعاقدان رغبتهما في عمل كل ممكن لتسهيل المواصلات البريدية والبرقية وتزييد الاتصال بين بلاديهما، وتسهيل تبادل السلع والحاصلات الزراعية والتجارية بينهما ، وفي إجراء مفاوضات تفصيلية من أجل عقد اتفاق جمركي يصون مصالح بلاديهما الاقتصادية بتوحيد الرسوم الجمركية في عموم البلادين أو بنظام خاص بصورة كافلة لمصالح الطرفين ، وليس في هذه المادة ما يقيد حرية أحد الفريقين الساميين المتعاقدين في أي شيء حتى يتم عقد الاتفاق المشار إليه.

(المادة العشرون)

يعلن كل من الفريقين الساميين المتعاقدين استعداده لان يأذن لممثليه ومندوبيه

في الخارج إن وجدوا بالنيابة عن الفريق الآخر متى أراد الفريق الآخر ذلك في أي شيء وفي أي وقت، ومن المفهوم أنه حينما يوجد في ذلك العمل شخص من كل من الفريقين في مكان واحد فانهما يتراجعان فيما بينهما لتوحيد خطتهما للعمل العائد لمصلحة البلادين التي هي كأمة واحدة . ومن المفهوم أن هذه المادة لاتقيد حرية أحد الجانبين بأي صورة كانت في أي حق له ، كما أنه لا يمكن أن تفسر بحجز حرية أحدهما أو اضطراره لسلوك هذه الطريقة .

(المادة الحادية والعشرون)

يلغى ماتضمنته الاتفاقية الموقع عليها في ٥ شعبان ١٣٥٠ على كل حال اعتباراً من تاريخ إبرام هذه المعاهدة

(المادة الثانية والعشرون)

تبرم هذه المعاهدة وتصدق من قبل حضرة صاحبي الجلالة الملكين في أقرب مدة ممكنة نظراً لمصلحة الطرفين في ذلك، وتصبح نافذة المفعول من تاريخ تبادل قرارات إبرامها مع استثناء مانص عليه في المادة الاولى من إنهاء حالة الحرب بمجرد التوقيع ، وتظل سارية المفعول مدة عشرين سنة قمرية تامة ، ويمكن تجديدها أو تعديلها خلال الستة الاشهر التي تسبق تاريخ انتهاء مفعولها، فان لم تجدد أو تعدل في ذلك التاريخ تظل سارية المفعول إلى مابعد ستة أشهر من اعلان أحد الفريقين المتعاقدين للفريق الآخر رغبته في التعديل .

(المادة الثالثة والعشرون)

تسمى هذه المعاهدة بمعاهدة الطائف وقد حررت من نسختين باللغة العربية الشريفة بيد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين نسخة واشهاداً بالواقع وضع كل من المندوبين المفوضين توقيعه .

وكتب في مدينة جدة في اليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والالف .

(التوقيع) خالد بن عبد العزيز السعود

(التوقيع) عبدالله بن أحمد الوزير

الاصلاح والتجديد الاسلامي

(في المعاهدة الاسلامية العربية، بين الدولتين السعودية واليمانية)

(وإقرار الافرنج بفضل العرب عليهم)

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ

لقد كنا في خوف ووجل في بداية هذه الحرب أن تفتح بابا للتدخل الاجنبي في جزيرة العرب فمنّ الله علينا ووقانا هذا الشر ، ولقد كنا في خوف ووجل من نهايتها أن تضرم سعير الاضغان المذهبية ، وتورّث أحقاد الأثآر العربية ، فيتغلغل الفساد ، ويتسلسل البغي والعدوان ، فمنّ الله علينا وبدلنا بالخوف أمناً وأعاضنا من الحرب سلماً ، ومن العداوة وداً ، ومن الاختلاف ائتلافاً ، ومن التقاطع والتدابر ، أفضل وسائل التواصل والتناصر ، والتعاون على البر والتقوى ، فقد عقد الامامان المؤمنان السلطان العربيان العاقلان الحكيمان معاهدة أخوة اسلامية وصداقة عربية ، ترضي الله عز وجل من فوق عرشه ، وتسر روح رسوله المصطفى ﷺ في الرفيق الاعلى من جوار ربه ، وتغتبط بهما أمته في مشارق الارض ومغاربها ، وتفاخر بها دولتا قومه العرب الدول الغربية وأمم الحضارة كلها ، فيما تزعم من تفوقها في آداب دينها وحكمتها ، وعلومها وسياستها

نعم إن قوم محمد وأمة محمد ﷺ لتفاخر بهذه المعاهدة السعودية اليمانية دول الارض وأمها فتفخرهن وتفضلهن وتبذهن وتعلوهن علواً كبيراً، فقد أراهن إماما المسلمين من أخوة الاسلام وآدابه وأخلاقه وفضائله وفواضله ما أنطق أفصح صحفهن المتكلمة بألسنة أرقى شعوبهن، وقائداً عسكريا من أكبر قوادهن، بهذا الفضل الكبير لهداية الاسلام في أشد شعوبه اعتصاما بحبله ، وأقوم دوله باقامة شرعه ، وأصدق ملوكه في تنفيذ حكمه، من قوم نبيه ورسوله، في مهد ظهوره ، ومشرق نوره ، على الدول المسيحية ، وشعوب المدنية ، على بعد التفاوت بين الفريقين (فريق المسلم العربي، وفريق المدني الغربي، وكذا الشرقي كاليابان والصين) في الوسائل المادية ، وفنون الحضارة ، وسعة الثروة ، وحقائق العلوم ودقائق الفلسفة ،

رأي جريدة التيمس بل الأمة الانكليزية في المعاهدة

عقدت جريدة التيمس فصلا افتتاحيا بمناسبة عقد الصلح في بلاد العرب قالت فيه : ان على امام اليمن أن يشرح لأفراد أسرته الذين أكثروا من انتقاده ، ولرعاياه الذين تملكهم السخط والغضب الاسباب التي دعت إلى انكساره ، على أن الامام كان سعيد الحظ من وجهة واحدة هي أن خصمه عقد معه صلحاً ينطوي على السخاء والكرم ، فلم يضم إلى ملكه بلاداً تستطيع اليمن أن تدعي فيها حقا صحيحاً ، ولم يفرض عليه تعويضاً حربيا كما يفعل الغالب مع عدوه المغلوب ، وإنما قيده كما قيد نفسه بعهود تتضمن صداقة الجوار

« إن في معاهدة الصلح مثلا بل عدة أمثال ، تشهد بالتعقل والاعتدال ، أما ماتضمنته من رابطة الاخاء المشتركة بين جميع العرب ، وهي الرابطة التي ستكون من الآن فصاعداً هي العامل الوحيد في ضبط العلاقات بين المملكتين ، فعلى أعظم جانب من الاهمية وخطر الشأن ، فالوهابيون يعدون دائما من الطوائف المتعصبة ، كما أن المعروف عن الزيود أنهم ليسوا أكثرمنهم تسامحا ، ولكن هذه الاختلافات الدينية لم تمنع الغالب والمغلوب من توقيع معاهدة صداقة اسلامية ترمي إلى تعزيز روابط الاتحاد وإعلاء هيبة الأمة العربية المستقلة وصيانة كرامتها واستقلالها . والواقع أن مواد المعاهدة تدل بصفة قاطعة على أن هذه الكلمات لها أهمية أخرى تفوق أهميتها الرسمية

« بيد أن هذا التقدم في سبيل الوحدة العربية لا يمكن أن تهمله الدول الاوربية ولا سيما بريطانية التي عقدت أخيراً معاهدتها مع امام اليمن

« وقد نشرت معاهدة الصلح في مكة والقاهرة ودمشق وصنعاء في وقت واحد ولهذا الامر مغزى يستحق اهتمام المتطرفين من الصهيونيين الذين لا يستطيعون أو لا يريدون أن يدركوا أن فلسطين لا تزال بلاداً عربية تحيط بها أرض عربية

« وأما روح المعاهدة فيجدر برجال السياسة من المسيحيين أن يقارنوا بينها وبين معاهدات الصلح الاوربية الاخيرة » اه ماخلصته البرقيات من مقالة التيمس

كلمة لجنرال انكليزي في عظمة الاتفاق الاسلامي العربي

ونشرت الجرائد المصرية خلاصة خطاب (للجنرال هاملتون) الانكليزي ألقاه في مأدبة أدبت له في سيلان (الهند) تكلم فيه عن الحرب في جزيرة العرب وما أطفئت به نارها قبل أن يشتد اوارها بالصلح الشريف ، وأثنى به أحسن الثناء على الملكين في تسامحهما وسرعة تصافيهما ، وكون الغالب لم يجهز على المغلوب ، بل لم يحاول إرهاقه ولا إضعافه ولا النيل من كرامته وشرف مكانته بأدنى انتقام يورثه وقومه حقداً ، أو يحملهم ضغنا ، بل أمضيا كلاهما اتفاقا عسكريا عادلا نشراه على العالم الاسلامي في صورة معاهدة وصداقة اسلامية عربية شريفة بين أخوين متساويين في جميع الحقوق ،وثقت الروابط الودية القوية بين المملكتين ليقفا معاً متعاونين تجاه كل عدوان خارجي يهدد جزيرة العرب ،

وشبه هذا الاتفاق الذي احتقر فيه الانتقام الشرس السيء العاقبة – بما فعل ولنجتون الانكليزي مع فرنسة في خاتمة حروب نابليون (نقول:ولكن بعد ما كان من أشد الانتقام) وبما فعل كتشنر في الاتفاق مع البوير (نقول ولكن بعد ما كان من التنكيل والتدمير) ثم قال الجنرال ما ترجمته: « اني أقول هذا أيها السادة لانني أرى الدول المسيحية في احتراب دائم ،ونضال هائل ، تجرد به حساما ثقيلا رهيبا ثم تعلقه بعد فتكه الذريع فوق رأس أوربة بخيط واه [كخيط العنكبوت] هذه حال الدول المسيحية الآن ،وهي من سوء الخطر بالقدر الذي تبصرون»

هاتان شهادتان من شهادات كثيرة من مصدرين من أعلى مصادر انكلترة السياسية والعسكرية التي لم تكن تعترف للاسلام ولا للعرب وللشرق بفضل كبير مثل هذا لولا الدهشة والروعة التي فجأتها ،وإرادة التنبيه لما تعقبه هذه المعاهدة من حياة إسلامية عربية جديدة يجب أن يحسب لها أوربة كلها وانكلترة وصهيونيتها كل حساب

فالحق الذي عرفته أوربة وعرفه العالم كله ان هذين الملكين العربيين ، والامامين المسلمين ، قد ضربا للعالم ما يعبر عنه في لغة هذا العصر بالمثل الاعلى للاخلاق الاسلامية ، ولن تستطيع دول أوربة أن تقتدي بهما فيهما ، فالمسلمون بهداية الاسلام أرقى الامم أخلاقا وعدلا وإنصافا ،وإنما تنقصهم الفنون التي تنهض

بعمران بلادهم وتجديد قوتهم في ظل هذين الامامين العظيمين ، وبهذا يعترف العالم كله بفضل الاسلام وتوقف الكمال المدني على هدايته كما بيناه في كتاب الوحي المحمدي وخلاصته ان جميع ما بلغته تلك الشعوب من العلم والفلسفة والعقل والحكمة وفنون الحضارة ، وغرائب الصناعة لا يغنيها عن هداية الاسلام فيما هو أعلى منه من تزكية النفس البشرية ، وتطهيرها من أرجاس الرذائل الشيطانية ، كعبادة الهوى والمال والشهوات والطمع والحسد والمكر والكذب والخداع ، والظلم والبغي والعدوان ، وتحليتها بأضدادها من الفضائل السامية بالايمان بالقرآن ، واتباع ملة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام .

وقد وقع التنازع بين دولتين نصرانيتين أمريكيتين مدنيتين (هما بوليفيا) وبارغواي على بقعة من الارض لا تساوي وادياً من أودية جبل عسير الخصبة ، ولا جبلا من جباله المنيعة ، فاستحر القتال بينهما منذ سنتين ، وعجزت جميع الدول والامم المشاركة لها في الدين وغيره من الاصلاح بينهما ، ووقعت قبل ذلك أرقى دول أوربة في الحرب الكبرى ، وجذبوا إليها دولة أمريكة العظمى ، وكثيراً من الدول الصغرى فكان من سفك الدماء ، وتقويض دعائم العمران ، بمنتهى ما وصل إليه العلم والفنون المادية من وسائل التخريب والتدمير ، ما لم يعهد له التاريخ نظيراً ولا خطر على قلب بشر أن يحدث مثله ، حتى اذا عجز أحد الفريقين المتقاتلين عن استمرار الحرب ، وجنح إلى ما دعا اليه أقربهم إلى الانسانية وفضيلة الدين المسيحي من السلم ، وهو الدكتور (ولسن) مصدقاً ما وضعه من شرائط الصلح ، وألقى هذا الفريق سلاحه ، فلما ركب هذا الفريق المنتصر ظهر المجن ، وأكرهوه على إمضاء شر معاهدة وضعها الظالمون لارهاق الشعوب وإذلالها ، كانت سبباً لما تشكو شعوب أوربة كلها من سوء عاقبته ، وهي ما نهى عنه الله تعالى بقوله (ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم) الخ

الاصلاح الديني والسياسي في المعاهدة

لقد جاء الاسلام بكل ما يحتاج إليه البشر من الاصلاح الديني والدنيوي ولولا ما نفث فيه من سموم الشقاق السياسي الذي فرق الكلمة وشق العصا لساد العالم كله ، مغربه ومشرقه بل شرقه وجنوبه ، وقد وضع في هذه المعاهدة كتاتق

خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان لو رصعتا باللؤلؤ والمرجان ، في لوح من خالص العقيان، لما وفى بقيمتهما ، وما يجب من حق قدرهما ، هما: الاخوة الاسلامية والصداقة العربية ، فان وضعهما في معاهدة سياسية رسمية وقعها الملكان العربيان، والامامان الدينيان للفرقتين العظيمتين أهل السنة والجماعة من جهة، والشيعة المعتدلة من الجهة الثانية — لهو أكبر رجاء وخير أملا من كل ما كتب حكماء المسلمين المصلحين في الدعوة الى جمع كلمة المسلمين والتأليف بينهم واعادة مجد الاسلام وهدايته من المقالات والرسائل المتفرقة في الرسائل الخاصة والصحف العامة منذ خمسين سنة، وأجمعها مابثثناه في مجلدات المنار من أولها إلى هذا وهو الرابع والثلاثون منها ، وقد نشرت في سبع وثلاثين سنة .

وانه لهو أكبر رجاء وخير أملا (أيضاً) من كل ما كتب المشتغلون بالسياسة العربية والمؤلفون لجمعياتها السياسية من الدعوة إلى وحدة هذه الامة وإحياء حضارتها ، وتجديد مجدها ، وإعادة استقلالها ، ومن أحكمها جمعية الجامعة العربية التي كان صاحب المنار يراسل باسمها ثم باسمه هذين الامامين وغيرهما بالدعوة إلى الحلف والاتفاق منذ سنة ١٣٣٠ إلى هذه السنة التي وصل فيها الخوف من الخيبة إلى أقصى حده ، ولم يلبث أن زال وحل محله الرجاء بفضل الله وحده ، وإنما كان مافعله الامامان أكبر من كل ما ذكر لانه تنفيذ عملي له

أن جريدة التيمس قد صرحت بذكر ماكان يعد أكبر مانع من هذا الاتفاق من حيث غفل عنه أو جهله أكثر محرري الجرائد العربية ، وهو التعصب الديني المذهبي الذي اشتهر به أهل نجد وسكان جبال اليمن فان الاخصائيين من كتاب الانكليز في الامور الاسلامية يعلمون من التعصب بين السنيين والشيعة في العراق والهند ما لا يعلمه أحد في مصر التي لا يخطر لاهلها التعصب الديني ببال

وأما صاحب المنار فقد درس هذا من جميع أنحائه ، وأحاط بما في مطاويه وأحنائه ، وطالما دعا الى تقويم أوده وسعى لعلاج أدوائه ، وكان من تمهيده الخفي لهذا الاتفاق الاسلامي الجلي ما تراه في الرسالة الثالثة من رسائل كتاب (الهدية السنية ، والتحفة الوهابية النجدية) من رأي علماء الوهابية الاعلام في

الزيدية والشيعة، وما علقته عليه وهو ما قاله العلامة الشيخ عبدالله بن الامام المجدد الشيخ محمد عبد الوهاب في مكة المكرمة مبيناً لاهلها خطتهم ورأيهم في المذاهب وهو:

« ونحن أيضاً في الفروع على مذهب الامام أحمد بن حنبل ولا ننكر على من قلد أحد الائمة الاربعة دون غيرهم لعدم ضبط مذاهب الغير كالرافضة والزيدية والامامية(١) ونحوهم لانقرهم ظاهراً على شيء من مذاهبهم الفاسدة(٢) بل نجبرهم على تقليد أحد الائمة الاربعة » اه (ص ٤١ طبعه أولى)

وظاهر هذه العبارة أنهم لا يأذنون لاصحاب هذه المذاهب بالاقامة في الحجاز الا إذا تركوها واتبعوا أحد مذاهب أهل السنة وهذا من أشد التعصب الذي كانوا يوصفون به وهو يزيد الشقاق بين المسلمين فالتمست لها تخريجاً مهدت به للاتفاق بأن علقت على كلمة الاولى في حاشيتها بما نصه:

(١) ان كلمة الرافضة التي وضعت لغلاة الشيعة تشمل الباطنية وآخرين دون الزيدية ومعتدلي الامامية. والظاهر أن صاحب هذه الرسالة ووالده لم يطلعوا على كتب الزيدية في الفقه، ولو اطلعوا عليها لعلموا ان فقههم مدون، وكذلك الامامية، وان الفرق بينه وبين فقه الاربعة قليل قلما قال أحد مجتهديه قولا إنفرد به وخالف الاجماع قبله، وكيف وهم يحتجون بالاجماع ويعمل السلف؟ وكذا بأحاديث دواوين السنة المشهورة كالكتب الستة. وقد كان مشايخنا يقولون كما قال مشايخ نجد: ان سبب حصر التقليد في فقه الاربعة دون سائر مجتهدي الامة هو تدوين مذاهبهم دون غيرها. وهذا غلط سببه عدم الاطلاع

وعلقت على الثانية بما نصه:

(٢) أي لانقر — بصفتنا حكام البلاد — أصحاب المذاهب غير المضبوطة أن يظهروا شيئا من مذاهبهم الفاسدة بالاجماع كأقوال الباطنية بأن لأحكام العبادات معاني غير الظاهر الذي عليه العمل وبوجود إمام معصوم في كل عصر يجب اتباعه في كل ما يقول، وكسب غلاة الرافضة للشيخين (رض) وبراءة الخوارج من الصهرين (رض) ومقابل قوله « ظاهراً » انهم لا يحاسبون أحداً على ما يخفيه من أمثال هذه المسائل إه

وكنت جريئا أي جدير في هذا التعليق وفي حواشي أخرى من مطبوعات جلالته المصلحة الاسلامية وأنا أعلم انني لا أسلم من سخط على قد يتبعه ضرر، وقد حصل، وقد ظهر الآن صحة قولي وسداده في هذه القضية وسيظهر غيره في

غيرها ، والكل أجل كتاب ، على أن علماء نجد لم ينكروا علي هذه التعليقة ،

وقد نشرنا ستة عشر ألف نسخة من هذا الكتاب مجانا في الاقطار، فكان بعد نشره وإقرار علماء نجد له من تعصب بعض علماء الشيعة في سورية والعراق أن ألفوا الكتب والرسائل في تجديد الخصام ، ومنها سفر كبير حاول مؤلفه وهو من سادة علماء جبل عامل ومكان الشام ، إخراج الوهابية من حظيرة الاسلام ، ثم كان ما أظهرته الشيعة في مؤتمر النجف طعنا فيهم ، وتسفيه آرائهم ، وتحريضا عليهم ، ثم ما حدث بعد ذلك في العراق من التنازع الوطني بين أهل المذهبين ما كاد يفضي الى حرب أهلية لولا الثورة الاشورية كما قال لنا الملك فيصل رحمه الله تعالى

لقد كان هذا الشقاق من أول عهده شر الدواهي والمصائب التي أصيبت الاسلام دينا ودولة ، ومنها أنه كان من أقوى الوسائل لاخضاع الانكليز لممالك الاسلام في الهند ، حتى انهم كانوا يلقبون بعض جيوشهم بألقاب سنية ، وبعضها بألقاب شيعية جعفرية ، وكانوا يرجون أن ينالوا مآربهم من جزيرة العرب بمثل ذلك الشقاق بين اليمن ونجد ، فخيب هذا الاتفاق أملهم ، وراعهم منه ما راعهم من اتفاق شاهي الترك وإيران، وما يقال (ويا ليته يصح) من احتمال إشراك العراق فيه والافغان ، ولولا سبق إمامي جزيرة العرب إلى هذا الاتفاق، لقيل ان الجامع بين الشاهين إنما هو نبذهما لعقائد الاسلام ، لانه هو المفرق بزعمهم ، والحق أنه دين التوحيد والتأليف ، وإنما فرقت بين أهله السياسة ، فقد كان سببه التنازع في الامامة فرق طوائف الشيعه الباطنية من الاسلام ، ووقف الاثنى عشرية بها عند المهدي المنتظر ، قل فانتظروا انا منتظرون ، ولتتفق الآن نحن للاسلام أن يظاهر ونحن متفقون ، على أن يكون كل أحد حرا في مذهبه ولا يتعرض لمذهب غيره بما يسوءه ويغيظه ويشعره بأنه عدوله ، من قول أو فعل ، كتقسيمهم الى أقلية وأكثرية ، وطلب جعل أعمال الدولة مذهبية

كان الترك يقاتلون إمام اليمن كما قاتلوا الفرس من قبله لاختلاف المذهب في الظاهر ، والطمع السياسي في الباطن ، ولما حل الملك السعودي في الحجاز محلهم كان أول شيء سعى هو الاتفاق مع الامام الزيدي وعقدا حلف معه ، وما زال يخطب

وده ويطلب عهده بوسائل الرسائل وإرسال الوفود حتى تم له ذلك في هذا العام، فمن عاد بعد اليوم إلى إثارة النزاع والخصام، فهو عدو الله ورسوله ودينه الاسلام، فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام ، لانه إنما يبغي منفعة نفسه ، والجر لقرصه، وإن كان فيه الشقاء لاهل دينه وجنسه

تمهيد بالمعاهدة للوحدة العربية

لقد وضع بهذه المعاهدة أساس الوحدة العربية التي ينشدها العرب في كل مكان، ولم يبق لاكمالها من هذا الجانب الدولي إلا إتمام ما بدأ به الملك فيصل (رحمه الله تعالى) من الاتفاق مع الدولة العربية السعودية . وما نظن بجلالة نجله وارث سياسته الملك غازي ورجال دولته من رجال الدعوة العربية وثورتها إلا أنهم متممون له، وإنا نكتفي من هذه المسألة الآن بنقل برقيتي التهنئة بين الملك غازي والملك عبد العزيز أعزهما الله تعالى

﴿ البرقية الاولى ﴾

جلالة الاخ الملك عبد العزيز آل سعود

لقد استبشرنا كثيراً بمعاهدة الصداقة الاسلامية والاخوة العربية بين جلالتكم وجلالة الامام يحيى والتي نرجو أن تكون خطوة جديدة لتوثيق الاخوة والاتحاد بين الاقطار العربية الشقيقة وفقكم الله لما فيه خير الامة العربية   (غازي)

(البرقية الثانية)

جلالة الاخ الملك غازي

نشكر جلالتكم على ما تفضلتم به من السرور والاستبشار بمناسبة معاهدة الصداقة الاسلامية والاخوة العربية التي عقدت بيننا وبين أخي الحميم الملك الامام يحيى . وان الاخوة الاسلامية والعربية التي حققتها تلك المعاهدة بيننا وبين أخينا الامام يحيى هي التي سعينا ونسعى إليها على الدوام مع العرب جميعاً، لجمع كلمة العرب والتآخي بينهم لما فيه صلاح لهم في دينهم وعزلهم في دنياهم ، وستروننا على الدوام ان شاء الله عاملا على كل ما يجمع الله به شمل المسلمين عامة والعرب خاصة ، وثقتي بالله ثم بجلالتكم وبسائر رؤساء العرب أن تتكاتف جهودنا لجمع كلمتنا لما فيه حفظ كياننا وسلامة أوطاننا وعز شعبنا العربي . ونسأل الله أن يوفقنا جميعاً للعمل لما فيه حياة الامة الاسلامية وتوطيد الاخوة العربية   (عبد العزيز)

تفسير المنار

كلمة خالصة لوجه الله

(نشرها في المقطم الاستاذ العالم الاصلاحي المستقل ، والكاتب المصري المستدل ، السيد الشيخ محمود أبو رية)

كنت أتمنى من زمان بعيد أن أظفر بتفسير المنار ، وظلت هذه الامنية تختلج في نفسي حتى قيض الله لي في هذه الايام أن أحصل على أجزائه التي صدرت منه ، وما إن قرأت بعض هذه الاجزاء حتى ألفيتني تلقاء شيء لا عهد لي به من قبل في كل ما قرأته من التفاسير ، واستبان لي أن هذا التفسير نسيج وحده فريد في موضوعه

لقد قرأت كثيراً من التفاسير التي وضعت لكتاب الله ، ووقفت على طريقة كل مفسر ممن قرأت ، وعلى أنهم رضي الله عنهم قد أتوا بما استطاعوا أن يأتوا به مما تأدوا إليه بعلومهم وزمانهم وأمكنتهم ، فانهم لم يصلوا في كثير مما فسروا إلى حقيقة مراد الله واظهار أحكامه وأسراره كما أوصى الله بها ، وذلك انهم في سيرهم ، كانوا مقيدين بسلاسل من أقوال غيرهم ، فلا يفسرون كتاب الله بما ينبعث من نوره وما يستنبط من آياته ، وبما تبينه سنة الله في عباده ، ولكنهم يشحنون تفاسيرهم بقبائل مختلفة من آراء من سبقهم من غير أن يمحصوا هذه الآراء ليعرفوا صحيحها من باطلها ، أو يحملوا أنفسهم على نصب البحث ليزنوا مقدار من قالها ، وظل كتاب الله كما قال حكيم الاسلام السيد جمال الدين بكراً لم يفسر

أما تفسير المنار الذي أخرجه في هذا العصر حجة الاسلام الامام الثقة الحافظ السيد محمد رشيد رضا ليكون هداية المسلمين في مشارق الارض ومغاربها ، فانه يمتاز من كل التفاسير التي سبقته بمزايا جليلة لو ذهبنا لنستقصيها لطال بنا

سبيل القول ، ولاحتاج ذلك إلى مقالات مستفاضة ، ذلك بأن هذه المزايا متعددة المناحي ، كثيرة النواحي ، ويحسبنا اليوم أن نقول في صراحة واخلاص بغير أن يتوهم أحد أنا نجنح إلى المغالاة : إن هذا التفسير خير ما وضع لبيان مقاصد كتاب الله وشرح أحكام دينه في عقائده وعباداته وفضائله وآدابه وحلاله وحرامه كما أراد الله أن تكون ، لا كما أراد الناس بآرائهم وأهوائهم ، وإنه فيض إلهي أفاضه الله على قلب وارث النبوة السيد محمد رشيد ، فخرج آيات تكشف عن نور القرآن الكريم ، ليبدو في هذا العصر كما بدا في زمن البعثة النبوية والصدر الاول زاهراً باهراً

واني ليخيل إلي وأنا أتلو هذا التفسير الجامع كأن رسول الله ﷺ هو الذي يملي على مفسرنا الامام معاني آيات الكتاب العزيز ، ويبين للمسلمين أصول العقائد الاسلامية والمقاصد الدينية ، كما أراد أن يبلغها عن ربه بريئة من شوائب الشرك وغواشي الوثنية

ومما راعني في هذا التفسير ما آنسته متجلياً في كل مسألة من العلم الغزير بالمعقول والمنقول ، والاحاطة الشاملة بالسنة المحمدية والتمييز بين صحيحها وضعيفها ، وما ثبت منها وما لم يثبت ، وسعة الادراك للعلوم الشرعية ، والاطلاع على العلوم الاجتماعية والنفسية ، ومناقشة الرواة والعلماء ورجال الجرح والتعديل في بعض رواياتهم وآرائهم وأحكامهم ، حتى يتبين الصالح منها والصحيح ، دع ما أوتيه إمامنا من بلاغة العبارة ودقة الذوق البياني الذي ينفذ إلى أسرار الاعجاز فيجليها في أحسن معرض

أما المسائل العويصة والامور المستغلقة التي اختلف فيها المفسرون فلم يكشفوا عن وجه الصواب منها ، ولم يهتدوا إلى مقطع الحق فيها ، فانك تجد مفسرنا الامام بعد أن يسوق كل ما قيل فيها من أقوال من سبقوه يتولاها بالعلم والحكمة ، ويريغها (١) بنور البصيرة وثاقب الذهن ، ولا يزال بها حتى يخرجها نيرة كفلق الصبح

ويأبى عليه انصافه وعلمه إلا أن يتقبل من آراء غيره ما يجد فيه الصواب ، ولا يدع من أصاب في رأيه من غير أن يزجي له الثناء والحمد

وأما الآراء الفاسدة والتأويلات الباطلة فلا يني في دفعها والقضاء عليها ،

(١) المنار : هي من الاراغة أي يعالجها ويحاول الظفر بها محاولة المراوغ

وله حملات شديدة على الخرافيين وعباد القبور فيضربهم بالحجج البالغة ، ويخزهم بسنان الحق ووخزات موجعة ، وذلك لكي يطهر العقيدة الاسلامية الصحيحة مما أصابها من نزغات الشرك ، وينفي عنها هذا الخبث الذي نالها من المتنطعين الذين يحسبهم الناس من رجال الدين وما هم منه في شيء

وتراه لقوة حجته ومتانة أدلته ومبالغته في التحقيق والتمحيص لا يدع لأحد مهما رسخت قدمه في العلم أن يتصفح[1] عليه أو ينقض مما قاله كلمة أو رأيا

لقد كنا نرجو أن ينهض علماء عصرنا إلى كتاب الله العزيز فيدرسوه ويتدبروا آياته لكي يثبتوا لأهل هذا العصر أن كتابهم صالح لكل زمان ومكان ، هاد لكل رقي وعمران ، على أن يكون عملهم هذا بعيداً عن (مباحث الاعراب وقواعد النحو ، ونكات المعاني ومصطلحات البيان ، وجدل المتكلمين ، وتخريجات الاصوليين ، واستنباطات الفقهاء المقلدين ، وتأويلات المتصوفين ، وتعصب الفرق والمذاهب وكثرة الروايات ، مجانباً ما سرى إلى أكثر التفاسير من زنادقة اليهود والفرس ومسلمة أهل الكتاب)

كنا نرجو منهم ذلك ولكننا رأيناهم قد أخلدوا إلى مهاد الدعة ، واكتفوا بأن يقلدوا في دينهم من سبقهم من شيوخهم ، أما هذا الكتاب الذي جاء به محمد ﷺ ليكون هدى للناس ورحمة ، فلا بأس من أن يحبس للتبرك به ، وأن يتلى في الطرق وعلى الموتى وفي الراديو . ثم لا ضير من أن نعيش مع الناس بأجسامنا في هذا العصر ، وندع عقولنا تحيا مع أهل القرون المظلمة

وكان في النفس حسرة وفي القلب لوعة من هذه الحال التي وصل إليها المسلمون في هذا العصر المتحرك العامل ولكن الله سبحانه الذي وعد بحفظ (الذكر) الذي أنزله — وحفظه بالعمل به ، ولا يتأتى العمل به إلا بتبيينه ولا يبينه إلا وارث النبوة — قيض له في هذا العصر الامام الكبير الحافظ السيد محمد رشيد رضا ، ذلك الذي ورث علم الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، فأنشأ

---

(١) المنار: تصفح الشيء أو الكتاب تأمله ونظر في صفحاته باحثا . ولعله عداه بعلى لتضمينه معنى الاستدراك

يفسره على طريقته القويمة التي لا يفسر الكتاب العزيز بغيرها ، والتي ما جاء الدين الاسلامي إلا بها ، ولا عمل الرسول ﷺ إلا عليها ، تلك هي فهم الكتاب العزيز من حيث هو (دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا والآخرة)

وإذا كانت الاصول الدينية قد جاء بها الكتاب وبينتها السنة الصحيحة، فإن تفسير المنار الذي هو منار التفاسير قد أوفى على الغاية من بيان ذلك، ولا غرو فهو التفسير الوحيد (الجامع بين صحيح المأثور وصريح المعقول ، الذي يبين حكمة التشريع ، وسنن الله في الاجتماع البشري وكون القرآن هداية عامة للبشر في كل زمان ومكان ، وحجة الله وآيته المعجزة)

وتفسير هذه صفته وذلك أمره، يجب على كل مسلم يريد أن يعرف دين الله ـ دين السلف الصالح ـ من الفرقة الناجية ـ أن يعكف عليه ويتدبره ليصبح من الناجين

هذه كلمة خالصة أملاها علي وجداني وأنا أستمتع بكنوز هذا التفسير ، أرسلها صادقة إلى جميع إخواني المسلمين في مشارق الارض ومغاربها، وآمل منهم أن يضرعوا إلى الله معي أن يطيل في حياة هذا الامام حتى يتم رسالته بإتمام تفسير كتاب الله وأن يزيده من فضله ويبقيه ذخراً للاسلام والمسلمين ؛ (محمود أبو رية)

(المنار) نشكر للاستاذ كاتب هـذا التقريظ إخلاصه في ثنائه وإطرائه ، وحسن بيانه لما اعتقده وفاض من وجدانه ، فقد صدر القطر الذي نشرناه في مساء الحادي عشر من ربيع الاول فقرأه في الليل جماعة من العلماء والادباء الازهريين وغيرهم كانوا يسمرون عندنا بدار المنار في ليلة ذكرى المولد النبوي الشريف فاتفقوا على أنه كلام عالم معتقد مخلص كتبه لوجه الله تعالى كما قال . فأما ما قاله في غرضي وقصدي من هذا التفسير وطريقتي فيه فهو كما قال ولله الفضل والشكر، وأما ما أطراني به من سعة العلم والحفظ ومبالغة منحني بها ماهو أكبر مما عندي، فإن حفظي قليل ولا أقبل من كلام العلماء إلا ما اعتقده، وإنما بضاعتي التي أرجو نفعها للناس وقبولها عند الله عز وجل فهي الاخلاص في تحري الحق الذي أنزل الله به وله القرآن ، وبيانه بما يفهمه أصناف القراء وبرجى أنه يؤثر في قلوبهم بقدر استعدادهم ، وحسب الامكان وحال الزمان، ولا أزال طالباً للعلم آسفاً لضيق الوقت عن تحصيل كل ما أحب من الاستزادة منه

﴿ كشف بقية شبهات العالم النجدي في كلمات من كتاب الوحي المحمدي ﴾

(٢)

﴿ انتقاده قولنا ان حرب النبي ﷺ كانت دفاعاً والجواب عنه ﴾

قال ان « معنى ذلك أن حرب الكفار وقتال المسلمين اياهم لا يجوز الا اذا قاتلونا ، والكلام عليه من وجوه » وذكر سبعة وجوه

أقول إن هذا المعنى الذي فسر به المسألة غير صحيح ، لا يدل عليه قولنا باللفظ ولا بالفحوى ، بل فيه ما يبطله ، فقولنا ان قتال النبي ﷺ للكفار كان دفاعاً وكانوا هم المعتدين فيه ، قضية شخصية في واقعة حال فعلية ، لا تدل على القضية السالبة الكلية التي استنبطها منها ، وكان له أن يأخذها من النهي في الآية فحسب ولكنه جمع بين الامرين ، واني أقول كلمة وجيزة في كل وجه من الوجوه السبعة التي سردها أبطلها بها ثم أقول كلمة في أصل المسألة

(الوجه الاول) قوله « ان قتال المسلمين للكفار الذين لم يقاتلوهم لا يكون اعتداء لانه لا يكون الا بحق » الخ عللّه به — ولو صح لا يكون ناقضاً أو معارضاً لكون حرب النبي ﷺ كانت دفاعاً لان الكفار كانوا هم المعتدين البادئين بها كلها كما هو ثابت بالواقع وبقوله تعالى (ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة) ولكنه غير صحيح فان المسلمين غير معصومين في جميع حروبهم من اتباع الهوى ، ولا يكون مقاتلا في سبيل الله الا من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا واتبع أحكامه تعالى فيها ومنها أن لا يكون ناقضاً لعهد مع الكفار كما هو معلوم بالاجماع

وتفسيره الاعتداء بما فسره به مخالف لما جرى عليه المفسرون فقد فسروا النهي عن الاعتداء بعدم بدئهم بالقتال ، اقتصر عليه بعضهم كالجلال وزاد عليه بعضهم كالبيضاوي احتمال كونه نهياً عن قتال المعاهدين ، وهو بمعناه أي نهيه عن بدئهم بالقتال لا بمعنى ما فسره به المعترض من زعمه ان قتال المسلمين لا يكون اعتداء قط لانه يقصد به انقاذهم من نار الجحيم ، والمعاهدون منهم

وهذا التعليل يشبه ما أول به السر ادوارد غراي الوزير البريطاني ما كانت قررته دولته وأحلافها في أول الحرب العالمية من وجوب حرية جميع الشعوب ومنع ضم الدول الغالبة لشيء منها إلى أملاكها ، فلما كان الفوز لهؤلاء الحلفاء قال الوزير البريطاني إنما يمتنع ضم الشعوب الضعيفة إلى الدولة الظافرة إذا كان يقصد به الظلم والكبرياء ، وأما إذا كان يقصد به تأديبها والاحسان إليها بالعدل والحضارة فهو جائز ، وربما قال إنه واجب ، يريد أن دولته تستولي على البلاد لخير أهلها لا للمنفعة نفسها

(الوجه الثاني) قوله « غاية ما تدل عليه هذه الآية الامر بقتال من قاتلنا منطوقا والكف عمن لم يقاتل مفهوما ، والمفهوم ليس بحجة عند أكثر العلماء الخ » وهو ممنوع بل باطل والحق ان الآية تدل على قتال من قاتلنا وعدم قتال من لا يقاتلنا بالمنطوق في كل منها من أول وهلة ، فقوله : غاية ما تدل عليه كذا خطأ ، وتعبيره بالكف في الثاني خطأ ثان ، فان الكف إنما يعبر به عما كان بعد الشروع في الشيء ، وقوله بأن الدلالة على الكف بمفهوم المخالفة خطأ ثالث ، وقوله بأن هذا المفهوم معارض للمنطوق الصريح خطأ رابع . وقوله المفهوم ليس بحجة عند أكثر العلماء . فإن لم يخالف غير صحيح على إطلاقه وإنما فيه تفصيل لا محل لذكره هنا

(الوجه الثالث) قوله إن آية كذا وكذا وحديث كذا وما في معناه كل ذلك عام شامل لمن قاتل ولم يقاتل ، غير صحيح على إطلاقه ، ولو صح لما كان وارداً علينا ، أما الاول فلأنه لو كان صحيحاً على إطلاقه لكان شاملا لقتال المعاهدين وهو باطل بالاجماع ، وأما الثاني فلأن عموم ما ذكر لا يدل على ان شيئاً من حرب النبي ﷺ كان ابتداء لا دفاعا

ونزيد ذلك تفصيلا بأدنى ما يحتمله بحث كهذا البحث هنا فنقول : ان قوله تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) نزل بعد قوله (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم) الخ فهو لبيان غاية القتال لا لبدئه ، ومعناه وقاتلوهم إلى أن يزول هذا النوع من اعتدائهم الموجب الاول لقتالهم وهو فتنة الناس عن دينهم بصدهم عن الاسلام وإيذاء من يدخل فيه بضروب الايذاء ، وقد بينا هذا في تفسير الآية من سورة البقرة ثم في تفسير أختها من سورة الانفال (ص٥٥٦ ج٩ تفسير)

وأما قوله تعالى (٩ : ٢٩ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) فهو آية الجزية التي نزلت في بيان انتهاء قتال الموصوفين فيها من أهل الكتاب بإعطاء الجزية لا في بدء القتال وعمومه، فإن القتال كان مشروعا قبل نزولها. وقد بينا ذلك بالتفصيل في تفسيرها من الجزء العاشر (ص ٢٨٠).

وكذلك حديث « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » فهو في بيان انتهاء قتال المشركين إذا نطقوا بهذه الكلمة التي هي عنوان ترك الشرك وقبول الاسلام، لا في بيان شرعية قتال كل أحد حتى يقولها فإن اليهود كانوا يقولونها.

على أننا إن فهمنا كل ما ذكر كما فهمه لا نراه ناقضاً لقولنا ان حرب النبي ﷺ كانت دفاعا فهذا بيان للواقع، وذاك بحث في أصل التشريع ولا تنافي بينهما، هذا لون وهذا لون، كما يقول ابن القيم في تعبيره عن الفروق

(الوجه الرابع) قوله: ان وصف القتال والجهاد المشروع في الكتاب والحديث بأنه ما كان في سبيل الله لا يفهم منه الدفاع فحسب - وهذا لا محل له في بحثنا وإنما هو تلذذ أو إدلال بتكثير الوجوه. ذلك بأن موضوعه القصد والنية، وحاصله أن القتال والجهاد لا يكون قربة إلا بالنية المذكورة في الحديث، وأن ما كان بنية إظهار الشجاعة والحمية ومراءاة الناس فليس منه في شيء، فهو في وجوب الاخلاص في الجهاد كسائر عبادة لله تعالى، لا في عموم قتال الناس، وقد ورد في حديث الثلاثة الذين يكونون أول من تسعر بهم النار يوم القيامة: الشهيد، والمتصدق والقارىء، ما هو نص في قولنا وهو في صحيح مسلم ولكن هذه الاحاديث حجة على المعترض في قوله السابق ان قتال المسلمين لغيرهم لا يمكن أن يكون اعتداء لأنه كان لاجل هدايتهم وانقاذهم من النار

(الوجه الخامس) لا يستحق أن يبحث فيه بعد العلم بما تقدم وما يأتي

(الوجه السادس) ونصه دعوى باطلة بالبداهة، وهي أنه قد علم بالاضطرار عند المسلمين وغيرهم « أنه لم يثبت أن كل من قاتلهم النبي والخلفاء الاربعة وغيرهم من أئمة المسلمين قاتلوا قبل أن يقاتلوا، وان مقام المسلمين معهم كان مقام دفاع عن النفس » وهذا خطأ من وجوه كالتعبير بالعلم الاضطراري في موضوع سلبي وجعله

عاما للمسلمين وغيرهم فمتى كانت هذه القضية السلبية من القضايا الاضطرارية عند المسلمين وغيرهم ؟ إن هذا إلا غفلة عن معنى الاضطرار

(٤) خطأ في التعبير وحصر الكلام في الموضوع فنقول انه قد أدخل فيه ماليس منه وهو حرب الخلفاء الثلاثة وغيرهم ، وانه لم يفهم مرادنا من حرب الدفاع فظن أنها عبارة عن كون الكفار هم الذين يبتدئون القتال في كل معركة، وهذا مخالف للواقع في كل زمان ومكان من القرون الماضية إلى زماننا هذا ، ورأيت كثيراً من الناس حتى المشتغلين بعلم الفقه وقراءة السيرة غافلين عن الحقيقة في هذا الموضوع

(٥) المعتدي المبتدىء بالقتال هو الفريق الذي أوجد حالة الحرب بالفعل أو بالقول، وإن لم يكن هو البادىء بعد وجودها في كل تعد وكل هجوم ، والدافع هو المقابل له في الاعتداء والقتال، ولا يخلو من ابتداء بعض المعارك والاغارات فقرنسة وأحلافها يقولون إن ألمانية كانت هي البادئة المعتدية في الحرب الدولية الاخيرة ، وأنهم كانوا هم المدافعين ، ولم يقولوا هم ولا غيرهم إنها كانت هي البادئة في كل معركة وكل تعد

ومن المعلوم بنصوص القرآن القطعية وبالاجماع ان المشركين كانوا هم المعتدين على المؤمنين بالقتال وغيره مما تقتضيه حالة الحرب التي أوجدوها، وان هذه الحالة قد استمرت إلى أواخر سنة ست من الهجرة إذ عقدت معاهدة صلح الحديبية، وتساهل النبي ﷺ فيها معهم حرصا على إبطال الحرب وتقرير حرية الدين ، ومنع فتنة المشركين للمؤمنين ، ثم ان المشركين نقضوا هذه المعاهدة فعادت حالة الحرب بطبيعتها إذ لا تبطل إلا بمعاهدة ملتزمة ، فكان هذا سبب فتح النبي ﷺ لمكة وما وليه من حرب الطائف وحنين ، فلا فرق بين هذه الحرب التي بدأ بها النبي والمؤمنون بالزحف، وبين غزوة بدر وأحد والاحزاب التي بدأها المشركون

وأول الشواهد على هذا من نصوص القرآن قوله تعالى (٢٢ : ٣٨ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا — إلى قوله — ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) الخ

وأوسطها قوله تعالى (٦٠ : ٧ لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين) إلى آخر الآيتين

وآخرها قوله عز وجل (٩ : ١٣ ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة)

أفتغفلون أيها الفقهاء والمؤرخون عن القرآن وعن حقيقة الواقع بالفعل وتأتون بقضايا مخترعة تدعون أنها معلومة بالاضطرار عند المسلمين وعند جميع الناس ؟

(الوجه السابع) ما ذكره في سننه ﷺ في السرايا والجيوش - ولم يبق حاجة الى الكلام في انه ليس من محل النزاع ، فانه كان يبعثهم لقتال أولئك المعتدين المشركين ويعلمهم أحكام القتال وآدابه من النهي عن الغلول والغدر والتمثيل وقتل الاولاد ، والامر بدعوتهم أولا إلى الاسلام وما يتبعه من الهجرة فالى الجزية ، وكذلك ما ذكره بعد هذا من الاشارة إلى الآيات ليس من موضوع النزاع وفيه أخطاء لا حاجة إلى بسطها والرد عليها

وجملة القول : إن كل ما أورده في الرد على قولنا لا يرد علينا منه شيء ، فجميع قتال النبي ﷺ للمشركين وأهل الكتاب كان دفاعا لا ابتداء حتى غزوة تبوك ، وأما حكم الجهاد في نفسه ومتى يكون واجباً عينياً ، ومتى يكون واجباً كفائياً ، فقد بينته في تفسير سورة التوبة بالتفصيل ، وبينت علله وأسبابه ، وأهمها منع كف اعتداء المعتدين ، ومنع الفتنة والاضطهاد في الدين ، وجعله حراً خالصا لله رب العالمين ، حماية الدعوة إلى الاسلام ، ومن كان عارفا بتاريخ الامم والاقوام يعلم أن العرف العام بينها كان كعرف العرب وهو أن كل قومين ليس بينهما عهد هما في حال حرب ، وإنما تقع الحرب بالفعل عند توفر أسبابها ، ولا يزال كذلك إلى يومنا هذا ، فان دول الافرنج يستبيحون الاعتداء على كل شعب أو حكومة ليس بينهم وبينها عهد ، ويفعلونه عند الحاجة إلا أن يمنعهم منه العجز أو التنازع فيما بينهم

(٣)

﴿ انتقاده إعطاء المرأة حق اشتراط عصمتها والجواب عنه ﴾

انني أشرت في عبارة الطبعة الثانية من كتاب الوحي إلى دليل من قال بهذه المسألة وهذه عبارتي فيها (من ص ٢٦٨) بل تجيز - أي الشريعة - للمرأة أن تشترط في عقد نكاحها جعل عصمتها بيدها لتطلق نفسها اذا شاءت بناء على ما ذهب اليه بعض

أئمة الفقه من صحة كل شرط غير مخالف لنص قطعي من الكتاب والسنة ولا سيما شروط الزوجية عملا بحديث « أحق الشروط أن توفوا به ما استحللتم به الفروج » رواه البخاري في مواضع من صحيحه وأصحاب السنن اه

وقد كان ينبغي للاستاذ المنتقد أن يقتصر على السطرين الاولين من انتقاده ولا يزيد عليه مالا محل له هنا من إنكاره على أبي حنيفة هذه المسألة وغيرها من اجتهاده ، ومطالبتي بالدليل على ما أنكره عليه ، ولا غير ذلك من الاسراف في الانكار والادلال بما عنده من العلم أو الرأي في أدلة الكتاب والسنة وطباع المرأة ووصفها بما وصفها به من العبارات الشعرية التي لا تدخل في باب الحجة

لاجل هذا أزيده بيانا لصحة هذا الحكم في ذاته ، بصرف النظر عن مقام قائله (وهو الامام أبو حنيفة) وكون الاجماع لا ينعقد عند فقهاء السنة في عصر مع خلافه، وبيانا لاسرافه فيما صور به المسألة من مخالفة الكتاب والسنة، وجعلها من باب ولاية المرأة على الرجل في الامور العامة كامارة المؤمنين من جهة، ومن مفاسد الاجتماع البشري في نظام البيوت والامم من جهة ثانية، ملتزما الاشارة الوجيزة فأقول :

(١) ان الاصل في العقود هو قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) فهذا نص عام في القرآن ، وهو صريح في أن الاصل في العقود الصحة حتى يقوم دليل مثله في القوة يخصصه فيؤخذ به في مورد تخصيصه، والنساء كالرجال في صحة التعاقد معهن فيما لا يخالف نصاً في الشريعة

(٢) ان الاصل في الشروط العامة حديث « المسلمون على شروطهم » رواه أبو داود والحاكم مرفوعا من حديث أبي هريرة بسند صحيح وهو مقيد بحديث « المؤمنون عند شروطهم ما وافق الحق من ذلك» رواه الحاكم عن أنس وعائشة وهو صحيح أيضاً . وذكر الحافظ في معناه حديث «المسلمون عند شروطهم إلا شرطا أحل حراما أو حرم حلالا» ولم يعزه ولا تكلم فيه

ويفسر هذا حديث « ما بال رجال يشترطون شروطا ليست في كتاب الله، ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط ، قضاء الله أحق، وشرط الله أوثق، وانما الولاء لمن أعتق » وهو حديث مشهور متفق عليه

صيغه اشتراط بأنهم ورثة أن يكون لهم الولاء . وحكم الله ان الولاء لمن أعتق . والمراد مما ليس في كتاب الله ما خالف حكم كتابه كما قال المحققون .

(٣) الاصل في شروط النكاح خاصة الحديث الذي أوردته في الطبعة الثانية من كتاب الوحي وذكرته آنفا ، وفي مذاهب الفقهاء في هذه الشروط أقوال فصلها الحافظ بن حجر في شرحه للبخاري منها التفرقة بين ما هو من مقتضى العقد وما ليس منه وهو مذهب الشافعي ، ومنها قول احمد وجماعة : يجب الوفاء بالشروط مطلقا اهـ فمذهب امام المعترض أوسع في هذه المسألة من مذهب أبي حنيفة

(٤) ان فقهاء الحنابلة وغيرهم قد أجازوا توكيل الرجل المرأة بأن تطلق نفسها وهو بمعنى اشتراطها أن تطلق نفسها فيرد عليه ما ذكره فيه ،

(٥) ان هذا الاشتراط والتوكيل ليس فيه شيء من ولاية المرأة على الرجل وانما هما نزول من الرجل للمرأة عن اختصاصه بالطلاق باختياره ، وهي لا تشترط هذا إلا اذا كانت تخاف أن يظلمها الرجل ظلما لا ترى لها مخرجا منه إلا بطلاقه وهو نادر فهي تهدده به لتمنعه من الظلم لها في نفسها ومالها ، فان وقع أوقفته ، وكم من امرأة اشترطته ولم تنفذه ، ومنهم الاميرة المصرية الشهيرة (نازلي هانم)

فمن يريد تحقيق مسألة كهذه ينبغي له أن ينظر في جميع ما ذكرناه لا أن يلقي تلك الكلمة المجملة على عواهنها

(٤)

﴿ انتقاد مسألة كلام الله تعالى وصفاته والرد عليه ﴾

قال ان تعريفنا لكلام الله تعالى لا يعرف لأحد من علماء السنة ورواة الآثار الخ ، وأقول انني لم أدع أنه رواية فيضرني أنه لا يعرف هو ولا غيره لها راويا ممن ذكر ولا من غيرهم . واسأله هل يعرف أن أحداً من هؤلاء العلماء والرواة قال أو روى عن النبي ﷺ أو عن علماء أصحابه انه لا يجوز لاحد أن يفسر اسما من أسماء الله تعالى ولا صفة من صفاته ولا فعلا من أفعاله إلا بحديث مرفوع أو أثر عن الصحابة ، أو قول من أقوال مالك أو أحمد او السفيانين

وأضرابهم ؟ بل أسأله هل التزم أحد من المفسرين للقرآن أو شراح الأحاديث هذا ؟ وإذ لم يشترط أحد منهم فيه الرواية التي يحتج بها في العقائد وهي القطعية ولا ما يحتج به في الأحكام العملية من الآحاد الصحيحة ، فعدم اشتراط نقله عمن لا يحتج بأقواله في ذلك كالدين ذكر أسماءهم أولى . ولو كان المعترض يروي لنا ما يدل على بطلان هذا التعريف لكان حقيقا بأن ينظر فيه

على أن قولي : إن كلام الله تعالى صفة من صفاته ، مروي ومجمع عليه عند أهل السنة سلفهم وخلفهم ، وأما زيادة : شأن من شئونه وذكر متعلقه فأعله لو فهم مرادي منها لحمده ورضيه ، فإنما هو عبارة عن إيثار مذهب السلف على مذهب المتكلمين الذين قالوا إن كلام الله تعالى صفة قديمة أزلية قائمة بذاته تعالى لو كشف عنا الحجاب لرأيناها ، وإنه واحد ليس فيه تقديم ولا تأخير ولا تجديد خطاب لمن شاء تعالى بما شاء متى شاء ، وأما وحيه إلى رسله فهو من الكلام اللفظي المحدث الدال على كلامه النفسي الأزلي ، فهو قد خاطب موسى في الأزل ، وأطلعه في الطور وغير الطور على ذلك الخطاب الأزلي بكشف الحجاب عنه ، وأما السلف فيقولون إنه تعالى يخاطب من شاء بما شاء متى شاء ، وإن خطابه لموسى في مصر في شأن فرعون كان بعد خطابه له في الطور . فهذا مرادي من قولي إنه شأن من شئونه تعالى الخاصة به التي لا تعلم إلا بوحي منه ، أخذا من قوله تعالى (كل يوم هو في شأن)

جملة ما قاله المتكلمون على اختلاف مذاهبهم في كلام الله تعالى من نفسي ولفظي وحقيقي ومجازي وقديم وحادث ومخلوق نظريات فلسفية مبتدعة مخالفة لظواهر القرآن ولما ثبت في الأحاديث الصحاح وجرى عليه جمهور السلف من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين كما فصلته في المنار وتفسيره وأجملته في كتاب الوحي بعبارة وجيزة لأنه كتاب لا يجوز فيه بسط هذه المباحث الجدلية وقد كتب للدعوة إلى الإسلام ، وبيان حقائقه التي لا تضطرب فيها الأفهام ، ولا يحول دونها شيء كفلسفة علم الكلام ، ولكن أخانا الناقد فهم منها خلاف ما أردناه بل ضده ، وأننا نشايع فيه المتكلمين ، ولذلك رتب عليه الأسئلة التي رأيت

على أنني بينت مرادي من تخطئة المتكلمين وبيان الحق في معنى كلام الله تعالى وتكليمه لرسله في الفصل الاول الذي زدته في أول الطبعة الثانية من كتاب الوحي (ص ٣٢ - ٣٥) ونشر في المنار وفيه تصريح بأن موسى عليه السلام سمع نداء الله تعالى له من وراء الشجرة ، وإثبات الكلام والتكليم والنداء لله تعالى ، وأما كون الغاية من هذا كشف ما شاء الله تعالى من علمه لمن شاء من رسله فهو بيان لمتعلق الكلام وغاية التكليم الذي يفهمه الرسول من الخطاب، وليس معناه أن الكلام أو التكليم هو العلم، وهذا بديهي في نفسه ولكنه اشتبه على المنتقد فتوهم أني أعني من كشف العلم ما يعنيه المتكلمون من قولهم في صفة الله تعالى : لو كشف عنا الحجاب لرأيناها ، فهذه عبارة مبتدعة لا يدل عليها نقل ولا عقل ، وإنما أخذوها من قاعدتهم كل موجود يجوز أن يرى

وانني بعد أن بينت في ذلك الفصل أن تلك النظريات في الكلام الالهي مبتدعة لم يرد بها كتاب ولا سنة ، وانها مثار للوسواس الشيطاني ، صرحت بوجوب إثبات كل ما ثبت في كلام الله وكلام رسوله من إثبات ونفي، من غير زيادة ولا نقص ، بلا تعطيل ولا تمثيل ولا تأويل ، ثم قلت : وليس عليك ولا لك أن تحكم عقلك ولا رأيك في كنه ذاته ولا صفاته، ولا في كيفية مناداته وتكليمه لرسله، ولا في كنه ما هو قائم به ، وما يصدر عنه ، على هذا كان أصحاب الرسول وعلماء التابعين وأئمة الحديث والفقه ، قبل ظهور بدعة المتكلمين اهـ

وقد نشر هذا الفصل في المنار عند البدء بإعادة طبع كتاب الوحي المحمدي الذي جاءنا انتقاد أخينا الاستاذ النجدي عند إتمامه ، وما أراه إلا قد قرأه قبله ، ولكن إخواننا النجديين مصابون بنوع من الوسوسة على مذهب السلف، فإذا رأوا كلمة واحدة في كلام أحد يحتمل أن تفسر بمخالفته قامت قيامتهم على قائلها وإن لم يفهموها ، وإن كان له مع ذلك مئات من الجمل الواضحة التي تثبت أنه مثلهم أو أعلم منهم بمذهب السلف وأقدر على بيانه ونصره بالعبارات الفصيحة المختلفة غير متقيد بألفاظ بعض المؤلفين السابقين تقيد التعبد بها

(٥)

(انكاره قولي حررت هذه المقدمة في ليلة المولد والرد عليه)

بنى انكاره هذا على أنه لا يجوز أن يقال مثل هذا القول إلا إذا وجد حديث صحيح يعين ليلة المولد ، وأن المحققين قرروا انها لا تعرف، وان فيها أقوالا متعارضة ليس بعضها أولى بالبطلان من بعض ، وأرد على هذا من وجوه

(١) ان هذه المسألة تاريخية لا من مسائل الاعتقاد ولا من مسائل الاحكام الشرعية فجواز حكايتها لا يتوقف على حديث صحيح ولا حسن ولا ضعيف وقد تساهل جمهور العلماء في المناقب والفضائل فقبلوا فيها الاحاديث والآثار الضعيفة والمنكرة غافلين عما يترتب عليها من وصفه ﷺ بما لا يصح أن يوصف به الا بنقل صحيح وغير ذلك مما بيناه في موضعه ، ومسألة تاريخ ولادته ﷺ وزواجه وموت أولاده وسفره الى الشام تكلم فيها العلماء ولم يقل أحد منهم إنه لا يجوز حكاية شيء من ذلك الا بحديث صحيح لان هذا قول بغير علم بل اختلفوا فيما هو أهم من ذلك وهو تواريخ بعض حوادث السيرة النبوية كتاريخ بدء الوحي وفترته والاسراء وفرضية الصلاة ، ولم يشترط أحد منهم في حكايتها مثل هذه الشروط

(٢) قوله « ان المحققين من العلماء قرروا أنها لا تعرف » غير معروف عندنا ، فمن هؤلاء المحققون ؟ وما دليلهم على ما قالوا ؟ وهل يجب على من لم يظهر له دليلهم أن يتبعهم ؟ هذا زعم لا يقول به مسلم ولا عاقل، وحكم لم يقل به عالم ولم يقض به عادل،

(٣) قوله ان فيها أقوالا متعارضة ليس بعضها أولى بالبطلان من بعض، يعني أنها متساوية فيه ـ مردود لانه مخالف لنقل علماء الحديث والتاريخ وترجيح بعضها على بعض

فقد نقل صاحب السيرة الحلبية الاقوال فيـه وأولها أشهرها وهو أنه كان مضي ثنتي عشرة ليلة من ربيع الاول (قال) وحكي الاجماع عليه ، وعليه العمل الآن في الامصار خصوصاً أهـل مكة الخ قال : وقيل لعشر مضت من ربيع وصحح اه (قال) أي صححه الحافظ الدمياطي ، وذكر طعن بعضهم في الاول بأن ابن اسحاق ذكره مقطوعا دون اسناد ، وأنه لو أسنده لم يقبل لتجريح أهل

العلم له ، وذكر أقوال بعضهم فيه، ولكن التحقيق عند بعضهم أنه ثقة إمام في السير وأما في الحديث فهو صدوق مدلس فلا تقبل عنعنته ومسألة المولد من السيرة لا من السنة ثم قال : وقيل لثمان مضت منه . قال ابن دحية وهو الذي لا يصح غيره وعليه أجمع أهل التاريخ ، وقال القطب القسطلاني هو اختيار أهل الحديث أي كالحميدي وشيخه وابن حزم اهـ

وقال ملا علي القاري في شرح الشمائل عند ذكر ترجيح وفاته ﷺ في يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الاول : هذا وقد اتفقوا على انه ولد يوم الاثنين في شهر ربيع الاول لكن اختلفوا فيه هل هو ثاني الشهر أم ثامنه أم عاشره بعد قدوم الفيل بشهر أو أربعين يوما . قال بعضهم ولم يختلف أهل السير في أنه عليه السلام توفي في شهر ربيع الاول، ولا أنه كان يوم الاثنين، وانما اختلفوا في أي يوم كان من الشهر ، وذكر من رجحه من أهل السير والمحدثين ومنهم ابن سعد وابن حبان وابن الصلاح والنووي والذهبي . أقول وصرح به محمد مختار باشا المصري الفلكي في التوفيقات الالهامية الذي وضعه للتوفيق بين الحساب الهجري من أول سنة منها والحسابين الافرنجي والقبطي الشمسيين ، وقد يستأنس باتفاق حساب المولد والوفاة لتقوية كل منهما بالآخر من حيث كمال السنين المناسب لكماله ﷺ في كل شيء . وكنت أحفظ ان الراجح عند المحدثين انه ﷺ ولد في صبيحة اليوم التاسع منه ولا أذكر الآن من نقله ولعل عبارة علي القاري في ثامن الشهر أصلها تاسعه

وجملة القول انه لا يصح أن يقال فيما رجحه بعض حفاظ الحديث أنه كغيره باطل ، وان مثل هذه المسألة التاريخية يكتفى في الخلاف فيها ترجيح هؤلاء ومن دونهم من العلماء لبعض الاقوال على بعض، ومن الغريب أن يشترط أستاذ حنبلي فيها أنها لا تثبت الا بحديث صحيح ، وإمامه بل إمام السنة احمد بن حنبل يقبل مادون الحديث الصحيح في الاحكام الشرعية

هذا واني لم أطل هذه الاطالة في تفنيد انتقاد ضعيف كانتقاد صديقي الاستاذ الفاضل الشيخ عبد الله بن يابس إلا حبا فيه وفي قومه، وحرصاً على أن يكون باعثا له على التدقيق والتحقيق في الاستدلال، وما يقتضيه الخروج من مضيق التقليد الى فضاء الاستقلال، وما اقترحت عليه كتابة هذا الانتقاد كله والاستدلال عليه الا لأجل هذا

(تفنيد اعتراض كاتب جزويتي في مجلة المشرق على كتاب الوحي المحمدي)

(تابع ماقبله)

(٤) صد الكنيسة او الكنائس عن الاسلام

ألمَّ الكاتب بما بيناه في مقدمة الكتاب من الحجب الثلاثة التي حجبت حقيقة الاسلام عن أوربة إلماما وجيزاً ، وأجاب عن صد الكنيسة عنه وبغيه عوجا بأنه يترفع عن إعادته ، وان آداب المناظرة تحول بينه وبين « الرمي بقذائف الكلام »

ونرد عليه بأننا نحن لم نقذف الكنيسة أو الكنائس في ذلك بتهمة من عند أنفسنا ، ولا نقلنا شيئا من أقوالها وأعمالها عن أحد من علمائنا ، وانما أشرنا إشارة وجيزة إلى بعض مادونه بعض علماء الافرنج في ذلك ولا سيما أحرار الفرنسيس وأهل النصفة النسبية منهم كالكونت دي كاستري صاحب كتاب (الاسلام : خواطر وسوانح) وغيره من الكتب الكثيرة التي توجد كلها أو جلها في خزانة كتب الكلية اليسوعية ، فمن الميسور لحضرة الكاتب الاديب أن يظل معتصما بما ادعاه من الترفع وآداب المناظرة ، ويكتفي من الدفاع عن الكنيسة بأن يقول ان كل ما أسنده اليها أولئك الكتاب الفرنسيون الكاثوليكيو النشأة والتربية - وآخرهم موسيو درمنغام الفرنسي الكاثوليكي صاحب كتاب حياة محمد - أكاذيب مفتراة على أولئك الذين أسندوها اليهم من رجال الكنيسة وغيرهم

ثم نقل كلمتي « الحق ان الاسلام هو صديق المسيحية المتمم لهدايتها ... » ووصفها بالبساطة الصبيانية ، ولو قلت ان الاسلام صديق الكنيسة لكنت حقيقاً بهذه البساطة ، ولكن المسيحية في عقيدتي التي هي عقيدة الاسلام الثابتة بالبرهان هي غير الكنيسة ، المسيحية هداية توحيد وفضائل متممة لهداية التوراة الاسرائيلية وفاقا لما ينقلونه عن المسيح عليه السلام أنه قال : ماجئت لأنقض الناموس وإنما جئت لأتمم ، والكنيسة نقضت الناموس من أول أساس له وهو التوحيد المجرد

وابطال اتخاذ التماثيل والصور التي ساترها فيها من العبادات والطقوس والتشريع المدني والاسلام هداية متممة للمسيحية لانه لم يوجد بعد المسيح عليه السلام من يصدق عليه قوله « يعلمكم كل شيء » أي ما لايستطيع أن يقوله لم غير نبيه وهو المنار فليط روح الحق كما بيناه في كتاب الوحي وغيره .

وما نقصده بقولنا ان الاسلام متمم ومكمل للمسيحية الحق التقريب والتأليف بين الطوائف في بلادنا وهو خلاف سياسة الكنيسة على طالما تمنينا لو تعاون مع رجال الكنيسة على محاربة كفر التعطيل المادي أيضاً ووجد من أصدقائنا من عرض هذا الرأي على الكاثوليك وبلغنا أنه قبل وسيظهر له أثر معه ولكن خاب الامل

٥ - عدوان السياسة الاستعمارية على الاسلام

قال الكاتب التي نسبت الى رجال السياسة الاوربية « صفات مستقبحة » وسألني لماذا أقول « لن يصغر رجالات الفتوح الاسلامية العظام كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وغيرهم » وصغي لرجال الاستعمار المحدثين ؟

وأجيبه عن هذا السؤال : إنه لايستطيع مؤرخ صادق منصف أن يقول الحق في رجالات الاسلام إلا ويكون أكبر حجة لناعق قال الباطل وافترى فاننا نرد عليه بأقوال كتب أحرار الافرنج من المؤرخين المنصفين كغوستاف لوبون الفرنسي في كتابه (حضارة العرب) وغيره وحسبنا قوله « ماعرف التاريخ فاتحا أعدل ولا أرحم من العرب » وكذا الاستاذ سيديو الفرنسي في كتابه خلاصة تاريخ العرب ومثلهما الاستاذ المؤرخ الكبير جيبون الانكليزي فانه المنصف في فضائل العرب في فتوحهم وحضارتهم واحيائهم للعلوم ، والدكتور ألفرد . ج . بتلر الانكليزي صاحب كتاب (فتح العرب لمصر) فانه على تعصبه في نصرانيته وشدة لتساهله من حكاية انتصار الاسلام على النصرانية وفتح العرب به لبلادها قد شهد بأن سبب هذا النجاح والفلاح للعرب هو إقامة العدل واتباع الحق ، وشهد لعمرو بن العاص بالمدح الذي في هذا حتى فضله في بعض الوقائع على مثال العدل المطلق في التاريخ عمر بن الخطاب (رض) مع أن عمراً لم يكن في الذروة العليا من فضلاء الصحابة (رض) بل كان من عمي الدنيا والملك فيهم

وههنا نقول إن ماكان من بعض فاتحي العرب من بعض الهفوات التي لا يسلم منها البشر لم تكن بتعاليم الاسلام ولا من خطة الخلفاء وانما كانت هفوات شخصية ، وأما خطة المستعمرين فهي سلب أموال البلاد ، واستذلال العباد ، وافساد الاخلاق ، ومنع الحرية الدينية والاجتماعية والكتابة والخطابة ، واطلاق حرية الفسق والفجور وحدها . وما عسى أن يوجد في بعض رجالهم في المستعمرات من شجنة رحمة أو مسكة عفة فانما هو شخصي ، ولا يجهل الكاتب ولا غيره مايجري في أفريقية الشمالية في هذه الايام.

٦ ـ تأويله لعبارة تاريخية في هضم أوربة للنساء

ذكر الكاتب الحجاب الثالث على الاسلام في مقدمة الوحي وهو فساد الحكومات والشعوب الاسلامية واستحواذ الجهل عليها ، وأنكر علينا قولنا إن سبب ذلك جهل هداية القرآن ، وأشار إلى ما شرحناه في الكتاب من مقاصد القرآن المشر في الاصلاح لأركان الدين الثلاث التي حرفها أهل الكتاب ، وبيان حقيقة النبوة التي جهلوها وسائر أنواع الاصلاح السياسي والدولي والمالي والحربي والنساني ، والفرق بين عجائب المسيح ومحمد عليهما السلام ، وقال « ان البعض من أقواله لا يثبت لنقد » ولكنه اقتصر على نقد كلمة واحدة عرضية نقلناها من كتابنا (نداء الجنس اللطيف) وهي أن مجمعاً مسيحياً وضع موضع الشك : هل النساء نفوس بشرية أم لا ؟ وورد عليه بأن هذا الشك انما هو مشكل لغوي حاصله أن كلمة إنسان باللاتينية (Homo) تطلق على الرجل والمرأة معاً أم لا ؟

اني أشكر له قوله إن بعض كلامي لا يثبت على النقد ، فهو حق مجمل بين أباطيل مفصلة ، لا ينكره الا من يدعي لنفسه العصمة ، لأن بعض الشهود يصدق بواحد منه ، وأي انسان لا يمكن انتقاد بعض كلامه ولو مسألة واحدة ؟ ثم أحمد الله أنه نظر في أصول كلامي في النساء الذي فضلت به تعاليم الاسلام على جميع مانقل عن الانبياء والحكماء والساسة والادباء في إنصاف النساء وإعطائهن حقوقهن الدينية والزوجية والاجتماعية والسياسية والمالية الخ فلم يجد فيه إلا كلمة واحدة مما

نقلناه من الشواهد التاريخية وهو هضم ذلك المجمع لحقوق النساء ، وإلا ما سماه متناقضا في مسألة أخرى وهو :

٧ - زعمه ان ما وصفت به الاسلام من الحرية والاخاء متناقض

قال انه لاحاجة به إلى تبيان منافي مقاصد الشيخ رضا من التناقض في قوله ان الاسلام هو دين الحرية والتآخي وأنه يضمن للناس أجمعين حقوقهم ، وقوله بعد ذلك ان الاصلاح الاجتماعي والسياسي لا يتم إلا بوحدة الامة والجنس والدين والتشريع ، والاخوة الروحية ، والمساواة في التبعة ، والجنسية السياسية ، والقضاء واللغة (قال) « أي بأن يصبح العالم كله مسلماً عربياً ، فتصور » !

أقول : من قرأ هذا البحث الطويل الذي أشار اليه المنتقد في كتاب (الوحي المحمدي) وكان يعرف علم المنطق وما اشترط فيه لصحة التناقض بين القضيتين من تحقق الوحدات الثمان — لم ير فيهما رآه كاتب المشرق ، الذي يجهل أو يتجاهل المنطق ، وأ كتفي في رد قوله بمثل الاشارة الوجيزة التي اكتفى هو بها ، بدون أن أنقل شيئاً من نصوص الكتاب غير ما قاله هو فأقول :

قلت ان الاسلام دين الحرية بمعنى أنه منع الاكراه على الدين بنص كتابه العزيز ، حتى ان فقهاءنا صرحوا بأن إسلام المكره لا يصح ولا يعتد به ، ولا تزال بعض دول النصرانية تكره الناس على دينها ، وتغتصب أموال أوقاف المسلمين فتنفقها في سبيل تنصيرهم ، وأهل شمال أفريقية قد ملأوا الدنيا صياحا من هذا الاكراه - في هذه السنين - المستمر إلى هذا اليوم

وقلت ان الاسلام دين التآخي بمعنى أنه يرشد الناس إليه ، لا أنه يكرههم عليه ، فاذا كان لا يكره الناس على الاصل ، فلا يعقل أن يكرههم على الفرع ؟ وقد ثبت في القرآن مايسمى بالاخوة القومية في تسميته الانبياء عليهم السلام أخوة لاقوامهم المشركين ، كما ثبت فيه ماهو أرقى منها وهو الاخوة الدينية ، وهذا شيء طبيعي فان الاتحاد في الاعتقاد الذي تناط به سعادة الدارين أقوى من كل اتحاد ، فأخوته أكمل من كل أخوة

وقلت ان الاسلام يعطي كل ذي حق حقه ، وأعني به الحق الذي قرره وأثبته له في محيطه الخاص به ، لا ما يدعي كل أحد من الحق لنفسه ، فهو في القضاء والشهادة يساوي بين الخاضعين لشريعته في أحكامها لا يميز بين مؤمن وكافر ، ولا بر وفاجر ، ولا قوي وضعيف ، ولا ملك وسوقة ، ولا غني وفقير ، ولا قريب وبعيد ، ولا محب وبغيض ، وفيه من وراء ذلك حقوق لأولي القربى والارحام ، وحقوق للاصدقاء والجيران ، وحقوق لأخوة الاسلام ، وحقوق للانسانية العامة ، ولا تعارض فيه ولا تناقض بين هذه الانواع

مثال ذلك ان الصدقة العامة في الاسلام مشروعة لكل هذه الانواع تجب على المسلم لغير المسلم المضطر غير الحربي ، وتستحب للمحتاج غير المضطر أيضا ، وللمسلم منها نوع خاص وهو الذي عينه القرآن للاصناف الثمانية من نصاب الزكاة ، وللاقربين نوع خاص كالنفقة الواجبة للمحتاجين من أصول الانسان وفروعه ، ولغيرهم كالاخوة والاخوات عند السعة ، وتقديمهم على الغرباء ، فهل يعد هذا من التناقض ؟؟

وأما معنى قولنا ان الاصلاح الانساني الكامل لا يتم إلا بالوحدات الكثيرة فهذه قضية معقولة في نفسها ، سواء قررها الاسلام أو لم يقررها ، حتى لو لم يكن في العالم أمة عربية ولا شريعة إسلامية ، ولكن الثابت في الواقع أن هذا الكمال الانساني لم يبين إلا في الاسلام ، وصحة الاسلام لا تتوقف على اتفاق البشر عليه ، فالبشر لا يتفقون على شيء ، والكمال هو الغاية في الدعوة فلا تناقض !!

(للرد بقية موضوعها طعنه في اعجاز القرآن)

﴿ جوامع كلم ، في شئون الدول والامم ﴾

أعقد مشكلات هذا العصر مشكلة وطن اليهود القومي في فلسطين ، وسياسة الانكليز فيه إيجاد شعب قوي غني في قلب البلاد العربية معاد للشعب العربي فتخضع كلا منهما بالآخر ولكنها عاجزة عن حفظ الموازنة بينهما ، فاليهود أقوى منها اليوم ، وسيكون العرب أقوى منهم غدا بكثرتهم وعصبيتهم والجمع بين الضب والنون محال

وفد الصلح والسلام

إننا وقد وفينا حادث الحرب والسلم في جزيرة العرب حقه ، وبينا ما لنا فيه من موعظة وعبرة ، وشكرنا لكل من الامامين عبد العزيز ويحيى فضله ، فلا يفوتنا أن نختم حديثه بشكر وفد السلام ، وجهاده في سبيل الله بخدمة العرب والاسلام فهو الذي انتدب لهذه الخدمة بالعمل من غير دعوى ولا إعلان في الصحف ، ولا تبجح بنشر المقالات وإلقاء الخطب ، ولا دعوة إلى جمع المال كأمثال الذين يقولون ما لا يفعلون ، ويسرون غير ما يعلنون ، بل قال وفعل ، وجاهد بماله ونفسه ولم يطلب مساعدة أحد

أول من دعا إلى هذا زعيم فلسطين الاكبر ومفتيها ورئيس مجلسها الاسلامي الاعلى ، ومؤسس المؤتمر الاسلامي العام فيها : السيد محمد أمين الحسيني ، دعا نفراً من أشهر رجالات الاقطار العربية الاسلامية ذات الجوار والصلة بجزيرة العرب : سورية والعراق ومصر ، فاستجاب له من سورية زعيمها السياسي الاكبر هاشم بك الاتاسي رئيس الكتلة الوطنية الممثلة لسورية كلها ، واعتذر زعيم العراق الاكبر ياسين باشا الهاشمي بمرض عرض له

واستجاب له من مصر محمد علي باشا علوبة من وزرائها ونوابها السابقين ، ووكيل المؤتمر الاسلامي العام ، وهو الذي سبق جميع الزعماء المصريين إلى العناية بأمر المؤتمر الاسلامي ، وسافر مع رئيسه إلى الاقطار الاسلامية لجمع الاعانات له ، وعني بخدمة المسألة العربية العامة عناية خاصة .

واستجاب له من أوربة أكبر كتاب الامة العربية وأمير البيان فيها ، الداعي إلى وحدتها ، المحامي عن حقيقتها ، الدافع عن ملتها ، ورئيس الوفد السوري الفلسطيني في جنيف مثابة سياسة الامم كلها ، الامير شكيب أرسلان ، ووافى اخوانه الثلاثة طائراً من أوربة الى مصر ، على ما في طيرانه من زيادة النفقة في هذه العسرة المرهقة ، وعلى ما قاساه من عنت الحكومة المصرية وإرهاقها إياه العسر السياسي ، الذي هو أشد على الاحرار من العسر المالي ، في مروره بأرضها من الاسكندرية إلى السويس ، وقد رأيت هذا العنت بعيني ، وذقت مرارته بنفسي ، إذ سافرت

من القاهرة إلى بنها للقائه فيها والذهاب معه إلى السويس ، فلم يأذن لنا الجلاوزة المسيطرون عليه من قبل حكومتنا المصرية — وهم من الانكليز — بسلام ولا كلام ، ثم كان المصريون منهم أشد من هؤلاء الانكليز وطأة في القطار بعد القطار ثم في السويس ، ولم نر أحداً فهم لهذا العنت معنى

ركبت أنا ومحمد علي باشا علوبة في قطار بور سعيد والسويس الذي يخرج من محطة مصر في نهاية الساعة السادسة مساء ، وهو يلتقي في محطة بنها بالقطار الجائي من الاسكندرية إلى مصر ، وهنالك نزل الأمير شكيب من قطار الاسكندرية وركب هو والجلاوزة المحافظون عليه في قطارنا ، فأدخلوه في المخدع المجاور لنا ، وأردت أن أسلم عليه وهو يعلم أنه ممنوع من السلام عليّ وعلى غيري فحالوا بيننا

ولما نزلنا في الاسماعيلية ونزل فيها السيد أمين الحسيني وهاشم بك الاتاسي القادمين من فلسطين وانتقلنا جميعاً إلى القطار الذي يحملنا إلى السويس فرق جلاوزة الأمن المصريون بين الأمير شكيب والجائين من فلسطين والجائين من مصر جميعاً فلم يسمحوا لأحد منهم في المحطة ولا في القطار أن يكلم الفريق الآخر ولا أن يسلم عليه ، فكان هذا الحجر أبعد عن العقل والفهم والشرع والعرف والقوانين من كل ما سبقه ، إلا ما يكون من الحجر الصحي في أوقات الأوبئة والعسكري في وقت الحرب ، وانما يكون الأول لوقاية الأصحاء من المصابين بالوباء ، والثاني لحماية الوطن وأهله من فتك الأعداء ، وكلنا أصحاء أصدقاء ، ولله الحمد ، جنسنا واحد ، وديننا واحد ، وحكومتنا المصرية ، موادة لحكومتي فلسطين وسورية ، والدولتين المسيطرتين عليهما ، ولأجلهما تحجر على الأمير شكيب وتعنته ، ولا نعرف لنا وللآخرين ذنباً

بيد أننا لما وصلنا إلى السويس نزلنا كلنا في فندق واحد فارتفع الحجر عن كل منا إلا الأمير شكيب فان الحكومة أمرت بنقله إلى فندق آخر ، حالت فيه بينه وبين كل أحد منا ومن غيرنا ، إلا السيد محمد أمين الحسيني فقد أذنوا له أن يكلمه في مسألة السفر بأول باخرة أو بطيارة ، ولما اجتمعا اتفقا على الالحاح علي بالسفر معهم الوفد فأدليت بما لديّ من الموانع المالية وغيرها فقبلوا عذري ، وكاشفتهم بما عندي من رأي ورواية في موضوع الحرب والصلح ، وحملتهم كتباً إلى جلالة ملك

العرب السعودي وبعض رجال بطانته أظهرت فيه ما بيني وبينهم من التكافل والثقة بهم ، وعذري في التخلف عنهم وكان ذلك في ٢٧ ذي الحجة سنة ١٣٥٢.

سافروا باسم الله إلى الحجاز فكان لهم عند جلالة الملك ما يليق بمكانتهم الشخصية والقومية ، وبسفارة وفدهم الاسلامية العربية ، من حسن الضيافة وكرم الوفادة ، وقلما اجتمع في مجلسه وفد كوفدهم في سعة معارفهم ، ودقة خبرتهم ، وصفاء نيتهم ، واتفاق رأيهم ، وحسن بيانهم ، فبسطوا له خلاصة ما يعلمونه من آراء العالم الاسلامي والشعور العربي في بلادهم وغيرها في مسألة الجزيرة العربية المقدسة ، وما يخشونه من المطامع الاجنبية ، وما وقفوا عليه في بيئتهم الاربع من دسائسها ومطامعها ، وطالت المحاورات والمسامرات بينه وبينهم فيها ، فسر بما وقف عليه من معارفهم وحسن بيانهم وشدة غيرتهم ، وأعجبوا بما وقفوا عليه من استقلال عقله ، وبعد رأيه ، وحسن نيته ، وكمال صراحته ، وحزمه وشجاعته ، وعدم مبالاته بدسائس المفسدين ، وسعاية المفسدين المحالين.

وكان من توفيق الله أن نجحت المفاوضات البرقية المتصلة بين جلالته وجلالة الملك الامام يحيى حميد الدين بما يوافق رأيهم ، فقبل الثاني مااقترحه الاول لاعلان الهدنة ووقف رحى الحرب ، ووضع معاهدة الصلح ، وتلاه إرسال مندوبه الزعيم الكبير ، والسياسي النحرير ، الاستاذ العلامة السيد عبد الله بن الوزير ، مفوضا من مقام الامامة المتوكلية بذلك ، فوجد الوفد الاسلامي من معارف سيادته ، ودقة سياسته ، وصفاء طويته ، وصدق صراحته ، ماكان موضع العجب والاعجاب ، والثقة بما يرجون ويرجو العالم الاسلامي والعربي من الاتفاق والاتحاد

ولما وضعت المعاهدة الاسلامية العربية العظيمة الشأن بالاتفاق السري العلني من الجانبين ، التي كانت موضع إعجاب أهل الخافقين ، وحضر أعضاء الوفد توقيعها في الحجاز ، ودعوا جلالة الملك الامام عبد العزيز وسافروا مع مندوب جلالة الملك الامام يحيى حميد الدين إلى صنعاء اليمن ليشهدوا توقيعها فيها ، ثم يحضروا مبادىء تنفيذها . وقد اعتذر محمد علي علوبة باشا العضو المصري عن السفر مع اخوانه إلى اليمن لكثرة ماينتظره من الشواغل في مصر وقد تم الصلح ولله الحمد ، وحملهم كتابا

إلى جلالة الامام يعتذر به عما كان يرجوه من الشرف بالمثول في حضرته ؛

سافر الوفد من جدة إلى الحديدة فاستقبلهما فيها صاحب السمو الملكي الامير فيصل السعودي بالحفاوة والتكريم ، وكان أبهج ما سرهم فيها ما رأوه من حسن التلاقي بين سموه وسيادة عبد الله بن الوزير ، فقد كان كتلاقي أخوين شقيقين طال عليهما البعاد ، فطفقا يطفئان لوعته بالتقبيل والعناق ، ثم ما رأوه من جيوش كل من الامامين عند الحدود بين منطقة تهامة المحتلة من قبل الدولة السعودية ، ومنطقة الجبال التي ترابط بها الجيوش المتوكلية ، وكيف كان تلاقي جماعتيهما تلاقي الاخوان ، ثم ما هو أعلى من ذلك وهو لقاء جلالة الامام الهمام ، وحفاوته بضيوفه الكرام ، وما سمعوه بآذانهم من ثنائه على أخيه الامام الملك عبد العزيز كما كان هذا يثني عليه ، ويشهد كل منهما للآخر بحسن النية ، ثم ما شاهدوه في الحديدة من تنفيذ المعاهدة بجلاء الجيوش السعودية عنها ، وتبادل تسليم الرايات وتسلمها فيها ، بما عليه اتفقا من التكريم والتعظيم العسكري والود الاخوي

ثم سافروا من الحديدة الى مصوع وسافر منها إلى السويس السيد أمين الحسيني وهاشم بك الاتاسي فوصلا اليها في السابع من هذا الشهر الميمون (ربيع الاول) واستقبلناهما فيها مع جماهير المستقبلين مهنئين داعين ، وتخلف الامير شكيب ليسافر منها إلى أوربة

كنا قد وقفنا على أطوار الحرب والصلح من أنبائها الرسمية وغير الرسمية العامة منها والخاصة بناء، وبقي علينا أن نعلم من الوفد ما كان للصلح والمعاهدة من التأثير النفسي في قلوب الفريقين ، مما لا يعلم إلا من رؤية الوجوه المستبشرة أو الباسرة ، ومن سماع جرس الاصوات في الحديث والتفرقة بين نغماتها السارة ، والقارة والحارة ولا يعلم هذا وذاك إلا من رأى بعينيه ، وسمع بأذنيه ، وشعر بقلبه ، وأخبرنا بما روينا عنه

هذا وانه قد بلغنا قبل اصدار هذا الجزء أن جلالة الملك عبد العزيز وجلالة الامام يحيى قد أبرقا الى جلالة ملك الانكليز يرجوانه بأن يوصي حكومته بالاذن للامير شكيب بدخول فلسطين للقاء والدته الجليلة فيها إذ طالت غيبته عنها ، فتقبل شفاعتهما فيه ، وابرق اليه المندوب السامي من فلسطين بالاذن له بذلك فنهنئه ونهنيء السيدة الفاضلة بهذا اللقاء الميمون ، فبارك الله لهما وعليهما

المطبوعات الحديثة

(المسوّى من أحاديث الموطأ)

﴿ طبع الجزء الاول منه بالمطبعة السلفية بمكة سنة ١٣٥١ على نفقة ناشريه الشيخ عبد الوهاب الدهلوي والشيخ محمد صالح نصيف الحجازي، ونشر في سنة ١٣٥٢ ﴾

هذا الكتاب من مصنفات الشيخ احمد ولي الله الدهلوي الهندي وطنا العمري الفاروقي نسباً مجدد القرن الثاني عشر للهجرة في الهند بدعوته وإرشاده وتربيته وتدريسه ومصنفاته، وبمن ترك من العلماء الاعلام من أبنائه وتلاميذه ومريديه فقد كان جامعاً بين العلوم النقلية والعقلية والفلسفة والتصوف كما يعلم من كتابه المشهور (حجة الله البالغة) الذي وضعه لبيان مقاصد الشريعة وحكمها وأسرارها وإن أشهر علماء الهند من بعده الى يومنا هذا يتصلون بسلسلته ، ويجرون على طريقته (ر.ح) سمعت هذا منهم في مدرسة ديوبند

والمشهور ان كتابه (المسوى) هذا شرح لموطأ الامام مالك بن أنس (ر.ح) فهو بهذا يوصف ويعرف ، وليس الامر كذلك ، فهو ليس بشرح للموطأ ، واسمه لا يدل على انه شرح له، وانما هو نوع جديد من أنواع الاصلاح والتجديد لم ينسج بعده أحد على غراره ، ولا قفى تلاميذه بمثله على آثاره ، بل لم يفهموا مراده منه لاجماله واختصاره ، وقد وصفه هو بقوله في مقدمته :

« وقد شرح الله صدري — والحمد لله — أن أرتب أحاديثه ترتيباً يسهل تناوله ، وأترجم على كل حديث بما استنبط منه جماهير العلماء ، وأضم الى ذلك من القرآن العظيم مالا بد للفقيه من حفظه، ومن تفسيره مالا بد له من معرفته، وأذكر في كل باب مذهب الشافعية والحنفية إذ هم الفئتان العظيمتان اليوم ، وهم أكثر الامة ، وهم المصنفون في أكثر الفنون الدينية وهم القادة الأئمة »

ثم قال : وفهمني الحق ان في ذلك فتحا لأبواب الخير وجمعا لشمل الامة المرحومة ، وهزا للطبائع جامدة طالما ركدت، وارشادا الى طرق من العلم طالما تركت

وأرجو من فضل الله ورحمته ان يكون هذا الكتاب جامعاً لخمسة أنواع [1] من الاحكام : هي العمدة لمن أراد أن ينتهج مناهج الكرام، ما أخذ من نصوص الكتاب ، وما أثبته الاحاديث المستفيضة أو القوية المروية في الاصول في كل باب ، وما اتفق عليه جمهور الصحابة والتابعين، وما استنبطه مالك وتابعه جماعات من الفقهاء والمحدثين . اه

(أقول) فكتاب (المسوى) ترتيب جديد لكتاب الموطأ بتصرف زيادة ونقصان مع تعليق وجيز على مسائله وذكر مذهب الشافعية فيها منقولا بالاختصار من شرح الجلال المحلي على منهاج النووي . ومذهب الحنفية منقولا عن الفتاوي العالمكيرية بالاختصار أيضاً . وهو يعزو اليهما في الغالب وقد يذكر المذهبين بغير عزو ، وقد يعزو إلى غيرهما . وأما آيات القرآن التي زادها في بعض الابواب فمنها ما يفسرها تفسيراً وجيزاً ولو ببيان معنى مفرداتها، ومنها ما يسكت عنها، وهو يذكر أولا رواية مالك للحديث أو الاثر ويقفي عليه بقوله « قلت كذا » يشير به إلى الوفاق والخلاف وما عسى أن يكون فيه من معارضة أو تعقب بحديث آخر، ويقول في الاتفاق : وعليه أهل العلم ، وأما الاختلاف فهو ما يحكيه عن الحنفية والشافعية

وليس فيما رأيته منه شرح لعبارات الروايات ولا بحث في أسانيدها ولا في متونها غير ما ذكرت، فالمسوى لا يصح أن يسمى شرحا. وأما الشرح الحقيقي للموطأ فهو ما كتبه المصنف باللغة الفارسية وقد طبع في الهند ، وقد أحسن متولي طبع (المسوى) بترجمة مقدمته بالعربية ونشرها هنا قبل الشروع في طبع المسوى ، وقد علم منها ان مراده رحمه الله تعالى بذلك الشرح هداية السبيل للخروج من ظلمات التقليد والاختلاف في الدين إلى نور الاستقلال والفهم الاجتهادي المطلق الذي أجمعت الامة على وجوبه في كل عصر لتقوم به حجة الله على أهله بما يقتضيه ما يتجدد لهم من العلم والشبهات والقضاء، وليس في كتاب المسوى شيء من الاعداد لسلوك هذه السبيل ، وانما هو لطبقة دون هذه الطبقة في علم الدين هي طبقة العامة ، وتلك طبقة الخاصة

---

(١) وعد بخمسة وذكر اربعة فينظر اين الخامس

فإذا أردنا أن تكون عامة المسلمين اليوم على منهاج عامة السلف الصالحين في الاستنارة بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وما كان عليه جمهور الصحابة والتابعين فحسبهم ان يقرأ لهم هذا الكتاب الذي هو الاساس الاول لكتب الصحاح والسنن والينبوع الاول لكتب الفقه ، لايكادون يحتاجون إلى غيره ، فعسى أن يكون طبعه سبباً لما نعتقد أنه ألف لأجله

وهذه التعليقات للامام الدهلوي عليه تعلمهم بالجملة ما اتفق عليه جمهور أهل الصدر الاول مما لا يسعهم مخالفتهم فيه ، وما اختلف أشهر المجتهدين فيه ، ولهم السعة في تقليد أيهم شاءوا من غير حجر ولا حرج ، ولا التزام ولا تعصب ، ولا خلاف ولا شقاق في الدين ، كالذي لا نزال نراه بين المسلمين بجهلهم وتعصبهم لاهوائهم ، وأشده في بلاد الهند ، فقد حدث منذ أشهر شقاق بين أهل مسجد في (بمباي) بتعيين امام حنبلي له ، ولولا تدخل شرطة الحكومة الانكليزية وشحنتها بين الفريقين المتعصبين له والمتعصبين عليه لوقع في المسجد الجامع من سفك دماء المسلمين ، ما لا يجوز أن يقع بين أهل القبلة المصلين ، ووقع مثل ذلك في بنارس زارها سائح مسلم فأنزله امام مسجد للحنفية فيه فبلغ الاهالي ان هذا السائح مالكي المذهب فهجموا عليه لقتله فسافر منها ليلا هاربا بدمه المالكي من استباحة أخيه الحنفي له ، والله تعالى يقول في المشركين (١١:٩ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين)

ان الله تعالى ورسوله ﷺ وأئمة المذاهب كلهم (رض) برآء من هؤلاء المسلمين الجاهلين ، فكلهم متفقون على عدم تكفير أحد من أهل القبلة ، وعلى جواز الصلاة مع الفاسق والمبتدع غير الكافر ، وان انحاء هذه المذاهب التي يدعونها خير لهم من بقائها مع هذا الشقاق ولو كانوا يلقنون في مدارسهم ومساجدهم مثل كتاب المسوى لعلموا انه لا ينفرد مذهب من مذاهبهم برأي اجتهادي هو واجب على أحد من المسلمين ، فان جميع الآراء تسقط حيث يوجد نص الشارع في المسألة ، وتتساوى بالنسبة الى العامي العاجز عن الترجيح بينها ، فهل يجوز أن يتعادوا ويتقاتلوا لاجلها ؟ والتعادي والتقاتل في هذا محرم بالاجماع ؟ وكذا مادون ذلك من السباب والهجر :

ماذا التقاطع في الاسلام بينكم وأنتم ياعباد الله اخوان

وفيات الاعيان

(احمد زكي باشا شيخ العروبة رحمه الله تعالى)

في يوم الجمعة لثلاث خلون من هـذا الشهر (ربيع الاول) لبى دعوة ربه صديقنا (احمد زكي باشا) الكاتب المؤرخ المصنف الخطيب الاديب الطائر الصيت في إثر « ضربة هواء » كما يقول العوام أحدثت التهابا شديداً في رئته أعيا علاجه أصدقاءه من نطس الاطباء ، لم تمهله إلا أسبوعا أو بعض أسبوع، اختطفته المنية من حجر أمه مصر وهو ابنها البار، ومن ميدان أمته العربية وهو فارسها المغوار ، وشيخ العروبة الذي فاق في شيخوخته وناصع شيبته جميع الشبان قوة وفتوة ، ونضارة وبهجة ، وهمة وسعياً وحركة ، وأملا في طول الحياة، فلو كانت الاعمار بقوة البنية وشدة العضل ومرونة العصب ويسر المعيشة وقلة الهموم وكثرة السرور، لكان احمد زكي باشا جديراً بأن يبقى بعد المعمر التركي زارو أغا الذي توفي بعده في هذا الشهر عن ١٣٥ سنة حتى يبلغ سنه أو يزيد عليها، وما أراه زاد على نصفها إلا قليلا . ولعله لم يفته من أسبابها الا عيشة القصد والاعتدال ، فقد كان في بلهنية من الترف دان له بها الاهيفان ، وسبحان مقدر الآجال

نعته الصحف التي كان يشغل أكثر المشهور منها بمقالاته ومناظراته التاريخية والجغرافية والادبية، فراع نعيه الفجائي العلماء المصريين من الشرقيين والغربيين، واختلفوا أفراداً وجماعات على منزله (دار العروبة) في جيزة الفسطاط للتعزية عنه، كما كانوا يختلفون اليها آنا بعد آن لحضور المآدب والاحتفالات التي يدعوهم اليها لتكريم من يفد على القاهرة من العلماء والادباء والزعماء الشرقيين والغربيين ،

وشيعت جنازته منها يحف بها الجم الغفير منهم، وقد أممت المصلين عليها في أحد مساجد الجيزة فكان هذا آخر العهد بمودتنا الطويلة التي لم تشبها شائبة جفوة، ولا فترة اختلاف ولا فرقة، ثم حملت إلى القبر المعد لها تحت منارة مسجده الفني الصغير الذي بناؤه كان شغله الشاغل في سنيه الاخيرة، وأبنه هنالك المؤبنون ، وانصرفوا بعد دفنه فيه مسترجعين مسترحمين ، ومما انفرد به أنه كان كلف الفقيد (ر.ح) الشيخ عبدالله الشيبي بمكة المكرمة أن يأتيه بكناسة غار حراء سراً فغفل، فجاء بها

ووضعها في القبر الذي أعده لنفسه ولزوجه في هذا المسجد، وهو بدعة تدل على إيمان كإيمان العجائز، وتعارض ما كان من فلتات اللسان في دعابته تسيء ظن بعض سامعيها في عقيدته، ويروي بعضهم عنه ما يدل على تأوله فيه. والدعابة في الحوار كالنكتة في الشعر، لا تترك، لا تصدر عن إيمان ولا عن كفر

رأيت أحمد زكي بك أول مرة في مكتب ابراهيم باشا نجيب وكيل الداخلية (ر . ح) وكان ذلك في سنة ١٣١٦ ثم قوي التعارف بيننا، وكنا نجتمع في أكثر ليالي رمضان مع طائفة من الادباء والمحبين للمباحث الدينية. والتوفيق بينها وبين المعقولات والمعارف العصرية، منهم أحمد زكي بك مدير الاموال المقررة وعبدالله بك فائق (باشا بعد) ومحمود بك أنيس (ر . ح) وآخرون لم يبق أحد منهم حيا إلا حمزة بك فهمي وكان من رجال القصر الخديوي، وكانت تلك المباحث جل مايدور في سمرنا، وأكثر ماتبدأ به مشكلات تلقى على صاحب المنار يطلب منه حلها

من أجل هذا استفتاني فقيدنا اليوم في عشرة أسئلة ألقاها عليه بعض علماء الحقوق والشرائع في باريس في صيف ١٩٠٤ ليترجمها لهم بلغتهم الفرنسية «ليعلموا أن في السويداء رجالا وان الشرق لا يزال عامرا بأصحاب العقول الكبار» وموضوع هذه المسائل الاجتهاد ومعنى اقفال بابه عند العامة وعند أهل التحقيق، ومعنى القانون بوجه التدقيق العلمي والفرق بينه وبين الشرع، وسلطة الحاكم وحدودها الخ

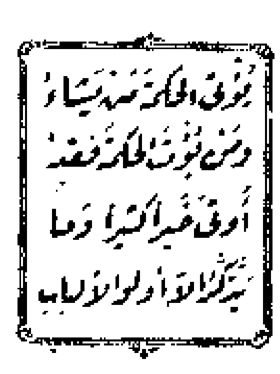
وقد نشرت كتابه ومسائله مع أجوبتها في المجلد السابع من المنار في جمادى الاولى سنة ١٣٢٢ ويوليو سنة ١٩٠٤ . واستمرت المودة بيننا، ولكنه لم ينشر شيئا من مباحثه في المنار، وكان يعلل ذلك أو يعتذر عنه باستغناء المنار عنها

كان المرحوم أحمد زكي منذ نشأته لاولى من عشاق العلم، وهذا العشق هو الذي كان يحمله على انفاق كل مازاد عن حاجته من المال في اقتناء الكتب النفيسة ولا سيما الخطية النادرة، وقد جمع خزانة منها ذات قيمة كبيرة وقفها على طلاب العلوم وأمرها مشهور

وعني في السنين الاخيرة من عمره بالسياسة العربية ولقب نفسه بشيخ العروبة فاشتهر به، بعد ان كنت اسميه في السنين الاولى: حلقة الاتصال بين الشرق والغرب، وهو فلسطيني الاصل، وأول من جاء مصر جده الادنى كما صرح بذلك لبعض الادباء السوريين ويقل من يعلم هذا. فنسأل الله تعالى أن يتغمدنا وإياه برحمته، ويعفو عنا وعنه

فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب





قال عليه الصلاة والسلام　ان للاسلام صُوًى « ومنارا » كمنار الطريق

٢٩ ربيع الآخر سنة ١٣٥٣ برج الاسد سنة ١٣١٢ هش ٧ اغسطس سنة ١٩٣٤

فتاوى المنار

﴿ اتهام ابن تيمية بأنه قال ان الله ينزل الى سماء الدنيا كنزولي الخ ﴾

(س١٤) من صاحب الامضاء في قنا مع كتاب خاص لوكيل المنار هذا نصه:

سيدي المحترم

سلام عليك وتحية طيبة بمقدار ما للمنار من الفضل على المسلمين قاطبة

وبعد فأرجو أن تطالع ما أرفقته بهذا — وتوافقني على تقديمه ورفعه الى حضرة المصلح المظيم العالم العامل صاحب الفضيلة السيد رشيد رضا حفظه الله حتى ينظر فيه ويرى مايراه ، وهو الموفق للصواب دائما

واذا حسن لدى فضيلته أن يذكر كلاما فاصلا في هذا الموضوع في المنار الاغر كانت الفائدة عامة للناس أجمعين ، ومن بينهم من وزع عليهم المهذب في المدارس

واسأل الله أن يطيل عمر السيد لنزداد المسلمون من الارتشاف من بحر علمه إيمانا ومعرفة ، والسلام عليك ورحمة الله من المخلص　　　عبدالقادر حلمي

في صحيفة ٧٦ من مهذب رحلة ابن بطوطة — الجزء الاول — الذي طبعته وزارة المعارف المصرية ووزعته على تلاميذ المدارس الثانوية ما نصه:

وكان بدمشق من كبار الفقهاء الحنابلة تقي الدين بن تيمية كبير الشام يتكلم في الفنون إلا ان في عقله شيئاً الخ

وفي الصحيفة ٧٧ فحضرته يوم الجمعة وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكرهم فكان من جملة كلامه أن قال: ان الله ينزل الى سماء الدنيا كنزولي هذا ونزل درجة من درج المنبر — فعارضه فقيه مالكي يعرف بابن الزهراء الخ

فهل صح في تاريخ ابن تيمية أن يقول هذا؟ وهل معنى ذلك في من قال هذا ينسب لله الجسمية وانه بذلك انسلخ من الايمان والاسلام؟

جواب المنار

(٤٠) اتهام ابن تيمية بتشبيه نزول الله بنزوله في المنبر

هذه التهمة باطلة قطعاً كما يعلم من كتب شيخ الاسلام وفتاويه الكثيرة في مسألة الصفات وحديث النزول، ولكن يظهر ان لها شبهة تاريخية فقد رأيت في بعض الكتب (كتاب الرد الوافر) أو غيره أنه كان يتكلم في حديث النزول وهو يخطب على المنبر ويقرر مذهب السلف في إثبات كل ما وصف الله نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ «بغير تعطيل ولا تمثيل ولا تأويل» فقال ما معناه انما نؤمن بنزوله بالمعنى الذي أراده اللائق به بلا تشبيه «لا كنزولي هذا» فزعم بعض الناس أنه قال «كنزولي هذا» لانهم لم يسمع كلمة «لا» وربما كان منهم ابن بطوطة ثم أذاع هذا خصومه المخالفون للسلف ولو صح زعمهم لقامت عليه قيامة أهل المسجد وأنزلوه عن المنبر مهيناً مذموما بكل لسان، إلا أن يقال إنهم كانوا موافقين له على رأيه إلا واحداً منهم هو ابن الزهراء الذي ذكره ابن بطوطة وكم في رحلة ابن بطوطة من الاكاذيب والخرافات، ويحتمل أن يكون قال الكلمة في تفسير المعنى اللغوي، وسنتقل عنه تحقيقه لعدم اقتضائه التشبيه

ولابن تيمية كتاب مستقل في حديث النزول هو جواب سؤال رفع اليه فأطال في الجواب عنه لان المسألة فرع من عقيدة إثبات الصفات التي أجمع عليها سلف الامة بالقاعدة التي ذكرناها آنفاً، وأما نفيها فقد ابتدعته الجهمية والمعتزلة وغيرهم من المبتدعة واختلف نظار المتكلمين في تأويل بعضها دون بعض، وهذا الكتاب

مطبوع في الهند واني أنقل منه بعض عباراته بحروفها مبتدئا بنص السؤال وهو:

﴿ نص الاستفتاء في حديث النزول ﴾

« ما يقول سيدنا وشيخنا شيخ الاسلام، وقدوة الانام، أيده الله ورضي عنه، في رجلين تنازعا في حديث النزول: أحدهما مثبت والآخر ناف، فقال المثبت: ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر. فقال النافي: كيف؟ فقال المثبت: ينزل بلا كيف، فقال النافي: يخلو منه العرش أم لا يخلو؟ فقال المثبت: هذا قول مبتدع، ورأي مخترع، فقال النافي ليس هذا جوابي بل هو حيدة عن الجواب. فقال له المثبت: هذا جوابك. فقال النافي: إنما ينزل أمره ورحمته. فقال المثبت: أمره ورحمته ينزلان كل ساعة، والنزول قد وقته رسول الله ﷺ ثلث الليل. فقال النافي: الليل لا يستوي وقته في البلاد فقد يكون الليل في بعض البلاد خمس عشرة ساعة ونهارها تسع ساعات ويكون في بعض البلاد ست عشرة ساعة والنهار ثماني ساعات وبالعكس، فوقع الاختلاف في طول الليل وقصره بحسب الاقاليم والبلاد، وقد يستوي الليل والنهار في بعض البلاد وقد يطول الليل في بعض البلاد حتى يستوعب أكثر الاربع وعشرين ساعة ويبقى النهار عندهم وقتا يسيرا. فيلزم على هذا أن يكون ثلث الليل دائما ويكون الرب دائما نازلا الى السماء، والمسئول إزالة الشبه والاشكال، وبيان الهدى من الضلال؟

﴿ جواب شيخ الاسلام أو جزء منه ﴾

« فأجاب رضي الله عنه فقال الحمد لله رب العالمين. أما القائل الاول الذي ذكر نص النبي ﷺ فقد أصاب فيما قال، فان هذا القول الذي قال قد استفاضت به السنة عن النبي ﷺ واتفق سلف الامة وأئمتها وأهل العلم بالسنة والحديث على تصديق ذلك وتلقيه بالقبول. ومن قال ما قاله الرسول ﷺ فقوله حق وصدق وإن كان لا يعرف حقيقة ما اشتمل عليه من المعاني كمن قرأ القرآن ولم يفهم ما فيه من المعاني، فان أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، والنبي ﷺ قال هذا الكلام وأمثاله علانية وبلغه الامة تبليغا عاما لم يخص به أحداً دون أحد ولا كتمه عن أحد. وكان الصحابة والتابعون تذكره وتأثره وتبلغه وترويه في

المجالس الخاصة والعامة ، واشتملت عليه كتب الاسلام التي تقرأ في المجالس الخاصة
والعامة كصحيحي البخاري ومسلم وموطأ مالك ومسند الامام أحمد وسنن أبي داود
والترمذي والنسائي وأمثال ذلك من كتب المسلمين

لكن من فهم من هذا الحديث وأمثاله ما يجب تنزيه الله عنه كتمثيله بصفات
المخلوقين ووصفه بالنقص المنافي لكماله الذي يستحقه فقد أخطأ في ذلك ، وإن أظهر
ذلك منع منه ، وان زعم ان الحديث يدل على ذلك ويقتضيه فقد أخطأ أيضا في ذلك ،
فان وصفه سبحانه وتعالى في هذا الحديث بالنزول هو كوصفه بسائر الصفات كوصفه
بالاستواء إلى السماء وهي دخان ووصفه بأنه خلق السموات والارض في ستة أيام ثم
استوى على العرش ، ووصفه بالاتيان والمجيء في مثل قوله (هل ينظرون إلا أن يأتيهم
الله في ظلل من الغمام والملائكة) وقوله (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي
ربك أو يأتي بعض آيات ربك) وقوله (وجاء ربك والملك صفا صفا) وكذلك
قوله تعالى (خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش)
وقوله (والسماء بنيناها بأيد) وقوله (الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل
من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء) وقوله (يدبر الامر من السماء إلى الارض
ثم يعرج اليه) وأمثال ذلك من الافعال التي وصف الله تعالى بها نفسه التي تسمى النحاة
أفعالا متعدية وهي غالب ماذكر في القرآن ، أو يسمونها لازمة لكونها لاتنصب
المفعول به بل لا تتعدى اليه إلا بحرف الجر كالاستواء إلى السماء وعلى العرش ،
والنزول إلى السماء الدنيا ونحو ذلك فان الله وصف نفسه بهذه الافعال

ووصف نفسه بالاقوال اللازمة والمتعدية في مثل قوله تعالى (وإذ قال ربك للملائكة)
وقوله تعالى (وكلم الله موسى تكليما) وقوله تعالى (وناداهما ربهما) وقوله تعالى (ويوم
يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين) وقوله تعالى (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)
وقوله تعالى (الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لاريب فيه ومن أصدق من الله
حديثا) وقوله (الله نزل أحسن الحديث) وقوله (وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل
بما صبروا) وقوله (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا) وقوله (ولقد صدقكم الله وعده)

وكذلك وصف نفسه بالعلم والقوة والرحمة ونحو ذلك كما في قوله (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) وقوله (ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) وقوله (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما) وقوله (ورحمتي وسعت كل شيء) ونحو ذلك مما وصف به نفسه في كتابه وما صح عن رسوله ﷺ

فان القول في جميع ذلك من جنس واحد ومذهب سلف الامة وأئمتها انهم يصفونه بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ في النفي والاثبات، والله سبحانه وتعالى قد نفى عن نفسه مماثلة المخلوقين فقال الله تعالى (قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد * ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد) فبين أنه لم يكن أحد كفوا له وقال تعالى (هل تعلم له سميا) فأنكر أن يكون له سمي، وقال تعالى (فلا تجعلوا لله أندادا) وقال تعالى (فلا تضربوا لله الامثال) وقال تعالى (ليس كمثله شيء) فيما أخبر به عن نفسه من تنزيهه عن الكفو والسمي والمثل والند وضرب الامثال له بيان أن لا مثل له في صفاته ولا أفعاله، فان التماثل في الصفات والافعال يتضمن التماثل في الذات، فان الذاتين المختلفين تمتنع تماثل صفاتهما وأفعالهما، إذ تماثل الصفات والافعال يستلزم تماثل الذوات، فان الصفة تابعة للموصوف بها والفعل أيضا تابع لفاعله، بل هو مما يوصف به الفاعل، فاذا كانت الصفتان متماثلتين كان الموصوفان متماثلين حتى انه يكون بين الصفات من التشابه والاختلاف بحسب ما بين الموصوفين كالانسانين لما كانا من نوع واحد مختلف مقاديرهما وصفاتهما بحسب اختلاف ذاتيهما ويتشابه ذلك بحسب تشابه ذلك»

«فالقول في صفاته كالقول في ذاته، والله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، لكن يفهم من ذلك ان نسبة هذه الصفة إلى موصوفها كنسبة هذه الصفة إلى موصوفها، فعلم الله وكلامه ونزوله واستواؤه هو كما يناسب ذاته ويليق بها، كما أن صفة العبد هي كما يناسب ذاته وتليق بها، ونسبة صفاته إلى ذاته كنسبة صفات العبد الى ذاته، ولهذا قال بعضهم: اذا قال لك السائل: كيف ينزل؟ أو كيف استوى؟ أو كيف يعلم أو كيف يتكلم ويقدر ويخلق؟ فقل له كيف هو في نفسه؟ فاذا قال أنا لا أعلم كيفية ذاته، فقل له وأنا لا أعلم كيفية صفاته، فان العلم

بكيفية الصفة يتبع العلم بكيفية الموصوف ، فهذا إذا استعملت هذه الاسماء والصفات على وجه التخصيص والتعيين وهذا هو الوارد في الكتاب والسنة »

وقال في موضع آخر

« ثم ان الله سبحانه وتعالى أخبرنا بما وعدنا به في الدار الآخرة من النعيم والعذاب ، وأخبرنا بما يؤكل ويشرب وينكح ويفرش وغير ذلك ، فلولا معرفتنا بما يشبه ذلك في الدنيا لم نفهم ما وعدنا به ، ونحن نعلم مع ذلك أن تلك الحقائق ليست مثل هذه حتى قال ابن عباس ليس في الدنيا مما في الجنة الا الاسماء . وهذا تفسير قوله (وأتوا به متشابها) على احد الاقوال ، فبين هذه الموجودات في الدنيا وتلك الموجودات في الآخرة مشابهة وموافقة واشتراك من بعض الوجوه وبه فهمنا المراد وأحببناه ورغبنا فيه ، وبينهما مباينة ومفاضلة لا يقدر قدرها في الدنيا ، وهذا من التأويل الذي لا نعلمه نحن بل يعلمه الله تعالى . ولهذا كان قول من قال : ان المتشابه لا يعلم تأويله الا الله حقا ، وقول من قال : ان الراسخين في العلم يعلمون تأويله حقا ، وكلا القولين مأثور عن السلف من الصحابة والتابعين لهم باحسان

« فالذين قالوا انهم يعلمون تأويله مرادهم بذلك انهم يعلمون تفسيره ومعناه ، والا فهل يحل لمسلم أن يقول ان النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يعرف معنى ما يقوله ويبلغه من الآيات والاحاديث بل كان يتكلم بألفاظ لا يعرف معانيها ؟ ومن قال انهم لا يعرفون تأويله أرادوا به الكيفية الثابتة التي اختص الله بعلمها ، ولهذا كان السلف كربيعة ومالك بن أنس وغيرهما يقولون : الاستواء معلوم والكيف مجهول ، وهذا قول سائر السلف كابن الماجشون والامام أحمد بن حنبل وغيرهم ، وفي غير ذلك من الصفات فمعنى الاستواء معلوم وهو التأويل والتفسير الذي يعلمه الراسخون ، والكيفية هي التأويل المجهول لبني آدم وغيرهم الذي لا يعلمه الا الله ، وكذلك ما وعد به في الجنة ، تعلم العباد تفسير ما أخبر الله به وأما كيفيته فقد قال تعالى (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح « يقول الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » فما أخبرنا الله به من صفات المخلوقين نعلم تفسيره ومعناه

ونفهم الكلام الذي خوطبنا به ، ونعلم معنى المسمى في اللحم واللبن والخمر والذهب والفضة ، ونفرق بين مسميات هذه الاسماء . وأما حقائقها على ما هي عليه فلا يمكن أن نعلمه نحن ولا يعلم متى تكون الساعة . فتفصيل ما أعد الله عز وجل لعباده لا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل ، بل هذا من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى

فاذا كان هذا في هذين المخلوقين فالامر في الخالق والمخلوق أعظم ، فان مباينة الله لخلقه وعظمته وكبرياءه وفضله أعظم وأكثر مما بين مخلوق ومخلوق ، فاذا كانت صفات ذلك المخلوق مع مشابهتها الصفات هذا المخلوق بينهما من التفاضل والتباين ما لا نعلمه في الدنيا ولا يمكن أن نعلمه ، بل هو من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى ، فصفات الخالق عز وجل أولى أن يكون بينها وبين صفات المخلوق من التباين والتفاضل ما لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى وأن يكون هذا من التأويل الذي لا يعلمه أحد إلا الله

ثم تكلم في موضع آخر عن الوجود القديم الواجب والوجود الحادث الممكن وصفاتهما والغلط في القول بالتلازم في النفي والاثبات وضرب له المثل فقال

« ومثال ذلك انه إذا قال النزول والاستواء ونحو ذلك من صفات الاجسام فانه لا يعقل النزول والاستواء إلا لجسم مركب والله سبحانه منزه عن هذه اللوازم فلزم تنزيهه عن الملزوم ، أو قال هذه حادثة والحوادث لا تقوم إلا بجسم مركب ، وكذلك إذا قال الرضا والغضب والفرح والمحبة ونحو ذلك هو من صفات الاجسام فانه يقال له : وكذلك الارادة والسمع والبصر والعلم والقدرة من صفات الاجسام ، فانا كما لا نعقل ما ينزل وما يستوي ويغضب ويرضى إلا جسما لم نعقل ما يسمع ويبصر ويريد ويعلم ويقدر إلا جسما ، فاذا قيل سمعه ليس كسمعنا وبصره ليس كبصرنا وإرادته ليس كارادتنا وكذلك علمه وقدرته . قيل له وكذلك رضاه ليس كرضانا وغضبه ليس كغضبنا ، وفرحه ليس كفرحنا ، ونزوله واستواؤه ليس كنزولنا واستوائنا » اهـ

وجملة القول ان شيخ الاسلام قد بسط في هذا الكتاب وغيره من الدلائل على تنزيه الله عن مشابهة خلقه في ذاته وصفاته وأسمائه ما لم يسبقه أحد إلى مثله ، مع اثبات ما أثبته لنفسه منها والمنع من تحكمنا بتأويلها أو نفيها فانه مما حرمه علينا بقوله (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون)

تفسير المنار لملاءمة الدهر ومصالح العصر

(بقلم الاستاذ الكاتب المستقل، والباحث المستدل)

الشيخ مصطفى احمد الرفاعي اللبان

يرحم الله مفسري القرآن السابقين من أئمة المسلمين، فقد بذلوا ما استطاعوه من قوة لتبيان معاني كلام الله للناس، ووقفوا أنفسهم وحبسوها على إظهار ما فيه من لغة وبيان ، وفصاحة وبلاغة ، وأدب واجتماع ، وتاريخ وحكمة وسياسة ، فجزاهم الله عنا خير الجزاء ، ووفاهم الله أجرهم موفوراً ، وجعل عملهم الخالص مشهوراً مذكوراً .

ولكن القرآن هو كتاب الزمان كله ، ودستور الحياة إلى يوم القيامة ، تنجلي معانيه بتقدم العلم وبلوغه أشده ، وتظهر أسراره بالاختراعات والاستكشافات ، وسلامة الفطر والعقول من الترهات والخرافات، وتشرق حقائقه بزوال العوائق المغشية الابصار والبصائر ، والتفاسير السابقة فيها أخبار من التاريخ ولكنها غير ممحصة ، لانعدام وسائل التحقيق والتمحيص ، وفيها طرف من العلوم المختلفة، ولكنها محشوة بالاغلاط والشطط لتعسر طرائق التصحيح والتدقيق ، وفيها ذكر للتوراة والانجيل ولكنه مبني على فهم غير واقع،(١) وعلى ظن تبين الآن أنه غير نافع ، وفيها فقه ولكنه مذهبي ، وتوحيد ولكنه كلامي ، واستطراد فلسفي ، واستقراء غير جلي .

وبهذا صار القرآن في حاجة إلى أن يفسر من جديد، وعادت التفاسير الاولى معرضة للنقد الشديد ، فألف الآلوسي تفسيره ، ولكنه جعله جامعا لاقوال من سبق مع تعليقات يسيرة، وتحقيقات غير وفيرة ، وألقى الاستاذ طنطاوي جوهري

---

(١) المنار : من هذا الفهم المخالف للواقع قول بعضهم ان تحريف أهل الكتاب لكتبهم معنوي خاص بالتأويل لا لفظي لانه لا يعقل أن تتفق أمة على تغيير ما في كتاب ربها . وسبب هذا الفهم عدم اطلاع هؤلاء على تاريخ القوم، واتفاقهم على ان توراة موسى فقدت باحتراق هيكل سليمان وان عزرا كتبها بعد ذلك بالالهام الخ مافصلناه في محله

دلوه في الدلاء ، ولكنه صير تفسيره ... فيه ...
والكونيات ، وأحوال النجوم والنباتات ، والصخور والجلاميد والمعادن المدفونات ، وملأه برسوم وصور لا تتسق مع جلال الذكر الحكيم ، ومكانة القرآن الكريم ، ومع ذلك فهو مستحق للشكران ، قمين بأن ينشر ذكره في كل مكان ، إذ حاول جهده أن يبرهن على عناية القرآن بالعلوم الطبيعية والكيميائية والزراعية والصناعية وما إليها ، ووفق في كثير مما أراد جزاه الله خيراً .

وقد انتظرنا أن يوفق الله رجالاً إلى تفسير القرآن الكريم بشرط المحافظة على جلاله وكماله ، والسمو به عما لا يليق بمكانته العليا ، وإحاطته بسياج من الحرص والأمانة يمنع الخطأ والاسرائيليات والأخبار الداحضة أن تتسرب إليه ، ويحميه من التعصب المذهبي ، والتكلف الكلامي ، وتحميل الآيات الكريمة ما لا يوافقها من المعاني الرأيية ، والتوضيحات النفسية .

وقد أراد الله أن يظهر هذا التفسير على يد السيد الكريم ، والمجاهد العظيم ، والمصلح الشهير ، والمسلم الكبير ، أستاذنا السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الأغر ، وخليفة الأستاذ الإمام الأبر ، وقد صدر من هذا التفسير أحد عشر جزءاً ضخاما تقر بها عين كل مسلم ، وينشرح لها صدر كل مؤمن ، جاءت عندما أملنا ، وفوق ما قصدنا ، وأبانت عن أن الاسلام هو الدين الخالد ، الواجب أن يعنو له البشر طائعين ، فرحين مستبشرين ، إذ هو الذي يحل مشاكل العصر ، ويزيل ما تعانيه الانسانية المعذبة من الضيق والعسر ، ويعالج الأدواء التي تشكو منها الأمم ، ويعيد للمسلمين ما فقدوه من العزة والسلطان وعلو الهمم .

وقد قرأنا هذه الأجزاء الأحد عشر كالكواكب فشكرنا الله كثيراً ، وانزاحت عن نفوسنا غمم كنا نشعر بثقلها ، وقلنا قد آن للمسلمين أن يسروا ويفرحوا ، فقد أنعم الله عليهم بتفسير طالما كانوا يتمنونه ، وكثيراً ما رأوه حلماً بعيد المنال ، ولكنه الآن تحقق على أحسن مثال .

جمع هذا التفسير القيم محاسن التفاسير السالفة ونجا من مزالقها ، وخلص من مشاكلها ، وضم بين دفتيه أحسن التحقيقات ، وأتم البيانات ، وأوضح لمن له

عينان ، أن القرآن هو كتاب الله الخالد الذي لاغنى للأمم عنه ، ولا حياة لها بدونه ، ولا مفر لها من اتباعه ، والاستفادة من هدايته، مذعنة مؤمنة، أو مسوقة بحاجتها التي تلح عليها ، فلا تجدلها ملجأ إلا إياه ، ولا معاذاً سواه .

يقرأ المسلم هذا التفسير فيشرق في نفسه نور المعرفة ، وتضيء روحه بشمس التثبت واليقين ، ويعود شخصاً مليئاً بالأمل الواسع ، مغموراً بالفرح الجامع ، شاكراً لربه أن جعله مسلماً مؤمناً من خير أمة أخرجت للناس ، ويقرؤه غيره من ذوي البصيرة والمعرفة فيثلج صدره ، وترتاح نفسه ، ويحس بالرغبة في الاستزادة منه، معجباً بالقرآن، وما فيه من علو وعظمة وجلال، ومبادىء تسعد بها جميع الاجيال .

وقد سلط هذا التفسير على جميع الشبهات نوراً كشافاً قويا ساطعاً فأزالها وأحالها هباء منثوراً ، وحل بمهارة ولباقة وقوة وغيرة وشجاعة وصراحة جميع المعضلات الدينية والمدنية والاجتماعية والسياسية، وكان الحل مشبعاً مروياً، مزيلا كل شك وريبة ووهم وظن، لايدع لأحد مسلكا يسلك منه طريق هذه المعضلات مرة أخرى ، وهذه ميزة جلية لاترفع رأسها موفوراً إلا في هذا التفسير الجليل .

وإلى القراء ثبتاً موجزاً يدعم ماقلناه .

(١) بين إعجاز القرآن بيانا شافياً وأظهر أسراره القدسية وأزال الخلافات المذهبية، وجلى الحكمة في الحروف التي تبدأ بها السور الكريمة، وصعد بالقارىء إلى سماء العرفان الصحيح ، والفهم الرائق ، ووضع فهرساً واسعاً لوجوه إعجازه فاذا هي لاتكاد تحصر اذا وعينا مفرداتها وتفاصيلها، وألمس كل فرد هذه الوجوه بما يجعله واثقاً منها، مؤمنا بها إيمانا موطداً ، لاتعلق به شية[1] من الضعف أو الوهن أو الريبة ، وأثبت أن القرآن لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولو تظاهر عليه جميع الملاحدة والمعطلين والمشركين والكافرين، لأنه بطبيعته الذاتية يغلب كل متظاهر ، ويهزم كل مكابر ، وأورد لذلك شهادات كثيرة للفلاسفة والعلماء والباحثين والمفكرين

(١) كذا في الاصل ولعلها شبهة فان الشية بالكسر فعلة من الوشي وقوله تعالى في البقرة (لاشية فيها) معناه ليس فيها لون غير لونها الاصفر الفاقع

(٢) ساق الدلائل العظيمة على خلود هذا القرآن وبقائه إلى يوم القيامة ، واستقراره وثباته كلما تقدمت العلوم ، وارتقت الفنون ، وسارت الامم في سبيل المدنية الفاضلة ، والحضارة الصحيحة ، وأرى كل ذي بصيرة نافذة كيف أن الامم الغربية لاينقذها من ويلاتها ومشاكلها المعقدة إلا كلام الله المحفوظ من التحريف والتبديل والتغيير والنسيان ، الذي يوافق الزمان والمكان ، ويجد فيه طالب الحق مايشبع نهمته ، ويزجي طلبته ، وذكر نماذج شتى من القرآن لمسائل لم يعرفها العالم إلا في السنوات العشرة الاخيرة ، وقال إن ثمت مسائل كثيرة في القرآن يكشفها الزمان تدريجا للدلالة على أنه كتاب الله حقاً

(٣) شرح مبدأ الخلق والتكوين وذكر أحوال الامم وطبقاتها ودرجاتها وعملها في هذه الحياة الدنيا ، وساق أخبارها من أوثق مصادرها ، وفق على ذلك في مواضعه بالبعث والنشور والحساب والعقاب والثواب وأحوال يوم الدين ، وكان في هذه الامور محققاً دقيقاً يصل بالقارىء إلى أسمى غاية يطمع في الوصول اليها أرقى عقل وأعظم فكر ، بحيث يخرج منها فاهماً جيداً سر الخلق وحكمته ، وتدرج الامم في مدارج الرقي حتى استكملت استعدادها العقلي وقت نزول القرآن ، وبعثة سيد ولد عدنان ﷺ . وعارفا المعرفة كلها معنى البعث وكيف يكون بالجسد والروح معا ، وما الثواب وما العقاب ، وما الجنة وما النار؟ ولماذا لاتكون النجاة إلا بالاسلام الحنيف ، الذي جاء به الرسول الشريف .

(٤) تكلم عن الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وذكر قصصهم وتعقب ما في كتب العهد العتيق المسماة بالتوراة من خروج عن الجادة في سرد هذه القصص ، وصحح الخطأ المنتشر فيها وفي كتب التفاسير التي نقلت عنها أو اعتمدت عليها من غير ما تمحيص ولا تدقيق ، وصورهم عليهم السلام بالصورة اللائقة بهم وبعملهم لهداية الامم والشعوب ، ونفى عنهم مانسب إليهم كذبا وغلطا وجهلا ، ونقاهم مما علق بسيرهم الشريفة الطاهرة بسبب العناد والمكابرة والمغالطة والمباهاة . وبرهن على أن النبي أو الرسول يجب أن يكون

مثال الكمال الانساني ، والقدوة الصالحة في الاقوال والافعال والاعمال. والاسوة الحسنة في الخير وعمل البر

(٥) دافع عن الاسلام وتعاليمه دفاعا مجيداً منصوراً ، وأزجى الاسباب التي تضمن خلوده وبقاءه ، ودفع في صدور اليهود والنصارى والملاحدة بما جعلهم ينكشون ويتركون سلاحهم المفلول ، ويعترفون بضعف حججهم وبوار بضاعتهم وكساد سوقهم ، ويقولون بل، أفواههم : اعترفنا بعجزنا وقصورنا وانهزامنا . وأعطى المسلمين الحجج الدامغة التي يستطيعون بها الدفاع عن ذمارهم ، والذود عن دينهم ، والنصر على مناوئيهم ، وحقق بما لا مزيد عليه أن الاسلام لا مطعن فيه لطاعن ، ولا مغمز لغامز ، وأن بيته من طود أثبت ، وبيوت غيره من زجاج أضعف ، وأنه لا يليق لصاحب البيت الزجاجي أن يقذف البيت الحجري بالحجارة وقد أثنى الكثيرون من غير المسلمين على مسلكه الراجح ، وأدبه الواضح .

(٦) شفى الغليل بمباحثه القيمة في الناسخ والمنسوخ ورسم صورة رائعة لهذه المشكلة الدقيقة التي اختلف فيها المفسرون ، وتمددت أقوالهم ، وتباينت آراؤهم ، وعرج على عقيدة النصارى في النسخ فشرحها تشريحا وافيا جامعاً ، وكشف عن خطئهم الدامس فيها ، ووضع أصابع الباحث على عوارها وزيغها ، فأثلج بذلك قلوب المؤمنين ، وأدخل في صدورهم برد اليقين ، ومن اطلع على مسألة النسخ درى مدى التوفيق العجيب في هذا التفسير البديع الذي صار حجة هذا العصر ، وترجمان القرآن ولا فخر .

(٧) فصل الوحي الالهي بما يقنع كل منكر ، ويسلم له كل معاند ، ويعنو لحججه جميع الورى ، ولما وصل إلى الوحي المحمدي كان التفصيل أوسع ، والشرح أمتع ، والدلائل أنصع ، إذ أثبت ببراهين لا تدفع ، أن الوحي المحمدي ثابت بالقرآن ثبوتا لا تعلق به شبهة من الريب عند أي انسان ، وجلى النبوة المحمدية بأوضح بيان ، وبين أنها أصل اثبات النبوات السابقة ، فهي دليلها ومصدقتها والمزكية لها

(٨) كشف فضل الاسلام على جميع الانام ، ونشر الدلائل الكثر من تاريخ الامم الشرقية والغربية ، على ما استفادته من تعاليم الاسلام الخالد في الدين والادب والاجتماع والتشريع ، وشهد به رجالها وفضلاؤها وعلماؤها وفلاسفتها ومفكروها ، وعبد السبل ليفهم القارىء أن العالم كله سائر إلى الاسلام ، إذ الاسلام هو الوسيلة الكبرى لسعادة البشر ، والطريقة المثلى لازالة الخطر

(٩) قارن بين ما في القرآن من التشريع والحكمة والآداب والمبادىء المثلى ، وبين ماتتمدح به الامم الحاضرة من قوانينها وحكمتها ومبادئها وآدابها ، وخرج من هذه المقارنة بما يفرح المؤمنين ، ويرفع رءوس الموحدين ، ويجعل القدح المعلى للاسلام ، الذي جاء به خير الانام ﷺ

(١٠) قضى على السنت الذي كان يعانيه القارىء من قراءة التفاسير السابقة وجعل له مصباحا كشافا وضاء ينير له السبيل ، وصوى ومنارا كنار الطريق ، فخدم بذلك المفسرين أنفسهم ، وقدم للناس حديقة غناء فيها ما تشتهيه نفوسهم الزاكية وقلوبهم الواعية

هذا نموذج يسير مما حواه هذا التفسير الشهير الكبير ، فواجب على كل مسلم يحسن القراءة والكتابة في أنحاء الارض أن يقتنيه كنزاً ثمينا ، وذخرا عظيما ، ودائرة معارف إسلامية نادرة المثال . وليس لأحد يقصر في الحصول عليه عذر ، والسلام على من اتبع الهدى مصطفى أحمد الرفاعي اللبان

(المنار) نشكر لأخينا المقرظ إطراءه لشخصنا الضعيف المبني على حسن الظن ، ونعتذر القراء عن نشره بحروفه أداء للأمانة على ما فيه من انتقاد كتب التفسير كلها بالاجمال وتخصيص آخرها بالذكر وهو لصديقنا ، وقد سبقنا من قبلنا الى نشر التقاريظ كما ترى في تفسير العلامة الآلوسي وتفسير الامام السيد حسن صديق وغيرهما من كتب المشارقة والمغاربة ، على ان أكثر تقاريظ المعاصرين للكتب شعرية يقرظون بها مالا يقرءون لا بيان لعقيدة الكاتب وتعبير عن شعوره كهذا التقريظ وما قبله . وما كاتباهما بأول من فضل هذا التفسير على غيره بل سبقهما الى ذلك غيرهما ووافقهما عليه أناس بعدهما ، ولكن الكتاب يختلفون بدرجة الصراحة والاجمال والتفصيل

مقدمة كتاب مفتاح كنوز السنة

بسم الله الرحمن الرحيم

يُسَبِّحُ لِلّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ المَلِكِ القُدُّوسِ العَزِيزِ الحَكِيمِ * هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (سورة الجمعة ٦٢ : ١ و ٢)

نحمده عز وجل ونصلي ونسلم على رسوله محمد خاتم النبيين، الذي بعثه الله وهو أمي في سن الكهولة مربيا ومعلما لقومه العرب الاميين، ما جعلهم به قارئين كاتبين، صالحين مصلحين، فكانوا أئمة حكماء حاكمين، وعلماء معلمين، لأهل الكتاب ورثة الانبياء، ولغيرهم من ورثة الفلاسفة والحكماء، وجعلهم به ملوكا عادلين، وآتاهم بكتابه وتعليم رسوله وتزكيته مالم يؤت أحداً من العالمين، فما زال هذا الكتاب الالهي، وما بينه من سنة هذا النبي الامي، يتدارسهما البشر في مشارق الارض ومغاربها من شاطىء المحيط الغربي إلى أحشاء الصين، ثم انتقل تدارسهما من الجنوب إلى الشمال فعني بهما طائفة من الاوربيين، الذين عرفوا بلقب المستشرقين، وقد مهدوا السبل لهما، بما وضعوه من المفاتح لألفاظهما، والفهارس المنوعة لكتب التفسير والحديث وغيرها من الكتب العربية لتسهيل مراجعتها، حتى صار علماء المسلمين من العرب والاعاجم مضطرين لأخذها عنهم واقتفاء أثرهم فيها

وهذا كتاب (مفتاح كنوز السنة) الذي نعرضه اليوم للعالم الاسلامي باسم الاسلام، أحد نفائس هذه الكتب التي وضعها أحد هؤلاء الاعلام، وأعاوضعه لهم باحدى لغاتهم، وان عالمنا الاسلامي، لهو أحوج اليها من العالم الاوربي: فعسى أن ينتفع به جميع شعوبه وتنهض بهم الحمية الدينية إلى خدمة السنة بما هو خير منه في الضبط والجمع، وتعميم النفع

أما بعد فإن خير ما أعرّف به هذا الكتاب لقراء العربية ، أن أبين لهم وجه الحاجة اليه ، وطريق الانتفاع به ، وعدم استغناء أعلم علماء الحديث عنه ، بل هم أشد حاجة اليه من غيرهم ، ويتلوهم من دونهم من العلماء ، فمن دونهم من دهماء القراء ، الذين يقتنون شيئا من كتب الحديث المشهورة وغيرها مما يراه القراء في طرته ، وانني أستمد هذا البيان من تجربتي واختباري في السنين الطوال ، لا أقوله بادي الرأي ولا أصطاده من سوانح الاستحسان

انني وُفقت لطلب العلم من طريق الدليل ، ثم وفقت لنشره بالدليل ، ووفقت للمناظرة وللافتاء بالدليل ، واشتغلت بعلم الحديث من أول العهد بالطلب وارتقيت فيه بالتدريج ، وتمرنت على مراجعة كتبه وكتب الجرح والتعديل لتخريج الاحاديث ونقدها ، وسرعة الوصول إليها من أقرب طرقها . واشتهرت عند من يعرفني من أهل العلم والذكاء . كان الاستاذ اللوذعي الشيخ محمد توفيق البكري يظن أن عندي فهارس لأوائل الاحاديث كلها ، ومعجما لمفرداتها كهذا الكتاب يبين عند كل كلمة مواضع كل حديث وردت فيه من كتبها ، ثم علم انه ما ثم إلا مفتاح الصحيحين المطبوع المشهور ، وهو خاص بأوائل أحاديث الصحيحين القولية والمسندة وبيان مواضعها من المتن وشروح الحافظ العسقلاني والقسطلاني والعيني لصحيح البخاري (في طبعاتها الاولى) وشرح النووي لصحيح مسلم المطبوع على هامش شرح القسطلاني للبخاري

ولو وجد بين يدي مثل هذا المفتاح لسائر كتب الحديث لوفر علي أكثر من نصف عمري الذي أنفقته في المراجعة ، ولكنه لم يكن ليغنيني عن هذا الكتاب (مفتاح كنوز السنة) فإن ذاك انما يهديك الى مواضع الاحاديث القولية التي تعرف أوائلها ، وهذا يهديك إلى جميع السنن القولية والعملية وما في معناها كالشمائل والتقريرات والمناقب والمغازي وغيرها . فلو كان بيدي هو أو مثله من أول عهدي بالاشتغال بكتب السنة لوفر علي ثلاثة أرباع عمري الذي صرفته فيها ، ولمكنني من الاستجابة لمن اقترحوا علي أن أضع كتابا جامعاً للمعتمد منها ، وكتابا آخر للمشكل منها في نظر علوم هذا العصر وفلسفته والجواب المقنع عنه

*

ان حاجتنا الى هذا الكتاب وما في معناه في هذا العصر لا يدل على تقصير علماء السنة السابقين أو تفريطهم في شيء من خدمتها، فانهم - أحسن الله اليهم ونضر وجوههم - قد قاموا بكل ما يجب ويندب ويستحب من رواية الحديث وحفظه وتدوينه في المسانيد والجوامع والسنن الجامعة والخاصة بالعقائد والاحكام ، وإفراد الصحاح منها وإتمامها بالمستخرجات والمستدركات عليها، ووضعوا المعاجم لمفرداتها ولأوائلها لتسهيل المراجعة ، دع ماسبقوا اليه جميع الامم من وضع التواريخ لرواتها لغيرهم من العلماء ، ومن ترتيب بعضها على حروف المعجم وبعضها على الطبقات ، ومن نصب ميزان الجرح والتعديل المستقيم لهم، لتمحيص المقبول والمردود من مروياتهم، ومن وضع كتب الاطراف المبينة لروايات كل صحابي في كل موضوع ، وترتيبها على الحروف ، وغير ذلك من الكماليات التي لامحل لذكرها هنا، فقد تركوا لنا ثروة واسعة في ضبط سنن نبينا ﷺ وهديه وشمائله وسيرته لم يوفق لمثلها ولا لما يقرب منها أحد من أتباع الانبياء والمرسلين، ولا غيرهم من الحكماء والمشترعين يسرت لمن بعدهم سبيل التفقه فيها والاستنباط منها في كل زمان بما يحتاج اليه أهله، ويكون به المتأخر مكملا لما سبقه اليه من قبله ، ويكون الارتقاء في العلم متسلسلا مطرداً سواء منه علم الدراية والرواية الذي جعلوه علما مستقلا مدونا وعلوم العقائد والفقه والادب والتصوف وغيرها .

لكن أئمة الفقه في أمهات الامصار قبل جمع الاحاديث والآثار في الاسفار يأخذ كل منهم بما وصل اليه من علم الصحابة والتابعين بالسنة ومذاهبهم في العمل فاشتهر في الكوفة مذهب عبد الله بن مسعود (رض) وأصحابه وقضايا علي أمير المؤمنين كرم الله وجهه ، وشريح قاضي أمير المؤمنين عمر (رض) وفتاوى ابراهيم النخعي وأقرانه من التابعين ، فكانت عمدة أبي حنيفة في اجتهاده بالتخريج عليها فلما كان يخالفها ، ولقلة المرفوع فيها كان يأخذ بالمرسل والمنقطع ، وكثر في فروعه القياس والرأي وعرف به ، واشتهرت براعة صاحبه أبي يوسف في القضاء لتولية هارون الرشيد إياه رياسته في مملكته ، ثم اشتغل صاحبه محمد بن الحسن بالحديث

وأخذ الموطأ عن الامام مالك ودون الكتب التي هي عمدة المذهب

واشتهر في المدينة علي وعمر وعثمان وابن عمر وعائشة وزيد بن ثابت وابن عباس وأبي هريرة وغيرهم من فقهاء الصحابة (رض) وأصحابهم من كبار التابعين رواتهم وفقهائهم ، فكانت عمدة مالك بن أنس في اجتهاده وكان لثقته بهؤلاء الاعلام يأخذ بمراسيل عنهم ، وبعمل أهل المدينة بشرطه ، على كثرة المرفوع عنده

ثم ظهر محمد بن ادريس الشافعي وقد تأسس هذان المذهبان على ما أشرنا اليه ورحل في طلب الحديث من مكة إلى المدينة وسمع الموطأ وغيره من مالك ثم إلى بغداد ولقي محمد بن الحسن وناظره ونظر في كتب أبي حنيفة ومذهبه . ولقي احمد ابن حنبل وطبقته من المحدثين ، وألف هنالك كتبه التي تسمى بالمذهب القديم . ثم هاجر الى مصر وسمع من رجالها وألف فيها مذهبه الجديد ، وكان أكبر الفرق بينه وبين من قبله ان بنى مذهبه على الجمع بين روايات الامصار المختلفة . ووضع أصول الفقه التي جرى عليها في الاستنباط ، وخالف أبا حنيفة وأصحابه ومالكا في مسائل من أهمها ما اشترطه في الاحتجاج بالمرسل والمنقطع وغير ذلك كما بينه في كتاب الأم

ووجه أحمد بن حنبل جل عنايته إلى الاحاطة بالروايات بقدر الاستطاعة ، وبالجرح والتعديل للرجال فكان أعلمهم بها ، وأقلهم عناية بالفقه استغناء بالحديث والآثار ، ومسنده أصل الاصول لأكثر كتب السنة ، فهو أعظم المسانيد وأوسعها ، ثم وضع تلاميذه وغيرهم كتب الصحاح والسنن وغيرها كما بيناه آنفا

وقد جرى على مذاهب هؤلاء الاربعة أكثر فقهاء أهل السنة في الشرق والغرب ، وصارت كتب السنة المدونة وشروحها المصنفة مرجع علمائهم كلهم ، فملأوا بها طباق الارض علما من كل ما يحتاج اليه البشر في دينهم ودنياهم

فبتلك الكتب التي أتقن أفراد الاخصائيين لكل نوع منها في الرواية والدراية صار طريق علوم السنة بأنواعها معبداً ممهداً ، وهذه العلوم تتسع دائرتها في كل عصر بقدر ما يتجدد للبشر فيه من الاقضية والمصالح السياسية ، والحكمة العقلية والأدبية ، والأصول التشريعية ، والنظريات العلمية التجريبية ، والمخترعات الفنية والصناعية ، ومن فوق هذا كله إقامة الحجة على نبوة خاتم النبيين ، ودفع

الشبهات عما يرد عليها وعلى أحاديثه من إشكال علمي أو عقلي ، وإنما يكون ذلك بتمحيص الروايات ونصب ميزان الترجيح بين المتعارض منها ، والأجانب يمتون بنقد هذه المتعارضات ، ما لا يعنون بتلك العلوم والحكم التي تعد من المعجزات ، لتفجر ينابيعها من فيض نبي أمي نشأ بين الأميين . وفي هذه الكتب ما لا يصح سنده وما يشكل متنه ، بمخالفة الظني للقطعي من نص أو حس ، وما فيه علل خفية كعنعنة المدلسين في الصحاح ومخالفة الثقات في غيرها ، ولا بد للعالم المسلم من العلم بذلك ولا يتيسر ذلك كله إلا بجمع ما تفرق في كتبها في كل موضوع

**

بيد أن الحياة الدينية العلمية التي بعثت الأولين على تصنيف تلك الأسفار العظيمة ، قد عرض لها أمراض روحية وسياسية كثيرة ، انتهت بالمسلمين إلى هجرها هجراً غير جميل ، حتى صار أكثر علمائهم وخطبائهم وأدبائهم يجهلون علم الحديث ، فلا يميزون بين ما صح منه وما لم يصح ، بل ينقلون المنكرات والموضوعات منه ، ويحتجون بها حتى في أصول العقائد وأحكام العبادات والقضاء ، لأنهم على جهلهم لها ، وعدم تمييزهم بينها ، ينقلونها من كتب الأدب والتصوف والمواعظ والتواريخ والقصص ، وكذا أكثر كتب التفسير والفقه ، فأمسينا في فقر مدقع من سنة نبينا ﷺ وأخباره ، وفي خزائن كتبنا من كنوزها العظيمة ما لو استخرجناه وانتفعنا به لكنا أغنى الأغنياء ، ولملأنا الدنيا بما فيها من العلم والحكمة ، بما من الله به على أهل عصرنا من نعمة المطابع ، وتعميم المواصلات وسرعتها بين الأقطار الشواسع ، حتى صار جمع تلك الثروة الواسعة من كتب الحديث وشروحها سهلاً على كل من يريده ، ولكن بعد أن قل من يريده ، حتى إن من المقلدين الجامدين من لا يرى لهذه الكتب فائدة إلا التبرك بها ، والصلاة على النبي ﷺ عند ذكره وذكرها !

ولولا عناية إخواننا علماء الهند بعلوم الحديث في هذا العصر لقضي عليها بالزوال من أمصار الشرق ، فقد ضعفت في مصر والشام والعراق والحجاز منذ القرن العاشر للهجرة ، حتى بلغت منتهى الضعف في أوائل هذا القرن الرابع عشر ، وإنني لما هاجرت إلى مصر سنة ١٣١٥ رأيت خطباء مساجدها الأزهر وغيره

يذكرون الاحاديث في خطبهم غير مخرجة ومنها الضعيف والمنكر والموضوع، ومثلهم في هذا الوعاظ والمدرسون، ومصنفو الكتب، فكنت أنكر ذلك عليهم كما بدأت بانكار مثله على أهل بلدي طرابلس قبلهم، واخترت لأشهر خطبائهم من الاحاديث الصحاح والحسان المعزوة إلى مخرجيها ماختم بها خطب ديوانه .

ولما أنشأت المنار في أواخر تلك السنة التزمت فيه تخريج ما أنقله فيه من الاحاديث فكان لذلك بعض التأثير في بعض طلاب العلم في الازهر ثم في مدرسة القضاء الشرعي ، وكان جل الذين اشتغلوا بالحديث منهم من إخواني وأصدقائي فباحيائي لهذه السنة بالقول والعمل ، وبالدعوة إلى السنة وهدي السلف ، والنهي عن مستحدثات البدع ، وصفت بمحيي السنة، على ضعف حفظي للرواية ، وقلة حظي من الدراية، ولله الحمد على ما أعطى ومنع وله وحده الفضل والمنة

بيد أن جمهور المشتغلين بعلوم الشرع لايزالون معرضين عن علم الحديث حتى ان مشيخة الازهر على علو مكانتها ، قد أنشأت منذ أربع سنين مجلة دينية علمية جملتها لسان حالها، فكان أول ما أنكرته عليها عدم عنايتها بالحديث الشريف، واقترحت عليها تخصيص بعض العلماء لتخريج كل حديث ينقل فيها وبيان درجته ، ولكن لايزال ينشر فيها مالا يصح ولا يعزى إلى شيء من كتب السنة المعتمدة، لقلة اطلاع محرريها على هذه الكتب وصعوبة التمييز بين الصحيح وغيره مما في غير الصحيحين ، وأصعب من ذلك عليهم المراجعة للعثور على تخريج ماينقلونه من الكتب المختلفة، وقد صاروا هم وأمثالهم من الكتاب والمصنفين الذين يكتبون في المسائل الاسلامية مضطرين إلى هذا التمييز والتخريج ، لكثرة السؤال عنه ، والانكار على من نقله وتركه غفلا ، بكثرة اخواننا من أنصار السنة ودعاتها والمهتدين بها ، وتأليفهم الجمعيات ونشرهم المصنفات لتعميمها ، واعتراض الزراع والعمال منهم، على العلماء الرسميين من غيرهم ، وظهور حجتهم عليهم، ولا سبيل إلى حفظ كرامتهم ومقامهم العلمي إلا بالاشتغال بعلم الحديث ، وهو يتوقف على درس طويل وتعب كثير

وأول ما يحتاجون اليه قبل درسه الفني العلمي سهولة المراجعة في كتبه للوقوف على مايحتج به وما لا يحتج به . ويقرب شقته عليهم هذا الكتاب الذي شعر بالحاجة

اليه لنفسه ولأمثاله من شعوب الافرنج عالم أوربي مستشرق هو الدكتور ا . ي فنسنك الهولندي ، والمسلمون أحوج اليه منهم ، ولا غرو فقد ورد في الحديث « الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها » رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وقال غريب . ورواه غيره بألفاظ أخرى بعضها موقوف على علي وابن عمر (رض) تكفي للاعتبار بها في موضوع الاستفادة في علم مجمع على وجوبه . وورد في حديث آخر مرفوع « ان الله ليؤيد الاسلام برجال ماهم من أهله » رواه الطبراني من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص (رض) ويؤيد ضعف سنده ماقي معناه في الصحيحين بلفظ آخر ليس نصا فيه مثله . وحاصل ماتقدم ان الحاجة الى مفتاح لكتب السنة الجامعة شديدة لكل من يريد الدخول عليها من أبوابها

***

موضوع هذا الكتاب دلالة القاريء على ماأودع في كتب الصحاح والسنن والمسانيد والسير والطبقات والمغازي - المبينة في أوله - من الاحاديث والآثار والمناقب بالصفة التي شرحها، فهو لا يدلك على مواضع الاحاديث التي تحفظها او تحفظ او اللباقي تلك الكتب كمفتاح احاديث الصحيحين، وإنما يدلك على ماورد فيهما من كل موضوع بمراجعة أخص كلمة به تدل على اصل الموضوع ثم مايليهامن فروعه، فهو ككتاب « فتح الرحمن لطالب آيات القرآن » فاذا لم تجد مطلوبك عند الكلمة التي راجعتها فانك تجده عند كلمة اخرى في معناها، فمؤلفه قد أحصى ما وصل اليه علمه ووضع ألفاظها بقدر مابلغه فهمه (لا يكلف الله نفسا الا ماآتاها)

واني كنت أعجبت بالكتاب منذ اطلعت عليه ، واستأذنت مؤلفه بنقله إلى اللغة العربية فأذن لي، وانتدب لهذا العمل الجليل احد اخواننا من عشاق العلم ، الذين يكثرون الاختلاف الى دار المنار والبحث في مسائل التفسير والآثار ، ويقتنون نفائس الاسفار ، الاستاذ محمد فؤاد عبدالباقي ادام الله توفيقه ، ومهد له في كل علم نافع وعمل صالح طريقه، وكنا اتفقنا على التعاون على تصحيحه وتنقيحه، فعاقني عن القيام بسهمي منه مالم يعقه عن سرعة القيام بسهمه، وانفرد بهذا الفضل واستقل

به ، وجاهد في هذه السبيل — وهي سبيل الله — جهاداً محموداً تلافى به بعض تقصير المؤلف فصحح ما فطن له في الاصل من خطأ بمراجعة تلك الكتب كلها في مظانها ، بعد وضع الارقام لما بين يديه من نسخها ، وابقاء المكرر من المتون في مواضعها ، وتكثير العناوين للحديث الواحد منها ، حتى صارت هذه الترجمة العربية أنفع من أصلها الانكليزي في الدلالة على تلك المتون في كتبها . فجزاه الله على حسن عمله وإخلاص نيته ، ووفق الامة للشكر له بالانتفاع بأثره ، فقد قال رسول الله ﷺ « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » رواه احمد والترمذي والضياء في المختارة من حديث أبي سعيد الخدري بسند صحيح ، ولا ننسى أن نشكر لمؤلف الاصل عمله وجهاده ، فهو صاحب الفضل الاول في هذا الاثر الجيد . (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)

وكتبه محمد رشيد رضا

منشيء المنار بمصر

جوامع كلم في شئون الدول والامم

﴿ شعور المسلمين بهدمهم لقوة الاسلام ، واعداد زعمائهم للاعتصام ﴾

كان لكل فريق من واضعي أسس التفرق بين المسلمين بعصبيات المذاهب فالجنس (الشعوبية) فاللغات فالاوطان فالطرائق منافع خاصة بكل منهم ، ثم غاب الاسلام وحصرت هذه المنافع بزعمائهم في جامعة الاسلام ، المانعة من التفرق والانقسام ، إلا غلاة الشيعة فقد مرقت الباطنية منها ، ثم استغل الافرنج المستعمرون هذه الفرق كلها ، واستخدموها في إذلال كل منها ، بهدم الجامعة الاسلامية من أساسها ، وقد شعر أكثر هؤلاء الزعماء في المشرق وأقلهم في المغرب بذلك فيجب إشعار الباقين به وإعداد الجميع للدعوة التي ستنتشر في العام الآتي مبينة لهم كيف ينتفعون بقوتهم الجامعة ، مع حفظ منافعهم الخاصة ، من جميع النواحي الدينية والدنيوية .

التعريف بكتاب مسائل الامام أحمد

(بسم الله الرحمن الرحيم)

اللهم لك الحمد والشكر، ثم لمحمد رسولك خاتم النبيين الذي بلغنا عنك ، فصل اللهم عليه وعلى آله وصحابته، المبلغين عنه ما آتيته من كتابك وحكمتك ، وعلى أتباعهم الحافظين عنهم ما بلغوا من بيانه وسننه، وجميع الناشرين للعلم والعاملين به، وسلم تسليما

أما بعد فهذه أثارة من علم حافظ الملة ، وإمام الائمة ، أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ، كانت من مخبآت الخزائن ، فاستخرجها منها بعض الاعوان على الخير ، لنشرها على الامة بنعمة الطبع

كان أكبر هم الامام احمد (رحمه الله تعالى) وجل عنايته مصروفاً إلى رواية الحديث ونقد رجاله تلقيناً وتصنيفاً وإلى حفظ السنة النبوية المتبعة المأثورة بالعلم والعمل، على الهدي الذي كان عليه الصحابة والتابعون وصلحاء السلف ، وما كان يريد أن يكون ذا مذهب في الفقه يدون ويتبع رأيه فيه ، لانه ما كان يبيح لأحد أن يقلده ولا أن يقلد غيره في فهمه ورأيه ، وإنما كان يدعو الناس إلى الاتباع ، وينهاهم عن الابتداع ، حتى إنه كان يتحامى القياس ويرغب عنه ، وقد روي عنه أنه قال سألت الشافعي عن هذا القياس فقال : هو كلحم الميتة يباح للضرورة — أو قال كلمة بمعنى يباح الشك من الكاتب — ولذلك كتب الحديث والآثار والسنة وصفة الصلاة والرد على المبتدعة ، ولم يصنف شيئا في الفقه ، ومن ثم قال الامام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في كتاب الاحكام انه لم يذكر فيه خلاف الامام أحمد لانه كان محدثا لا فقيها

والحق ان الامام أحمد كان محدثا فقيها يرجع إليه العلماء فيما يشكل عليهم

من مسائل الفقه كما يرجعون اليه فيما يشكل عليهم من روايات الاحاديث ورواتها ، ليعلموا ما يصلح وما لا يصلح للعمل به منها ، وكان يجيب السائلين ولكنه ما كان يحب أن ينقل عنه ولا عن غيره شيء في الفقه إلا الحديث والسنن ، وتفنيد المحدثات والبدع .

قال صاحبه أبو الحسن احمد بن الحسن الترمذي - وهو من شيوخ البخاري عنه - أي عن أحمد - سألت أبا عبد الله فقلت له : أكتب كتب الشافعي ؟ فقال : ما أقل ما يحتاج صاحب الحديث اليه . وقال صاحبه عبد الملك بن عبد الحميد الميموني الرقي أبو الحسن : سألت أبا عبد الله عن مسائل فكتبتها فقال : إيش تكتب يا أبا الحسن ؟ فلولا الحياء منك ما تركتك تكتبها وانه عليّ لشديد ، والحديث أحب إلي منها . قلت : انما تطيب نفسي في الحمل عنك ، انك تعلم انه منذ مضى رسول الله ﷺ قد لزم أصحابه قوم ، ثم لم يزل يكون للرجل أصحاب يلزمون ويكتبون ، قال : من كتب ؟ قلت : قال أبو هريرة : وكان عبد الله بن عمرو يكتب ولم أكتب فحفظ وضيعت . فقال لي : فهذا الحديث ، فقلت له : فما المسائل الا حديث ومن الحديث تشتق ، فقال لي : أعلم أن الحديث نفسه لم يكتبه القوم ، قال : لا ، لمن يكتبون ؟ قلت لا انما كانوا يحفظون ويكتبون السنن الا الواحد بعد الواحد الشيء اليسير منه ، فأما هذه المسائل تدون وتكتب في الدفاتر فلست أعرف فيها شيئا ، وإنما هو رأي لعله قد يدعه غداً ينتقل عنه الى غيره . ثم قال لي : انظر الى سفيان ومالك حين أخرجا ووضعا الكتب والمسائل كم فيهما من الخطأ ؟ وانما هو رأي يرى اليوم شيئا وينتقل عنه والرأي قد يخطيء . فاذا صار الى هذا الموضع دار هذا الكلام بيني وبينه غير مرة اه

أقول ذكر هذا عنه القاضي أبو الحسن محمد بن القاضي أبي يعلى الكبير في مختصر (طبقات الحنابلة) وقال قبله في ترجمة الميموني هذا : وعنده عن أبي عبد الله مسائل في ستة عشر جزءاً ، وجزأين كبيرين بخط جليل مائة ورقة إن شاء الله تعالى او نحو

ذلك ، لم يسمعه منه أحد غيري فيما علمت من مسائل لم يشركه فيها أحد ، كبار جياد ، تجوز الحد في عظمها وقدرها وجلالتها . اه بحروفه ص١٥٦ من الطبقات

وهكذا كان يسأل الامام أصحابه وغيرهم عما يعرض لهم من المسائل ، لان إمامة العلم ورياسته قد انتهت اليه في بغداد عاصمة الخلافة وكعبة العلم ، فأما أهل الرواية كالميموني فكانوا يروون عنه هذه المسائل ومنهم صاحبه أبو داود في المسائل المجموعة في هذا الكتاب ، وأما سائر الناس فكانوا يعملون بما يقوله ويفتي به ، وإفتاء العامي فيما يعرض له واجب على أولي العلم ولكن أحمد كان ينهى أن يتخذ فهمه دينا يقلد فيه ، وكذا سائر الأئمة كما صرح به الامام المزني عن الشافعي في أول مختصره وانه كتبه لاجل النظر فيه ، أي مساعدة على فتح باب الفهم ، وان الشافعي نهى عن تقليده فيه ، وإنما يعمل الناظر في العلم بما يقوم الدليل عنده على صحته . وقد بكى مالك في مرض موته إذ بلغه أن الناس يعملون بقوله لذاته ، مع أنه قد يرجع هو عنه

ولما دوّن أتباعه الفقه على مذهبه جمعوا ما وصل اليهم من المسائل المجموعة ، والروايات المتفرقة ، ووضعوها في أبوابها ، ومن أجل هذا نجد الروايات والاقوال عنه كثيرة مختلفة ، وقد وضعوا للاختلاف فيها وترجيح بعضها على بعض قواعد ، ولو كان هو المدون للفقه لما احتاجوا إلى ذلك . لانه كان يكون عند الكتابة يدون ما يرى أنه الحكم ، أو يذكر في المسألة وجهين على الاكثر ، ووضعوا اصطلاحا لألفاظه المختلفة في التعبير عما يراه وعما لا يراه في المسألة كقوله : لا ينبغي ، لا يعجبني ، لا يصلح ، أستقبحه ، هو قبيح ، أكرهه ، لا أحبه ، هذا أقبح أو أشد . وفي مقابله : أحب كذا ، يعجبني ، هو أعجب إلي ، هذا حسن أو أحسن . وقد بين هذا وذاك العلامة ابن مفلح في فاتحة كتابه (الفروع) وإنما كان يقول هذا حتى لا يكون جازما بأنه هو حكم الله تعالى ، وما كان يخطر ببال أحدهم أن الناس سيتركون ما صح من السنة والحديث تقديما لاقوالهم عليها ، هذا ما كانوا يخافون من كتابة الفقه ، وليس فيما عداه إلا النفع للامة والاعانة على العلم ، وفتح أبواب الفهم ، فجزاهم الله خير الجزاء

لا أعلم أن شيئا من المسائل التي نقلها عن الامام او واحد رويت عمن سأله عنها ودونت في زمن راويها إلا هذه المسائل التي رواها عنه أشهر أصحابه (أبو داود) سليمان بن الاشعث السجستاني صاحب السنن المشهورة ، فان النسخة المحفوظة في المكتبة الظاهرية بدمشق قد سمعت وكتبت في سنة ٢٦٦ للهجرة وكانت وفاته سنة ٢٧٥ فهي قد كتبت في عصره . ومن العجب أن علماء المذهب لم يعتنوا بها بعد ذلك بما ينبغي لمثلها من الرواية والشرح حتى ان صاحب مختصر الطبقات لم يذكرها في ترجمته، ولم نجد لها ذكراً في كتاب (كشف الظنون) ولا في فهرس المكتبة المصرية الكبرى، وان ما فيها من الفقه لهو من أصح ما يعزى إلى أحمد أو أصحه لانه كتب بلفظه في عصره ،ولا يستغنى عنه بغيره

لهذا نعد من حسنات هذا العصر عصر تجديد العلم ونشر كتب السلف بالطبع أن وفق الله تعالى الشيخ ابراهيم بن حمد الصنيع السلفي النجدي أحد كرام تجار جدة لطبع هذا الكتاب بعد العثور على نسخة المدينة المنورة واستنساخها، وأن أشار عليه بعض أهل المعرفة والرأي أن يكلف الاستاذ الامين المدقق عالم الشام الشيخ محمد بهجة البيطار معارضتها على نسخة المكتبة الظاهرية وتصحيحها بالمقابلة عليها ، وقد تبرع الاستاذ بهذا العمل الشاق وجرى فيه على الطريق الوعر بأن أحصى كل ما رأى من الاختلاف بين النسختين وأثبت في حواشي النسخة المدنية التي جعلت هي الاصل للطبع ما يخالفها في النسخة الظاهرية من تحريف وتصحيف وزيادة ونقصان وهو كثير جداً ، وترى بيان هذا بقلمه في آخر الكتاب

وكان من سوء الحظ أن نسخة المدينة كثيرة الغلط حتى ان منه ما هو تحريف أو تصحيف ظاهر لا يحتمل الصواب ، وان النسخة الظاهرية تخالفها في أكثره الى الصحيح كما صرحت به في بعض تعليقاتي عليه . ومثل هذا الاختلاف لا يصح أن يجعل اختلاف رواية ولا اختلاف فهم . وقد كتب الاستاذ رأيه في بعض الخطأ

اللفظي والمعنوي في الكتاب ، ومنه اختلاف قولي الامام في المسألة الواحدة ، ونصح لمريد طبع الكتاب أن يطبعه في مطبعة دار المنار بمصر ، وأن يكافئني ما لا يكلف مثله صاحب مطبعة من النظر في المشكلات المعنوية والمسائل الخفية ، وضبط الروايات وأسماء الرجال المشتبهة والتي لا تعرف لما وقع فيها من التحريف ، وكتب في ذلك جدولا فيه عشرات من هذه المسائل ، وقد أرسل إلي هذا الجدول بعد الاتفاق مع مدير المطبعة على شروط الطبع ، ومنها أن يكون تصحيح المطبعة على الاصل المرسل تحت إشرافي ومراجعتي

وقد قمت ولله الحمد بأكثر مما كلفته من تصحيح المسائل المشكلة والخفية وأسماء الرجال التي أحصاها الاستاذ ابن البيطار ، ومنها ما كتبت له حواشي وضعت اسمي في آخرها أو أولها ، وربما ترك ذكر الاسم أو سقط من بعضها ، ومنها ما لم أضع له حاشية لئلا تكثر الحواشي بغير فائدة ، ولم يكن من الممكن بيان جميع المسائل الخفية في الاصل وهي صحيحة مع كثرتها إلا بشرح مطول لها يكون أضعاف الاصل في حجمه ، فان هذه المسائل لم يقصد بشيء منها أن تكون بيانا تاما لمسألة فقهية أو اعتقادية أو حديث أو تاريخ راو لأجل تلقينها لطلاب العلم أو المستفتين ، وإنما هي إشارات وجيزة من حافظ عليم إلى مشكلات عنده لامام أعلم منه ، فيكفيه أن يشير اليها بلفظ مفرد أو جملة وجيزة تامة أو غير تامة ، ويقنعه من الجواب عليها مثل ذلك ، فمن لم يكن على علم بموضوع المسألة من هذا النوع فلعله لا يفهم السؤال والجواب ، وناهيك بالسؤال عن حديث بذكر كلمة منه ولو في بعض رواياته ، أو بذكر أحد رواته باسمه أو لقبه أو كنيته ، على ما في هذه الأعلام من الاشتراك والاشتباه ، ثم ناهيك بالجواب عنه بكلمة مبهمة أو باسم آخر ، وغير ذلك مما كان معروفا عند السائل والمسئول ، وأشباه هذا مما تكرر في هذه المسائل ، ولو ضربت له الامثال هنا لأطلت في غير طائل

عرفت كثيراً من التحريف والتصحيف لأسماء رجال الحديث في إحدى النسختين أو كلتيهما بشهرتهم وكثرة مرور أسمائهم على ضعف حفظي وذكري للاعلام كالارقام، وشككت في بعضها فراجعت عما أحاله على الاستاذ ابن البيطار من الشكوك فيه فصححته، بل قمت بأكثر مما عهد إلي من تصحيح بقدر الامكان، كما قام هو بأكثر مما عهد اليه أيضاً، فنسأل الله أن يثيبنا عن هذه الخدمة

ولو نقلت نسخة المكتبة الظاهرية بالتصوير الشمسي أو كتبت عنها نسخة وصححت عليها وكانا الطبع عنها مع معارضتها على النسخة المدنية لما تعبنا عشر هذا التعب في تصحيحها، ولما زادت حواشيها على عشر هذه الحواشي، ولجاء المطبوع أصح وأظهر في القراءة وأقرب إلى الفهم، لعدم الحاجة إلى الحواشي عند القراءة إلا قليلا، ومن ذا الذي كان يعلم هذا الفرق كله بين النسختين، فيخبر مريد طبع الكتاب به ويقترح عليه العمل به

أما أنا فلم أقرأ شيئا من النسخة المخطوطة التي أرسلت إلى مطبعة المنار لانني لم أكلف قراءة الاصل ولم أشعر بالحاجة اليه بعد العلم بتصحيح الثقة الامين الاستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار له بالصفة التي يعرفها القراء مما وصفه لهم، وإنما كنت أنظر فيما جمع منه في المطبعة للاشراف على تصحيح مصححها، وللنظر فيما عهده إلي من «مشكلاتها الفقهية والحديثية وأسماء الرواة» ولم أفطن لفضل النسخة الظاهرية على المدنية إلا بعد طبع كراسات منه، وأظن أن ما وقع لي من هذا مثل الذي وقع للاستاذ ابن البيطار في معارضة النسختين. وما كان له ولا لي أن نتصرف في الاصل المدني فنصحح ما نظن ولا ما نجزم بأنه خطأ فيه، لاحتمال خطأ الظن في الاول، ولعدم ثقة جميع القراء بصحة ما نجزم به إلا أن نبين الاصل الصحيح والدليل على أن ما جزمنا به هو الصواب. وهذا لا يكون إلا بالتوسع في هذه الحواشي وجعلها سفراً كبيراً وهو ما لم نكلفه، على ما يقتضيه من التعب الكثير والزمن الطويل وأنا أقر بأني لست أهلا للاضطلاع به في أقل من سنة كاملة أخصه بها

بيد أني أقول: إن ما قمنا به من خدمة هذا الكتاب هو الممكن الذي أطقناه،

وهو قد أظهر لمحبي العلم والمشتغلين بفقه الامام أحمد وبعلوم الحديث نسخة منه جامعة لكل ما في النسختين المخطوطتين اللتين لم يوجد منه غيرهما ، مع زيادات من البيان والتصحيح لا يستغنى عنها ، فاذا قدره علماء الحنابلة وعلماء الحديث قدره ، وأحبوا إكمال فائدته بما ينتفع به جميع القارئين له ، فلينتدب بعضهم إلى شرحه ، وان شرح القسم الخاص بالحديث ورجاله ليسير على المشتغلين به من إخواننا علماء الهند ، وأما القسم الفقهي فلا يستطيعه إلا فقيه حنبلي ضليع وما أعرف أحداً جامعاً بين الامرين فان وجد فهو قليل لا كثير

ويتوقف الفهم التام لهذا الكتاب في جميع مسائله على معرفة اللغة العرفية لعلماء بغداد في عصر الامام أحمد (رحمه الله تعالى) فقد كتبت بلغة النطق لا بلغة التصنيف والفرق بينهما قليل : فمنه عدم التزام حركات الاعراب ومنه استعمال مفردات غير عربية الاصل وهي قليلة جداً . وقد نبه الاستاذ ابن البيطار لبعضها في حواشيه وزدت عليه في ذلك وأرجعت بعضها إلى أصل عربي كالوقوف على المنصوب بالسكون على لغة ربيعة . ثم رأيت هذا يكثر في أثناء الكلام بدون وقف . ولا نرى مثل هذا في مصنفات الامام أحمد التي كتبها - كيف وقد شهد له الامام الشافعي (رحمهما الله تعالى) بامامة اللغة كامامة الدين وناهيك بشهادة الشافعي

قال الربيع بن سليمان : قال الشافعي (رض) أحمد إمام في ثماني خصال: إمام في الحديث . إمام في الفقه . امام في اللغة . امام في القرآن . امام في الفقر . امام في الزهد . امام في الورع . امام في السنة اه من طبقات الحنابلة

وجملة القول ان هذا الكتاب قد جمع من فقه الامام أحمد وعلمه بالحديث ورجاله ما يعد من بقايا المآثر ، وأعلاق الذخائر ، التي تركها الأوائل للاواخر ، فنسأل الله تعالى أن ينفع بها ، ويحسن جزاء من رواها ومن نسخها ومن صححها ومن طبعها ، انه لا يضيع أجر من أحسن عملا آمين

وكتبه محمد رشيد رضا

منشيء المنار

بسم الله الرحمن الرحيم

عهد التحكيم بين المملكة العربية السعودية

(وبين مملكة اليمن)

بما أن حضرة صاحبي الجلالة الامامين الملك عبدالعزيز ملك المملكة العربية السعودية والملك يحيى ملك اليمن قد اتفقا بموجب المادة الثامنة من معاهدة الصلح والصداقة وحسن التفاهم المسماة بمعاهدة الطائف والموقع عليها في السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والالف على أن يحيلا إلى التحكيم أي نزاع أو اختلاف ينشأ عن العلاقات بينهما وبين حكومتيهما وبلاديهما متى عجزت سائر المراجعات الودية عن حله فان الفريقين الساميين المتعاقدين يتعهدان باجراء التحكيم على الصورة المبينة في المواد الآتية:

(المادة الاولى)

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن يقبل باحالة القضية المتنازع فيها على التحكيم خلال شهر واحد من تاريخ استلام طلب اجراء التحكيم من الفريق الآخر اليه

(المادة الثانية)

يجري التحكيم من قبل هيئة مؤلفة من عدد متساو من المحكمين ينتخب كل فريق نصفهم ومن حكم وازع ينتخب باتفاق الفريقين الساميين المتعاقدين وان لم يتفقا على ذلك يرشح كل منهما شخصا فان قبل أحد الفريقين بالمرشح الذي يقدمه الفريق الآخر فيصبح وازعا وان لم يمكن الاتفاق على ذلك تجرى القرعة على أيهما يكون وازعا مع العلم بأن القرعة لا تجري إلا على الاشخاص المقبولين من الطرفين . فمن وقعت القرعة عليه أصبح رئيساً لهيئة التحكيم ووازعا للفصل في القضية وان لم يحصل الاتفاق على الاشخاص المقبولين من الطرفين تجرى المراجعات فيما بعد إلى أن يحصل الاتفاق على ذلك

(المادة الثالثة)

يجب أن يتم اختيار هيئة التحكيم ورئيسها خلال شهر واحد من بعد انقضاء الشهر المعين لاجابة الفريق المطلوب منه الموافقة على التحكيم لقبوله لطلب الفريق الآخر . وتجتمع هيئة المحكمين في المكان الذي يتم الاتفاق عليه في مدة لا تزيد عن شهر واحد بعد انقضاء الشهرين المعينين في أول المادة . وعلى هيئة المحكمين أن تعطي حكمها خلال مدة لا يمكن بأي حال من الاحوال أن تزيد عن شهر واحد من بعد انقضاء المدة التي عينت للاجتماع كما هومبين أعلاه. ويعطى حكم هيئة التحكيم بالا كثرية ويكون الحكم ملزما للفريقين ويصبح تنفيذه واجباً بمجرد صدوره وتبليغه . ولكل من الفريقين الساميين المتعاقدين أن يعين الشخص أو الاشخاص الذين يريدهم للدفاع عن وجهة نظره أمام هيئة التحكيم وتقديم البيانات والحجج اللازمة لذلك

(المادة الرابعة)

أجور محكمي كل فريق عليه وأجور رئيس هيئة التحكيم مناصفة بينهما وكذلك الحكم في نفقات المحاكمة الاخرى

(المادة الخامسة)

يعتبر هذا العهدجزءا متمما لمعاهدة الطائف الموقع عليهافي هذااليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والالف ويظل ساري المفعول مدة سريان المعاهدة المذكورة ، وقد حرر هذا من نسختين باللغة العربية يكون بيد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين نسخة

وقراراً بذلك جرى توقيعه في اليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والالف

(التوقيع) خالد بن عبد العزيز السعود

(التوقيع) عبد الله بن أحمد الوزير

بسم الله الرحمن الرحيم

حرر في ٦ صفر ١٣٥٣

من خالد بن عبد العزيز الى حضرة الاخ صاحب السيادة السيد عبد الله الوزير المندوب المفوض من قبل جلالة الامام يحيى حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله . أما بعد فإنه بمناسبة توقيع معاهدة الطائف بيننا وبينكم نيابة عن جلالتي ملكي المملكة العربية السعودية والمملكة اليمانية أحب أن أثبت لكم في كتابي هذا أنه لا يمكن اعتبار تلك المعاهدة وقبول انفاذ مقتضاها إلا في اثبات ما يأتي :

١ — أن يجري تسليم الادارسة واخلاء جبالنا في تهامة واطلاق رهائن أهلها حالا

٢ — أن يظل مضمون هذه المعاهدة مكتوما ولا ينشره أحد الفريقين ولا سيما ما يتعلق منها بمسألة الحدود لما يحدث ذلك من التشويش في تهامة خاصة وإن انسحاب جند جلالة الملك عبد العزيز يكون بكامل الصيانة والشرف من ابتداء انسحابه إلى آخره ، وكل حادث عدواني عليه في خلال تلك المدة يكون مضمونا من قبل جلالة الامام يحيى وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

(التوقيع) خالد بن عبد العزيز السعود

بسم الله الرحمن الرحيم

حرر في ٦ صفر ١٣٥٣

من عبد الله الوزير الى حضرة صاحب السمو الملكي الامير خالد المفوض من قبل جلالة الملك عبد العزيز حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فقد تلقيت كتاب سموكم تاريخ ٦ صفر ١٣٥٣ وقد أحطت علما بما اشترطتموه سموكم لانفاذ معاهدة الطائف التي عقدت بين الفريقين من تسليم الادارسة واخلاء الجبال التي كانت محتلة من قبل جنود جلالة الامام يحيى من بلاد جلالة الملك عبد العزيز واطلاق رهائن أهلها وأن تظل هذه المعاهدة مكتومة وعلى الاخص مسألة الحدود الى أن يتم ترتيبه

بالاتفاق الذي اتفقنا عليه لانفاذه وان انسحاب جند جلالة الملك عبد العزيز يكون بكامل الصيانة والشرف من ابتداء انسحابه الى آخره وإن كل حادث عدواني عليه في خلال تلك المدة يكون مضمونا من قبل جلالة الامام يحيى لقد أحطت علما بذلك ويسرني أن أعلن سموكم بقبولنا وموافقتنا لاشتراطكم وأنه سيكون مرعيا من جهتنا وتفضلوا بقبول فائق الاحترام (التوقيع) عبدالله بن احمد الوزير

بسم الله الرحمن الرحيم

تحريراً في ٦ صفر ١٣٥٣

من عبد الله الوزير إلى حضرة صاحب السمو الملكي الامير خالد المفوض من قبل جلالة الملك عبد العزيز حفظه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فأتشرف بأن أثبت هنا إلحاقا بمعاهدة الطائف الموقع عليها من قبل سموكم نيابة عن جلالة الملك عبد العزيز والموقعة من قبلي نيابة عن جلالة الملك الامام يحيى، وأتعهد باسم جلالة الامام يحيى بما هو آت:

١ — تسليم الادارسة لجلالة الملك عبد العزيز وقد عملت الترتيبات اللازمة لتسليم السيد الحسن والسيد عبد العزيز بن محمد الادريسي وسيسلمون حالا لرجال سمو الامير فيصل في تهامة، أما السيد عبد الوهاب الادريسي فنظراً لانه لايزال إلى الآن في بلاد العبادل فقد اتخذت الوسائل والوسائط لاستدعائه من تلك الأنحاء لتسليمه، فان لم يطع الامر فأتعهد باسم جلالة الامام يحيى بشأنه بما يأتي:

ا — أن تمتنع حكومة الامام يحيي عن كل مساعدة مادية أو معنوية له وأن تمنع عنه من بلادها أي مساعدة أو معاونة.

ب — اذا أرادت حكومة جلالة الملك عبد العزيز القبض عليه في الاراضي التي هو فيها فان حكومة الامام يحيى ستعمل من جهتها سائر أنواع التضييقات العسكرية التي تستطيعها لمنع فراره إلى أراضيها، وتتعهد أن تلقي القبض عليه وعلى كل شخص اشترك معه في حركته من أي جهة وقبيل من قبائل المملكة العربية السعودية، وأن تسلمهم لحكومة جلالة الملك عبد العزيز بغير شرط ولا قيد اذا دخلوا إلى جهات المملكة اليمانية. وأن تمنع فراره أو فرار أي شخص من الذين

اشتركوا معه في عمله الى الخارج اذا دخلوا الى أراضي المملكة اليمانية .

٢ — أما من كان له تعلق بالادارسة وحركتهم من الاشراف أو غيرهم فاذا أرادوا اللحاق بالادريسي فلهم الامان من قبل حكومة جلالة الملك عبد العزيز والصيانة والاحترام والاكرام اللائق بحقهم ، واذا لم يشاءوا ذلك فانهم يخرجون من بلاد جلالة الامام يحيي ولا يسمح لهم بالبقاء فيها ، واذا عادوا اليها مرة أخرى فيطاردون حالا — وينذرون بأنهم اذا عادوا يسلمون إلى حكومة جلالة الملك عبد العزيز ، فان عادوا بعد طردهم فأتعهد باسم جلالة الامام يحيي بتسليمهم الى حكومة جلالة الملك عبد العزيز بغير قيد ولا شرط .

فأرجو أن تعتبروا هذا سموكم عهداً وثيقاً لهمنزلة المعاهدة المعقودة بيننا وبين سموكم بهذا اليوم ، وعلى هذا عهد الله وميثاقه ، وأرجو أن يكون هذا طبقا الاتفاق الشفوي الذي اتفقنا عليه في هذا الشأن وتفضلوا بقبول فائق الاحترام م ؟

(التوقيع) عبد الله بن احمد الوزير

بسم الله الرحمن الرحيم

حرر في ٦ صفر ١٣٥٣

من خالد بن عبد العزيز الى حضرة صاحب السيادة الاخ السيد عبد الله الوزير المندوب المفوض من قبل جلالة الملك الامام يحيي حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد فأتشرف بأن أعلمكم باستلامي كتاب سيادتكم بتاريخ اليوم بشأن ماتعهدتم به باسم جلالة الامام يحيي بشأن الادارسة وأتباعهم ، وأنا على ثقة بأن ما تعهدتم به سيكون تنفيذه بمقتضى الامانة والوفاء المأمول في جلالة الامام يحيي ونتمنى أن يكون تنفيذ ذلك بأسرع مدة ممكنة . وتفضلوا بقبول فائق الاحترام (التوقيع) خالد بن عبد العزيز السعود

بسم الله الرحمن الرحيم

حرر في ٦ صفر ١٣٥٣

من خالد بن عبد العزيز الى حضرة المكرم السيد عبد الله الوزير حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فبمناسبة توقيع معاهدة الطائف بين

مملكتنا ومملكة اليمن أثبت هنا ما اتفقنا عليه بشأن تنقلات المتنقلين من رعايا المملكة العربية السعودية، ورعايا المملكة اليمانية في البلادين ان التنقل في الوقت الحاضر يظل على ما كان عليه في السابق إلى أن يوضع بين البلادين اتفاق خاص بشأن الطريقة التي ترى الحكومتان متفقا اتخاذها من أجل تنظيم الانتقال سواء للحج أو التجارة وغيرها من الاغراض والمنافع، فأرجو أن أنال جوابكم بالموافقة على ما اتفقنا عليه بهذا الشأن وتفضلوا بقبول فائق الاحترام . (التوقيع) خالد بن عبد العزيز السعود

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

حرر في ٦ صفر ١٣٥٣

من عبد الله الوزير الى صاحب السمو الملكي الامير خالد المفوض من قبل جلالة الملك عبد العزيز حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فقد تلقيت كتاب سموكم تاريخ ٦ صفر بشأن تنقلات رعايا الفريقين بين البلادين ، وانني على اتفاق مع سموكم في أن يكون الانتقال في الوقت الحاضر طبقاً للطريقة التي كان السير عليها من قبل الى أن يوضع اتفاق خاص بشأن تنظيم الانتقال في المستقبل ، وان ذلك سيكون مرعياً من جانب حكومتنا كما هو مرعي من جانب حكومتكم .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام (التوقيع) عبد الله بن احمد الوزير

فبعد أن اطلعنا على هذه المعاهدة السالفة الذكر وعلى عهد التحكيم والكتب التي ألحقت بها، وأمعنا النظر فيها صدقناها وقبلناها وأقررناها جملة في مجموعها ومفردة في كل مادة وفقرة منها ، كما أننا نصدقها ونبرمها، ونتعهد ونعد وعداً ملوكياً صادقاً بأننا سنقوم بحول الله بما ورد فيها، ونلاحظه بكمال الامانة والاخلاص، وبأننا لن نسمح بمشيئة الله بالاخلال بها بأي وجه كان طالما نحن قادرون على ذلك، وزيادة في تثبيت صحة كل ما ذكر فيها أمرنا بوضع خاتمنا على هذه الوثيقة ووقعناها بيدنا والله خير الشاهدين

حرر بقصرنا في الطائف في الخامس والعشرين من شهر صفر سنه ١٣٥٣

الختم الملوكي (التوقيع) عبد العزيز آل السعود

(تفنيد كاتب مجلة المشرق اليسوعية في الاعتراض على كتاب الوحي المحمدي)

(تابع لما قبله)

معجزة القرآن

أنقل هنا مانشرته مجلة المشرق من الطعن في معجزة القرآن بحروفه ثم أفنده بالبرهان وهذا لايفعله أحد من رجال النصرانية لا الكاثوليك ولا غيرهم لعلمهم بأنهم اذا نقلوا كلامنا إلى أتباعهم لايقدرون على الرد عليه بما يقنع أتباعهم فضلا عن غيرهم

قال في ص ٩٥٧ و ٩٥٨ من سنة ١٩٣٣ لمجلة المشرق مانصه بغلطه اللفظي والمعنوي

«من المعلوم أن المسلمين يستشهدون بكتابهم على صدق نبوة محمد فهو عندهم آية الآيات، والاعجوبة الصريحة، والدليل القائم بذاته على مدى الإيام داعياً إلى الهدى من غير شاهد يشهد بصحة نسبته الى أصله، كأن به توقيع الله بالذات. ويدعمون قولهم بما ينسبونه الى مفاعيل القرآن من الحوادث العظمى التي قلبت فئة عظيمة من البشر ظهراً لبطن، وبالاختصار فالقرآن عندهم كما يقول السيد محمد رشيد رضا هو معجز للخلق بلفظه، ونظمه وأسلوبه، وعلومه وهدايته، وبذلك هو «آية لا كالآيات، ونور لا كالانوار» (ص ٥٩)

ولكن ماهي قيمة تلك المعجزة وما هي حقيقة مفاعيلها؟

قال الاب دي لانفرسان محرر مجلة «في أرض الاسلام» الافرنسية:

«ليس في يومنا من يخالف في قيمة القرآن الادبية، كما وأنه ليس من يشك في قيمة التوراة اللغوية في الترجمة الانكليزية أو في الترجمة الالمانية لمؤلفها لوتر على أن تلك القيمة البشرية محضة، وقد يتاح لكل انسان مثقف أن يتحققها تحققاً متفاوتاً مع تفاوت تضلعه من اللغة ومن آداب البلاد التي وضع فيها الكتاب، ولكن تلك القيمة الادبية ليست مما يزيد أو ينقص في قيمة المتن الدينية

«انا لاننكر على القرآن القيمة الدينية، ونحن على بينة من مفعوله في إثارة عواطف السجود والصلاة والتسليم لارادة الله، وهناك جمهور المتصوفين الصادقين

من استقوا من مناهل القرآن على مدى الزمان من الشهادة الصادقة لله عز وجل

« ولكن محور كلامنا لايدور على تأثير القرآن في النفوس بل على السؤال هل القرآن بذاته دليل؟ هل هو بذاته آية الآيات ومعجزة المعجزات كما يسميه السيد محمد رضا (ص٥٩) وقبله الكثيرون من كبار أئمة المسلمين؟ هل القرآن هو كلام الوحي ، لا بمعنى الوحي الشعري أو الفني المعروف عند أهل الفن والادب بالوحي النفسي (كما ذكره المؤلف ص٢٩) ولكن بالمعنى الكامل المألوف عند رجال الدين أعني به كلام الله الحي ؟

« بعيد عنا القول أن كتابا موحى به من الله وحياً بيناً لايمكن أن ينم عن أصله الالهي من غير أدلة خارجة عنه ، وإنه من المستحيل أن يشهد الكتاب بذاته لصاحبه فتثبت فيه علامة الله وتوقيعه ، ولكن الصعوبة كل الصعوبة هي في أن تتحقق تلك العلامة من غير ما أن نخشى الضلال ، ولا نخاف أن نكون غلطنا في تحقيقنا ، وما للشكل إلا مشكل الدليل الباطني ، وهو شهير عند أهل التفسير فان قيمة الدليل الباطني على صحة الوحي لم تقع قط في الجدال ، ولكن الجدال انما هو في تطبيق العلامة والدليل الباطني تطبيقا لايترك مجالا للريب ، ولذلك فقد أجمع المفسرون على القول أن الدليل الخارجي هو أشد تأثيراً من الباطني لأنه أبعد منه عن خطر الغلط وآمن على سلامة التأكيد »

« ففي الامر الواقع ليس للدليل الباطني قيمة إلا القيمة السلبية أي إنه ينفي كون مؤلف من المؤلفات يمكن أن يكون قد خرج من عقل بشري أم بحرونه

المنار : في هذه العبارة شبهات نشير الى دحضها بالاجمال

﴿ الشبهة الاولى في الموازنة بين القرآن والتوراة والانجيل في البلاغة ﴾

نقل عن أحد آبائهم انه « ليس في يومنا من يخالف في قيمة القرآن اللغوية » ولكنه زعم أنه يشاركه في ذلك ترجمتا التوراة الانكليزية والالمانية والجواب عنها من وجهين :

(أحدها) ان القرآن معجز للبشر بعبارته اللغوية ، عجزهن الاتيان بسورة من مثله فحول بلغاء العرب الذين اشتهروا بالفصاحة والبلاغة ولم يكن محمد ﷺ قبل النبوة يعد من طبقتهم فيها وقد تحداهم الله بأن يأتوا بسورة مثله مصرحا بأنهم لن يفعلوا ، وكانوا أحرص الناس على تكذيبه فلو قدروا لفعلوا ، واستمر هذا الاعجاز الى يومنا هذا . ولم يقل أحد من الانكليز ولا من الالمان إن ترجمة التوراة معجزة للبشر لا يستطيع أحد أن يأتي بمثلها — فظهر الفرق كفلق الصبح أو أشد نوراً

(الوجه الثاني) لماذا لا يوازنون بين القرآن الذي جاء به محمد ﷺ والتوراة التي جاء بها موسى (ع م) من عند الله وهي أصل دينهم فأين هي؟ وأين الانجيل الذي جاء به عيسى المسيح (ع م) ويذكرون في كتب العهد الجديد أنه أمر تلاميذه أن يكرزوا به في الخليقة كلها ؟ ولماذا لا يوازنون بين قيمته الادبية وقيمة القرآن؟ حسب القرآن انه هو الذي جاء به محمد رسول الله وخاتم النبيين فيعرف به أصل دينه معرفة قطعية ، ولكن ماجاء به أخواه موسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام غير موجود بنصه الحرفي وهذه الترجمات الموجودة لا يمكن اثبات أخذها عن أصلها المفقود من العالم وهي مختلفة متعارضة متناقضة ، فكيف يوثق بأنها مطابقة لاصلها لو كان موجودا ؟

(الشبهة الثانية في دلالة هداية القرآن الدينية على كونه من الله)

اعترف أيضاً بأنهم لا ينكرون هداية القرآن الدينية من التسليم لارادة الله تعالى والعبادة الصادقة له ، ولكنهم ينكرون أن يكون تأثيره هذا دليلا على انه من عند الله تعالى ، وآية على صحة نبوة محمد ﷺ والجواب عنها من ثلاثة أوجه : وجهين عقليين والثالث نقلي مسيحي

(الاول) اننا لم نحصر البرهان على كون القرآن وحياً من الله تعالى في تأثير هدايته للبشر ولا في اعجاز لفظه بل أوردنا في كتاب الوحي المحمدي ثم في غيره من تفسيرنا براهين أخرى عقلية وعلمية على ذلك حسبه منها اتفاق علماء الافرنج

في هذا العصر على بأنه لا يمكن لأحد من البشر أن يأتي بكتاب في الذروة العليا من البلاغة والفصاحة اللغوية بعد دخوله في سن الاربعين إذا لم يكن قد مارس هذا النوع من الكلام أو عرن في سن الصبا والشباب، وانه ليس في استطاعة أحد من البشر أن يأتي بكتاب ممتاز في العلوم الدينية أو الادبية أو التشريع المدني والسياسي بعد بلوغ سن الاربعين اذا كان لم يمارس هذه العلوم بالتلقي والبحث والعمل قبل ذلك . وقد ثبت بالتواتر ان محمداً ﷺ نشأ أمياً بين قوم أميين لم يزاول شيئاً من هذا ولا مما قبله . وقد احتج عليهم بهذا كما أمره الله بقوله (١٠: ١٧ قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به ، فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون) واذا كان هذا الكتاب ـ الذي يعترف اليوم أعدى أعدائه وأشد خصومه جدلا وصراء بقيمته اللغوية والادبية والدينية وتأثيره الحسن في العالم محالا أن يكون من تأليف محمد بهذا البرهان العلمي فهل يمكن أن يكون إلا بوحي من الله تعالى له ؟ وهل يوجد في كتب الوحي التي يؤمنون بها مايساويه في هذه الحجة ؟

(الوجه الثاني) ان ما كان للقرآن من التأثير في هداية الملايين من البشر إلى معرفة الله تعالى وعبادته الصادقة وترك ما كانوا عليه من عبادة الاصنام والاوثان والاشجار والكواكب والحيوان والانسان «وابن الانسان» من أكبر البراهين على أنه من وحي الله وكلامه . وهل بعث الله تعالى رسله وأنزل كتبه إلا لأجل هذا ؟ وهل وجد كتاب من كتبه كان له أكبر من هذا التأثير أو مثله في هذه الهداية ؟ قد بسطنا الجواب السلبي عن هذا الاستفهام في كتاب الوحي المحمدي

اذا كان الماديون المعطلون أو المنكرون للوحي والنبوة من أساسها ينكرون هذه الدلالة على الوحي لأنها فرع الايمان بالاصل وهو وجود الله تعالى ورسالة الرسل فكيف ينكرها من يدعون الايمان بهما ؟ هذا ماتعجب منه موسيو مونتيه أستاذ اللغات الشرقية في جامعة جنيف إذ قال انه لايعقل أن يوجد أحد يؤمن بنبوة أنبياء بني اسرائيل ولا يؤمن بنبوة محمد ﷺ

وبيانه كما بسطناه في كتاب خلاصة السيرة المحمدية وكتاب الوحي أنه اذا جاءنا رجل بكتاب في الطب والعلاج ورأينا جميع المرضى الذين عملوا به برؤا من أمراضهم ألا يكون هذا أقوى دليل على صدقه وصحة مافيه من العلم؟ بلى وان هـذا الكتاب لا يحتاج الى من يشهد له بأنه كتاب طب مفيد ، لان الشهادة الفعلية القطعية أصدق من الشهادات القولية وحدها ، ويمكن أن يعرفها كل أحد ، ولهـذا كان السبب الأكبر لاسلام أكثر الاعاجم في الصدر الاول ماشاهدوه بأعينهم وعرفوه باختبارهم من سوء حالة العرب المشركين الجاهلين قبله وانقلابهم بهدايته وسنة النبي الإمي الذي جاء به أئمة يهدون بالحق وبه يعدلون فتحول كثير من اليهود والروم وأكثر النصارى من السوريين والكلدان والاشوريين والارمن والقبط والبربر عن نصرانيتهم إلى الاسلام، وكذا المجوس والهنود الذين ... فاقوا الروم في حضارتهم وفلسفتهم

أما العرب فكان سبب إيمانهم إعجازه اللغوي والعلمي وتأثيره وسلطان ...ته على العقول والقلوب ، والاقتناع بانها حق وخير لهم ، مع حالة من جاءهم به إذ كان الى سن الاربعين غير معروف ببلاغة ولا علم وغير ممتاز على أهل وطنه وبيئته إلا بالصدق والامانة ومكارم الاخلاق .

ان معترض مجلة المشرق يسمي هذا وذاك من الادلة الباطنية التي ليس لها إلا القيمة السلبية أي انه ينفي كون هـذا الكتاب قد خرج من عقل بشري . وقد غفل عن كون المؤمن بالله وبوحيه يضطر أن يؤمن بما كان كذلك أنه من الله تعالى إذ لاموجود يقدر عليه غيره فقامت عليه الحجة

(للرد بقية)

العبرة بسيرة الملك فيصل

(رحمه الله تعالى)

— ٨ —

يوم الجمعة ٢٥ شعبان ١٤ مايو سنة ١٩٣٠

قابلت ضحوة هـذا اليوم الملك فيصلا بداره فأخبرني أن والده وافق على ما اقترحناه من تنفيذ مشروع (الوحدة العربية) والاتفاق مع ابن سعود مع المحافظة على شرفه وفوضه بذلك (قال) فيمكننا الآن ارسال وفد علني الى ابن سعود وقد عقد والدي اتفاقا مع امام اليمن

ثم قال : انه جاءه من مصر ان الادريسي (أي السيد محمداً الكبير) أرسل إلي كتابا مع رجل اسمه السيد محمد السقاف ، وسيصل الى هنا حاملا له في هذين اليومين (قال) وانه يمكن عقد اجتماع في هذا العام في طابة

وأخبرته بمسألة استقدام ضيفنا وصاحبه (ضيفنا لقب أطلقناه بمصر على صاحب حجازي لنا يشتغل بالسياسة ، وكنت استأذنت الملك بطلبه الى الشام فأذن

ثم تكلمنا في مسألة العشائر وهي تكاد تتم ان شاء الله تعالى اهـ

هذا ما كتبته في مذكرتي في ذلك اليوم بعد فراق الملك فيصل وأعني بكلمتي الاخيرة انني لم أترك مسألة السعي لتنظيم عشائر سورية وقبائلها بعد سقوط وزارة الركابي باشا لأنني رأيت الملك فيصلا لا يزال يظهر لي عنايته بها . ووعد بوعد متذبذب تنفيذها

وأقول الآن ان كل ما ذكرت هنا من الاخبار لم يصح منـه شيء ، وأما الآراء فكان الملك فيصل ثابتاً على وجوب سعينا الى (الوحدة العربية) والتوسل بما يعتقد من اتصال المودة بيني وبين ابن السعود على ادخاله فيها وأنها لا تتم بدونه ، وكان موافقا لي على أن والده هو العقبة الاولى في هذه السبيل فاذا ذللت واقتحمت كانت عقبة ابن سعود أهون منها

(مكاتبة أمراء العرب في مؤتمر الوحدة العربية)

يوم الأحد ٥ رمضان ٢٣ مايو

أرسلت قبل نصف الليلة البارحة إلى الملك فيصل الكتاب الذي طلبه مني لإرساله إلى ابن سعود ، وقابلته ضحوة اليوم بداره الخاصة وتكلمنا في المسألة العربية وإمكان جمع مؤتمر من زعماء العرب في المدينة المنورة أو أي مكان تختارونه وقال أن والده يوافق على ذلك

وتكلمنا في مسألة سورية أيضا ومسألة سفره إلى أوربة وعدم ارتياح الناس إلى هذا السفر وسببه ومما قلته له (وهو فصل الخطاب) ان المسألة يمكن اختصارها بكلمة واحدة وهي هل يكون حكم البلاد لنا ونحن نستخدم من الاوربيين من نرى المصلحة في استخدامه ؟ أم يكون لهم ويستخدمون منا آلات لادارته ؟ اه

وأقول الآن قد بينت فيما تقدم ان الرجل لم يتغير رأيه بعد اعلان الاستقلال عما كان قبله من وجوب اتفاقه مع فرنسة على طريقة الحكم في سورية ، وان الوسيلة لذلك أن تفوض اليه البلاد عقد هذا الاتفاق ، وقد كان يطلب هذا التفويض من الزعماء وكان من أركانهم الاستاذ الشيخ محمد كامل قصاب رئيس الجمعية الوطنية وهو معارض شديد وكان الدكتور شهبندر من أقوى أنصاره ثم اطمأن الملك لموافقته له بعد ان صار وزيراً ، وقد صار في البلاد مؤتمر عام له شأن ، وكان يذاكرني في هذه المسألة منذ اجتمعنا في بيروت عند عودته من أوربة كما تقدم بعده إياي من أصحاب الرأي (الناضج كما كان يقول) ومن أصحاب المكانة في حزب الاستقلال العربي ، وقد صار لي صفه أخرى وهي رياسة المؤتمر الرسمي ، ولم يتغير رأيي في المسألة كما انه لم يتغير رأيه والواقع الآن في سورية يؤيد رأيي وسأعود إلى هذه المسألة

يوم الجمعة ١٠ رمضان ٢٨ مايو

قابلت الملك فيصلا بداره صباح اليوم وكنت أرسلت اليه البارحة صورة كتابي الاول الى ابن سعود ليرسله مع الثاني الذي أعطيته إياه في ٥ رمضان (كذا في الاصل الذي في المذكرة) فأخبرني أنه أمر إحسان بك أن يكلفني صورة كتاب له (أي لابن سعود من قبله هو) وكتاب آخر يرسل الى سائر أمراء العرب في الكويت والمحمرة وغيرهما ، وانه كان كتب كلمات مختصرة في ذلك وتعب فلم يتمها والمراد منها بيان فكرته الاساسية التي أبني عليها

ثم لقيت إحسان بك وأخذت منه الورقة (التي كتبها الملك) وكتبت الصورتين ليلا وأعطيته إياهما وحفظت ورقة الملك عندي وهي في لفظها ومعناها...

يوم الاحد ١٢ رمضان ٣٠ مايو

أفطرت اليوم والوزراء وأعضاء المؤتمر مع الملك فيصل فأجلست في المائدة عن يمينه والشريف جميل عن يساره ورئيس الوزراء أمامه وسائر الوزراء عن اليمين واليسار في صدر المكان ، وجعل لأعضاء المؤتمر مائدتان طويلتان على الجانبين.وقد أسرّ إليّ الملك في أثناء الطعام بأن الوفد سافر بالكتب وهو مؤلف من الصيمي وآخرين أحدهما سليمان الدخيل اه

ثم كتبت بعد ما تقدم في يوم آخر قريب « ثم تبين لي أن هذا غير صحيح »

(قضية وطنية لها علاقة بترجمة الملك)

يوم الاحد ٢٦ رمضان ١٣ يونيو

ظهر الخلاف في النصف الثاني من هذا الشهر بين أعضاء حزب الاستقلال وجمعيته وقد اجتمع في دار الدكتور أحمد قدري زهاء أربعين عضواً من أعضاء الجمعية ودارت المذاكرة تحت رياستي في إصلاحها فتفق الجميع على وجوب إلغاء امتياز الاعضاء المؤسسين وعلى طلب جميع من في العاصمة منهم ومن غيرهم لتقرير هذا في انتخاب مجلس إدارة (أو تأسيس) من الهيئة العامة عدده ثلاثون أو أكثر وهو ينتخب من أفراده لجنة مركزية أو تنفيذية من سبعة أعضاء وسيكون هذا الاجتماع في الليلة القابلة

(الخلاف في حزب الاستقلال العربي وجمعيته)

يوم الاثنين ٢٧ رمضان ١٤ يونيو

اجتمع البارحة الاخوان في دار الدكتور قدري اجتماعهم الثاني تحت رياستي وبعد طول المذاكرة استقر الرأي على كتابة بلاغ يمضيه جميع من حضر وغيرهم ممن على رأيهم يقدم الى اللجنة المركزية يطالبونها فيه بدعوة جميع الاعضاء في ٧ شوال للمذاكرة في الاصلاح المطلوب الذي اقترح من قبل وينذرونها أنها اذا لم تفعل فان الموقعين يفعلون ذلك بحق الاكثرية ، وقد فعلوا . وكتب نسختان القرار ليقدم أحدهما ويحفظ الآخر

يوم الثلاثاء ٢٨ رمضان ١٥ يونية

قرر أعضاء المؤتمر اليوم بان تعطل الجلسات من نهار غد لاجل عيد الفطر الى نهاية الاسبوع الذي بعده وتعود يوم السبت ٢٦ حزيران (يونيو) وبعد الجلسة العامة جمعت ديوان الرياسة للنظر في أعماله المتأخرة لعدم اجتماعه من مدة طويلة كنت أدعو الاعضاء فلا تحصل الاكثرية

وعند العصر تقريبا قابلت الملك بداره بمناسبة عزمه على السفر قبل المغرب الى حلب فتكلمنا في مسألة سفره فأخبرني بانه يريد إرسال قوة عسكرية الى حدود سورية الشمالية بمناسبة الهدنة بين الترك والفرنسيس في كيليكية وبان في هذا شيئا من الخلاف بينه وبين الوزراء

الوفد الوطني لأوربة والملك فيصل

ثم تكلمنا في مسألة الوفد (الذي يسافر إلى أوربة) فقال بمناسبة وجوب إرسال وفد وطني غير وفد الحكومة (وهو ما اقترحه بعض الاخوان والزعماء) ان هذا مما يجب على الاحزاب والجمعيات ، ولكن كل شيء يطلب منه ولا سيما المال وهو لا يستطيع ذلك وقد ضيق عليه في ميزانية البلاط !! (قال) كل شيء

يطلب من فيصل ؛ في الامه رجال كثير غير فيصل ، ليست عبارة عن رجل واحد

قلت نعم لها رجال كثيرون ولكن ليس لها إلا رأس واحد

قال : صحيح ، أنا أساعد من يذهب من قبل الوطن ولكن ليس عليَّ النفقة كلها » ولم أكن أسمع منه مثل هذه الشكوى بل كان يظهر لي انه يأخذ على عاتقه مساعدة العمل للوحدة العربية وللجامعة الاسلامية أيضاً !!

وأحمد الله انني أبعد الناس عن مساعدته في شيء ما ، حتى إنه عرض عليَّ تقديم شيء من فرش الدار ، بل قال ان فرش الدار كله عليه ، فاحتلت في دفع ذلك عني اه

هذا ما كتبته بعد فراقه ووداعه في ذلك اليوم ، وأفسره هنا بانني كنت أشعر منه بانه يريد إكرامي بمساعدة مالية ويرى مني أمارات الاباء اذا عرَّض بذلك . ولما استقرت قدمي في الشام للعمل في المؤتمر ، قال لي مراراً انه لا يليق بمقامك البقاء في الفندق فيجب أن تأخذ داراً تقيم فيها . عليك الدار وعلينا فرشها . فستأجرت داراً واسعة واستحضرت فرشها التام من طرابلس فلم يبدر بذلك إلا والدار مفروشة

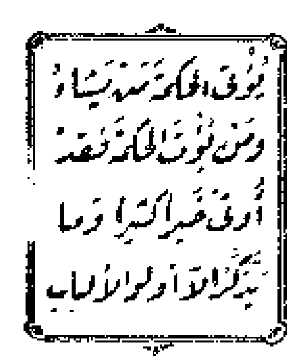
يوم الخميس ٣٠ رمضان ١٧ يونيو

كلمني الدكتور عبد الرحمن شهبندر في وزارة الخارجية بشأن الوفد الذي يذهب إلى أوربة وقال انه يجب أن نتفق على تحديد المطالب التي يلازمها . وبعد بحث وجيز اتفقنا على الاجتماع ليلة السبت في دار جميل بك مردم مستشار الخارجية ويطلب الشيخ كامل قصاب الحضور معنا

وأكد لي الوزير ما كنت سمعته من ان الامير يريد من عدم قبوله رياسة هذا الوفد . قلت للوزير لماذا ؟ قال لانه لا يريد حمل هذه المسؤلية ، ووزير الخارجية يريد أخذ تفويض من . . . ورؤساء الاحزاب ولا يتكلم باسم الحكومة فقط اه

فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب





قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوى «ومنارا» كمنار الطريق

٣٠ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٣ برج الميزان سنة ١٣١٣ هش ٧ أكتوبر سنة ١٩٣٤

فتاوى المنار

(س ١٤ — ٢١) من صاحب الامضاء في بيروت

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

حضرة صاحب الفضل والفضيلة سيدنا ومولانا العالم العلامة الكبير السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء حفظه الله تعالى وأدامه آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فاني أرفع إلى فضيلتكم الاسئلة الآتية راجيا التكرم بالاجابة عليها على صفحات مجلة المنار الغراء ليكون النفع بها عاما ولكم الشكر :

(١) هل المطالبون بانكار المنكر هم العلماء فقط دون غيرهم أم جميع الناس ؟

(٢) ما تعريف الكفر والالحاد وما حكمها في الشرع الشريف ؟

(٣) هل يجوز ترجمة القرآن الكريم نفسه والاحاديث النبوية نفسها إلى اللغات الاجنبية كالافرنسية والانكليزية واللاتينية والتركية أوغيرها أم لا ؟

(٤) هل يجوز كتابة القرآن الكريم على قواعد الاملاء الحديث أم لا ؟

(٥) ما قولكم فيمن يقول لا أعتقد ولا أعمل إلا بالقرآن الكريم فقط ولا أعتقد ولا أعمل بالاحاديث النبوية ولو كانت صحيحة معتمدة أو غيرها ، فهل هذا يعد مسلماً مؤمنا أم لا ؟

(٦) ماقولكم فيمن يعتقد ويقول : ان القرآن الكريم هو كلام النبي ﷺ وليس هو كلام الله تعالى فهل هذا يعد مسلماً ومؤمنا أم لا ؟

(٧) هل صح مايقول بعضهم إنه لم يثبت عن النبي ﷺ إلا اثنا عشر أو أربعة عشر حديثا فقط أم لا ؟

(٨) هل جميع أحاديث النبي ﷺ مروية عنه باللفظ والمعنى عاما أم بالمعنى فقط ؟

(٩) هل هذان الحديثان الآتيان صحيحان معتمدان غير منسوخين يجوز اعتقادهما والعمل بهما أم لا وما معناهما ؟ وهما « من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » « لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق » وفي رواية أخرى « لاطاعة في معصية الله انما الطاعة في المعروف » تفضلوا بالجواب ولكم الاجر والثواب ؟

السائل : عبدالحفيظ ابراهيم اللادقي ، بيروت

(أجوبة المنار)

(١٤) المطالب بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في الامور العارضة المعينة من فروض الكفاية ، وقد يتعين وينحصر في فرد ان لم يوجد غيره حيث يجب ويشترط فيه العلم بما يأمر به أو ينهى عنه بل كل عمل شرعي يشترط فيه العلم به لا العلم بجملة علوم اللغة والشرع التي يعطى متعلمها شهادة رسمية بأنه عالم . فالفرائض العينية والمعاصي القطعية المعلومة من الدين بالضرورة من شأنها أن يعرفها كل مسلم ، وهي أهم ما يجب الامر بالمفروض منه كأركان الاسلام الخمسة والنهي عن المنكر منه كالزنا والسكر والسرقة والخيانة والكذب والنميمة.وأما المسائل غير المعلومة للعوام والخواص من المسلمين فانما يطالب بها العالم بحكمها ، واذا قام بها جمهور العوام والخواص كان ذلك أعظم مؤدب لتاركي الفرائض ومرتكبي المعاصي . وقد بينا في تفسير قوله تعالى (٣ : ١٠٤ ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) ان في جملة قوله تعالى (ولتكن منكم أمة) وجهين (أحدهما) انه يجب أن تتألف منكم جماعة تتعاون على القيام بهذه الواجبات وهذه الجماعة يجب عليها أن تدرس ما يتوقف عليه الامر والنهي بجميع فروعه (وثانيهما) ان معناها ولتكونوا أمة تدعو الى الخير الخ وكل من الوجهين صحيح والثاني عام للافراد كل أحد فيما يعرفه ويقدر عليه (ويراجع التفصيل في الجزء الرابع ، من تفسير المنار)

(١٥) تعريف الكفر والالحاد

الظاهر أن مراد السائل بالكفر والالحاد ما يقابل الايمان والاسلام، والا فانهما قد يطلقان على بعض ما لا يخرج صاحبه من الملة. فالمعنى العام الجامع لكل ما ينافي ملة الاسلام هو تكذيب رسالة محمد ﷺ الى جميع الناس أو تكذيب شيء مما علم المكذب انه جاء من أمر الدين. وهو قسمان: الاول المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة ككون القرآن كلام الله تعالى، وتوحيد الله وتنزيهه عن النقص والولد والشريك في تدبير الكون أو العبادة كالدعاء والذبح والنذر له الخ وكون محمد رسول الله وخاتم النبيين، وما أشرنا اليه في جواب السؤال السابق من الفرائض والمحرمات القطعية. فهذا لا يعذر أحد بجهله الا من كان حديث العهد بالاسلام لم يمض عليه زمن كاف لتعلم هذه الضروريات منه. ومن كان في حكمه كرجل أسلم في مكان أو بلد ليس فيه من المسلمين من يعلمه ذلك كله وطال عليه الزمن وهو لا يعلم ان عليه واجبات أخرى ولا انه يجب عليه الهجرة مثلا

والقسم الثاني ما كان غير مجمع عليه أو مجمعا عليه غير معلوم من الدين بالضرورة كبعض محرمات النكاح وأحكام المواريث مثلا مما لا يعرفه إلا العلماء فهذا يعذر من جهله، فان علم شيئا منه انه من دين الله قطعا صار حكمه حكم القسم الاول بالنسبة اليه

وحكم الكافر بهذا المعنى الذي فصلناه أنه لا يعامل معاملة المسلمين فيما هو خاص بهم، وهو قسمان (١) كافر أصلي من كتابي ووثني وكل منهما إما ذمي وإما معاهد وإما حربي ولكل منها أحكام (٢) كافر مرتد وله أحكام أشد إذا استتيب ولم يتب منها أن امرأته إذا كان متزوجا تبين منه ويحرم عليها أن تعامله معاملة الازواج بمجرد ارتداده بأن تفارقه وتخرج من داره، ومنها أنه لا يرث المسلمين ولا يرثونه ومنها أنه إذا مات أو قتل لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين. وقد حدثت في العام الماضي ثورة إسلامية في القطر التونسي لمنع المتجنسين بالجنسية الفرنسية من دفن موتاهم بين المسلمين في مقابرهم لانهم مرتدون عن الاسلام بما تقتضيه الجنسية الفرنسية من التزاوج والتوارث بأحكام القانون الفرنسي المخالف لنصوص القرآن والسنة مما هو مجمع عليه معلوم من الدين

بالضرورة ، فأرادت الحكومة الفرنسية الحامية إجبار المسلمين على دفنهم في مقابرهم وظاهرها بعض المنافقين على هذا فخاب سعيها وعجزت قوتها عن ذلك، وانتهى الامر بانشاء مقبرة خاصة بهؤلاء المرتدين المصرين على كفرهم ، بل لم يتنه من كل وجه ففرنسة تريد إكراه المسلمين على مرادها وقد حدث في هذا الشهر ثورة في تونس من عاقبيل ارهاق فرنسة لزعماء المسلمين وخواصهم

(١٦) ترجمة القرآن والاحاديث النبوية باللغات الاجنبية

قد كتبت في الجزء التاسع من تفسير المنار (ص٣٣١—٣٦٣) بحثا طويلا في استحالة ترجمة القرآن ترجمة صحيحة تؤدي معانيه أداء تاما كما تفهم من لغته العربية وعقائده الاسلامية ، وفي تحريم ترجمته ترجمة تعطى حكم الاصل العربي المنزّل من وجوب اعتقاد انه كلام الله تعالى وانه يتعبد بتلاوته في الصلاة وغيرها كما فعلت الحكومة التركية الكمالية ، وقد طبعنا هذا البحث في رسالة مستقلة ، ثم كتبنا مقالا آخر في الرد على من زعم جواز ذلك من المهوكين انتصاراً للحكومة التركية

وأما ترجمة القرآن ترجمة معنوية تفسيرية على غير الصفة المذكورة آنفا فله من المجوزات ما قد يصل إلى حكم الوجوب الكفائي ، وأظهرها تصحيح الترجمات الكثيرة له في اللغات المشهورة المحرفة لمعانيه ، المشوهة لمحاسنه ، التي جعلت وسائل للطعن عليه وبغيه عوجا ، وهو الدين القويم والصراط المستقيم ، ومن هذه الترجمات ما تعمد فاعلوها بعض هذا التحريف والتشويه ، ومنها ما وقع بجهلهم وعجزهم ، وقد بينت في مقدمة كتاب الوحي المحمدي ان أشهر مترجميه من الفرنسيس والانكليز المعاصرين اعترفوا بأنه معجز ببلاغته ، وان إعجازه يدخل فيه استحالة ترجمته كأصله

وأما الاحاديث فلا أعلم ان أحداً قال بتحريم ترجمتها وجميع مسلمي الاعاجم يترجمونها

(١٧) كتابة القرآن بالرسم العرفي

المعروف المشهور ان علماء الملة متفقون على وجوب كتابة المصاحف بالرسم الذي كتبها به أصحاب النبي ﷺ وأجمعوا عليها ، وقد مست الضرورة لطبع مصحف مفسر بالرسم العرفي ليقرأه الجماهير قراءة صحيحة غير محرفة ويفهموه

إذ علم بالتجربة أن أكثر الناس يخطئون في القراءة في هذه المصاحف إلا من تلقاها من القراء وقليل ما هم وسئلنا عن ذلك فأجبنا عنه بما رأيتموه في الجزء الثاني من منار هذه السنة من الجواز وتعليله

(١٨) حكم من يقول انه لا يعتقد ولا يعمل الا بالقرآن دون الاحاديث

ن الايمان بالقرآن والعمل بما أمر الله تعالى وما نهى عنه فيه يستلزم الايمان بالرسول ﷺ الذي جاء به من عنده تعالى ، ووجوب طاعته بمثل قوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) وهذا الامر مكرر في عدة سور وفي معناه آيات أخرى كقوله تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) ومن المعلوم بنصوص القرآن وباجماع الامة ان الرسول ﷺ هو المبين لكلام الله والمنفذ له كما قال تعالى (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم)

فمن يقول إنه لا يعتقد ان سنة النبي ﷺ التي بين بها القرآن وبلغ بها الدين واجبة الاتباع وانه يستحل معصيته ﷺ فيما صح عنه انه أمر به أو نهى عنه من أمور الدين ، وان أجمع المسلمون على تلقيه عنه بالتواتر كعدد ركعات الصلوات وركوعها وسجودها وغير ذلك مما أشرنا اليه آنفا في الفتوى (١٥) وإنما يعتقد ويعمل بما يدله عليه ظاهر القرآن فقط — من قال هذا لا يعتد بايمانه ولا باسلامه ، فانه مشاق للرسول غير متبع لسبيل المؤمنين بل متناقض يريد بهذا القول جحود الاسلام وتركه من أساسه، فالله تعالى يقول (٤: ١١٥ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا)

ولكن إن أراد انه غير مكلف أن يعرف هذه الاحاديث المدونة ويعمل بها كلها أو بما صححه المحدثون منها ، فان قوله حينئذ يكون موهما لا نصاً في استباحة عصيان الرسول فيما علم أنه جاء به من أمر الدين ، فلا يحكم عليه بالكفر والخروج من الملة حتى يبحث معه في مراده من كلامه ، فان أئمة المسلمين لم يقل أحد منهم بوجوب العلم بما في كتاب من كتب الحديث ، وكان موطأ الامام مالك رحمه الله تعالى أولها تدوينا واستأذنه الخليفة العباسي في نشره في الامة وأمر الناس بالعمل به ، فلم يأذن له كما بينا ذلك مراراً . وجملة القول ان المعتمد في التكفير القطعي

ما أجملناه في الفتوى (١٥) ومما لا شك فيه ان من يعتقد أنه ثبت عن النبي ﷺ أمر من دين الله واستحل مع هذا عصيانه فيه بدون تأويل يكون كافراً

(١٩) حكم من يعتقد ان القرآن الكريم كلام النبي ﷺ لا كلام الله

من يعتقد هذا يكون كافراً باجماع المسلمين لانه مكذب لله تعالى ولرسوله ﷺ ولما هو معلوم من دين الاسلام بالضرورة والاجماع ، ولا فرق بين من يطلق القول بهذا ومن يزعم ان معاني القرآن وحي من الله أنزلت على قلب النبي ﷺ وأما عبارته وألفاظه فهي من النبي ﷺ فقد أجمع المسلمون على ان القرآن نزل عليه ﷺ بهذا النص العربي المكتوب في المصاحف كما قال تعالى (٢٦ : ٩٢ وانه لتنزيل رب العالمين ٩٣ نزل به الروح الامين ٩٤ على قلبك لتكون من المنذرين ٩٥ بلسان عربي مبين) فان قوله تعالى (بلسان عربي مبين) متعلق بقوله (نزل) لا المنذرين ، فان المنذرين هم الرسل السابقون ، ولم يكن إنذار كل منهم بلسان عربي مبين بل كان كل منهم ينذر قومه بلسانهم كما قال تعالى (١٤ : ٤ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) والآيات المصرحة بنزول القرآن باللغة العربية معروفة في سور يوسف والرعد وطه والزمر وفصلت والشورى والزخرف والاحقاف . وأما الآيات والدلائل على أن القرآن منزل من عند الله وان النبي ﷺ ليس له منه إلا تبليغه بنصه العربي المنزل وبيان معانيه وتنفيذه ، وانه ﷺ كان عاجزاً كغيره من البشر عن الاتيان بمثله فقد بيناها في تفسير سورة يونس وسورة هود بأكثر مما فصلناها في كتاب الوحي المحمدي

(٢٠) من قال إنه لم يثبت عنه ﷺ إلا ١٢ أو ١٤ حديثاً

هذا القول غير صحيح بل لم يقل به أحد بهذا اللفظ وإنما قيل هذا أو مادونه في الاحاديث التي تواتر لفظها

(٢٠) رواية الاحاديث باللفظ و بالمعنى

بعض الاحاديث مروية بلفظها الذي نطق به النبي ﷺ ولاسيما القصيرة، وأكثر أقواله ﷺ مختصرة كما قال « أعطيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا » رواه أبو يعلى من حديث عمر (رض) وحسنوه . وناهيك بما اشتهر به العرب من قوة الحفظ وكذا غيرهم من الامم الذين يعتمدون على الحفظ قبل الكتابة ، وروي كثير منها بالمعنى لما نرى في الصحاح وغيرها من اختلاف في ألفاظ الرواية لحديث الواحد الذي لا يحتمل تعدد موضوعه وصرح به المحدثون والاصوليون ، واشترطوا في قبول المروي بالمعنى جودة فهم الراوي وحسن ضبطه

(٢٢) حديثا « من كذب علي متعمداً » الخ، و« لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق »

هذان الحديثان صحيحان بل الاول منهما متواتر بلفظه رواه أصحاب المسانيد والصحاح والسنن عن عشرات من الصحابة المهاجرين والانصار زهاء بدون على سبعين صحابيا ورواه غيرهم أيضا عن آخرين وفي رواية للامام أحمد عن عمر (رض) مرفوعا « من كذب علي فهو في النار » ولاجل هذا كان بعض كبار الصحابة يمتنعون من التحديث عنه (ص) حتى بعض المبشرين بالجنة كالزبير (رض) خشية ان يخطيء أحدهم في الرواية فيناله الوعيد ، ولكن هذا لم يمنع بعض الذين عرفوا بالصلاح من تعمد الكذب عليه ﷺ بوضع أحاديث كثيرة في الترغيب والترهيب (والثاني) رواه باللفظ الاول في السؤال أحمد والحاكم عن عمران والحكم ابن عمرو الغفاري وصححوه ، وباللفظ الثاني أحمد والشيخان ومسلم وأبو داود والنسائي عن علي (رض)

﴿ جناية حديثية وخيانة دينية للشيخ يوسف النبهاني ﴾

بهذه المناسبة أنبه قراء المنار لاتقاء الاعتماد على أحاديث كتاب (الفتح الكبير ، في ضم الزيادة الى الجامع الصغير) المطبوع بمصر سنة ١٣٥٠ فان الشيخ يوسف النبهاني الدجال المشهور جمع أحاديث الجامع الصغير والزيادات عليه وحذف منه رموز المؤلف للاحاديث الصحاح والحسان والضعاف ليتوهم المطلع عليه ان كل ما فيه صحيح أو مقبول يحتج به على ان تلك الرموز لم تكن كافية للتمييز بينها

مباحث الربا والاحكام المالية

(تابع لما في الجزء السادس م٣٣ ص ٤٤٩)

ولفظ الحديث عنهما: ان رسول الله ﷺ استعمل رجلا على خيبر فجاءه بتمر جنيب فقال له رسول الله ﷺ «أكل تمر خيبر هكذا؟» قال لا والله يارسول الله انا لنأخذ الصاع من هـذا بالصاعين من الجمع والصاعين بالثلاثة ، فقال رسول الله ﷺ «لاتفعل، بع الجمع بالدراهم ثم ابتع بالدراهم جنيبا » (١) وليس في هذا حيلة وانما هو نهي عن شراء التمر بالتمر متفاضلا وأمر ببيع كل نوع منه وابتياعه بالدراهم وهذا الامر عام مطلق في جميع البيوع وهو ان يكون لكل شيء من الاشياء المختلفة ثمن تقدر به وتقصد به لتمنية المعينة ليكون ميزانا لتقـدير سائر الاشياء به ومعرفة نسب بعضها الى بعض. فشراء التمر الرديء الكيل بخمسة دراهم ، والجيد من نوع كذا بعشرة دراهم ، يجعل لكل من النوعين ثمنا معينا تعرف به نسبة أحدهما الى الآخر ، فليس في هذه الصفة مخالفة للشارع في صفة العقد ولا لحكمته في تحريم الربا ولا في أكل أموال الناس بالباطل ، وقد يكون له صورة تشبه الحيلة وهو أن يكون أحد رجلين عنده تمر جيد وآخر عنده رديء وكل منهما محتاج الى ماعند الآخر لولا منع المبادلة لتبادلا بهما فيشتري كل منهما ماعند الآخر بالثمن

هذا وان العلامة المحقق ابن القيم قد أحصى كل مااستدل به القائلون بجواز الحيل من الآيات والاحاديث والقياس ومسألة العقود والشروط فيها ، ومسألة المخارج من الحرج وما زيد عليها ، ورد عليهم رداً قويا سديداً شديداً مفصلا تفصيلا ، وأورد من فروع مفاسدها ما هو كفر وردة عن الاسلام (٢) وماهو من كبائر الفسوق والعصيان فأغناني ذلك عن الاطالة في هذه المسألة بعد أن كنت عازما عليه

---

(١) تقدم ان الجمع هنا التمر الرديء . والجنيب نوع من التمر الجيد

(٢) منها ما وقع في زماننا وهو ارتداد المرأة المتزوجة عن الاسلام لاجل افساد عقد نكاحها من زوجها الذي تكرهه والعياذ بالله تعالى

وحسبي أنني بينت تحقيق الاصل الذي يرجع اليه كل شيء في هذا الباب وهو وجوب المحافظة على حكمة الشارع في تحريم الربا كغيره وعلى نصوص الشارع فيه مع التفرقة بين القطعي منها وغير القطعي، كما بينت ان قواعد الفقهاء وتعريفاتهم وضوابطهم ومدارك الاحكام في مذاهبهم ليست تشريعا دينياً يجب على الامة أخذه بالتسليم والعمل به وانما هو مسائل اجتهادية وضوابط فنية يصدق عليها كلها كلمة الامام مالك بن أنس : كل أحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه إلا صاحب هذا القبر – ويشير الى قبر النبي ﷺ وسأزيد هذه المسألة بيانا ايضا في فصل آخر

حكمة النهي عن ربا الفضل

بقي علي هنا بيان مسألة مهمة وهي ان قاعدة اليسر ورفع الحرج من أحكام الاسلام مسألة قطعية ثابتة بنص القرآن وصريح السنة واجماع الامة، وان مسألة ربا الفضل في بعض فروعها من العسر والحرج والخروج عن المعقول في حكمة التشريع ما يشق معه المحافظة على نصوصها وحكمتها معاً لان حكمتها غير ظاهرة، ولذلك قال بعض كبار العلماء انها تعبدية، والتعبد في هذه المعاملات المالية غير معقول أيضا إذ لا يظهر فيه معنى من معاني التعبد التي تزيد المؤمن إيمانا بالله تعالى ومعرفة بجلاله وكماله ورحمته وعدله وحكمته ، ولذلك يرى كثير من المؤمنين المتقين أنفسهم مضطرين الى التماس المخرج من بعض أحكامه بالحيلة ويفرقون بين المخارج الباطلة التي يحتال بها مرضى القلوب وضعفاء الايمان على ربا النسيئة القطعي الدال على القسوة واستباحة أكل أموال الناس بالباطل وغير ذلك من المعاصي والمخارج الصحيحة المشار اليها بقوله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا)

وانني أعتمد في تحرير هذه المسألة على ما حققه العلامة ابن القيم في حكمة تحريم ربا الفضل إذ لم أر أحداً وفق لما وفق له من ذلك، وقد كنت نقلت في الصفحة ٧٣ و ٧٤ ما قاله هذا المحقق من الفرق بين ربا النسيئة وربا الفضل في كتابه (أعلام الموقعين) وحكمة تحريم كل منهما بالاجمال . فأما حكمة تحريم ربا النسيئة وهو ماقيه

من الضرر العظيم فلا شبهة فيه، وأما حكمة تحريم ربا الفضل فقد نقلت عنه انه قال انها كونه ذريعة لربا النسيئة ولم أذكر بيانه التفصيلي له وهذا موضعه فأنقله عنه بنصه وأعيد خمسة أسطر مما نقلته هنالك في آخر ص ٧٤ وهو :

(قال) الشارع نص على تحريم ربا الفضل في ستة أعيان وهي الذهب والفضة والبر والشعير والتمر والملح فاتفق الناس على تحريم التفاضل فيها مع اتحاد الجنس وتنازعوا فيما عداها ، فطائفة قصرت التحريم عليها وأقدم من يروى هذا عنه قتادة وهو مذهب أهل الظاهر واختيار ابن عقيل في آخر مصنفاته مع قوله بالقياس قال لان علل القياسيين في مسألة الربا علل ضعيفة ، واذا لم تظهر فيه علة امتنع القياس (وطائفة) حرمته في كل مكيل وموزون بجنسه وهذا مذهب عمار واحمد في ظاهر مذهبه وابي حنيفة (وطائفة) خصته بالطعام(١) (وان لم يكن مكيلا ولا موزونا وهو قول الشافعي ورواية عن الامام احمد (وطائفة) خصته بالطعام) اذا كان مكيلا أو موزونا وهو قول سعيد بن المسيب ورواية عن احمد وقول للشافعي(وطائفة) خصته بالقوت وما يصلحه (٢)وهو قول مالك وهو أرجح هذه الاقوال كما ستراه

وأما الدراهم والدنانير (فقالت طائفة) العلة فيهما كونهما موزونين وهذا مذهب احمد في إحدى الروايتين عنه ومذهب أبي حنيفة (وطائفة) قالت العلة فيهما الثمنية وهذا قول الشافعي ومالك واحمد في الرواية الاخرى (وهذا هو الصحيح بل الصواب) فانهم أجمعوا على جواز اسلامهما في الموزونات من النحاس والحديد وغيرهما ، فلو كان النحاس والحديد ربويين لم يجز بيعهما الى أجل بدراهم نقداً، فان ما يجري فيه الربا اذا اختلف جنسه جاز التفاضل فيه دون النساء والعلة اذا انتقضت من غير فرق مؤثر دل (٣) على بطلانها ، وأيضاً فالتعليل بالوزن ليس فيه مناسبة فهو طرد محض بخلاف التعليل بالثمنية فان الدراهم والدنانير أثمان المبيعات والثمن هو المعيار الذي به يعرف تقويم الاموال فيجب أن يكون

(١) ما بين القوسين ثابت في النسخة المطبوعة في مصر دون المطبوعة في الهند
(٢) المراد بما يصلحه الملح فان حل محله غيره كان له حكمه
(٣) أي دل انتقاضها على بطلانها

مضبوطا لا يرتفع ولا ينخفض إذ لو كان الثمن يرتفع وينخفض كالسلع لم يكن لنا ثمن نعتبر به المبيعات بل الجميع سلع ، وحاجة الناس إلى ثمن يعتبرون به المبيعات حاجة ضرورية عامة وذلك لا يمكن إلا بسعر تعرف به القيمة وذلك لا يكون إلا بثمن تقوم به الاشياء ويستمر على حالة واحدة ولا يقوم هو بغيره إذ يصير سلعة يرتفع وينخفض فتفسد معاملات الناس ، ويقع الخلف، ويشتد الضرر كما رأيت من فساد معاملاتهم والضرر اللاحق بهم حين اتخذت الفلوس سلعة تعد للربح فعم الضرر وحصل الظلم ، ولو جعلت ثمنا واحداً لا يزداد ولا ينقص بل تقوم به الاشياء ولا تقوم هي بغيرها لصلح أمر الناس فلو أبيح ربا الفضل في الدراهم والدنانير مثل أن يعطي صحاحا ويأخذ مكسرة أو خفافا ويأخذ ثقالا أكثر منها لصارت متجراً أو جر ذلك إلى ربا النسيئة فيها ولا بد فالاثمان لا تقصد لأعيانها بل يقصد التوصل بها إلى السلع فاذا صارت في أنفسها سلعا تقصد لأعيانها فسد أمر الناس وهذا معنى معقول يختص بالنقود لا يتعدى إلى سائر الموزونات

(فصل) وأما الاصناف الاربعة المطعومة فحاجة الناس اليها أعظم من حاجتهم إلى غيرها لأنها أقوات العالم وما يصلحها فمن رعاية مصالح العباد أن منعوا من بيع بعضها ببعض إلى أجل سواء اتحد الجنس أو اختلف، ومنعوا من بيع بعضها ببعض حالا متفاضلا وإن اختلفت صفاتها وجوز لهم التفاضل فيها مع اختلاف أجناسها

وسر ذلك والله أعلم أنه لو جوز بيع بعضها ببعض نسأ لم يفعل ذلك أحد إلا اذا ربح وحينئذ تسمح نفسه ببيعها حالة لطمعه في الربح فيعز الطعام على المحتاج ويشتد ضرره ، وعامة أهل الارض ليس عندهم دراهم ولا دنانير ولا سيما أهل العمود والبوادي ، وانما يتناقلون الطعام بالطعام ، فكان من رحمة الشارع بهم وحكمته ان منعهم من ربا النسأ فيهم كما منعهم من ربا النسأ في الاثمان ، إذ لو جوز لهم النسأ فيها لدخلها «إما أن تقضي وإما أن تربي»(١) فيصير الصاع الواحد لو أخذ

(١) هذه الجملة عنوان ربا النسيئة المحرم لذاته في القرآن ومعنى دخولها فيه انه عند ما يحل الاجل الاول يطالب الدائن المدين بقضاء الدين أو بالزيادة فيه الى أجل آخر فان لم يجد ما يقضي زاده في العين من نقد أو طعام لاجل التأخير وهو النسيئة كما تقدم مكررا و بهذا يكون ذريعة لها ولأجلها نهي عنه

قفزانا كثيرة ففطموا عن النسأ ، ثم فطموا عن بيعها متفاضلا يداً بيد ، إذ تجرهم حلاوة الربح وظفر الكسب إلى التجارة فيها نسأ وهو عين المفسدة، وهذا بخلاف الجنسين المتباينين، فان حقائقهما وصفاتهما ومقاصدهما مختلفة، ففي إلزامهم المساواة في بيعها إضرار بهم ولا يفعلونه وفي تجويز النسأ بينها ذريعة إلى « إما أن تقضي وإما أن تربي » فكان من تمام رعاية مصالحهم أن قصرهم على بيعها يداً بيد كيف شاءوا فحصلت لهم مصلحة المبادلة واندفعت عنهم مفسدة « إما أن تقضي وإما أن تربي » وهذا بخلاف ما إذا بيعت بالدراهم أو غيرها من الموزونات نسأ فان الحاجة داعية إلى ذلك فلو منعوا منه لأضر بهم ولا متنع السلم الذي هو من مصالحهم فيما هم محتاجون اليه أكثر من غيرهم والشريعة لا تأتي بهذا ، وليس بهم حاجة في بيع هذه الاصناف بعضها ببعض نسأ وهو ذريعة قريبة إلى مفسدة الربا فأبيح لهم في جميع ذلك ما تدعو اليه حاجتهم وليس بذريعة إلى مفسدة راجحة، ومنعوا مما لا تدعو الحاجة اليه ويتذرع به غالبا إلى مفسدة راجحة

(يوضح ذلك) ان من عنده صنف من هذه الاصناف وهو محتاج إلى الصنف الآخر فانه يحتاج إلى بيعه بالدراهم ليشتري الصنف الآخر كما قال النبي ﷺ « بع الجمع بالدراهم ثم اشتر بالدراهم جنيباً » أو تبيعه بذلك الصنف نفسه بما يساوي ، وعلى كلا التقديرين يحتاج إلى بيعه حالا بخلاف ما اذا أمكن من النسأ فانه حينئذ يبيعه بفضل ويحتاج أن يشتري الصنف الآخر بفضل لان صاحب ذلك الصنف يربي عليه كما أربى هو على غيره فينشأ من النسأ تضرر بكل واحد منهما . والنسأ ههنا في صنفين وفي النوع الاول في صنف واحد وكلاهما منشأ الضرر والفساد ، واذا تأملت ما حرم فيه النسأ رأيته إما صنفا واحداً أو صنفين مقصودهما واحد أو متقارب كالدراهم والدنانير والبر والشعير والتمر والزبيب ، فاذا تباعدت المقاصد لم يحرم النسأ كالبر والثياب والحديد والزيت

(يوضح ذلك) أنه لو مكن من بيع مد حنطة بمدين كان ذلك تجارة حاضرة فتطلب النفوس التجارة المؤخرة للذة الكسب وحلاوته ، فمنعوا من ذلك حتى

منعوا من التفرق قبل القبض ، إتماما لهذه الحكمة ورعاية لهذه المصلحة ، فان المتعاقدين قد يتعاقدان على الحلول والعادة جارية بصبر أحدهما على الآخر وكما يفعل أرباب الحيل يطلقون العقد وقد تواطئوا على أمر آخر كما يطلقون عقد النكاح وقد اتفقوا على التحليل ، ويطلقون بيع السلعة إلى أجل وقد اتفقوا على أنه يعيدها اليه بدون ذلك الثمن، فلو جوز لهم التفرق قبل القبض لأطلقوا البيع حالا وأخروا الطلب لاجل الربح فيقعوا في نفس المحذور

(وسر المسألة) أنهم منعوا من التجارة في الاثمان بجنسها لان ذلك يفسد عليهم مقصود الأثمان ، ومنعوا من التجارة في الاقوات بجنسها لان ذلك يفسد عليهم مقصود الاقوات ، وهذا المعنى بعينه موجود في بيع التبر والعين لان التبر ليس فيه صنعة يقصد لاجلها فهو بمنزلة الدراهم التي قصد الشارع أن لا يفاضل بينها ولهذا قال « تبرها وعينها سواء » فظهرت حكمة تحريم ربا النسأ في الجنس والجنسين وربا الفضل في الجنس الواحد ، وأن تحريم هذا تحريم المقاصد ، وتحريم الآخر تحريم الوسائل وسد الذرائع ، ولهذا لم يبح شيء من ربا النسيئة

وأما ربا الفضل فأبيح منه ماتدعو اليه الحاجة كالعرايا فان ماحرم سداً للذريعة أخف مما حرم تحريم المقاصد ، وعلى هذا فالمصوغ والحلية إن كانت صياغته محرمة كالآنية حرم بيعه بجنسه وغير جنسه وبيع هذا هو الذي أنكره عبادة على معاوية فانه يتضمن مقابلة الصياغة المحرمة بالأثمان وهذا لا يجوز كآلات الملاهي ، وأما إن كانت الصياغة مباحة كخاتم الفضة وحلية النساء وما أبيح من حلية السلاح وغيرها فالعاقل لا يبيع هذه بوزنها من جنسها فانه سفه واضاعة للصنعة والشارع أحكم من أن يلزم الامة بذلك فالشريعة لا تأتي به ولا تأتي بالمنع من بيع ذلك وشرائه لحاجة الناس اليه فلم يبق إلا ان يقال لا يجوز بيعها بجنسها البتة، بل يبيعها بجنس آخر وفي هذا من الحرج والعسر والمشقة ماتنفيه الشريعة فان أكثر الناس ليس عندهم ذهب يشترون به مايحتاجون اليه من ذلك والبائع لا يسمح ببيعه ببر وشعير وثياب وتكليف الاستصناع لكل من احتاج اليه إما متعذر أو متعسر والحيل باطلة في الشرع ، وقد جوز الشارع بيع الرطب بالتمر لشهوة الرطب وأين

هذا من الحاجة إلى بيع المصوغ الذي تدعو الحاجة إلى بيعه وشرائه فلم يبق إلا جواز بيعه كما تباع السلع، فلو لم يجز بيعه بالدراهم فسدت مصالح الناس والنصوص الواردة عن النبي ﷺ ليس فيها ما هو صريح في المنع وغايتها أن تكون عامة أو مطلقة ، ولا ينكر تخصيص العام وتقييد المطلق بالقياس الجلي وهي بمنزلة نصوص وجوب الزكاة في الذهب ، الفضة ، والجمهور يقولون لم تدخل في ذلك الحلية ولا سيما فان لفظ النصوص في الموضعين قد ذكر تارة بلفظ الدراهم والدنانير كقوله « الدراهم بالدراهم والدنانير بالدنانير » وفي الزكاة قوله « في الرقة ربع العشر » والرقة هي الورق وهي الدراهم المضروبة ، وتارة بلفظ الذهب والفضة، فان حمل المطلق على المقيد كان نهياً عن الربا في النقدين وإيجابا للزكاة فيهما ، ولا يقتضي ذلك نفي الحكم عن جملة ما عداهما ، بل فيه تفصيل فتجب الزكاة ويجري الربا في بعض صوره لا في كلها ، وفي هذا توفية الادلة حقها ، وليس فيه مخالفة بشيء لدليل منها

(يوضحه) أن الحلية المباحة صارت بالصنعة المباحة من جنس الثياب والسلع لا من جنس الأثمان ولهذا لم تجب فيها الزكاة فلا يجري الربا بينها وبين الأثمان كما لا يجري بين الأثمان وبين سائر السلع وإن كانت من غير جنسها ، فان هذه بالصناعة قد خرجت عن مقصود الأثمان وأعدت للتجارة فلا محذور في بيعها بجنسها ، ولا يدخلها « إما أن تقضي وإما أن تربي » إلا كما يدخل في سائر السلع اذا بيعت بالثمن المؤجل ولا ريب أن هذا قد يقع فيها لكن لو سد على الناس ذلك لسد عليهم باب الدين وتضرروا بذلك غاية الضرر

(يوضحه) أن الناس على عهد نبيهم ﷺ كانوا يتخذون الحلية وكان النساء يلبسنها وكن يتصدقن بها في الاعياد وغيرها ، ومن المعلوم بالضرورة أنه كان يعطيها المحاويج ويعلم أنهم يبيعونها ، ومعلوم قطعاً أنها لا تباع بوزنها فانه سفه ، ومعلوم أن مثل الحلقة والخاتم والفتخة لا تساوي ديناراً ولم يكن عندهم فلوس يتعاملون بها وهم كانوا أتقى لله وأفقه في دينه وأعلم بمقاصد رسوله من أن يرتكبوا الحيل أو يعلموها الناس

(يوضحه) أنه لا يعرف عن أحد من الصحابة أنه نهى أن يباع الحلي إلا

بغير جنسه أو بوزنه والتقول عنهم انما هو في الصرف

(يوضحه) أن تحريم ربا الفضل انما كان سداً للذريعة كما تقدم بيانه وما حرم سداً للذريعة أبيح للمصلحة الراجحة كما أبيحت العرايا من ربا الفضل ، وكما أبيحت ذوات الاسباب من الصلاة بعد الفجر والعصر ، وكما أبيح النظر للخاطب والشاهد ، والطبيب والعامل من جملة النظر المحرم ، وكذلك تحريم الذهب والحرير على الرجال حرم لسد ذريعة التشبيه بالنساء الملعون فاعله وأبيح منه ماتدعو اليه الحاجة ، وكذلك ينبغي أن يباح بيع الحلية المصوغة صياغة مباحة بأكثر من وزنها لأن الحاجة تدعو إلى ذلك وتحريم التفاضل انما كان سداً للذريعة

فهذا محض القياس ومقتضى أصول الشرع ولا تتم مصلحة الناس إلا به أو بالحيل والحيل باطلة في الشرع ، وغاية مافي ذلك جعل الزيادة في مقابلة الصناعة المباحة المتقومة بالأثمان في المغصوب وغيرها ، واذا كان أرباب الحيل يجوزون بيع عشرة بخمسة عشر في خرقة تساوي فلساً ، ويقولون الخمسة في مقابلة الخرقة فكيف ينكرون بيع الحلية بوزنها وزيادة تساوي الصناعة ؟ وكيف تأتي الشريعة الكاملة الفاضلة التي بهرت العقول حكمة وعدلا ورحمة وجلالة باباحة هذا وتحريم ذلك ؟ وهل هذا إلا عكس للمعقول والفطر والمصلحة ، والذي يقضي منه العجب مبالغتهم في ربا الفضل أعظم مبالغة حتى منعوا بيع رطل زيت برطل زيت وحرموا بيع الكسب بالسمسم وبيع النشا بالحنطة ، وبيع الخل بالزبيب ونحو ذلك وحرموا بيع مد حنطة ودرهم بمد ودرهم وجاؤا الى ربا النسيئة وفتحوا للتحليل عليه كل باب فتارة بالعينة وتارة بالمحلل ، وتارة بالشرط المتقدم المتواطأ عليه ، ثم يطلقون العقد من غير اشتراط ، وقد علم الله والكرام الكاتبون والمتعاقدان ومن حضر أنه عقد ربا مقصوده وروحه بيع خمسة عشر مؤجلة بعشرة نقداً ليس إلا ، ودخول السلعة كخروجها حرف جاء لمعنى في غيره ، فهلا فعلوا ههنا كما فعلوا في مسألة مد عجوة ودرهم بمد ودرهم ، وقالوا قد يجعل وسيلة الى ربا الفضل بأن يكون المد في أحد الجانبين يساوي بعض مد في الجانب الآخر فيقع التفاضل

فياالله العجب ! كيف حرمت هذه الذريعة الى ربا الفضل وأبيحت تلك الذرائع القريبة الموصلة إلى ربا النسيئة بحتاً خالصاً ؟ وأين مفسدة بيع الحلية بجنسها ومقابلة الصناعة بحظها من الثمن الى مفسدة الحيل الربوية التي هي أساس كل مفسدة وأصل كل بلية ؟ واذا حصحص الحق فليقل المتعصب الجاهل ما شاء وبالله التوفيق.

(فان قيل) الصفات لا تقابل بالزيادة ولو قوبلت بها لجاز بيع الفضة الجيدة بأكثر منها من الردية وبيع التمر الجيد بأزيد منه من الرديء ، ولما أبطل الشارع ذلك علم أنه منع من مقابلة الصفات بالزيادة

(قيل) الفرق بين الصنعة التي هي أثر فعل الآدمي وتقابل بالأثمان ويستحق عليها الاجرة وبين الصفة التي هي مخلوقة لله لا أثر للعبد فيها ولا هي من صـ فالشارع من حكمته وعدله منع من مقابلة هذه الصفة بزيادة إذ ذلك يفضي نقض ما شرعه من المنع من التفاضل فان التفاوت في هذه الاجناس ظاهر والـ لا يبيع جنساً بجنسه إلا لما هو بينهما من التفاوت ، فان كانا متساويين من كل وجه لم يفعل ذلك ، فلو جوز لهم مقابلة الصفات بالزيادة لم يحرم عليهم ربا الفضل وهذا بخلاف الصياغة التي جوز لهم المعاوضة عليها معه

(يوضحه) ان المعاوضة اذا جازت على هذه الصياغة مفردة جازت عليها مضمومة إلى غير أصلها وجوهرها إذ لا فرق بينهما في ذلك

(يوضحه) ان الشارع لا يقول لصاحب هذه الصياغة بع هذا المصوغ بوزنه واخسر صياغتك(١) ولا يقول له لا تعمل هذه الصياغة واتركها ، ولا يقول له تحيل على بيع المصوغ بأكثر من وزنه بأنواع الحيل، ولم يقل قط لا تبعه إلا بغير جنسه ولم يحرم على أحد أن يبيع شيئاً من الاشياء بجنسه

(فان قيل) فهب ان هذا قد سلم لكم في المصوغ فكيف يسلم لكم في الدراهم والدنانير المضروبة اذا بيعت بالسبائك متفاضلا وتكون الزيادة في مقابلة صناعة الضرب . قيل هذا سؤال قوي وارد

(١) قد تزيد دقة الصنعة في ثمن الصيغة أضعاف ثمن مادتها من الذهب أو الفضة . وفي لفظ الصياغة المكرر هنا نسخة أخرى الصناعة

(وجوابه) أن السكة لا تتقوم فيه الصناعة للمصلحة العامة المقصودة منها ، فان السلطان يضربها لمصلحة الناس العامة وإن كان الضارب يضربها بأجرة فان القصد بها أن تكون معياراً للناس لا يتجرون فيها كما تقدم والسكة فيها غير مقابلة بالزيادة في العرف ، ولو قوبلت بالزيادة فسدت المعاملة وانتقضت المصلحة التي ضربت لاجلها واتخذها الناس سلعة واحتاجت الى التقويم بغيرها ، ولهذا قام الدرهم مقام الدرهم من كل وجه ، وأخذ الرجل الدراهم ورد نظيرها وليس المصوغ كذلك ، ألا ترى ان الرجل يأخذ مائة خفافا ويرد خمسين ثقالا بوزنها ولا يأبى ذلك الآخذ ولا القابض ولا يرى أحدهما أنه قد خسر شيئاً وهذا بخلاف المصوغ والنبي ﷺ وخلفاؤه لم يضربوا درهما واحداً ، وأول من ضربها في الاسلام عبد الملك بن مروان وانما كانوا يتعاملون بضرب الكفار

(فان قيل) فيلزمكم على هذا أن تجوزوا بيع فروع الاجناس بأصولها متفاضلا فجوزوا بيع الحنطة بالخبز متفاضلا والزيت بالزيتون والسمسم بالشيرج .

قيل هذا سؤال وارد أيضاً

(وجوابه) أن التحريم انما يثبت بنص أو اجماع أو تكون الصورة المحرمة بالقياس مساوية من كل وجه للمنصوص على تحريمها والثلاثة منتفية في فروع الاجناس مع أصولها ، وقد تقدم ان غير الاصناف الاربعة لا يقوم مقامها ولا يساويها في إلحاقها بها ، وأما الاصناف الاربعة ففرعها إن خرج عن كونه قوتاً لم يكن من الربويات ، وان كانت قوتاً كان جنساً قائما بنفسه وحرم بيعه بجنسه الذي هو مثله متفاضلا كالدقيق بالدقيق والخبز بالخبز ، ولم يحرم بيعه بجنس آخر ، وإن كان جنسهما واحداً فلا يحرم السمسم بالشيرج ولا الهريسة بالخبز فان هذه الصناعة لها قيمة فلا تضيع على صاحبها ولم يحرم بيعها بأصولها في كتاب ولا سنة ولا اجماع ولا قياس . ولا حرام إلا ما حرمه الله كما أنه لا عبادة إلا ما شرعها الله وتحريم الحلال كتحليل الحرام اه المراد منه

(للموضوع بقية)

كتاب الوحي المحمدي

﴿دعوتي الى انتقاده، وذات بيني وبين صديقي الاستاذ الشيخ عبد الله اليابس﴾

تعودت من سن الشباب وعهد طلب العلم أن أسأل خاصة أصدقائي عما ينتقدون مني لأستعين به على تربية نفسي وأن انتقدهم كذلك بحرية واخلاص ، ثم جريت على هذه العادة في مجلة المنار فأنا أقترح على قرائها في كل عام أن يكتبوا إلي ماينتقدونه فيها ، وأذكر في أثناء العام أو في آخره مايرد إلي من ذلك وأبين رأيي فيه

ولما جمعت بحثي المطول في (الوحي المحمدي) في كتاب مستقل وختمته بدعوة شعوب الحضارة المصرية إلى الاسلام سألت خواص العلماء من أصدقائي وأذكياء تلاميذي عن رأيهم فيه وما ينتقدونه منه لاعتقادي انه لابد أن يعاد طبعه فأكون على بصيرة فيما ينبغي له من تنقيح أو ايضاح أو زيادة أو نقصان . وأول من سألتهم ذلك بالمكاتبة جلالة أمير المؤمنين الامام يحيى حميد الدين صاحب اليمن فقرظه بما نشرته في أول التقاريظ ولم ينتقد شيئا منه ، وأول من سألتهم ذلك بالمشافهة أكبر علماء مصر العلامة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الازهر والمعاهد الدينية بالامس ، ثم العلامة الاستاذ الفاضل الشيخ عبد المجيد سليم مفتي الديار المصرية : فأما الاول فلم ينتقد شيئا من مسائله، بل سألته أترى بحث الآيات وخوارق العادات طويلا يحسن اختصاره ؟ قال : كله ضروري لايحذف منه شيء، وبين رأيه في جملته بكتابه الوجيز البليغ الذي كتبه الي عقب مطالعة الكتاب ونشرته فيما اخترته من التقاريظ للطبعة الثانية. وأما الثاني فكان بيني وبينه محاورة طويلة في مسألة وجوب تعلم اللغة العربية على جميع المسلمين ووجوب تدبر القرآن، فانه أنكر إطلاقي الكلام في هذا الموضوع بما يفهم منه جعله ذلك واجبا عينيا ، ووافقه فيه صديقنا العلامة الاستاذ الشيخ علي سرور الزنكلوني ، وقد اقتنعا بعد طول البحث بأن أقل الواجب وجوبا عينياً على أفراد الاعاجم هو مايتلى في الصلاة ، وان ما فوق ذلك من العلم بالقرآن ولغته فهو من فروض الكفاية التي يجب على أولي الامر نشرها والسعي لتعميمها ، وكذا من قدر عليه من الافراد والجمعيات

وكان صديقي العلامة الاستاذ الشيخ عبدالله بن علي بن اليابس ممن أهديتهم الكتاب وسألتهم إبداء رأيهم لي فيه بعد مطالعته ، وكنت أحرص على الوقوف على رأيه لانه تلقى العلم أولا في نجد وحذق طريقتهم السلفية المأثورة عن مشايخهم في اتباع الآثار ، ثم عرف طريقة علماء مصر في التدريس والبحث والاستدلال ، وألف أسلوب المنار ونهجه في تأييد السلف تجاه الماديين ودعاة النصرانية والمتكلمين والمبتدعين ، فصار أعرف بالحاجة إلى هذا من علماء بلاده المقيمين فيها ، وأرى من المفيد له أن يتمرن على الانتقاد ويتعود سماع الرد الحر عليه مع حسن النية من الجانبين . وقد قصدت هذا ، فقرأ الكتاب بقصد البحث فيه عما يسهل انتقاده ، ثم جاءني وذكر لي ما أحصاه منه ، فأجبته عنه أجوبة مختصرة لم يقتنع بها ، فقلت له مرغبا في الكتابة لعلك لو كتبت هذه المسائل وعنيت باقامة الدليل عليها يتجلى لك الصواب ، والتمييز بين الغث والسمين . لان الاستدلال بالكتابة يخرج الكاتب من حيز الاجمال إلى حيز التفصيل فكتب فأطال كأنه يناظر خصما ليقنعه أو يفند مذهبه

جاءني بما كتب فلم أملك من الفراغ ما أقرؤه وأبين له رأيي فيه وهو كل ما كنت أريده ، ورأيته يبغي نشره فألقيته إلى المطبعة ولم أقرأه فجمع لينشر في باب الانتقاد على المنار المفتوح على الدوام ، وفهمت من رغبته في نشره انه واسع الحرية لا يسوءه أن يرد عليه ويدان كما يدين ، وأنا أظن انني من أوسع اهل هذا العصر صدراً لمثل هذا لأنني ألفته من اول النشأة ورسخ معي في مصر ، وأهلها أوسع اهل الشرق حرية

ثم انني قرأت ما كتبه مجموعا بحروف المطبعة عند ما جاء وقت نشره بحسب الترتيب الذي جريت عليه ، ورأيت انني مضطر للرد على كل ماقاله من المسائل وأدلتها ، فندمت أن وعدت بنشره ، كارهاً ان يظهر في المنار هذا الخلاف بيني وبين صديق كريم ، وأخ وديد من قوم احبهم ويحبونني ، وقد علمت منه انه مثلي يكره ان نتظاهر بظهور الخلاف ، وكان مقتضاه ان يختصر في بيان المسائل التي انتقدها وفي مطالبتي بالدليل عليها ، وإذاً لذكرتها مع دليلي عليها بالايجاز كما فعلت في كل انتقاد ، ولكنه أطال وأكثر السؤال ، فصار تطويل الرد حتما لا مناص منه فكان وقد ساءني - أن رأيت - الرد ساءه ، ونزغ الشيطان بيني وبينه ، وكان

ذنبي أن دعوته إلى النقد ونشرته له ، وكان ذنبه أن أسرف فيه فخرج به عن المطلوب وهو التنبيه لما يحتاج إلى تصحيح أو تنقيح ، إلى التفنيد ومناظرة الخصوم، ونحمد الله أن كنا ببركة الاخلاص وحسن النية فيما أخطأنا فيه ممن قال الله تعالى فيهم (ان الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون)

زارني فبثني الشكوى من ثقل وطأة الرد ، وحمله إياه على تزوير مقال طويل في الرد عليه، فتفكيره بأن هذا لا يليق بمثلنا في صداقتنا وحسن نيتنا، فرجيته لاطلاعي على رأيه الاخير فيه ، وتفويضه إلي أمر تلافيه، فشكرت له ذلك وقبلته فأقول :

ان بعض انتقاد الاستاذ كان من سوء الفهم لا سوء القصد ، أو عن اختلاف في الاجتهاد والرأي ، وبعضه كان من ناحية البيان والتعبير عنه، وكل منا في هذا سواء

فأما اعتراضه على مسألة الرق والسبي فقد أورده على عبارة الطبعة الاولى من كتاب الوحي وكانت مختصرة مجملة قابلة للاعتراض ، لانها غير مؤدية للمراد ، وكان ينبغي أن يطلع على عبارة الطبعة الثانية إذ كانت صدرت قبل أن يكتب ولكنه قال انه لم يكن قد اطلع عليها وهو صادق

وكذلك مسألة كلام الله تعالى قد بسطتها في الطبعة الثانية بسطا لا شبهة عليه عنده كما قال ، على انني كنت بسطتها في مواضع من التفسير بما هو أوسع مما في الطبعة الثانية أيضاً ولكنه لم يره أو لم يتذكره

وأما مسألة القتال وآية الامر به مع النهي عن الاعتداء وكون غزوات النبي ﷺ كلها كانت دفاعا فقد كان أكبر أسباب الخلاف بيننا في أصلها دون بعض فروعها اختلاف فهم المراد من الدفاع والاعتداء وما كانت عليه الحال في عهد ظهور الاسلام وفي هذا العصر أيضاً ، فاني رأيت الكثيرين من العلماء — دع العامة — يفهمون ان الاعتداء أو الابتداء بالحرب يعتبر بالهجوم في كل وقعة أو معركة او أخذ غنيمة ، ومن ثم يعدون بعض الغزوات والسرايا في صدر الاسلام دفاعا وبعضها اعتداء أو هجوما ، وهذا خطأ مخالف لعرف العرب وسائر الامم وللواقع، والحق أن المعتدية من الامتين او الدولتين هي المبتدئة بالعدوان المنشئة لحالة الحرب ، والدافعة هي المقابلة لها وإن كانت في أثناء حالة الحرب تغنم وتهاجم ما استطاعت ،

ومن المعلوم بالقطع ان قريشاً وسائر قبائل العرب قد عادوا النبي ﷺ واعتدوا عليه وعلى من آمن معه منذ أعلن دعوتهم الى الاسلام ، ومن المعلوم أيضاً ان حالة الحرب بين فريقين لا تزول إلا بمعاهدة ، وما عقدت المعاهدة بين المؤمنين والمشركين إلا في الحديبية او آخر سنة ست للهجرة ، ولم يلبث المشركون أن نقضوها فعادت حالة الحرب فأباحت للنبي ﷺ فتح مكة سنة ثمان وما تلاها من غزوة حنين والطائف ، ونزل في ذلك ما نزل من الآيات في اول سورة التوبة التي منها مايسمونه آية السيف ، ومن حججها قوله تعالى (٩: ١٣ ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدءوكم اول مرة) ولم يحط الاستاذ الشيخ عبد الله اليابس فيها بمرادي هذا إلا بالمشافهة الاخيرة فزال الخلاف في الاصل ، ولم يبق حاجة إلى البحث في فروعه والتعبير عنه

وأما آية (٢ : ١٩٠ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا) فقد بينا في تفسيرها من جزء التفسير الثاني انها ومابعدها نزلت في القتال في الشهر الحرام وسببها معروف فصلناه هنالك

وأما مسألة اشتراط المرأة في عقد نكاحها حق عصمتها أي حق تطليق نفسها فهو لايزال يرى انه لايصح ، وهو يخالفنا ويخالف من سبقنا الى تقرير ان الاصل في العقود والشروط الصحة فيما لم يخالف حكم الله عملا باطلاق قوله تعالى (أوفوا بالعقود) ونقوام حجة وبيانا فيه شيخا الاسلام ابن تيمية وابن القيم ، ويقول : انه خلاف في الاجتهاد : له اجتهاده وإن لنا اجتهادهم واجتهادنا

وأما مطالبته إيانا بحديث أو بخبر صحيح على تعيين يوم مولد النبي ﷺ فيقول انه يعني به الخبر التاريخي لا الخبر المرفوع إلى النبي ﷺ وهو أعلم بمراده سواء وافق ما فهمناه من عبارته أو خالفه

وجملة القول اننا قد تعارفنا بعد تناكر عارض ضعيف لم يلبث أن زال ولله الحمد ولولا حرصي على دوام صداقته ومودته وإعلام من قرأ نقده وردي عليه انه لم يحدث بيننا أقل هجر ولا تقاطع — لما كتبت هذا

تفنيد كاتب مجلة المشرق اليسوعية في الاعتراض على كتاب الوحي المحمدي

(تابع لما قبله في ج ٤)

(الوجه الثالث النقلي المسيحي) ان الانجيليين نقلوا عن المسيح عليه السلام أنه أنبأ بظهور أنبياء كذبة من بعده ووضع قاعدة كلية للتمييز بين الصادقين والكذبة وهي قوله : من ثمارهم تعرفونهم

فليخبرنا كاتب مجلة المشرق وآباؤها عن نبي له من ثمار الخير والبر التي اعترفوا بها عرضاً ، وهو قليل من كثير ونقطة من بحر كبير ، من ثمار محمد ﷺ التي اهتدى بها الملايين من البشر

ويؤيد هذه القاعدة كثير من الدلائل الخارجية على نبوته ﷺ منها شهادات كتب العهدين العتيق والجديد له بما فصلناه في تفسير المنار وبسطه غيرنا بتفصيل أوسع كالشيخ رحمة الله الهندي في كتابه إظهار الحق ومنها شهادة من آمن به من علماء اليهود والنصارى وغير ذلك مما لا محل لإيراد الشواهد عليه هنا

بعد هذا نقول لهم إنه ليس لكم أدلة خارجية على كون هذه الرسائل التي تسمونها اليوم بالاناجيل كتبت بوحي ولا إلهام ، وانما رأينا في كتبكم أنكم تستدلون على صدقها بدليل داخلي لا يدل عليه وهو أنها لو لم تكن صادقة لكان كاتبوها من الكذبة الاشرار وهذا لا يعقل ، وخصومكم لا يسلمون هذا لكم ، إذ يمكن أن يقال أيضاً إنه يجوز أن يكونوا غير متعمدين للكذب ولا متحرين للصدق ، ويجوز أن يكون قد دس حزب قسطنطين وغيره شيئا في كتبهم إذ ليس عندكم نقل متواتر بالاسانيد المتصلة اليهم كما سيأتي ، على أنه لو صح هذا الدليل لكنا أولى به منكم ، وان كنا لا نحتاج اليه مثلكم ، لان عندنا ما هو أصح منه وأقوى

﴿ الشبهة الثالثة في الشهادة الخارجية على وحي القرآن ﴾

نحن لم نقتصر في كتاب الوحي المحمدي على الادلة الباطنية والشهادات الداخلية على كون القرآن كلام الله تعالى كما زعم معترض مجلة المشرق بل أوردنا

كثيراً من الشهادات الخارجية والادلة العقلية والعلمية في الطبعة الاولى ، ولما رأيت مثل هذه الشبهات الكاثوليكية الجزوتية زدتها بيانا في الطبعة الثانية أكثرها في فاتحتها وفي الفصل الاول الذي زدته فيها ومنها أنني أوردت على النصارى مانقلوه عن المسيح عليه السلام من الشهادة لنفسه وشهادة غيره له فقد نقل عنه يوحنا أنه قال (٥: ٣١ إن كنت أشهد لنفسي فليست شهادتي حقا ٣٢ الذي يشهد لي هو آخر وأنا أعلم ان شهادته التي يشهدها لي هي حق ٣٣ أنتم أرسلتم الى يوحنا فشهد للحق) ثم روى عنه (٨: ١٣ فقال له الفريسيون أنت تشهد لنفسك شهادتك ليست حقا ١٤ فأجاب يسوع وقال لهم : وإن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق) نقلت هذا في سياق شهادة الله تعالى لمحمد ﷺ في قوله (٤: ١٦٥ لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً)

ومن شهادة الله تعالى له ما أيده به من المعجزات وأظهرها بعد القرآن وما فيه منها أنباؤه عن المستقبل الذي يسمونه بالنبوات كاستيلاء اتباعه على ملك كسرى وقيصر وهم في أشد أوقات الفقر والضعف كوقت غزوة الخندق إذ تألبت عليهم قبائل المشركين مع اليهود وهجموا عليهم في مدينتهم يريدون استئصالهم فأيد الله المؤمنين بريح وجنود من الملائكة لم يروها وقذف في قلوبهم الرعب وردهم بغيظهم لم ينالوا خيراً (وكفى الله المؤمنين القتال) كما هو مفصل في أول سورة الاحزاب

﴿ مطاعن النصارى على القرآن ﴾

قال كاتب مجلة المشرق بعد إيراد تلك الشبهات النحيفة السخيفة « هذا واذا كان الكلام على كتاب فيه مافيه من العيوب رغم مايحويه من محاسن الجمال وأساليب البيان ، فلا بد من القول ان ذلك الكتاب لايمكن أن ينسب إلى الله » وأيد هذه الدعوى بما نقله عن أشهر كتاب عندهم في الطعن على القرآن ، ولخص

ذلك عاند كره ونفنده ونبين بطلانه هنا بالايجاز ، وقد سبق الرد عليه بالتفصيل في كتابنا (شبهات النصارى وحجج الاسلام) وسنعيده في الجزء الثاني من كتاب الوحي المحمدي كما وعدنا في تصدير الطبعة الثانية للجزء الاول فنقول :

رد زعمهم ضياع شيء من القرآن

(الطعن الاول) زعم ذلك الطاعن ان القرآن قد ضاع منه شيء فلم يكتب كله ، وان الذي ضاع منه مانسيه النبي ﷺ ومنه مانسيه الصحابة (رض) ومنه مالم يحفظ ، قال « وكثير من آياته لم يكن لها قيد إلا في ذاكرة الصحابة فضاع منها الكثير »

وجوابنا عن هذا انه دعوى مفتراة ليس عليها أدنى دليل فمن المعلوم بالتواتر أن كل ماكان ينزل من القرآن كان يكتب ويحفظه الكثيرون من الصحابة يعبدون الله تعالى به في الصلاة وغيرها وكانت ملكة الحفظ في العرب أقوى منها في غيرهم لاعتمادهم عليها في حفظ أشعارهم وأنسابهم ووقائعهم

من العجيب أن يفتري النصارى على القرآن هذه الفرية وهو الكتاب الذي حفظه الالوف من العرب في عصر نزوله وكتبوه متفرقا ثم مجموعا وما زال يحفظه مئات الالوف في كل عصر ، وهم أهل دين لم يكتبوا من انجيل مسيحهم شيئا من الفاظه بلغته ، وهذه الرسائل الاربع التي يسمونها في الزمن الاخير بالاناجيل لم تكن معروفة لمن يسمونهم رسله في العصر الاول إذ لم يذكرها أحد منهم في رسائلهم ، وهذا راويهم يوحنا يقول في آخر إنجيله (٢١ : ٢٤ هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا وكتب هذا ونعلم ان شهادته حق ٢٥ وأشياء أخرى كثيرة صنعها يسوع إن كتبت واحدة واحدة فلست أظن ان العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة آمين) !!! فلماذا لم يكتب هو ولا أحد من تلاميذه واتباعه عشر معشار هذا ؟

كذلك ليس عندهم أصل مكتوب من سائر كتب العهدين في زمن أصحابها بلغاتهم ، ولا يدعون هم ولا اليهود أنهم حفظوا كتابا منها بنصه وحروفه التي جاء بها موسى ولا غيره من أنبيائهم كما فعل المسلمون

رد زعمهم وجود المناقضات فيه

(الطعن الثاني) ماسماه المناقضات وضعف البيان في المتشابهات المحتاجة إلى التأويل ، وفي الناسخ والمنسوخ ، فأما الاول فشبهته فيه اختلاف المفسرين في المتشابه وتأويله كما فصلته في تفسير سورة آل عمران ثم في سورة يونس أخيراً ، ولا تناقض فيه ولا ضعف بيان ، ولكن الاذهان تتفاوت بطبعها في فهم بعض المسائل بطبيعة موضوعها ولا سيما الوحي وكلام الانبياء عن عالم الغيب

وقد حققنا أن الراسخين في العلم يعرفون معاني المتشابهات وأما تأويلها الذي لايعلمه إلا الله فهو حقيقة صفات الله تعالى وما تؤول اليه أخبار الوعد والوعيد في الآخرة لأنها من عالم الغيب . ويرى القراء في الجزء الماضي (ج ٤) كلمة الشيخ الاسلام ابن تيمية في هذه المسألة .

على أن أكثر كلام المسيح عليه السلام كان رموزاً لا يفهم تلاميذه المراد منها وهم أولى الناس بفهمها حتى المسائل التي تدعي هذه الرسائل الاربع أنها أساس العقيدة كهدم الهيكل وإقامته في ثلاثة أيام ، ومنه ماحكاه يوحنا في آخر رسالته من أقواله عليه السلام لسمعان بطرس في محبته له ومستقبله ، وقوله للتلميذ الذي كان يحبه « ٢١ : ٢٢ اذا كنت أشاء أنه يبقى حتى أجيء ، فماذا لك ؟ (قال يوحنا) ٢٣ فذاع هذا القول بين الاخوة ان ذلك التلميذ لا يموت ، ولكن لم يقل يسوع إنه لايموت الخ . فالتلاميذ كلهم لم يفهموا هذه الكلمة بشهادة يوحنا الذي شهد لنفسه أن شهادته حق !! ومن يوحنا هذا ؟ هو غير معروف بالتحقيق ، والارجح أنه من تلاميذ بولس (راجع دائرة المعارف الفرنسية) فان عادت المشرق إلى مثل هذا البهتان أتيناها بالشواهد الكثيرة على تصريحهم بغموض كلام المسيح عليه السلام وعدم فهمهم له . فكيف يعيبون غيرهم بالكحل في أعينهم ولا يرون الجذع في أعينهم ؟

وأما الناسخ والمنسوخ فقد بينا في تفسير الآية الوحيدة الصريحة فيه وهي قوله تعالى (٢ : ١٠٦ ماننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) ان المراد بالآيات فيها ما يؤيد الله به رسله بدليل قوله تعالى بعدها (١٠٨ أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) وبيانه أنه تعالى أيد موسى ببعض الآيات

الكونية ونسخها بتأييد عيسى بمثلها في الدلالة على صدقه، ثم نسخ هذه وأيد محمداً بما هو خير منها ، والمقصد من ارسالهم واحد عليهم الصلاة والسلام . وأما نسخ الاحكام فأنكر بعض علمائنا وجوده في القرآن ، وقال بعضهم فيه عشرون آية وبعضهم بضع آيات وكل ماعدوه منها فهو فصيح بليغ، وفائدة الناسخ فيه ظاهرة كنسخ الارث بالاسلام والهجرة عند قلة المسلمين بارث القرابة والزوجية بعد كثرتهم ونسخ القبلة الى بيت المقدس ببيت الله الحرام، على ان قبلة بيت المقدس لم تكن بنص في القرآن .

مخالفة القرآن لكتب العهد العتيق هو الحق

(الطعن الثالث) مخالفة القرآن لكتب العهد القديم في بعض المسائل التاريخية وجوابنا عن هذا ان تواريخ العهد القديم لا يقوم دليل على صدقها كما بيناه بالتفصيل في تفسير المنار . وأما القرآن فقد قامت البراهين الكثيرة على أنه كلام الله تعالى فما بينهما من خلاف فقول القرآن فيه هو الفصل، وحكمه فهو الحكم بالحق والعدل، كما قال تعالى (٥ : ٤٨ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه) وقال (١٦ : ٦٣ تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم ٦٤ وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)

قصة يوسف في القرآن والعهد العتيق

(الطعن الرابع) زعمه ان يوسف بن يعقوب تبين قصته في القرآن أنه قد تراخى للشهوة من ذاته ، وقصته في التوراة تبين براءته ، يعني ان هذا الفرق يدل على ان التوراة وحي من الله دون القرآن ، والجواب عن هذا ان القرآن أثبت لنا ان يوسف عليه السلام قد ابتلاه الله تعالى بتجارب محصه بها تمحيصاً فكان من عباده المخلصين (منها) مراودة امرأة عزيز مصر له في سن شبابه فاستعصم ولم يقع في الفتنة وآثر عليها السجن ، وأما قوله تعالى (ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه) ففيه وجهان أحدهما وهو المتبادر من اللفظ ان كلا منهما هم بمواثبة الآخر والبطش به كما شرحناه في الجزء الاول من المنار أخيراً ، والثاني

أنهما هما بالفاحشة ، ولكن رؤيته برهان ربه صرف عنه السوء والفحشاء. وهذه منقبة عظيمة له . وهي أدل على اعتصامه وعدم تراخيه للشهوة مع قوة الداعية الطبيعية لها

ولكن ما بال الطاعن يستدل بهذه الفضيلة السلبية للتوراة وينسى ما قذفت به لوطا عليه السلام من الزنا ببناته ، وداود عليه السلام من أقبح الزنا العمد بامرأة أوريا الحثي ثم تعريضه للقتل مع نزاهة القرآن عن مثل هذا وما يقرب منه ؟ دع ما يرمون به سليمان عليه السلام من الشرك والوثنية لأجل النساء ؟؟

(الطعن الرابع) زعمه أن القرآن ذكر اسكندر ذي القرنين بما لا يوافق أخبار التاريخ المحققة وجوابه أن ذا القرنين المذكور في القرآن ليس باسكندر المقدوني وإنما هو أحد أذواء اليمن ، ولو خالف أخبار التاريخ لكان ما خالفه فيه هو الحق

(الطعن الخامس) اعتراضه على الاسراء إلى المسجد الاقصى بأن المراد به هيكل سليمان قال « مع أن الهيكل في أيام محمد كان خرابا » والجواب عن ذلك أن المراد بالمسجد الاقصى هذا المكان وسماه بهذا الاسم للانباء بأنه سيكون مسجداً للمسلمين يقابل المسجد الحرام الذي كان هيكل أصنام ايضا (وقد كان) والمسجد محل السجود والصلاة فان كان عامرا أو خرب فخرابه لا يسلبه اسم المسجد ولا حرمته في شرعنا

(الطعن السادس) نسبة مريم والدة المسيح عليهما السلام إلى عمران (وجوابه) من وجهين أحدهما انه ليس عندهم تاريخ قطعي لنسبها والثاني أنه يصح جعله من باب نسبة المرء إلى العظيم أو الرئيس من أجداده قريبا كان أو بعيدا كقولهم في المسيح « ابن داود » واطلاقهم لقب اسرائيل على ذريته وقول نبينا ﷺ « أنا ابن عبد المطلب » وتسمية جميع الناس ملك العربية عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل « ابن سعود »

(الطعن السابع) ما حكاه القرآن عن نداء قوم مريم لها (يا أخت هارون) وهذا نحو مما قبله في التجوز المشهور كقولهم يا اخا الهيجاء للشجاع وهارون (ع.م) كان رئيس الكهنة ومريم ألحقت بالكهنة في انقطاعها لعبادة الله تعالى ، فقالوا لها يا أخت هارون تهكما بها اذ اتهموها بالفاحشة وقد برأها الله تعالى في كتابه العزيز من بهتانهم ومن كذب بعض النصارى أيضا بقولهم إن ولدها عيسى من يوسف النجار ، ومن كنودهم وبهتانهم عليه هذه المطاعن المنتحلة . وموعدنا بالرد التفصيلي قريب ان شاء الله

باب الانتقاد على المنار

(الرد على من أفتى بكتمان بعض القرآن ثم حرف بعضه استدلالا على فتواه)

نشرنا في الجزء الاول من منار هذا العام استفتاء في قول من زعم أن في القرآن الحكيم آيات لايجوز إذاعتها ولا اسماعها لاهل الكتاب من ذوي ذمتنا، وأخرى لايجوز إسماعها للنساء هي قصة يوسف بل قال سورته (عليه السلام)

ذكر المستفتي اسم الذي زعم ماتقله عنه في السؤال، ولم نذكره نحن في الجواب تكرماً له وأملا منا بأن يبين هو الحقيقة بما يبرىء به نفسه مما اتهمه به السائل أو يتأوله، وصرحنا بشكنا في عزو هذا المنكر العظيم اليه كما قاله السائل، ولم نصرح باسم الصحيفة وهو (الوطنية) التي نشر فيها السائل هذه التهمة مبالغة في كتمانها فلما اطلع على التأويل بادر إلى الدفاع عن نفسه بما أثبت التهمة وجنى على القرآن جناية جديدة، فجاز لنا أن نصرح باسمه تبعا له، ووجب أن نرد عليه، ولو كان خطؤه في غير كتاب القرآن والاستدلال عليه بتحريف بعض آياته عن مواضعها وتصوير المسألة بغير صورتها لما كان من شأننا أن نرد عليه ولكن هذا الرد دفاع آخر عن حق القرآن

يؤسفنا أن صاحب الزعمين هو الاستاذ الشيخ محمود محمود وكيل جمعية مكارم الاخلاق . فقد نشر في الجزء التاسع من مجلة الجمعية الذي صدر في شهر ربيع الآخر تفسير آيات له من سورة الانعام منها قوله عز وجل (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم) فأدخل في عموم النهي عن سب آلهة المشركين سب أهل الكتاب بل قال آلهة النصارى الخ ما سترامه وتلا عن عصرته بقوله « محنة العلماء في الاندلس » قوله « فاذا كان الكافر في منعة وخيف أن يسب الله أو الاسلام أو الرسول، فلا يحل لمسلم ذم دينه ولا صنمه ولا صليبه ولا يتعرض إلى ما يؤدي إلى ذلك » اهـ

ثم قال « هذا هو مفهوم القرآن الكريم ، والقرآن أعز علينا وأحب الى قلوبنا من صاحب المنار الذي حمله خصومته مع بعض الاساتذة أن يفتي في الجزء

الاول من عام ١٣٥٣ بما يخالف ذلك ، ولعله قد نسي ما قاله في مناره في تفسير هذه الآية ، والكمال المطلق لله وحده ، والعصمة خاصة بالانبياء (وما سمي الانسان إلا لنسيه)

« أظن ان الشيخ قد كبر لخانته ذاكرته فقد نشر منذ أعوام أن العلماء استنبطوا من هذه الآية أن الطاعة اذا أدت إلى معصية راجحة وجب تركها ، وأن إطلاق لفظ الكفر على من يحرم إيذاؤه من أهل الاديان محرم شرعا إذا تأذى به ولا سيما في الخطاب ، ونقل عن القنية ومعين الحكام أنه لو قال للذمي يا كافر يأثم إن شق عليه

« وقد أغرب الشيخ في فتواه القائمة على مسألة مكذوبة وطالبهن المفتي أن يتوب ، وما سمعنا أن من أفتى فأخطأ (على سبيل الفرض) يطالب بالتوبة

« بعد هذا أستطيع أن أقول وأظنك معي في الفهم ان سب آلهة المسيحيين وقديسيهم في هذا العصر الذي ضعف فيه المسلمون وتفرقوا وذلوا ، وقوي الكافرون واتحدوا وعزوا ، ولا سيما بالمذياع (الراديو) يدخل في مفهوم هذه الآية ، ولو لم يكن فيه إلا تفريق الامة وافساد باطنها كما فسد ظاهرها ، لكان كافياً في استحباب منعه ، حتى يعود للاسلام عزه ومجده ، وتكون كلمته هي العليا في الخافقين ، كما كانت في أيام سيد الكونين والثقلين ، ويظهره الله على الدين كله مرة أخرى ، وعسى أن يكون قريبا إن شاء الله » اهـ

(المنار) إن الخطأ في تفسير الاستاذ الشيخ محمود محمود لهذه الآية كثير من ناحية تفسير الآية ومن ناحية الرد به على الفتوى التي أشار اليها ، ومن ناحية ماتضمنه من وصف المسلمين في هذا العصر بأسوأ الاوصاف وأخسها ، ووصف النصارى بأحسنها وأشرفها ، ومن ناحية إثبات الآلهة للمسيحيين ، وغير ذلك من النواحي وما كان لنا أن نتصدى لبيان تلك الانواع من الخطأ فيها وفي غيرها ، ولا أن نناظره في شيء منها ولا من غيرها ، إلا مسألة بعد المسافة بين آية سورة الانعام في النهي عن سب المسلمين لمعبودات المشركين ، وبين الفتوى التي أفتاها هو في كتمان بعض القرآن الذي يسوء أهل ذمتنا منهم بزعمه ، وأهل ذمتنا لا يكونون

أعز منا ولا نكون أذلاء لهم وهم تابعون لنا ، ومسألة إفتاء المنار بأن كتمان القرآن لا يجوز ، وان الله قد لعن فاعله إلا أن يتوب

فاذا كان القرآن أعز عليه وأحب إلى قلبه من صاحب المنار كما ادعى فصاحب المنار أحق أن يكون القرآن أحب اليه منه ، فانه هو أفتى بكتمان بعض آيات القرآن لئلا يسخط النصارى ، وبكتمان بعضها عن النساء بزعمه أنها مفسدة لهن ، وصاحب المنار أفتى ببطلان فتواه في المسألتين تعظيما للقرآن ودفاعا عنه ، وتنزيهاً له عما ظنه فيه ، وجزما بأن كل ما أنزل فيه نافع لاضرر فيه يبيح كتمانه برأي مثله ولا برأي أعلم أهل الارض فأي المفتيين أحق بعزة القرآن وحب القرآن؟ آلذي يزعم ان فيه سباً وشتما وافساداً للنساء يقتضي كتمانهما؛ أم الذي ينزهه عن هذا وهذا وعن كل مالا يليق بكلام الله عز وجل ، ويثبت أن كل مافيه صلاح وإصلاح يجب إظهاره والدعوة اليه ، وتفنيد كل من يصد عنه ؟

فان كان ظن أن صاحب المنار كبر فخانته ذاكرته فأنساه كبر السن مانشره منذ أعوام موافقا لرأيه هو فأفتى أخيراً بما يخالفه «لخصومته مع بعض الاساتذة» فأحر به هو أن يكون صغر سنه هو أو شرخ شبابه قد حال بينه وبين فهم ما كتبه صاحب المنار أولا وآخراً ، فانه لاخلاف ولا تعارض بين فتوييه ، ولم يقع بينه وبين أحد من الاساتذة خصومة حملته على ذلك ، وانما يعني ببعض الاساتذة نفسه ، ولم يكن بيننا وبينه خصومة ، بل كان آخر عهدنا بمودته المتصلة أن يبرنا بر الولد لوالده ، ونوده ود الاخ لاخيه ، فكان بتواضعه يبالغ في المودة جهراً ، ونعتدل فيها سراً وجهراً . فالواجب عليه إذن أن يترك اتباع ظنه في صاحب المنار (إن بعض الظن اثم) ويأخذ باليقين في شأن نفسه ، ونحن لانزال على فتوانا بعدم جواز سب النصارى ولا غيرهم ، وإن كان فيهم من يسبوننا ويطعنون في ديننا وكتاب ربنا ورسوله ﷺ لا لما زعمه باطلا بل لان المسلم ليس بسباب ولا لعان

تحرير الموضوع ان الفتوى التي أفتاها صاحب المنار الشيخ الكبير ، ورد عليها الشيخ محمود الشاب الطرير ، وكيل جمعية مكارم الاخلاق ومفسر مجلتها ومفتيها النحرير ، بما فسر به آية الانعام برأيه وبنقله لايدخل في موضوعها ما ادعاه من

سب المسلمين الاذلاء بزعمه ، لا آلهة النصارى الاعزاء وصليبهم وقديسيهم بوهمه ، وإثمام موضوعها أنه لا يجوز كتمان شيء من آيات القرآن العظيم الحكيم في هذا العصر بدعوى أنه كان لهذه الآيات ما يبررها في عصر نزولها دون هذا العصر — هذا ما علل به فتواه أولا بحسب مانقله السائل عنه ، وإنه لحوب كبير وإثم عظيم ، وقد زاده في الدفاع عنه في مجلة الجمعية إثماً وجرما بما زعمه من أن تلك الآيات الكريمة متضمنة لسب آلهة القوم وصليبهم وقديسيهم ، والقرآن أجل وأعظم وأنزه من ذلك ، وقد قال في أهل الكتاب (وإلهنا وإلهكم واحد) ولم يذكر صليبهم بسب ولا غيره ، وكل ما قرره فيهم أحكام حق وعدل وإصلاح ونزاهة . فهل هذه محبته للقرآن ؟ وهل يقره عليه أعضاء جمعيته أو أعضاء مجلس إدارتها كما يقرونه على جميع تصرفاته في الجمعية ومدرستها ، وتعليم صبيانها وبناتها ؟ نحب أن نعلم هذا

ومن فروع رده الغريب علينا قوله ان أغرب شيء في فتوانا مطالبته بالتوبة وانه ما سمع ان من أفتى فأخطأ يطالب بالتوبة ! يعني بمطالبتنا إياه بالتوبة إيرادنا لقول الله تعالى (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون * الا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا) الآية فهو يرد على تذكيرنا إياه بالآية الكريمة بأنه ما سمع ان من أفتى فأخطأ يطالب بالتوبة ! ولا يدري ان سماعه غير حجة فضلا عن عدم سماعه ، فليخبرنا عمن سمع أن من يفتي بما يخالف كتاب الله وإجماع المسلمين لا يطالب بالتوبة ولا يجوز تذكيره بحكم الله في فتواه اذا كان في قوله تعالى ارشاد له الى التوبة ؟ ومن قيد هذا التذكير بكتاب الله بهذا الشرط ؟ وما حجته على ذلك ؟

انني أعود فأطالبه بأن يتوب إلى الله من فتواه الاولى بخلاف كتاب الله ومن استدلاله عليها بما بينت بطلانه ، فان الامر بالتوبة مشروع فيما دون ذلك حتى الهفوات (وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) فان لم يقبل هذه النصيحة فليقتصر على ما هو أليق به مما نشره في أواخر هذا الجزء من المجلة من سب الشيخ رشيد رضا وشتمه والطعن فيه ، وفي استاذه الامام أن شاء ، وان كان يحظر

سب الكفارة وله الامان بأن لانرد عليه بكلمة واحدة ما لم يكن فيما ينشره عبث بالقرآن أو بالسنة ، كعبث ذلك الشيخ الذي أفتى بان كل من يؤمن بظاهر القرآن من صفات الله كما كان يؤمن السلف الصالح فهو كافر ، وبغير هذا من البدع ومخالفة السنة ، وكان الاستاذ الشيخ محمود من أنصارنا عليه، وعاد الآن لتأييده ونصره .
ونسأل الله تعالى ان يتوب علينا وعليهما من كل ذنب ، ويهبنا كمال الاخلاص والتقوى ، والسلام على من اتبع الهدى

دائرة المعارف الاسلامية ومفاسدها

اسم خادع كسور له باب ، ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب ، هو معجم لفقه طائفة من علماء الافرنج المستشرقين لخدمة ملتهم ودولهم المستعمرة لبلاد المسلمين بهدم معاقل الاسلام وحصونه بعد ان عجز عن ذلك دعاة دينهم بالطعن الصريح على كتاب الله العزيز ورسوله خاتم النبيين ﷺ وبعد ان عجز عن ذلك الذين حرفوا القرآن منهم بترجماته الباطلة ، والذين شوهوا تاريخ الاسلام بمفترياتهم ، ذلك بأن هؤلاء الملفقين لهذا المعجم الذي سموه دائرة المعارف الاسلامية لم يتركوا شيئا من عقائد الاسلام ولا من فضائله ولا من تشريعه ولا من مناقب رجاله إلا وصوروه لقراء معجمهم بما يخالف صورته الصحيحة من بعض الوجوه ، إما بصورة مشوهة وإما بصورة عادية لامزية لها ، وطالما قلت ان الافرنج قد أتقنوا كثيرا من العلوم والفنون والصناعات ولكن إتقانهم للكذب والافك أي صرف الناس عما يريدون حجبه عنهم من الحقائق قد فاق اتقانهم لغيره مما أتقنوه من علم وعمل

وفي هذه الدائرة عيوب علمية وتاريخية أخرى أهمها كما بدا لنا من نظرة قصيرة فيها انها لم تكتب لتحقيق المسائل التاريخية والعلمية لذاتها بل لاجل بيان آرائهم وأهوائهم والاعلام عما سبق لهم ولعلمائهم فيها من بحث وطعن في كتبهم ورسائلهم المتفرقة

ولقد كنا سررنا إذ علمنا أن جماعة من شباننا شرعوا في ترجمة هذا المعجم بلغة

الاسلام العربية ، ووضع حواشي لتصحيح ما فيه من الاغلاط التاريخية والعلمية والدينية وبيان الحق فيما دسوه فيه من عقائدهم وآرائهم الباطلة في المسائل الدينية ، ونوط هذا وذاك بالعلماء الاخصائيين في كل منهما ، وقد صدر الجزآن الاول والثاني من الاجزاء الصغيرة التي قسموا لها الكتاب مذيلين ببعض الحواشي من هذه التصحيحات والانتقادات ، وهي غير كافية في موضوعها ، ثم أعرض المترجمون عن ذلك وطفقوا ينشرون الاجزاء غفلا من التعليق على مواد‌ها المشوهة للاسلام وتاريخه ، بعد ان ظننا أنهم سيزيدونه استقصاء وتحقيقا ، فخابت الآمال فيهم وانقلب عملهم النافع ضاراً ، وما كان يرجى من إصلاحهم فساداً وإفساداً

فعلى الذين اشتركوا في أجزاء هذه الدائرة من المسلمين انخداعا بما أعلنوه عنها أن يطالبوهم بالوفاء بما وعدوا به من التعليق على كل مادة أو مسألة مخالفة لدين الاسلام وتاريخه وسيرة عظماء رجاله، فان عادوا الى ذلك استمروا على اشتراكهم فيها ، وان لم يعودوا له بالوجه المرضي وجب عليهم شرعا أن يقطعوا الاشتراك ، وحرم على سائر المسلمين أن يشتروا شيئا من هذه الاجزاء لئلا يكونوا من الذين يبذلون أموالهم للصد عن دينهم ونصر أعدائه عليه ، الا من يرد على هذه الاباطيل بما يحذر المسلمين منها

أقول ولا أخشى لائما ولا مخالفا ان نشر هذا المعجم باللغة العربية كما كتبه واضعوه بدون تعليق على ما فيه من الاغلاط والمطاعن ومخالفة الحقائق هو أضر من شر كتب دعاة النصرانية (المبشرين) وصحفهم لأن هذه قلما ينخدع أحد من عوام المسلمين بما فيها من الباطل ، وأما هذا المعجم المسمى بدائرة المعارف الاسلامية المعزو أكثر ما نقل فيه الى كتب المسلمين فانه يخدع أكثر القارئين له ممن يعدون من خواص المتعلمين لأنه يقل فيهم من يفرق بين الحق والباطل مما فيه ، ويقل فيهم من يعلم أن مؤلفي هذه الدائرة ممن يتربصون بهم الدوائر (عليهم دائرة السوء ...) فعسى أن يتدارك المترجمون لها ذلك بمثل هذا التفكير القلمي الذي لم نكتبه إلا بعد أن كلفنا بعض اخواننا الناشرين لهم أن ينذرهم إياه بلسانه ولساننا ، ولعلنا نجد فرصة ننشر فيها بعض الشواهد على ما قلنا

المطبوعات الحديثة

مئة حديث وحديث

من أحاديث رسول الله ﷺ

(تأليف محمود بك خاطر - طبع في مطبعة مصر بغاية الاتقان - سنة ١٣٥٢)

محمود بك خاطر من خيار أدباء مصر نفساً ولغة وتصنيفاً له كتاب (مهذب مختار الصحاح) مطبوع ، وكتاب (مختار القاموس) تحت الطبع

وقد عني أخيراً بجمع مائة حديث وحديث من دواوين السنة وعزا كل واحد منها إلى أحد مخرجيه من أصحابها ، وشرحها شرحا لطيفا وجيزاً ، وطبعها في مطبعة مصر - وهو مديرها - طبعاً جميلا، ونشرها بين الناس فكان وقعها حسناً نافعاً ، لانها من الحكمة المحمدية التي تكثر الحاجة اليها في هذا العصر كما قال في بيان غرضه منها : راعيت في اختيارها تعرضها للمسائل الحيوية، والشؤون الاجتماعية، مما يهذب الناشئين ، ويثقف الناهين ، وينبه الغافلين » ولا غرو فمحمود حسن الاختيار حسن الذوق ، محسن متقن لكل مايعمل بقدر طاقته ، وقد تجلى في هذا الكتاب جمال دينه مع جمال عقله وأدبه وذوقه واتقان فن الطباعة الذي تولى فيه إدارة مطبعة من أغنى مطابع مصر أو الشرق وهي مطبعة بنك مصر

تفضل صديقي محمود بك خاطر باهداء الكتاب إلي في أول عهده باخراجه من المطبعة ، وقد سرني ان أبطأت في تقريظه حتى أخذ حظه الكبير من تقريظ الجرائد بأقلام محرريها وغيرهم من الادباء ، ولم أر في أسماء مقرظيه أحداً من المشتغلين بعلم الحديث يكفيني الاشارة الى بعض ما ينتقد على الكتاب مما لا يعلمه إلا أهل الحديث

أهم ذلك ان المؤلف صرف وقتاً طويلا في جمع هذه الاحاديث من دواوين السنة التي ذكرها وفي مراجعة شروح بعضها ، وكان يغنيه عن ذلك كله أو جله وعما كتبه في أول الكتاب (ص٨) وفي آخره (ص٧١-٧٤) من ذكر أسماء

هذه الكتب وأرقام الصحائف التي نقل الاحاديث منها — كان يغنيه عن ذلك كله أو جله شرح الجامع الصغير ، بما يكون تخريجه للاحاديث أتم ، والثقة بها أكمل ، مع موافقتها لاصطلاح أهل الحديث

أكثر هذه الاحاديث مدونة في الجامع الصغير وربما توجد كلها في النسخة التي أضيف اليها ذيله (*) ومؤلفه الجلال السيوطي يعزو كل حديث الى مخرجيه من أصحاب الكتب الستة وغيرهم ، ووضع علامات للصحاح والحسان والضعاف منها في الغالب ، وما فاته من هذا لايفوت شراحه . فما فائدة تعب المؤلف في قراءة جامع الترمذي كله واختيار بضعة عشر حديثاً منه يعزوها اليه وحده ، وأهل الحديث يعلمون ان فيه بعض الاحاديث الضعيفة والمنكرة والشاذة ، فعزو الحديث اليه وحده لايفيد انه صحيح ولا حسن ، وكذلك سائر الكتب التي نقل عنها ماعدا الصحيحين ، وبعض ماعزاه الى واحد من هؤلاء قد يكون مرويا في أحد الصحيحين أو كليهما وقد يكون متفقا عليه أو مما رواه الجماعة كلهم . ومن المنتقد عند أهل الحديث أن ينقل أحد حديثا ويعزوه الى أحد مخرجيه إلا أن يكون أصحهم رواية كالشيخين في صحيحيهما ، فان كان فيهما فيعزى اليهما معاً إن كان لفظهما واحداً ، وإلا اقتصر على البخاري لأنه أصحهما ، أو على صاحب اللفظ الذي يختاره مصرحا به

والاستاذ محمود بك يعزو الحديث المتفق عليه الى واحد ممن لايتحرون الصحاح وحدها كالاحاديث الثالث والرابع والسادس والسابع والثامن والتاسع ، بل الحديث السادس رواه الجماعة كلهم وقد عزاه الى البخاري وحده وعزا الرابع الى احمد وحده وقد رواه معه البخاري ومسلم كلاهما فهو متفق عليه ، وعزا التاسع الى

(*) طبع الجامع الصغير ممزوجا بذيله هذا عن نسخة تولى مزجها الشيخ يوسف النبهاني المشهور بنشر الخرافات والمنكرات والموضوعات لخان الله ورسوله ومؤلف الجامع بحذفه منها علامات الصحة والحسن والضعف ليعتقد قراؤها الذين يقل أن يوجد فيهم محدث بأن كل أحاديثها معتمدة يجب على المسلم اعتقاد ما فيها والاعتماد عليها في العمل على علاتها ومنكراتها فليحذر هذا من اطلع عليها

ابي داود وحده وهو متفق عليه رواه احمد والبخاري ومسلم أيضاً ومثل هـذا كثير في الكتاب

ومما ينتقد عليه انه قال في فاتحة (ص ٩) وقد أوردت كل حديث منها باسناده الى من حدث به . وهو لم يذكر اسناد شيء منها بالمعنى المعروف عند المحدثين وهو السند أي طريق الحديث من راويه الاول كالبخاري مثلا إلى الصحابي الذي رفعه إلى النبي ﷺ ولكنه يعني بالاسناد معناه اللغوي وهو العزو الى أصحاب الكتب . فيحسن أن يتذكر هذا وذاك اذا وفقه الله تعالى لخدمة الامة بكتاب آخر من مختاراته النافعة . وأن يذكر الكتب الستة ومؤلفيها بترتيب تواريخهم لا بترتيب حروف المعجم ، وأن لايذكر مسند أحمد في الكتب الستة والاشهر ان السادس منها سنن ابن ماجه ، ومنهم من يعد منها الموطأ أو سنن الدارمي دون ابن ماجه

ومن الغريب أن يخطىء المؤلف في تعريفه وبيانه لكتب الحديث التي نقل عنها ومؤلفيها (ص ١٠) في اسم صاحب الصحيح الثاني فيقول « صحيح ابي الحسن مسلم بن مسلم والصواب انه أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم ، وقل من يذكر اسم جده » ومثله خطؤه في ضبط الترمذي فقد ضبطه في هذا البيان وفي عزو الحديث الاول اليه مشكولا بضم التاء وهي مكسورة بالاتفاق

وافتتح المؤلف الكتاب بمقدمة وجيزة في نسب النبي ﷺ وصورته وسيرته جمعت في ورقتين صغيرتين مالا يستغني مسلم عن معرفته ، والظاهر انه اعتمد فيها على ما كان علق بحفظه فلم تأت بما يعهد في لغته من الدقة . مثال ذلك أنه قال بعد بضعة أسطر من الصفحة الاولى : « وعندما بلغ أشده تولى رعي الغنم بالبادية مع أخوته في الرضاع » وهو ﷺ قد رعاها قبل ذلك ولم يمكث في البادية الى أن بلغ أشده ، وفي الصفحة التي تليها « وجمع رسول الله عشيرته وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب » الخ والصواب وبنو المطلب كما هو ظاهر . ولعل الاستاذ ينقح هذه السيرة الشريفة اللطيفة ويراعي ما قلنا في الطبعة الثانية لهذا الكتاب إذ يرجى أن يطبع مراراً

صفحات الكتاب من مقدمته إلى نهاية فهرسه ٧٨ صفحة وثمنه خمسة قروش صحيحة ويطلب مكتبة مصر فنحث جميع القراء على مطالعته

كتاب الاسلام

كتاب ديني ، أخلاقي ، أدبي ، اجتماعي

مؤلفه الاستاذ أسعد لطفي افندي حسن . طبع طبعاً جيداً متقناً في مطبعة فاروق بمصر سنة ١٣٥٠ صفحاته ٣٦٨ من قطع المنار . ثمن النسخة منه عشرون قرشاً

رفعه المؤلف (الى الله جل وعلا) بمناجاة ودعاء ثم افتتحه بمقدمة في الشكوى من فشو الفواحش والمنكرات ، والاعراض عن هداية الدين وعلمه لعدم دراسته في المدارس ووجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أقدم عليه بهذا الكتاب وإن لم يكن من علماء الدين كما قال ، وتلا هذا تمهيد وجيز في مولد النبي الاعظم وبعثته ورسالته ، فدخول على الموضوع بالتعريف بالاسلام والايمان بالاجمال فتفصيل لما يجب الايمان من صفات الله والايمان بملائكته وكتبه ورسله بإيراد طوائف من آيات القرآن المجيد مشكولة غير مفسرة في كل موضوع منها وفي قصص الرسل (ع . م) من غير تفسير حتى إنه ذكر في رسالة يوسف عليه السلام السورة المسماة باسمه كلها ، ولكنه تكلم فيما يجب لخاتمهم محمد ﷺ على اعجاز القرآن وأخلاقه وحكمه النبوية ، ثم تكلم في الزواج والميراث وحقوق النساء ، وموضوع الحجاب والسفور الذي عظمت فتنته في هذه السنين بمصر وغيرها

ثم انتقل إلى العبادات فبدأ بالصلاة والطهارة فذكر الضروري من أحكامهما موافقاً مذهب الشافعي رحمه الله تعالى في المسائل الخلافية . ثم تكلم على الزكاة والصيام والحج فذكر الضروري من أحكامها مع الالمام بحكمها . ولكن عبارته في بعض هذه الاحكام لم تكن دقيقة كعبارات الفقهاء فهي لا تخلو من أغلاط معنوية . ثم ختم الكتاب في النهي عن البدع الفاشية في هذا الزمان . فرسالة أبي الربيع محمد بن الليث التي كتبها من قبل هارون الرشيد الى قسطنطين ملك الروم يدعوه بها إلى الاسلام

وجملة القول ان الكتاب مفيد وهو خير من جميع الكتب الكلامية التي تقرأ في المعاهد الدينية وعسى أن يعنى بتصحيحه بالدقة التامة في الطبعة الثانية ويعلق على آيات القرآن التي فيه تفسيراً مختصراً يفهم به معناها في الجملة

كتاب الآيات المحمدية

(تأليف محمد عبد الوهاب عضو جماعة الوعظ والدعوة الاسلامية وجمعيات مكارم الاخلاق والهداية الاسلامية والمحافظة على القرآن الكريم . الطبعة الاولى بالمطبعة المتوسطة بمصر سنة ١٣٥٣)

صنف المصنفون كتبا كثيرة في موضوع هذا الكتاب من الآيات الشاملة للمعجزات والارهاصات وغيرها . منها ماجمعه المحدثون من الروايات في ذلك من صحيح وضعيف ومنكر وموضوع اعتماداً على تمييز العلماء بينها من أسانيدها ومن أشهرها دلائل النبوة للحافظ أبي نعيم وللحافظ البيهقي ، ومن أجمعها كتاب الخصائص الكبرى للسيوطي . ومنها كتب لمن بعدهم من الذين يجمعون كل مايرونه في الكتب من مختصر ومطول

وقد اختار الاستاذ الفاضل محمد افندي عبد الوهاب من موظفي وزارة الحربية طائفة من هذه الآيات نقلها كلها من الصحيحين وتيسير الوصول والسيرة الحلبية وسيرة ابن هشام وزاد المعاد والجواب الصحيح ونور اليقين — ولكنه ينقل عن غيرها بتعيين لما ينقل عنه كدلائل النبوة وبدون تعيين ويذكر بعض الآيات بدون عزو الى كتاب .

وكان قد اقتصر في المقدمة على ذكر النقل من الصحيحين والسيرتين ثم زاد عليها في خاتمته ماذكرنا من الكتب وقد علمت أنه زاد على كل ماذكره فيها

واعتذر في كلمته الختامية عن نقل مالم يصح عند المحدثين من تلك المعجزات بان في الصحاح مايزيل استبعاد وقوعها . ولكن ينبغي أن يكون المانع من نقل مالا يصح أنه لايصح لا أنه مستبعد ، فاذا نقل وجب أن يبين درجته عند إراده واستغنى المؤلف عن هذا باعتذاره عنه وهو أقل مايجب

وقد جعل المؤلف ربح هذا الكتاب وهو مايزيد من ثمنه على نفقة طبعه إعانة لفقراء الحجاز فكل من يشتري منه شيئا يكون شريكا له في هذه الصدقة فنحث قراء المنار على ذلك . وصفحات الكتاب ١٥٨ وهو يطلب من مؤلفه في منزله عدد ١٣ حارة عنبر شارع حيضان الموصلي بالدرب الاحمر بمصر

العبرة بسيرة الملك فيصل

(رحمه الله تعالى)

— ٩ —

مسألة أجنبية عن الترجمة ولكنها من صميم القضية السورية والامة العربية

يوم الجمعة أول شوال ١٨ يونيو

كنا قررنا أن يجتمع ديوان رياسة المؤتمر (بعد تعطيل الجلسات لأجل العيد) أمس فجاء الشيخ عبدالقادر الخطيب مبكراً فتكلمت معه في الخلل والاضطراب الذي حصل أخيراً في المؤتمر فشوه سمعته الحسنة ، وفي وجوب التعاون على تلافيه ، ولما جاء عزت افندي دروزه (السكرتير) وصلاح الدين افندي (من الاعضاء) قال الخطيب (في وجوههما) ان أعضاء إدارة المؤتمر مقصرون في حقوق الرئيس إذ تركوه ولم يساعدوه على حفظ النظام حسب القانون

فاعتذر عزة افندي دروزه (عن نفسه) بأنه ترك القعود حول الرئيس لأجل البحث في مواد القانون . فذكرهم الخطيب بما كان من معاونتهم للرئيس السابق هاشم بك الاتاسي اهـ

ولما اجتمع ديوان الرياسة أول مرة بعد العيد وكان ذلك في ٦ شوال (٢٣ يونيو) صرح صلاح الدين افندي بأن أعضاء الادارة قصروا في معاضدة الرئيس عمداً لانه من العلماء ! وقد كتبت كلمة صلاح الدين افندي الحرة في أعلا صفحة مذكرتي من ذلك اليوم وذكرتها هنا لمناسبتها لما قبلها

وأقول الآن ان عزة افندي دروزه من أركان حزبنا وكان يلازم كرسي رئيس المؤتمر ويقوم معه بأهم أعمال حفظ النظام وغيرها ، ولكنه صار يتركني وينزل من مكانه في منصة الرياسة بالقرب مني ويجلس مع الاعضاء ، وأما الشيخ عبدالقادر الخطيب فكان معارضاً لحزبنا من جهة ، وكان بيني وبينه غاية التباين في الافكار

والاصلاح الديني، وانما أظهر نصري في هذه المسألة أو إنكارها علناً لأنه كان يعتقد أن الافندية من حزبنا قد عز عليهم أن يكون رئيس المؤتمر عالماً دينياً معمماً ، وأحبوا أو أرادوا أن يظهر عجزه عن القيام بجميع حقوق الرياسة ، فليعتبر المسلم بهذا ففيه عبر كثيرة ولا أزيد عليه في هذا الاستطراد شيئاً !!!!

أحاديث عيد الفطر في دمشق

﴿ يوم السبت ٢ شوال سنة ١٣٣٨ الموافق ١٩ يونيه (حزيران) سنة ١٩٢٠ ﴾

اجتمعنا في الليلة البارحة في دار جميل مردم بك (على موعد سابق) : أنا وصاحب الدار وناظر الخارجية (الدكتور عبد الرحمن شهبندر) وناظر الحربية (يوسف بك العظمة) والشيخ كامل قصاب (رئيس اللجنة الوطنية) وخالد أفندي الحكيم ، وقد تأخرت عن الوعد لكثرة زائري العيد حتى بعد العشاء ، وموضوع الاجتماع المفاوضة في الوفد الذي يرسل الى أوربة لاجل القضية السورية

سأل وزير الخارجية عن القاعدة التي يبني عليها الوفد مطالبه ؟

قلت : لاقاعدة عندنا إلا قرار المؤتمر السوري

قال الوزير : تعني الاستقلال التام الناجز ووحدة سورية بدخول فلسطين ولبنان فيها على أن يكون للبنان الخيار في شكل إدارته بدون تدخل أجنبي ؟

قلت نعم : ووافقني الاستاذ الشيخ كامل

قال الوزير إن معنى هذا رفض قرار مؤتمر (سان ريمو)

قال الاستاذ الشيخ كامل : مليكن ، قال إذاً لاحاجة الى السفر

وبعد بحث (دار بين الحاضرين كلهم) قال وزير الحربية انه بلغه عن ثقة أن مؤتمر سان ريمو لم يقرر في شأننا شيئاً قطعياً

قال وزير الخارجية : أنا لا أعتد بهذه الاشاعات ، عندنا شيء قطعي هو بلاغ اللورد اللنبي عن حكومته أن المؤتمر قرر الاعتراف باستقلال سورية والعراق على قاعدة الانتداب وان فرنسة انتدبت لسورية وانكلترة للعراق وفلسطين ، فاما أن نرفض هذا القرار ولا حاجة حينئذ للوفد ، واما ان نعترف به . ونبحث

معهم في معنى الانتداب ونظامه ألا من هذا الاتفاق

قلت بل يحتج الوفد على القرار بمخالفته المادة ٢٢ من معاهدة فرساي ويبني مطالبه على هذه المادة . وفصلت ذلك . ثم انصرفنا على عزم العودة الى البحث في جلسة أخرى (انظر مذكرة بعد غد)

يوم الاثنين ٤ شوال ٢١ يونيو

اجتمعت البارحة برئيس الوزارة (هاشم بك الاتاسي) وصباح اليوم بالملك فيصل ، وهو الاجتماع الاول بعد عودته من حلب وتكلمنا في مسألة الوهابية

(حديث مع سمو الامير زيد في مسألتين)

(١) ضعف الحكومة السورية وتدخل الملك فيصل

لما زارني الامير زيد زيارة العيد تكلم معي في مسألة ادارة الحكومة السورية فذكرت له بعض ما يجب لتلافي ضعفها فدعاني الى الغداء معه أمس (وكان الحديث قبله ثاني يوم العيد) لنتوسع في الكلام على انفراد فأجبت . وكان مما اعترف به فساد كثير من رجال البلاط (حاشية الملك) وقال انه يجب تنظيفه من مثل الشيخ (ف . خ) واعتذر عن تدخل الملك في الاعمال بضعف الحكومة وعجزها

قلت ان الواجب عليه اصلاحها لا التصرف الشخصي الذي يزيدها خللا (١)

(٢) مسألة العداء بين الهاشميين وابن سعود

وأخبرني (الامير) بعودة الرسول (... شلاش) الذي ذهب بكتابي وكتاب الملك الى ابن سعود وقال ان ابن الرشيد يود الاتفاق مع شرفاء مكة ، وان ابن سعود مراوغ ـ أو ما هذا معناه أو مؤداه

ثم ان رئيس الامناء (احسان بك الجابري) أطلعني في المساء ـ أي مساء أمس (٣ شوال) على كتاب ابن سعود للملك فيصل ، وهو ودي ، وعلى ملحق سياسي له بغير امضاء ولا ختم (كعادته) ينحي فيه باللائمة على الملك حسين ويقول انه لا يود الاتفاق

(١) كان الحديث بيني و بين الامير زيد في ضعف الحكومة واستبداد الملك فيصل فيها طويلا صريحا ملأني اعجابا بحريته وذكائه وقليل ما كتبته يشير الى كثيره

ولكن الملك فيصلا يتوقع زحف الوهابية على الحجاز وطلب من الوزارة جيشا سوريا لحماية المدينة المنورة منهم ، والا ترك الملك وذهب لقتالهم مع أبيه

الوحدة العربية

(إيضاح لمسألتها بيني و بين الملك فيصل)

اني على قلة عنايتي بكتابة المذكرات قد كتبت منها أهم مادار بيني وبين الملك فيصل لاجل الرجوع اليه اذا استمر التعاون بيننا على العمل للقضيتين : قضية الوحدة العربية ، وقضية الجامعة الاسلامية اللتين لا تقوم إحداها الا بالاخرى ، ولم أقصد بكتابتها أن تكون مادة الكتابة تاريخ لها لان وقتي لا يتسع لذلك مع ما أقصده من الاصلاح الاسلامي العام

ومما أزيده من الايضاح على ما كتبت في هذه المذكرة أن الملك فيصلا فتح جواب ابن سعود الذي أرسله إلي مع الرسول (شلاش الذي حمل الكتابين اليه مع إبقاء ظرفه سليما وأرسله إلي ملصقا ولكن ضعف صمغ الظرف عند فتحه بعرضه على بخار الماء فعلمت أنه فتح قبل إرساله إلي ولكنني تجاهلت ذلك، وهو جواب عن كتابي الاول الذي كتبته في ٢٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٣٨ وأرسل في أوائل رجب لا الكتاب الثاني الذي كتبته في اليوم الثالث من رمضان وأخبرني الملك على مائدة الافطار مساء ١٢ منه أنه أرسله مع الوفد الذي كان قرر ارساله الى الامير ابن سعود ، وذكرته في مذكرة ذلك اليوم وانه تبين لي بعد انه لم يرسله ، وما أدري متى أرسله بعد ذلك

وكان الكتاب الاول مطولا ذكرته فيه بما كنت كتبته اليه عن مشروعي الوحدة العربية وأرسلته مفصلا الى إمام اليمن ومجملا لى سموه والى السيد محمد الادريسي الكبير ، وبما حال من التواصل بيننا في أثناء الحرب العامة اذ أرسلت اليه رسولا ليعرض له رأيي فيها وفي القضية العربية الكبرى

ثم قلت فيه : «واكتفي الآن بحثكم على السلم مع الحجاز وقبولكم دعوة الوحدة العربية على القاعدة التي بينتها في هذا الكتاب .... ومتى جاءني خطكم مصرحا بهذا أو جاء خط

ملك الحجاز لولده الامير فيصل بعثه لشرع في وضع قواعد الاتفاق العربي العام الخ

وذكرت له فيه إنني مرسل إياه مع الاستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار « وهو خير ثقة من أهل العلم والصلاح هنا فثقوا به فيما يبلغكم عني ويبلغني عنكم وان كان غير متمرس بالسياسة على انني لقنته مالا بد له من العلم به من الاحوال الحاضرة »

وقد سافر رسولي الاستاذ البيطار مع رسول الملك رمضان شلاش ولكنه عرض له عند حدود الحجاز ما أعجزه عن مواصلة السفر الى نجد فأعطى كتابي لرفيقه وأرسلته الحكومة الى المدينة المنورة ومنها عاد الى دمشق

وقد كان جواب الامير ابن سعود لي ثناء علي وإطراء فوق المعهود من أسلوب ابن سعود في كتبه ورسائله لحكمة ظاهرة وفيه استحسان للدعوة إلى الاتفاق والاتحاد بالاجمال وانه يحتاج الى الدرس وانه سيخبرني بما يتراءى له من التفصيل ، وهو مختوم بخاتمه المعروف ، وفيه ملحق وجيز بخطه دون ختمه قال فيه « أيها الاستاذ الاكرم جميع ماذكرتم في كتابكم حق ومعقول ولكن ليس يخاف على سيادتكم أن الاقوال واحدة والافعال مختلفة ، كل تابع هواه » ثم ذكر أن رسولي لو وصل اليه لعرفه كل ما في ضميره وانه يستحسن أن أرسل اليه رسولا عاقلا دينا بصفة تاجر من طريق بمبي (الهند) ليعرفه جميع ما في الخاطر ، وقد أعطيته للملك فيصل مع ملحقه لاعتقادي أنه قرأهما قبلي ، ولولا هذا لكان مقتضى الامانة والمصلحة أن أكتم الملحق عنه مع بقاء السعي والتوسل للثقة بينهما . ومما يدل على أنه كان قرأه أنه لم يطل النظر فيه بل أعاده إلي بدون تريث ولا بطء

وقد اشتد سخطه بعد عودة الرسول من نجد على ابن سعود وخوفه من زحفه على الحجاز وانقطع بحثنا في مسألة الوحدة العربية أياما

وأما كتابي الثاني في أوائل رمضان لسموه فهو مبني على قبول الملك حسين للاتفاق معه الذي عرضه عليه ولده الملك فيصل بالاتفاق معي ، وقد كتبته بعد وصول جوابه عن الاول كما علم مما تقدم

وأما طلب الملك فيصل من الوزارة أن تجهز جيشا سوريا لقتال ابن سعود كما يوجب عليه والده فقد أجابته الوزارة عنه جوابا سلبيا وأن كل ما تسمح به هو

أن يتطوع من شاء من السوريين لهذه المساعدة بشرط أن تكون نفقتهم على حكومة الحجاز وأن تكون حكومة سورية على الحياد ، ولكن أخطأ الظن ولم يزحف ابن سعود بالجيش الوهابي على الحجاز في ذلك العهد وعدنا الى سعينا للوحدة العربية إلى أن أنذره الجنرال غورو الزحف على سورية ، وأذكر هنا آخر كلمة لي في مذكراتي بدمشق في هذه المسألة بعد تمهيد وجيز وهو :

كان اقترح علي الملك فيصل أن أكتب له القواعد أو الاسس التي ارتأيت أن تبنى عليها دعوة أمراء جزيرة العرب للمحالفة لاجل المناقشة فيها قبل تبييضها وكتابة الدعوة فكتبتها ولما عرضت فكرة الخوف من زحف الوهابية على الحجاز امتنعت من اطلاعه عليها حتى اذا انجلى ذلك العارض عرضتها عليه فقال دعها لي حتى أتأمل فيها . وبعد ان تأمل فيها مراراً قال لي إنني موافق عليها كلها لم أستطع زيادة كلمة فيها ولا نقص كلمة منها ، وهاك الكلمة الوجيزة التي كتبتها في مذكرتي عنها :

يوم الاحد ١٧ شوال ٤ يوليو (تموز)

أطلعت الملك فيصل على البرنامج الذي رأيت جعله أساسا لدعوة أمراء جزيرة العرب للاتفاق والحلاف فأعجبه جداً ، بل أعجب به جدا ، وقال : أنا أوافق عليه أنا واخوتي علي وعبدالله وزيد وكل ذي كلمة وفهم في مكة ، ولا يمكن أن يغلب سيدنا (يعني والده) علينا كلنا ويرفضه ، بل نتعهد بقبوله إياه ، وتواعدنا على المذاكرة التفصيلية فيه غدا ، ووعدني بأن لا يطلع عليه أحدا قط ولا احسان الجابري اه

ولكنني في ضحوة اليوم التالي (الاثنين) حلفت احسان بك يمين جمعية الجامعة العربية وكنت فيه أنه سألني بعد القسم هل يحنث باليمين من يوافق على احتلال الاجانب بعض البلاد لانقاذ البعض الآخر ؟ قلت نعم

(وثم صارت ثقتي باحسان بك أقوى من ثقتي بجلالته في مسألة الوحدة العربية لانها عند إحسان مطلقة وعند فيصل مقيدة بمصلحته ومصلحة والده)

﴿ عود الى مسألة الوفد السوري ﴾

يوم الثلاثاء ٥ شوال ٢٢ يونيو

اتفقت أمس مع وزير الخارجية بعد كلام في مهمة الوفد السوري الذي سيسافر إلى أوربة على الاجتماع ليلا في دار مستشارها جميل مردم بك لبسط الحديث وتقرير ما نراه — فاجتمعنا البارحة وكان ثالثنا (غير صاحب الدار) وزير الحربية يوسف بك العظمة ورابعنا وزير المعارف ساطع بك الحصري وخامسنا خالد أفندي الحكيم ولم يبلغ الشيخ كامل موعد الاجتماع

وبعد البحث اتفقوا على رأيي الذي كررته وهو أن تكون قاعدة مطالب الوفد قرار المؤتمر السوري والاحتجاج على قرار مؤتمر سان ريمو لمخالفته المادة ٢٢ من معاهدة فرسايل والبحث في معنى المساعدة الاستشارية المقررة في تلك المادة واشتراطه أن لاتمس الاستقلال التام — وأن يكون الرأي فيها للامة — وأن لايقر الوفد على شيء نهائي بل يحمل ما يتقرر إلى البلاد ويعرضه على مؤتمرها النيابي (كذا ولعل المراد مجلسها النيابي إذ كان مقرراً) ليقرره أو يرفضه أو يطلب تعديله .

﴿ حالة الحكومة السورية وملكها وشعبها ﴾

يوم الاربعاء ٦ شوال ٢٢ يونيو

تكلمت في جلسة ليلة الثلاثاء مع بعض الوزراء في مسألة الاجتماعات السرية التي يعقدها بعض وجهاء دمشق ومعمميها الموالين لفرنسة وزعماؤهم رضا باشا الركابي والشيخ عبد المحسن الاسطواني والشيخ محمود أبو الشامات والشيخ أسعد الصاحب والشيخ أديب تقي الدين والشيخ عبد القادر الخطيب والشيخ عبد الحميد العطار و...... وقد بلغ الحكومة أنهم قرروا إرسال وفد الى فرنسة ليطلب انتدابها لجميع سورية ، وألقى الحاضرون التبعة في اهمال ما يجب من تربيتهم على ناظر الداخلية « رضا بك الصلح » فقلت إن مثل هذا العمل يجب أن يكون بقرار

مجلس الوزراء لا بأمر وزير الداخلية وحده لأنه يتعلق بالسياسة والادارة العامة ولا يعد من الوقائع الموضعية .

واليوم زارني وزير الداخلية وأخبرني بضغط زملائه عليه وأنه رفع استقالته الى الملك وطلب مني تعضيده ، فدل هذا على أنه يود أن لا يقبل الملك استقالته ليكون مركز الوزارة قويا أمام يوسف بك العظمة وزير الحربية وأعوانه كوزير المعارف ورئيسهم ، وسبب هذا الشقاق أن رضا بك الصلح يرى أنه أحق برياسة الوزارة ويميل إلى كبراء الشام المؤسسين للحزب الوطني (لأنه أرستقراطي مثلهم) ولا يوافق زملاءه المخالفين على الضغط عليهم ، ولا على مساعدة العصابات في جبال عامل ولا في غيره ، وهو المصيب في هذه المسألة فان العصابات الموضعية تخرب البلاد بأيديها وأيدي السلطة الفرنسية وتسفك الدماء بدون نتيجة مفيدة ، وانما يعقل الاستعانة بالعصابات إن وقعت بشرط أن تكون عامة (لا موضعية) كما قلت للملك فيصل ولغيره مراراً . وقد طلبوا منه (أي وزير الداخلية) عزل رئيس البلدية الذي طعنت فيه اللجنة الوطنية وغيرها قولا وكتابة فلم يقبل فاشتد النفور بينه وبين المسلمين (كذا) من أعضاء الوزارة فاستقال — وسأسعى لعدم قبول استقالته اهـ

يوم الجمعة ٨ شوال ٢٥ يونيو

كلمت رئيس أمناء الملك إحسان بك الجابري في مسألة استقالة رضا بك الصلح فوافقني على السعي لعدم قبولها ، وقال إنها لا تزال في جيبه لم يقدمها لجلالة الملك لعل رضا بك يستردها اهـ (١)

---

(١) كان بيني و بين رضا بك الصلح رحمه الله تعالى صداقة ومودة شخصية وكنت احب المحافظة عليه في الوزارة لمكانة اسرته وتمثيله لبيروت في حكومة سورية وأما وجهاء دمشق المشار اليهم فلم يكن بيني و بين أحد منهم مودة ولا عداوة إلا علي رضا باشا الركابي كنا صديقين وقد ذكرنا ما وقع بيننا من الفتور في قلب المودة



قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صُوىً «ومناراً» كمنار الطريق

٣٠ شعبان سنة ١٣٥٣ برج القوس سنة ١٣١٣هـ ش ٧ ديسمبر سنة ١٩٣٤

فتاوى المنار

المرأة المبرزة وخطابتها على الرجال مكشوفة الوجه

(س ٢٣) من حضرة صاحب الامضاء في (جالفكا — جاوه)

بسم الله الرحمن الرحيم

الى حضرة مولاي قدوة العلماء الاستاذ المصلح الكبير السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار — نفعني الله والمسلمين بوجوده العزيز — آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فما دام قولكم في النساء المتبرزات كالخطبة أمام الرجال مكشوفة الوجه، فان جوزتم فما مراد قوله تعالى (يا أيها النبي قل لأزواجك) الآية وقوله تعالى (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن — إلى تفلحون) أفتونا ياسيدي بيانا شافيا فلكم الشكر منا ومن الله الاجر والثواب والسلام؟ محبكم المخلص

عبد الحليم

رئيس هيئة المركزية لشركة العلماء

(٢٣) المرأة البرزة تخطب الرجال سافرة

(ج) قوله في السؤال المتبرزات غلط أو تحريف أصله البرزات فالتبرز الخروج الى البراز (بالفتح) وهو الفضاء الواسع وغلب استعماله في قضاء الحاجة. والبرزة (كضخمة) معناها المرأة البارزة المحاسن وغلب استعماله عند العرب والمولدين بما نقله أصحاب المعاجم عن رواة اللغة كقول صاحب لسان العرب: قال ابن الاعرابي قال الزبيري: البرزة من النساء التي ليست بالمتزايلة التي تزايلك بوجهها تستره عنك وتنكب الى الارض، والمخرمقة التي لا تتكلم ان كلمت. وقيل امرأة برزة متجالة تبرز للقوم يجلسون اليها ويتحدثون عندها وفي حديث أم معبد: وكانت امرأة برزة تحتبي بفناء قبتها. أبو عبيد: البرزة من النساء الجليلة التي تظهر للناس ويجلس اليها القوم. وامرأة برزة موثوق برأيها وعفافها، ويقال امرأة برزة اذا كانت كهلة لا تحتجب احتجاب الشواب وهي مع ذلك عفيفة عاقلة تجلس الى الناس وتحدثهم، من البروز وهو الظهور والخروج اهـ

وأم معبد التي ذكرها هي الخزاعية الصحابية التي مر بها النبي ﷺ وصاحبه الصديق (رض) في حديث الهجرة في طريقهما من مكة الى المدينة ومعهما خادمهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر، ودليلهما عبدالله بن أريقط (وكان مشركا ثم أسلم) فسألوها عن لحم وتمر ليشتروا منها فاعتذرت بالقحط وتمنت لو كان عندها قراء تضيفهما به، وكان بجانب خيمتها شاة عجفاء لا يستطيع الخروج الى المرعى فاستأذنها النبي ﷺ بحلبها فقالت له: احلبها إن وجدت فيها حلبا فمسح ضرعها ودعا الله تعالى وحلبها فدرت فسقى أم معبد ثم من معه ثم شرب على سنته إذ قال «ساقي القوم آخرهم شربا» (١) ثم حلب وأبقى عندها اللبن لتسقي منه أبا معبد عند عوده، وقصتها معروفة في كتب الحديث والسير واسمها (عاتكة بنت خالد الخزاعي) قيل كانت مسلمة قبل مرور النبي ﷺ بها وقيل أسلمت بعد ذلك وعاشت الى عام الرمادة في خلافة عمر (رض)

(١) رواه الترمذي وابن ماجه وغيرهما بهذا اللفظ، و بدون كلمة «شربا» أحمد والبخاري في التاريخ وأبو داود

فان كان مراد السائل من النساء "برزات فلا حرج في خطبتهن سافرات فقد كان كثير من نساء الصحابة ومن بعدهم برزات يحضرن صلاة الجماعة ومجالس العلم ويخالطن الرجال ويروين الحديث . وان كان مراده بروز النساء للرجال كيفما كانت حالتهن وصفاتهن ومخالطتهن لهم فالحكم يختلف باختلاف ذلك كما هو معروف وإننا لنرى من بعض نساء مصر في بروزهن مايتبرأ منه الاسلام وكل دين وأدب وشرف

لم يرد في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسوله ﷺ نص في تحريم ماذكرناه ولا في سيرة نساء السلف الصالح شيء من منع المرأة المسلمة أن تقف مكشوفة الوجه تخطب على الرجال فيما هو حق ومصلحة ، وقد بينا في كتابنا (نداء الجنس اللطيف في حقوق النساء في الاسلام) تحت عنوان (آداب المرأة وفضائلها) جملة ما ورد في ستر النساء وملابسهن ومخالطتهن للرجال ومسألة حجب نساء الامصار ، وفسرنا فيه الآيتين المكرمتين اللتين ذكرتا في السؤال وغيرهما مايعلم منه جوابه مفصلا ، فليراجعها الرئيس الفاضل في المسائل ٥٤ — ٥٧ من صفحة ١٠٦ الى ١١٣ منه إن لم يكن قرأها بعد إرسال سؤاله الينا ، فان بقي له بعد ذلك في الموضوع ما يبتغي بيانه فليتفضل بالسؤال عنه

﴿ أسئلة عن أحكام القصاص في القتل والصيال والقمار ﴾

(س ٢٤ — ٢٧) من صاحب الامضاء من صولو بجاوه

الحمد لله وحده

الى حضرة صاحب الفضيلة مفتي الديار المصرية وخادم الاسلام، عزيزي الاستاذ السيد محمد رشيد رضا محرر مجلة المنار الغراء بمصر القاهرة دام إجلاله

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . (أما بعد) فأرجو من فضيلتكم أن تفتونا على صفحات مجلتكم المنار الغراء عن مايلي لتكتسب الثواب في الدنيا والآخرة وتهدونا إلى سواء الصراط ، آجركم الله وجازاكم بالخير الجزيل في الاولى والآخرة آمين

(١) كيفية حكم القصاص في الشريعة المحمدية السمحة ولا سيما في القتل الشائع ما بين المسلمين البين !

(٢) ما حكم الشريعة المحمدية في شخص يدين بدين الاسلام تعرض مسلماً آخر ماشياً في سبيله وسفك دمه بغير حق ؟

(٣) هل تحكم الشريعة المحمدية بالاعدام على المعتدي السافك لدم أخيه المسلم أم لا ؟

(٤) من دافع عن ماله وروحه وحان القضاء والقدر وسفك دم المسلم المعتدي عليه هل تحكم الشريعة المحمدية عليه بالاعدام أم تبرئه لانه غير قاصد الشر بل قصده المجرم بالشر وكيفية إجراء الحكم الشرعي على المجرم . وهل يجازيه ربه في الآخرة بخير أم بشر ؟

(٥) ما قولكم في اليانصيب (اللتري) الشائع في جميع العالم : هل هو حرام أم مكروه أم جائز ؟ فاننا نرى كثيراً من اخواننا المسلمين يشترون تذكرة اليانصيب بثمن ١١ ربية تقريبا آملين أن يحصلوا مائة وخمسين ألف ربية . فمنهم من يحصل ذلك المبلغ ومنهم من يتأسف على مبلغه الذي يهديه لمصلحة اليانصيب بلا فائدة تعود عليه أفيدونا مأجورين . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته م السائل أفندي البحري بصولو جاوه

(ج) أقول قبل الجواب إن السائل أعطاني لقبين أولهما غير صحيح وإنما هو لقب ثابت لموظف رسمي من قبل الحكومة المصرية وصاحبه في هذا العهد الاستاذ العلامة الشيخ عبد المجيد سليم فهو مفتي الديار المصرية ، ولعل السائل يظن أن كل من يفتي في مصر يصح أن يوصف بهذا اللقب

ثم ان الاسئلة الثلاثة الاولى يصح أن تجعل سؤالين مقترنين وهو حكم قصاص القتل وتنفيذه فنلخصها كما فهمناه من عبارته وإن لم نعرف سبب السؤال ونجيب عنه

(٢٤و٢٥) حكم قتل المسلم لأخيه عمداً وكيفية تنفيذ القصاص

أما حكم قتل العمد بغير حق فهو القود بأن يقتل القاتل قصاصا إلا أن يعفو عنه أولياء الدم أو بعضهم ، وإنما يقتل بحكم ولي الامر ، وكيفية القتل التي كانت

معهودة في عصر التشريع الديني هي قطع الرأس بالسيف . ومن مباحث الاجتهاد فيها هل هي واجبة ديناً يمتنع أن يستبدل بها ما يكون أسهل منها وأقل تعذيبا وإيلاما للمقتول كالشنق والقتل بالكهرباء عملا بقوله ﷺ « إن الله كتب الاحسان على كل شيء ، فاذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة » الحديث. فالقتلة والذبحة في الحديث بكسر أولها اسم لكيفية القتل أو الذبح ، وهو يدل على وجوب ترجيح أحسن الكيفيات ، والحديث رواه مسلم وأصحاب السنن عن شداد بن أوس

(٢٦) حكم الصيال اذا قتل الصائل

إن دفاع المرء عن نفسه وماله وزوجه وأولاده اذا اعتدى عليه معتد مشروع ويسمى هذا الاعتداء الصيال ، وأحكامه مبسوطة في كتب الفقه ، والاصل فيه أن يدافع الصائل بالاخف فالاخف فلا ينتقل من وسيلة لدفعه إلى وسيلة أشد منها الا اذا كانت غير كافية ، فان أفضى بهذه الصفة الى قتله كان دمه مهدراً لا قصاص فيه ولا دية ولا كفارة كما نص عليه في مذهب الشافعية الذي عليه أهل جاوه ، والاصل فيه حديث النسائي عن مخارق قال جاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال الرجل يأتيني فيأخذ مالي ، قال « ذكره بالله » قال فان لم يذكر ؟ قال « فاستعن عليه من حولك من المسلمين » قال فان لم يكن حولي أحد من المسلمين ؟ قال « فاستعن عليه بالسلطان » قال فان نأى السلطان عني ؟ قال « قاتل دون مالك حتى تكون من شهداء الآخرة أو تمنع مالك »

وروى أصحاب السنن الثلاثة من حديث سعيد بن زيد أن رسول الله ﷺ قال « من قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد » والمراد بدون ما ذكر الدفاع عنه

وفي صحيح مسلم أن رجلا جاء النبي ﷺ فقال يارسول الله أرأيت ان جاء رجل يريد أخذ مالي ؟ قال « فلا تعطه مالك » قال أرأيت ان قاتلني ؟ قال « قاتله » قال أرأيت ان قتلني ؟ قال « فأنت شهيد » قال أرأيت ان قتلته ؟ قال « هو في النار »

(٢٧) حكم اليانصيب

اليانصيب نوع من أنواع الميسر بيناه في تفسير قوله تعالى (يسألونك عن الخمر والميسر » الآية في الطبعة الثانية من الجزء الثاني من تفسير المنار (ص ٣٢٩ و ٣٣٠ منه) بعد بيان ميسر العرب وقلنا انه لايظهر فيه كل ماوصف به ميسر العرب مع الخمر في آيات سورة المائدة وهذا نصه :

(اليانصيب) هو عبارة عن مال كثير يجمعه بعض الحكومات أو الجمعيات أو الشركات من ألوف من الناس كمائة ألف دينار (جنيه) مثلا يجعل جزءاً كبيراً كعشرة آلاف منه لعدد قليل من دافعي المال كمائة مثلا يقسم بينهم بطريقة الميسر وتأخذ هي الباقي . ذلك بأن تطبع أوراقا صغيرة كأنواط المصارف المالية (بنك نوت) تسمى أوراق (اليانصيب) يجعل ثمن كل واحدة منها ديناراً واحداً مثلا يطبع عليها وتجعل العشرة الآلاف التي تعطى ربحا لمشتري هذه الاوراق مائة سهم أو نصيب تعرف بالارقام العددية وتسمى الثمر (جمع ثمرة) ويطبع على الورقة المشتراة عددها وما تربحه كل واحدة من العشر الاوائل منها ، وتجعل باقيها للتسعين الباقية من المائة بالتساوي بترتيب كترتيب أزلام الميسر يسمونه السحب . ذلك بأنهم يتخذون قطعا صغيرة من المعدن ينقش في كل واحدة منها عدد من أرقام الحساب يسمونه ثمرة من واحد إلى مائة ألف اذا كان المبيع من الاوراق مائة ألف ، ويضعونها في وعاء من المعدن كري الشكل كخريطة الازلام (القداح) التي بيناها آنفا فيها ثقبة كلما أديرت مرة خرج منها ثمرة من تلك الثمر ، فاذا كان يوم السحب أديرت بعدد الارقام الرابحة فما خرج منها أولا سمي الثمرة الاولى مهما يكن عددها وهي التي يعطى حاملها النصيب الأكبر من الربح كالقدح المعلى عند العرب، وما خرج منها ثانيا سمي الثمرة الثانية ويعطى حاملها النصيب الذي يلي الاول حتى اذا ماانتهى عدد الثمر الرابحة وقف السحب عنده وكان الباقي خاسراً

وأما كون هذا النوع لا يظهر فيه مافي سائر الانواع من ضرر العداوة

والبغضاء والصد عن ذكر الله ، عن الصلاة ، فلأن دافعي المال فيه لا يجتمعون عند السحب ، وقد يكونون في بلاد أو أقطار بعيدة عن موضعه ، ولا يعملون له عملا آخر فيشغلهم عن الصلاة أو ذكر الله تعالى كقمار الموائد المشهورة ، ولا يعرف الخاسر منهم فرداً أو أفراد أكلوا ماله فيبغضهم ويعاديهم كميسر العرب وقمار الموائد ونحوه ، وكثيراً ما يجعل (اليانصيب) لمصلحة عامة كانشاء المستشفيات والمدارس الخيرية وإعانة الفقراء ، أو مصلحة دولية ولا سيما الاعانات الحربية . والحكومات التي تحرم القمار تبيح (اليانصيب) الخاص بالاعمال الخيرية العامة أو الدولية . ولكن فيه مضار القمار الاخرى وأظهرها أنه طريق لأكل أموال الناس بالباطل ، أي بغير عوض حقيقي من عين أو منفعة وهذا محرم بنص القرآن كما تقدم في محله ، وقد يقال إن المال الذي يبنى به مستشفى لمعالجة المرضى أو مدرسة لتعليم أولاد الفقراء ، أو ملجأ لتربية اللقطاء لا يظهر فيه معنى أكل أموال الناس بالباطل إلا في آخذي ربح النمر الرابحة دون آخذي بقية المال من جمعية أو حكومة ، وهو على كل حال ليس فيه عداوة ولا بغضاء لأخذ معين كالذي كان يغرم ثمن الجزور عند العرب ، وليس فيه صد عن ذكر الله وعن الصلاة

ومن مضرات الميسر ما نبه اليه الاستاذ الامام ولم يسبقه اليه أحد من المفسرين وهو إفساد التربية بتعويد النفس الكسل ، وانتظار الرزق من الاسباب الوهمية ، واضعاف القوة العقلية ، بترك الاعمال المفيدة في طرق الكسب الطبيعية وإهمال الياسرين (المقامرين) الزراعة والصناعة والتجارة التي هي أركان العمران

ومنها وهو أشهرها تخريب البيوت فجأة بالانتقال من الغنى إلى الفقر في ساعة واحدة ، فكم من عشيرة كبيرة نشأت في الغنى والعز وانحصرت ثروتها في رجل أضاعها في ليلة واحدة فأصبحت غنية وأمست فقيرة لا قدرة لها على أن تعيش على ماتعودت من السعة ولا مادون ذلك اهـ

فاذا ثبت ان هذا النوع لا يدخل في عموم الميسر المحرم في القرآن فلا يعد من الحرام القطعي بالنص ، ويظهر هذا ان فعلته حكومة أو جمعية خيرية لا تأكل من ربحه شيئا . ولكن شراءه قد يكون ذريعة لغيره فينهى عنه من هذا الباب

﴿ اليانصيب وتربية الوحوش وغيرها في الاقفاص ﴾

(س ٢٨ و ٢٩) من صاحب الامضاء في سمبس برنيو (جاوه)

مولاي الاستاذ العلامة الجليل ، والمصلح الكبير ، صاحب المنار المنير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . (أما بعد) فأرجو من فضلكم الجواب عن الاسئلة الآتية وهي :

(١) إن حكومتنا الهولاندية قد تعمل بعض الاعمال الخيرة كبناء المستشفيات والملاجي، أو إعانة المنكوبين بما يسمونه لوتراي (ياصيب) وقومته بنحو مئة ألف روبية ، وجملتها عشرة آلاف سهم (لوت) وتبيع كل سهم منها بعشر روبيات وتأخذ من ثمن هذه الاسهم خمسين ألفا مثلا لبناء المستشفيات والملاجيء أو إعانة المنكوبين . ثم تقسم الخمسين الى نحو عشرين قسما تدفع للذين اشتروا هذه الاسهم بطريق القرعة بينهم فمن خرجت له فله نصيب منها

فهل يجوز شراء هذا السهم (اللوت) وأخذ ربحه أم لا ؟ وهل يجوز لنا طلب شيء من الخمسين التي أخذتها الحكومة تنفقه على مدرسة إسلامية أو غيرها من مصالح المسلمين ؟ وهل يجوز أن نعمل مثل هذا العمل (لوتري) باذن الحكومة لضعف المسلمين واعراضهم عن البذل في سبيل الخير العام ؟ أم يعد هذا العمل من القمار الذي حرمه الله بنص القرآن ؟

(٢) هل يجوز تربية الطير أو غيرها من الوحوش في الاقفاص فرداً أو زوجا مع ما يكفيها من الاكل والشرب وغيرهما وذلك للاتناس بصورتها أو صوتها وهل يعد ذلك ظلما لها أم لا ؟ وقد أفتى من أفتى بأن حبس الطير في القفص ظلم لها وان لم يقصر في أكلها وشربها

هذا وتفضلوا بالجواب ، ولكم مني الشكر ومن الله الاجر والثواب

محمد بسيوني عمران

(٢٨) اليانصيب أيضا

قد بينا حكم هذه المسألة بالتفصيل في الفتوى ٢٧ آنفاً . أما شبهة جمله

للمنافع العامة فقد بينا مافيها في جواب سؤال من بلادكم نشر في ص ٦٧٠ من مجلد المنار٣٣ . وأما إذا فعلت حكومتكم ذلك وأعطتكم منه شيئا للمنافع العامة فان لكم أخذه لذلك بغير شبهة

(٢٨) حكم حبس الوحوش والحيوان والطير في الاقفاص

قال بعض الفقهاء إن حبس الحيوان والطير ظلم فهو حرام . ويظهر وجه هذا القول إذا كان حبسها لاجل تعذيبها ، والمعهود المعروف عندنا في) حدائق الحيوانات بمصر) وأمثالها في الامصار الكبيرة في الشرق والغرب أن هذه الحيوانات يعتنى بغذائها وتناسلها وجعل الجو الذي توضع فيه كجواء الاقطار التي تجلب منها ، وان الغرض منها انتفاع العلماء بدرس طباعها وسنن الله فيها ، وتمتع العامة برؤيتها ، وقد خلق الله هذه الارض وما فيها لمنافع الناس المختلفة فلا وجه مع هذا لتحريمها قال تعالى (هو الذي خلق لكم مافي الارض جميعا)

﴿ شبهات على تحريم اليانصيب الخاص ربحه بالمنافع العامة ﴾

(٣٠) من صاحب الامضاء في قوص

حضرة صاحب الفضيلة العالم العلامة السيد محمد رشيد رضا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فاني والحق أقول . قل أن أجد كفءا واسع الاطلاع يرتاح إلى اجابته ضمير السائل غير شخصكم المحبوب لهذا أرسل الى فضيلتكم كلمتي الآتية كشبهة في مجموعها حول تحريم اليانصيب أرجو بيانها وإرسال شعاع من نور علمكم الفياض يكشف لي الحق وينير طريقه — وهي ليست شبهات متعنت أو مجادل ليس إلا ، وانما هو طلب الوقوف على الحقيقة التي لا يصل اليها علمي القاصر والله أسأل أن يطيل في حياتكم وينفع بكم الاسلام والمسلمين

حسن النجار أحمد

مدرس الزامي

﴿ شبهات حول تحريم اليانصيب ﴾

يقول الاصوليون ان المآلات معتبرة شرعا واعتبارها لازم في كل حكم

(أولا) فقد يكون العمل في الاصل مشروعا ولكن ينهى عنه نظرا لما يؤول اليه من المفسدة : مثال ذلك امتناع الرسول ﷺ عن قتل من ظهر نفاقه معللا ذلك بقوله « أخاف أن يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه »

(ثانيا) النهي عن سب من يدعو المشركون من دون الله معللا ذلك في قوله تعالى (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم)

(ثالثا) النهي عن التشدد في العبادة خوف الانقطاع عنها

فالاصل في كل هذه الامثلة وما ماثلها على المشروعية ولكن نهي عنه نظرا لان مآله غير مشروع بضرره والمفسدة المؤدية اليه ، والشرع إنما مبناه على جلب المصالح ودرء المفاسد ، وقد يكون العمل أيضا في الاصل ممنوعا ولكن يترك النهي عنه نظرا إلى مايؤول اليه من المصلحة

ومثاله : تحريم قتل النفس ثم إباحتها عند القصاص نظرا لمآ له الذي عبر القرآن الكريم عنه بقوله (ولكم في القصاص حياة)

ومثاله إباحة الكذب عند قصد الصلح مثلا — وإباحة الغيبة وذكر عيوب الناس لغرض شريف مشروع كالاستعانة على تحسين حاله أو الانتصاف منه الخ —

ومثاله إباحة كشف العورة عند التداوي ، وإباحة أكل الميتة للمضطر ، ومثاله ماجاء في حديث البائل في المسجد حيث أمر الرسول بتركه حتى يتم بوله نظرا لان الضرر المترتب على تركه اقل من الضرر المترتب على قطعه بوله ، فلم لا تطبق هذه القاعدة في اليانصيب والغاية منه شريفة ومفيدة كالاستعانة بما يجمع منه على ازالة الامية ورفع الجهل عن كاهل الامة — او كالاستعانة به في بناء مستشفى لتخفيف آلام المرضى من الفقراء والمساكين كما هو الحال في يانصيب جمعية المؤاساة الاسلامية بالاسكندرية

ارجو اجابتي على هذه الشبهات بما افهم فيكم من دقة البحث وسعة الاطلاع

والسلام عليكم ورحمة الله حسن النجار احمد

(٣٠) لم لا يباح قمار اليانصيب لجعل ربحه في المنافع العامة

(ج) لا ريب ان جميع احكام الشريعة السمحة في المعاملات مبنية على اساس المنافع والمصالح العامة واجتناب المفاسد ودرئها ، ومعللة بها ، والحكم يدور مع العلة وجوداً وعدما كما قالوا ، ولكن ماثبت منها بنص الشارع القطعي الرواية والدلالة لا مجال للاجتهاد في أصله ، ومنه تحريم الميسر فيجب اتباعه وإن لم تظهر لنا علته في بعض أنواعه مع الجزم بأنه لابد أن تكون له علة صحيحة ، ولا تجوز مخالفته إلا بدليل نص مثله كدليل إباحة الضرورات للمحظورات كما سيأتي . وقد بين الكتاب العزيز ان في الخمر والميسر إثما كبيراً ومنافع للناس وان إثمهما أكبر من نفعهما ، وقد حرمهما الله تعالى مع ذلك مبينا علة تحريمهما في آيات سورة المائدة ، فان كان ما يسمى (اليانصيب) من هذا الميسر فلا يقال لم لم يبح هذا النوع منه لما فيه من المنفعة الزائدة على ما كان من منافع الميسر الذي كان عند العرب عند نزول الآية ، لاننا نقول إن النص يجب اطراده وإن لم تظهر العلة في جميع أفراده كما هو الاصل في جميع قواعد التشريع العامة : الدينية والقانونية

بيد أن هنا شبهة على تحريم اليانصيب الخيري المحض الذي تفعله الحكومات والجمعيات الخيرية بيناها في الفتوى ٢٧ آنفا وهي أن يقال ان هذا اليانصيب ليس مما يدخل في عموم ميسر العرب بالازلام ولا تظهر فيه علة تحريمه المشتركة بينه وبين الخمر وهي قوله تعالى (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) واذا كان فيه إثم وضرر مما ذكرناه في تفسير آية البقرة فلا ريب في أن نفعه أكبر من إثمه وضرره ، فلا يظهر وجه لتحريمه في هذا النوع خاصة بخلاف غيره والله أعلم

تصدير طبع كتاب المنار والازهر

(إنما يخشى اللهَ من عبادهِ العلماء (٢٧:٣٥) يرفع اللهُ الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير (١١:٥٨) أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ، وأضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة — فمن يهديه من بعد الله ؟ أفلا تذكرون ؟ (٢٣:٤٥) هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق ، إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون (٢٩ منها)

صدق الله العظيم

ما للازهر وما عليه من الحق

الحق أقول إنه لا يوجد فى العالم الاسلامى بيئة (أو ما يعبر عنه فى العرف المدنى بالشخصية المعنوية) أجدر من هذا الازهر بالكرامة فى نفسه ، وبالتكريم من الأمة وحكومتها . ولكنه ظلم وهضم حقه بل حقوقه ، منذ تفرنجت حكومته ، ولم تعد تشعر بالحاجة الى علم الدين وأهله، فازدرتهم وحرمتهم من مناصب الدولة ، وقد قبل علماؤهم هذا وذاك بلا دفاع أو بلا شعور ، فصار من التقاليد المتبعة والعرف العام الذى يراعى فى القوانين ويشبه الشرع الالهى المنزل . وما ظلمهم الله ولكن ظلموا أنفسهم ، فظلمتهم حكومتهم ، وخذلتهم أمتهم : حتى قيض الله تعالى لهم عالما أفغانيا ؛ سيداً حسينياً ، فأيقظهم من سباتهم ، ونبههم من غفلتهم عن أنفسهم ؛ وذكرهم بحقوقهم فى الدولة وبحقوق الامة عليهم ، وأهاب بهم ليأطروا الظالم على الحق أطراً ؛ ويقسروه على العدل قسراً ، كما هداهم نبيهم صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله ، وإلا أهلكهم الله تعالى بخضوعهم للظلم : وتنكيس رءوسهم للذل ، وليستعدوا لذلك بإحياء العلم الذى تحيا به الأمم ، وتقوم به الدول

ثم خلفه من مريديه عالم من بنى جلدتهم ؛ ونبتة باسقة من تربة أزهرهم ؛ جهر

يدعو ته هذه معه وبعده ، إذ قال في بيانه لها في سياق ما دعا اليه من الاصلاح العلمي والعملي :

«جهرنا بهذا والظلم في عنفوانه ؛ والاستبداد قابض على صولجانه ؛ ويد الظالم من حديد ؛ والناس كلهم عبيد له أي عبيد ، » فماذا جرى ؟

نفى الظلم الداعي الأول من القطر ، ونفى الثاني أولا من القاهرة الى بلده محلة نصر ، ثم الى خارج وطنه : ثم كان ماذا ؟ أو ماذا كان؟ عاد الى مصر عزيزاً كريماً ، وجدد الدعوة الى اصلاح الأزهر واصلاح مصر والأمة الاسلامية به ، فسالمه الظلم آناً ثم ناوأه آونة واستعان على صده عن الأزهر بعض أهل الازهر ، وقد كان من أعوان الظلم عليه وعلى الاصلاح بعد أن كان معه الشيخ محمد الاحمدي الظواهري شيخ الازهر اليوم الذي عمل في افساد اصلاحه واذلال الازهر وظلم أهله مالم يعمله أحد منهم ولا من غيرهم

الاساس الاداري لاصلاح الامام للازهر الاستقلال

أتكلم في هذا التصدير عن اصلاح الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده قدس الله روحه من وجهة إعلائه لشأن الازهر واستقلال أهله به وكف يد كل من الحكومة والأمير عن الاستبداد فيه : وهي الوجهة التي عني الشيخ الظواهري بافسادها ، وظهر لكل أهل الازهر ولغيرهم سعيه وسعايته لهدم الأساس الذي وضعه الامام لها ، وقد تكلمت في صلب الكتاب عن كيده للاصلاح العلمي الديني بالافساد البدعي الخرافي

كان الأساس الذي وضعه الامام محمد عبده لادارة الازهر أن يكون علماؤه مستقلين فيه بنظام وقانون لا سلطان للحكومة ولا للامير على العبث به ، كما بينت ذلك بالتفصيل في المنار ثم في الجزء الأول من تاريخه (أي تاريخ الأستاذ الامام)

وذكرت من جملة الشواهد على ذلك من وقائعه أن سمو الامير أرسل الى شيخ الازهر رجلا من أكبر رجالات مصر المكرمين (هو الشيخ محمد توفيق البكري) يبلغه فيه أمر سموه بتوجيه كسوة تشريف من الدرجة الأولى لغير المستحق لها من العلماء . فلما عرض توجيه الكسوة المنحلة في مجلس ادارة الازهر لم يتسن شيخ الازهر أن يوجهها الى غير مستحقها والشيخ محمد عبده في الجلسة بل وجهت لى مستحقها بمقتضى القانون

حتى اذا ما اجتمع كبار العلماء في حضرة الامير في أول مقابلة له في قصر عابدين ، صب سموه سوط التثريب على شيخ الازهر قائلا له : ألم أكن أمرت بكذا ؟ فحصر

لسان فضيلة الشيخ عن الجواب وفرك إحدى كفيه بالأخرى ؛ فبادر الشيخ محمد عبده الى إنقاذه قائلا : ان الذي قرره مجلس الادارة في الكسوة المذكورة هو التنفيذ لأمر أفندينا ، لأنه مقتضى القانون الموقع بامضاء سموه ؛ والمجلس لا يعرف له أمراً غيره ، ولا يمكنه العمل بالاوامر الشفوية المخالفة له ، فاذا شاء أفندينا أن توجه « كساوى التشريف » الى من يشاء من العلماء فليلغ القانون بدكريتو (مرسوم) يقول فيه ان كساوى التشريف توجه بارادة سنية منا ! ! فلما سمع الامير هذا تبيغ دما ، وتفصد عرقا ، وانتصب واقفاً لينصرف العلماء فانصرفوا

هدم الظواهري لاستقلال الازهر بنفوذ مستخدمي البلاط

وأما الشيخ الظواهري فهو يخالف قانون الازهر وما هو فوقه من هداية كتاب الله وسنة رسوله بكلمة من القصر غير صادرة له عن لسان جلالة الملك المطاع ؛ بل من تلقون الابراشي باشا أو من دونه من حاشية البلاط ، لا لحفظ استقلال الازهر وكرامة أهله ، بل للتمتع بمنافع السلطان الاستبدادي فيه : فالشيخ لذته في التمتع بلذة الرياسة ، في ظل استبداد السياسة ، حتى روي أنه يبذل أكثر راتبه لشريكه في تبادل المنفعة(١) ولذة هذا الشريك في جمع المال لنفسه ؛ وجل منافع الشيخ المادية ماناله ولده وأهل بيته وبعض أعوانه من الوظائف بجاهه ، هذا ما يقوله ويكتبه المتقبون في سيرته . ومثل هذا قد فعل غيره ولكن الذي لم يفعله أحد من مشايخ الازهر هو هذا الاسفاف والتدلي في اهانة علم الدين وأهله بجعل رئيسهم يذل ويخزى بخنوعه لموظف إداري أو كتابي ليس له عليه أدنى سيطرة ولا سلطان ، وكل مايخشاه ويرجوه من وجوده في القصر الملكي أن يكتم عن جلالة الملك ظلمه واستذلاله للعلماء ، أو يتأوله بأن فيه خدمة دينية لجلالته ، أي أنه يرجو منهم أن يغشوا ولي الأمر به ، وتسمية هذا خدمة للدين أو اتباعا لما أوجبه الله تعالى من طاعة أولي الأمر ، من تلبيس إبليس ، ولبس الدين مقلوبا كالفرو ، كما قال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه

وقد بينت في خاتمة هذا الكتاب أقوال أشهر المفسرين في الظلم والركون الى

---

(١) اذا كان هذا الخبر حقا لا مبالغة فيه كما يقولون فلعله يكون بهدايا بعض الجواهر الغالية فان راتب الشيخ كبير

الظالمين ، والى من تدنس بشيء من الظلم وان قل وكونه سبب الدخول النار معهم ، وما يجب من طاعة الامراء والسلاطين بالمعروف ، ومن نهيهم عن المنكر ، ومن كون السلطة العليا عليهم للامة ينفذها أهل الحل والعقد من زعمائها

وقد قال حجة الاسلام الغزالي في (كتاب الحلال والحرام) من الاحياء :

(الباب السادس فيما يحل من مخالطة السلاطين الظلمة ويحرم ، وحكم غشيان مجالسهم والدخول عليهم والاكرام لهم) « اعلم أن لك مع الأمراء والعمال الظلمة ثلاثة أحوال : الحالة الأولى وهي شرها أن تدخل عليهم ، والثانية وهي دونها أن يدخلوا عليك ، والثالثة وهي الأسلم أن تعتزل عنهم فلا تراهم ولا يرونك »

ثم شرح كل حالة من هذه الثلاث وهو يخاطب بهذا كل مسلم ، فما قولك بعلماء الدين المتصدرين للامامة والقدوة فيه ؟ ثم ما قولك فيهم اذا كانت حالتهم معهم دون الحالة التي قال انها شر الاحوال بأن يكون العالم الكبير أمام أحدهم كالأجير الصغير ، بل رئيس العلماء الأكبر كالمرءوس الحقير : ان الامام الغزالي لم يكن على سعة عقله واختباره لأهل زمانه يتصور ان يضع أحد من العلماء نفسه في هذا الدرك الاسفل وهو الذي كتب ما كتب في علماء السوء وازدلافهم للسلاطين ، وتذكيرهم بعزة علماء الدين ، ووعظهم للخلفاء العباسيين : وهو الذي زاره الخليفة في بيته واقترح عليه أن يؤلف كتابا في ابطال شبهات الباطنية ، وتفنيد دعوتهم المفسدة للدين والدولة ، فمن كان هذا شأنه في مقام العلم الكريم ، لا يخطر في باله ان يكون رئيس العلماء الاكبر في مصر اسلامي كما نرى في مصرنا هذا

كان عندنا في الازهر ذلك الامام الكامل الذي كان يهابه أميره ، بله بطانته وأعوانه ، وكانت مزاياه ترى من الهند في الشرق ، وتونس والجزائر في الغرب ، وأوربة في الشمال ، من حيث لا يراه الازهر الذي يجاهد فيه لرفع ذكره ، وإعلاء قدره ، فاضطره الاستبداد إلى الخروج منه والاستقالة من خدمته ، ليوجه جهاده إلى ميدان آخر ، فلم يشعر الازهر يومئذ بهذه الصدمة التي قرع بها ؛ وقد شعر بقارعتها وشكا منها الشرق والغرب كما شرحنا ذلك في المنار ثم في (تاريخ الاستاذ الامام)

يومئذ خدعوا الازهر بأنهم يريدون إرجاعه إلى ما وجد لأجله بزعمهم ، وهو العبادة وعلوم الدين لا غير ؛ ومنع كل ما سواها من علوم العصر ، وقصر كل ما يسمونه الاصلاح على صحة الطلبة وغذائهم ، وخدعوا الرجل الطيب علامة عصره

(الشيخ عبدالرحمن الشربيني (رحمه الله) بهذا فاتخذوه آلة لتنفيذه ، وقبول مشيخة الازهر لأجله ؛ بعد التمهيد له بخطاب مفتوح رفعه الشيخ محمد الاحمدي الظواهري الى سمو الخديو قال فيه: وأرجو ويرجو المسلمون من سموكم أن تشملوا هذه المدارس (يعني الازهر والمعاهد الدينية) بعنايتكم وأن تقطعوا منا جراثيم الفساد والانحطاط،

ثم أوسلوا صاحب الجوانب المصرية الاديب السوري المعروف إلى الاستاذ الشيخ الشربيني لأخذ حديث منه ينشر* فيها فتنقله جريدة المؤيد فيخفى على الناس أنه مكر مدبر كما ظنوا ، فكان أول ما سأل الشيخ عنه :

« ماذا يرى مولانا فيما قام يلتمسه اليوم الشيخ الظواهري من الجناب الخديو ؟ »

أجاب الأستاذ : الظواهري إنما ينطق بلسان كل محب لخير الازهر عالم بالغرض الذي أسس له والخدمة التي أداها للدين ، ثم بين في جواب سؤال آخر أن هذه الخدمة عبادة الله وطلب شرعه كما تركه لنا الأئمة الأربعة (رض) لاغير ، وما سوى ذلك من أمور الدنيا وعلوم الاعصر فلا علاقة للازهر به ولا يرجى له ، الخ ما فصلناه في تاريخ الاستاذ الامام ، فكيف قبل الظواهرى في رياسته للازهر اليوم ما طالب الخديو بقطع جراثيمه بالامس ، بل جعل لعلوم العصر ومدرسيها السلطان الاعلى على الازهر وعلماء الدين فيـــه ؟

ماذا فعل العلامة الشربيني الذي لم يدر ما أريد به كما أنه لم يكن يدري لماذا أنشىء الازهر ولا ما فعله الازهر ؟ ثم ماذا فعل من بعده من مشايخ الازهر منذ تركه الاستاذ الامام سنة ١٣٢٣ هـ (و١٩٠٥ م) إلى هذه السنة ١٣٥٣ ؟

لم يفعل أحد منهم شيئا وانما تركوا أمرهم للخديو ، ثم تركه الخديو للحكومة فسنت له قانونا بعد قانون ، ولم يكن لأحد منهم رأي في عبث الحكومة بالازهر ، ولا تأثير علمي ولا ديني فيما تقلب فيه الازهر من التنقل في الاطوار ، ولا فهمها أحد منهم إلى أن ولي رياسته الشيخ محمد مصطفى المراغي فكان هو الرجل الذي عرف ما تجدد في الازهر من أطوار ، وما يضطرب فيه من موج ويصطخب من تيار ، فوضع له القانون الذي يمكن أن يجري فيه فلك الاصلاح آمناً من الاخطار ، فنوزع في بعض مواده التي يتعذر بدونها حمل تبعة العمل واستقلال فيـه فاســتقال منه ، فظهر من مزاياه وخلائقه العليا بهذه الاستقالة ما لم يكن يعرف كنهه أعرف الناس بادارته وسيرته في مدته القصيرة في رياسة الازهر ، ولا فيما قبلها من رياسة المحكمة الشرعية العليا ولا فيما قبلها من رياسة القضاء الشرعي في السودان

وأما أهل الازهر فكان يعرفه بعض أذكيائهم المستقلين فى العلم والرأى ولم يعرفه علماؤهم وطلابهم كلهم إلا بعد أن جربوا رياسة خلفه المضاد له في جميع مزاياه « وبضدها تتميز الأشياء » بل عرفه الآن جميع الناس حتى العوام فى القاهرة والاسكندرية وبقية الامصار التي هي مقر المعاهد الدينية والمدارس العليا إذ صخت أسماعهم أصوات الألوف المتظاهرة على الشيخ الظواهري من الازهريين وطلاب المدارس العليا صائحة فى الشوارع باسقاطه نابزة له بألقاب الخيانة ونعوت الاهانة، وهاتفة بالدعاء بحياة المراغي معترفة له بصفة الاصلاح ولقب الامامة ، وملحة فى مطالبة الوزارة التوفيقية الحرة باعادته إلى مشيخة الأزهر ورياسة المعاهد الدينية .

ثم عرف هذا كله سائر الأمصار والقرى في هذا القطر وفى غيره بنشر الجرائد له فى العالم مؤيدا بمقالات كثير من علماء الازهر وغيرهم من حملة الأقلام، فكان أقوم شهادة لما يسمى فى هذا العصر بالرأى العام

طور الأزهر الجديد ومن يصلح لرياسته

إن الازهر قد دخل في طور انقلاب عصري جديد فيه خطر كبير على الدين والدولة وفيه رجاء عظيم لهما ؛ فلا يصلح لادارته فيه إلا عالم كبير العقل عزيز النفس عالي الهمة ، قوي الارادة ، حكيم الادارة ، صادق اللسان ، راسخ الخلق ؛ عزوف عن السفاسف والدنايا والمطامع ؛ يشرف الرياسة فيزداد بها شرفا ، ويضطر كل من يتصل به أن يجله ؛ سواء أوافقه فى الرأي أم خالفه ؟

مثل هذا الرجل يندر وجوده فى صنف العلماء وغيرهم من الطبقات الراقية كرجال المدارس العالية والقضاة والمحاماة والوزراء والامراء ، لافى مصرنا هذه التى تشكو من فقر الاخلاق المدقع فيها ، بل فى أمصار الشرق والغرب أيضاً ، ولكن يكثر فى طبقاتنا العراة المجردون من حللها كلها أو أكثرها ، وأكبر المصائب على الامة أن تقلد المناصب وتناط المصالح بهؤلاء العراة البادية سوآتهم ، أو ببعض المستورين بالاسمال والاخلاق البالية لأجل تجربتهم ؛ ولكن أهل الازهر أكلوا من شجرة أبيهم آدم عليهم السلام فبدت لهم سوآت بيئتهم ؛ ورأوا بعين بصيرتهم العريان من حلل تلك المزايا والفضائل والعاطل من حليها فهم يرغبون فيه ، ويرون من زينة الله بأجل

زينتهما فهم يرغبون فيه ، وإنهم لعلى حق في الامرين ، وإن ما تطلبه المصلحة بلسان الحال ، أقرب مما تطلبه الرغبة بلسان المقال (فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض ، كذلك يضرب الله الامثال)

بيد أن الثورة قد تزين للشبان طلب ما لا ترضاه الحكمة ، من حيث لا يدرون أن مثل هذا الطلب قد يكون مانعا لا مقتضيا ، لأن الحكومات تأبى أن تكون منفذة لرغبات طلاب المعاهد والمدارس لذاتها ، بل يخشى أن يكون التظاهر سبب تأخير ما اقتضته المصلحة العامة منها ، إلا إذا كانت الحكومة كوزارة محمد توفيق باشا نسيم في إيثار المصلحة على كل شيء ، وهذا الوزير المستقل في رأيه وإرادته أعلم من كل هؤلاء المتظاهرين ومن غيرهم : بمزايا الشيخ المراغي في نفسه ، وبمكانته في قلوب أمته ؛ وأعلم بحالة الأزهر ومشيخته الحاضرة ، وزادته هذه المظاهر الحرة التي لولاها لم تكن علما ، ولا يخفى عليه أن ما قيل وما كتب وما فعل من قبل ومن بعد في إهانة الظواهري واظهار الازهر لاحتقاره كاف لابعاده عنه لو كان مبالغا فيه ، فكيف وقد ظهر عجزه عن ادارته ، وأن في بقائه في المشيخة إهانة للاسلام والمسلمين في اعتقادهم إن لم نقل في الواقع ؟ وإنني لأقول هذا عن عقيدة ورأي ، ولا يخالف فيه ذو حجر ، والامور مرهونة بأوقاتها ، ونسأل الله التوفيق لأولياء أمورنا

نصيحة لطلاب الأزهر والمعاهد الدينية

اخواني : إنكم ستنالون ما ترضون من تولي من تمقتون عنكم ، وتولية من تحبون عليكم ، لا بقوة مظاهرتكم لزيد وتظاهركم على عمرو ، بل لأنه الحق والخير والمصلحة ، ولأن الامة الاسلامية كلها معكم فيه ، ولأنكم في عهد وزارة تقدر هذه القوى الاربع قدرها ، وجديرة بأن ترضى الله تعالى بإرضائها ، وإن هذا لهو خير لكم من إجابتكم إلى ما طلبتم خضوعا لقوة اجتماعكم لذاتها ، نعم ان الاجتماع قوة ، ولكن قوة الحكومة أشد من قوة الطلبة ، بيد أنها دون قوة الامة التي تطلب الحق بوسائل العقل والحكمة ، وقد قال حكيمنا السيد الحسيني الافغاني : العاقل لا يظلم فكيف إذا كان أمة ؟

اخواني : انني قلت في مقدمة هذا الكتاب التي كتبتها منذ سنة ونصف سنة : إنه

لتولى ألدع الألد أن تضطر الأمة الاسلامية وصحفها الى هذا التشهير بسيرة الرئيس لأ كبر مصلحة إسلامية في مصر الخ ثم بينت السبب الطبيعي لهذا في القسم الاخير منه في الكلام على العبرة بهذه العاقبة السوءى للمسيء بمقتضى سنة الله تعالى في الاجتماع المدني

وأقول هنا : إن صراخكم في الشوارع باسقاط شيخ الازهر مع نبزه بالالقاب والهجوم على مكتبه وتحطيم مافيه لجريمة ثورية ذات شعب من الضرر ثالثها إهانة المرموسين لمنصب الرياسة ، بما يخشى أن يكون سنة سيئة لا يبقى معها للنظام ولا للمنصب حرمة ، فتعقب هذه السنة أن يجتنب هذه الرياسة أهلها الكرام، ويتكالب عليها الطامعون اللئام ، الذين يخنعون للاهانة فيكونوا حربا للامة وتكون حربا لهم ؛ واعتبروا في الفريقين حكمة النبوة في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن عوف ابن مالك مرفوعا : « خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم » اهـ والصلاة في الحديث الدعاء المتضمن للعطف ، فالخير داعية الخير ، والشر داعية الشر ، والمخرج من هذه العاقبة ماترونه في الكلام على الامراء والسلاطين في خاتمة هذا الكتاب

اخواني : إن التعليم الديني لن يكون وسيلة لسعة الرزق للالوف من المتخرجين في هذه المعاهد، ولا ينبغي أن يكون كذلك ، وإنما يجب أن يقصد به إعادة مجد الاسلام من حيث هو دين هداية وسيادة وسياسة وتشريع عام لجميع البشر ، ولن يكون وسيلة إلى بلوغ رجاله هذه الغاية إلا إذا كان أهله مستقلين دون الحكام في إدارته ونظمه ومناهجه ورزقه ودرجاته العلمية بقانون يكفل لهم ذلك ، فالى هذه الغاية يجب أن تتوجه قوة المعاهد الدينية ، فان لم تفعل كانت عاقبة الدين في مصر ، كعاقبته في حكومة الترك، فلا أزهر ولا مدارس دينية ، ولا محاكم شرعية ، ولا أوقاف اسلامية ، وإن فعلت رجي أن تعم هداية الاسلام الشرق والغرب ، ويتم بها وعد الله باستخلاف أهله في الارض ، واظهاره على الدين كله ، فيكون علماؤه من الائمة الوارثين ، وهي فاعلة ان شاء الله تعالى وبه التوفيق اهـ

كلمة جديدة فى الكتاب والشيخ الظواهري

إن ما أعلمه حق العلم من تاريخ الشيخ محمد الاحمدي الظواهري وأخلاقه وآرائه وأعماله من قبل توليته رياسة الازهر والمعاهد الدينية قد بدت في سيرته وأعماله في هذه الرياسة بل تكشف هو بها فظهر بصورة لا أستبيح لقلمي وصفها ، ولولا غيرتي الدينية على هذا المعهد الاسلامي واعتقادي أن رياسته له في هذا الطور الجديد وفي ظل النظام الاستبدادي المدبر كان خطرا على الازهر وعلى الاسلام لما كتبت ما كتبت فيه ، ولقد نصحت له من قبل أن أكتب شيئا ثم أنذرته راجيا أن يكفيني أمر الاضطرار إلى الكتابة والنشر ، ولكن خلقه وغروره بالمنصب أبيا عليه قبول النصيحة والاعتبار بالانذار

جئته أول مرة أو زرته بمكتبه في إدارة المعاهد لما رأيته شرع في الانتقام من بعض العلماء المهتدين بنور الكتاب والسنة بالنقل من الازهر إلى بعض المعاهد واتهامهم بما أمر بالتحقيق فيه ، فتلقاني بالحفاوة والترحيب كدأبه ، وأظهر لي الرغبة في التعاون معه على خدمة الاسلام، مصرحا بقوله نحن إخوة إن كنا نختلف في بعض الآراء فلا يمنعنا هذا عن التعاون على خدمة الاسلام العامة، ولعله كان رأي في المنار ما أسميه القاعدة الذهبية للاتفاق بين أتباع المذاهب والطوائف وهو قولي « نتعاون على ما نتفق عليه، ويعذر بعضنا بعضا فيما نختلف فيه » وكان فضيلة الاستاذ مفتي الديار المصرية المحب للاصلاح المتصم بالاخلاص حاضراً ، فسر بكلمة الشيخ الأكبر وتكلم فيما يراه من وجوب التعاون بيننا ، ولكنني لم أكن أعتقد أن الشيخ مخلص في قوله كالمفتي، فكانت أول تجربة له أن ألقيت إليه النصيحة التي زرته لأجلها ، فقلت له إن العرب كانت تقول إن آلة الرياسة أو شرطها الحلم وسعة الصدر ، ولم أذكر له الشرط الثاني لهم في بيت الشعر المشهور الذي يذكر في شواهد النحو :

بيذل وحلم ساد في قومه الفتى وكونك إياه عليك يسير

قلت وإذ كانت فضيلتكم ترى أن الاختلاف في بعض المسائل لا ينافي الاخوة والتعاون على المتفق عليه فأرى أن يتسع صدركم لما تنكرونه على فلان وفلان من العلماء ولا تفتحوا على أنفسكم باب الانتقام، ولا تجعلوا لكم خصوما من مرؤسيكم الخ

فوعد وعداً حسناً في ظاهره، يومي إلى مكر في باطنه، ثم ظهر هذا المكر في أقبح صوره، بعزل من أوصيته بهم من التدريس في الازهر وهم الذين يكره منهم ما عرف عنهم من انكار للبدع واتباع السنن على مذهب السلف واستقلال في العلم، وعزل آخرين منهم من كبار السن بالشبهة التي اشتهرت وعلم جميع أهل الازهر وغيرهم من العارفين بطلانها

ثم إنه لما أغرى سفيهه من محرري مجلة المشيخة (نور الاسلام) بنشر تلك المقالات المعروفة في تأييد البدع والخرافات والطعن على الوهابية ورجال الحديث ثم على المنار بعد أن نصحت لها بسلوك الطريقة المثلى اللائقة بأول مجلة دينية رسمية تصدرها مشيخة الازهر، ورأيتني مضطراً إلى الرد على ما افترته علي، كاشفت الشيخ بأنه يجب علي شرعا أن أرد على ما افترته علي مجلة المشيخة فان أذن بنشر الرد فيها اقتصرت به على بيان خطأ المفتري بايراد النصوص الصحيحة المبينة للحقيقة من المنار بدون زيادة، وإلا رددت عليها بما أنشره في المنار وفي بعض الجرائد اليومية بما يسوءه من اظهار جهلها وافترائها، فأظهر قبول الاقتراح الاول وكان ما كان من محاولة خداعي بالصلح والاتفاق كما بينته في المنار ونشر في بعض الجرائد وجمع في هذا الكتاب

ثم طبعت هذه المقالات مستقلة ورأيت أن أضيف اليها بعض الشواهد من مجلدات المنار على ما قمت به من خدمة الازهر والدعوة إلى إصلاح التعليم والتربية فيه والمقترحات الاسلامية التي توجبها حاجة العصر على علمائه، وأن أقدم على هذا خلاصة لترجمتي العلمية وتربيتي الدينية التي جعلت كل همي من حياتي الدعوة إلى

الاصلاح الاسلامي وهاجرت إلى مصر للقيام بها وأنشأت المنار لها ،

وكان الغرض الاول من كتابة هذه الترجمة أن تدل قارئها على أن الباعث النفسي على الرد على مجلة الازهر هو ما نشأت عليه تربية وتعليما ، علما وعملا ، ولم يكن غرضا عارضا ولا جزاء محضا للظواهري ولسان حاله الدجوي بطعنهما علي عملا بما أباحه كتاب الله من جزاء السيئة بمثلها ، فان خلقي يأبى على هذا ، ولو أردته لعجزت عن كتابة مثل ثلاث الرسالة الهجائية (صواعق من نار في الرد على صاحب المنار) التي استقاءها الثاني واستساغها الاول وكانت توزع في الجامع الازهر بالمجان، ووعد الشيخ الاكبر بمنع توزيعها فأخلف الميعاد كادته ، وإنما كتبت لتطهير الازهر الشريف مما لطخاه به من العار ، وصد ما استهدف له من الاخطار ، ودفاعا عن حق المنار

وقد بدا لي بعد الشروع فيها أن أبيح لقلمي فيها حرية قد ينتقدها بعض قارئيها من شاني شانئ يعدها من تزكية النفس المذمومة ، ومن صديق مزكٍ يود أن أحب عن نفسي الغيبة ، وهو ذكر بعض ما وقع لي من الامور الروحية غير المادية في أثناء الاشتغال بالرياضة الصوفية وكثرة الذكر ، مما يعده الجمهور من كرامات الاولياء ، وقد اشتهرت بالانكار على المغرورين بها ، والتأويل لأشهر ما يعدونه أو يدعونه منها ، حتى ان بعض أعداء الاصلاح من الخرافيين الذين اتخذوا دعوى الكرامات والمنامات حرفة يأكلون بها أموال العوام بالباطل ويستهوونهم لاعتقاد ولايتهم واتباع بدعهم والبذل لهم ، ما زالوا يصدون هؤلاء العوام الجاهلين عن الاصلاح الذي يدعوهم اليه المنار بأن منشئه من منكري الكرامات ومبغضي الاولياء

ولقد وقع اذ نشرت هذه الترجمة في المنار ما كنت أتوقع من نقد بعض المحبين وحمد آخرين ، ولكن كان من البواعث لي على نشره في الكتاب لا الموانع دونه ، وإنني أشير هنا إلى جملة هذه البواعث ولولا حدوث ما اقتضى تعجيل إصدار الكتاب لنشرتها فيه وهي :

إن أكثر المسلمين أو الشرقيين الذين عرفنا أحوالهم بالمشاهدة والمحادثة

والكاتبية في البلاد التي نشأنا فيها والبلاد التي سافرنا اليها من عربية وتركية وهندية يتقسمون في الامور الروحية إلى فريقين كبيرين ، وفريق ثالث صغير أو قليل

الفريق الاول يصدقون كل ما يقرءون وما يسمعون من الاخبار المخالفة للعادات المألوفة عن المتقدمين الذين يسمونهم الاولياء ، ويسمون أعمالهم بسمة الكرامات، وعن المعاصرين من مشايخ الطريق ومدعي استخدام الجن ، ويخضعون للمنتحلين لها ويرجون نفعهم ويخافون ضرهم، ويبذلون لهم أموالهم، وربما ائتمنوهم على أعراضهم ونسائهم ، وفي ذلك من الخرافات والمعاصي المفسدة لأمور الدين والدنيا ماتفاقم شره ، واستشرى فساده وعظم وزره، وماهو شرك صريح بالله تعالى

والفريق الثاني ماديون يكذبون جميع هذه الاخبار وينكرون وجود ماليس له سبب طبيعي منها أو امكانها، ويعدونها مفتريات مختلقة لخداع الجاهلين الغافلين وسلب أموالهم، ومنهم الذين يكذبون الاديان كلها لاتفاقها على أخبار معجزات الانبياء ، وكرامات القديسين والاولياء ، ويحتجون على ذلك بأنها في هذا الاصل الديني سواء ، مع اختلافها فيما هو أهم منه من أصول الدين ، وبأن العلم والتاريخ قد كشفا كثيراً من خفايا أهلها ودجلهم وحيلهم وكذبهم وقاس غيره عليه

والفريق الثالث يعتقدون ان لها أصلا ثابتاً، ولكن فيها دجلا وأباطيل يتعذر التمييز بينها ، ومن هؤلاء من لا يصدق منها إلا ما أثبته الافرنج المشتغلون بالأمور الروحية وما يسمونه استحضار الارواح ، وهم في حيرة من تعارض أخبارهم مع عقائد الاديان ، وكثيراً ما ينقلون ما يرونه في الصحف الافرنجية من أحداثها ويعدونه كغيره من الغرائب المادية التي تهدي اليها التجارب في نور العلم

ومن موضوع المنار البحث في هذه المسائل والتصدي لهداية أهلها للحق فيها لهذا رأيت من المفيد أن أذكر في ترجمة حياتي ما وقع لي مما يؤهلني لذلك ويبين لقارئه أني أتكلم فيه على بصيرة فيما أنتقده وفيما أقره وما أتأوله ، كما أتكلم في إصلاح

التربية والتعليم في الازهر وغيره ، وأنه ليس لي فيه هوى ولا منفعة ولا أخشى به فتنة أحد ، بل مقاومة الجهل والدجل ، أحمد الله عز وجل أن حفظني ببركة الاخلاص من هذه الفتنة في الزمن الذي فتن في مثله الكثيرون في كل عصر ، فقد ألهمني أن كنت أهون أمر تلك الامور الروحانية على من يرونها بأعينهم (كشفاء المصروعين والمرضى) ويسمعونها بآذانهم (كالمكاشفات) من حيث أرى أهل الدعوى والتلبيس والدجل قد فتنوا كثيرا من الناس بأنفسهم ، وسلبوا الكثير من أموالهم، وأسأل الله تعالى أن يتم النعمة ، ويحسن الخاتمة بفضله وكرمه

وإني لا أستغرب أن يقصدني بعض علماء أوربة الباحثين في الامور الروحية للبحث معي فيها وأن يعدوني من بعض أعضاء جمعياتهم من حيث لا أرى أحداً من قومي يعنى بذلك ولا يسأل عنه ، وقد اتسعت دائرة المباحث والتجارب الروحية في أوربة في هذه السنين وكثرت أخبار غرائبها وان جرائدنا تنقل منها ما تظن أنه طريف ونحن نعلم أنه تليد ، وان ما في كتبنا منه كثير

وإن إظهار العالم لعلمه عند ما يرى الحاجة اليه ايسئل عنه مطلوب شرعا مع الاخلاص ومجاهدة هوى النفس، والمأثور في هذا عن أئمتنا في العلم والعرفان معروف والذين كتبوا وقائعهم وتاريخهم منهم كثيرون ، ومن علماء الغرب أكثر ، وما شرع شيخنا الاستاذ الامام في كتابة ترجمة حياته إلا بالحاح بعض هؤلاء الغربيين عليه فيه ، ومن سوء حظنا أنه لم يتمه ، ونحمد الله أن وفقنا لتدوين ما علمناه منه

اهله وضح بهذا ما خفي على بعض اخواننا وغيرهم من تيننا في كتابة هذه الترجمة قبل أن ينقرض من أهل وطننا من يعرف أكثرها ، ووضح أيضاً انني لم أقصد بكتابة هذا الكتاب وبيان مساوي الشيخ الظواهري فيه إلا ما كان يقصده أئمتنا من علماء الجرح والتعديل بتراجم رواة الحديث الضعفاء والوضاعين ، وعلماء الحديث الدافعين عن السنة بالرد على المبتدعين، فجهادي به موجه إلى المسيء إلى الاسلام بمنصبه ، دون المجاهر بالاساءة إلي بحسده وراتبه ، فما هذا إلا سيئة من سيئات ذاك، وما كنت أعبأ بجهله علي وعلى السنة ، أئمتها من أهل الحديث ومتبعي السلف قبل جعله إياه ناطقا باسم مشيخة الازهر في مجلتها .

وما ندمت على شيء كتبته فيه الا ما نقلتـه من خبر بذله جل راتبه هدايا الى وليه وناصره لان ظاهر عبارته انه من المساوىء الشخصية على اني قصدت به إزالة عجب الناس من ابقائه في منصبه بعـد ظهور مساويه تعزيها لولي الامر عن علمه بها واقراره عليها

ولقد أرجأت نصديره ثمانية عشر شهراً لأنني أعلم أنه يقرب أن يتقرب به إلى أوليائه في الحكومة تلك المستبدة الظالمة فيزداد استمساكهم به (وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض) وما كادت تسقط وتخلفها الوزارة الحرة المرجوة إلا وصراخ الازهر وعويله من ظلمه قد طبق الآفاق، واخترق السبع الطباق ، وأطبق عليه الطلاب والعلماء ، وأجمع عليه الكتاب والشعراء والخطباء ، يتعذر أن يتهم به فرد من الافراد أو جمع قليل متواطئون عليه ، فنشرت الكتاب موقنا بقرب عزله إن لم يعتزل ، وإقالته من منصبه لا من عثره إن لم يستقل ، لأن لاستعجال بهما أهون الشرين عليه من الاملاء له فيه ، فان الازهر لن يطيق الصبر بعد على احتمال الذل والهوان ببقاء رياسته ، ولكنه هو يحتمل شرا من ذلك بالاصرار عليها وتمني قهر مرؤسية بحماية حرس من الحكومة له في بيته وفي طريقه وفي الازهر يمنعه ان ينكلوا او يمثلوا به ، وما كانت شدة الحرص على الرياسة لتأتي بخير ، وانما خير أهلها من ترغب فيهم ويرغبون عنها ، ويرونها عبئاً ثقيلا لا يقبل إلا لأجل المصلحة العامة ، لهذا قال ﷺ « إنكم ستحرصون على الامارة، وستكون ندامة يوم القيامة ، فنعمت المرضعة ، وبئست الفاطمة » رواه البخاري والنسائي عن أبي هريرة . وروى البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي عن أبي موسى الاشعري أنه قال دخلت على النبي ﷺ أنا ورجلان من بني عمي فقال أحدهما يا رسول الله أمرنا على بعض ما ولاك الله ، وقال الآخر مثل ذلك ، فقال ﷺ « إنا والله لا نولي هذا العمل أحداً سأله أو أحداً حرص عليه » ولقد رأينا في عصرنا رجلا واحدا حرص على رياسة الازهر أشد الحرص وأذله وأسخفه ، ورجلا واحدا زهد فيها أشد الزهد وأعزه وأشرفه

مباحث الربا والاحكام المالية

﴿ تابع لما قبله ﴾

الاصول والقواعد العامة

(للحلال والحرام في المعاملات المالية)

مقدمة في تلخيص إجمالي لما تقدم

قدمنا حقيقة الربا المحرم بنص القرآن القطعي وهو ربا النسيئة أي ما يأخذه الدائن من المدين المعسر عند استحقاق الدين المؤجل عليه وعجزه عن قضائه لأجل تأخيره الى أجل آخر، وهو زيادة لا مقابل لها، فهي ظلم قد يتضاعف اذا عجز المدين عن القضاء كلما حل أجل جديد، فيكون أفحش أنواع الظلم والقسوة، وبينا حقيقة ما سمي ربا الفضل وهو ما نهى عنه النبي ﷺ من بيع أحد النقدين أو أصول الاقوات التي عليها مدار معيشة الامة بمثله من جنسه مع زيادة أو تأخير، وبينا أن حكمة النهي عنه سد ذريعة الربا القطعي المحرم بنص كتاب الله تعالى. وبينا ان الفقهاء توسعوا باجتهادهم في أحكام المعاملات المالية حتى أدخلوا في معنى الربا كثيراً من صور البيوع والقروض والشركات التي لا تدخل في ربا القرآن الاصلي (النسيئة) ولا في ربا الحديث الاحتياطي من باب ولا منفذ، إلا بالتأويلات المستنبطة من التعاريف والأقيسة والضوابط المذهبية الاجتهادية، وأن جمهور المسلمين يظنون ان كل ما حظره الاجتهاد المذهبي وعده من الربا فهو محرم كالذي حرمه الله بالنص القطعي وتوعد عليه بأعظم الوعيد لشدة ضرره وظلم الاخ لاخيه فيه، والذي نهى عنه رسوله ﷺ احتياطا لسد ذريعة الظلم الذي حرمه الله تعالى على عباده كما حرمه على نفسه

ومن أجل هذا الفهم الباطل ضاعت عليهم سبل المعاملات ووقعوا في مآزق العسر والحرج الممنوع من شريعة الحنيفية السمحة بنص كتابها العزيز، واضطروا

الى طرق أبواب الحيل لاستحلال ماحرمه الله لا ماحرمه هؤلاء الفقهاء برأيهم فقط ، ولم يضع لهم هؤلاء الفقهاء حدوداً وضوابط للاضطرار أو الحاجة الى المحظور في قاعدتهم : الضرورات تبيح المحظورات ، وفي قولهم إن المحرم لذاته يباح للمضطر اليه ، وان المحرم لسد الذريعة يباح للحاجة اليه ورجحانها على المفسدة .

ان هؤلاء المقلدين حرموا على أنفسهم وعلى عباد الله مالم يحرمه عليهم ربهم ، فنهم من حرم على نفسه منافع أحلها الله له ، ومنهم من أقدم على ارتكاب ما يعتقد ان الله تعالى حرمه عليه إما بحيلة يعلم أنها لا تخفى على الله ولا ترضيه ، وإما بغير حيلة ، ودخل أدعياء الفقه منهم في عموم من قال الله تعالى فيهم (٤٢ : ٢١ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) ومن قال فيهم (٩ : ٣١ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) وقد فسره النبي ﷺ بأنهم هم الذين كانوا يحلون لهم ويحرمون عليهم فيتبعونهم

وآل أمر أكثر المسلمين الى أن تغلب الافرنج على أكثر بلادهم بالفتح السياسي أو الحربي ، أو بالنفوذ الاقتصادي والاداري ، وصارت جميع أحكامها المالية بالقوانين التي تبيح ماحرموا من الربا وغيره من ضروب الكسب ، فصاروا يؤكلونهم الربا ولا يأكلون منهم ، ويكسبونهم أموالهم ولا يكسبون منهم ، حتى إن المسلم الذي يودع ماله في مصارفهم [بنوكهم] بدون فائدة له فيستغلونها لأنفسهم ، والمسلم المحتاج يستدين منهم بالربا ، فازدادوا بهذا عسراً وفقراً ، وفرت ثروة بلادهم من أيديهم إلى أيدي مستعبديهم ، وصار أكثرهم أجراء بل عبيداً للافرنج فيها ، وتبع ضياع الثروة والنفوذ ضياع العلم الديني والدنيوي ، وبدأ يتبع ذلك ضياع الدين التقليدي ، ولا يمكن أن يجدوا مخرجا من هذه المآزق إلا بمسابقة الافرنج إلى الثروة وتنظيمها وبذلها في المنافع والمصالح الملية ، فنهم من يلتمس هذا بترك الاسلام نفسه سراً أو جهراً ، ومنهم من يوطن نفسه على ذلك طوعا أو كرها ، وأكثرهم كالناقة العشواء ، تخبط في الظلماء ، أو كالذي يتخبطه الشيطان من المس

هذه المسألة من أظهر المسائل التي يعبرون عنها بقولهم « عمت بها البلوى » وعموم البلوى في الامور العامة مما يبيح المحظور للامة ، كما ان الضرورة الشخصية

تبيح المحظور للافراد ، وبناء عليها قال الامام الغزالي في كتاب الحلال والحرام من الاحياء ، ان المال إذا حرم كله حل كله فيستأنف فيه التعامل بالاحكام الشرعية على انه حلال

ان جمهور المسلمين لفي حرج شديد في هذه المعاملات المالية العصرية ، وكلهم يتمنون لو يجدون لهم مخرجا منه مع المحافظة على دينهم ، وأنى يجدونه وهم يطلبونه من أدعياء الفقه الديني الذين وصفهم شيخنا الاستاذ الامام بحملة العمائم ، وسكنة الاثواب العباعب ، وهم حماة التقاليد الفقهية التي أدخلتهم في جحر الضب اتباعا لسنن من قبلهم من أهل الكتاب ، لكن بعد أن خرج هؤلاء منه ، وهم الذين قال فيهم قبيل وفاته :

ولكنه دين أردت صلاحه أحاذر أن تقضي عليه العمائم

ذلك بأنهم هم أئمة الذين قال فيهم رسول الله ﷺ « لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » (رواه البخاري ومسلم) وبأنهم أجهل ممن قال فيهم أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه : لبسوا الدين كما يلبس الفرو مقلوبا ، وإذ كانوا هم حماة التقاليد التي حصرت الامة في جحر الضب (أي الضيق) فوظيفتهم أن يقذفوا كل مصلح يحاول اخراجها منه الى فضاء الحنيفية السمحة بأنه خارج من الدين أو عليه بمخالفته لأئمة المذاهب الواجب اتباع واحد منهم على كل واحد من المسلمين بنص عقيدة جوهرة التوحيد للقاني :

ومالك وسائر الائمة كذا أبو القاسم هداة الامة

فواجب تقليد حبر منهم كذا حكى القوم بلفظ يفهم

ويعنون بوجوب تقليد حبر من هؤلاء الائمة الفقهاء وأبي القاسم الجنيد من أئمة الصوفية تقليد ما في هذه الكتب الكثيرة المؤلفة فيما يسمونه مذاهبهم وفي طرائق الصوفية ، ولا عذر عندهم لمن يخالفهم فيها الى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولا الى أدلة هؤلاء الائمة ونصوص كتبهم المروية عنهم أيضاً ، فالاخذ عن الائمة والعمل بنصوصهم ممنوع عندهم أيضاً ، وكذا اتباع الطبقة العليا من أصحابهم كأبي يوسف ومحمد بن الحسن صاحبي أبي حنيفة ، وكذا من يليهم من طبقات

مجتهدي المذهب وأصحاب التخريج والترجيح بين الاقوال المختلفة والتصحيح فيه مباشرة وانما الواجب شرعاً في رأيهم العمل بما يعتمده متأخرو المؤلفين من أقوال من قبلهم من المصححين ، كما قال علامتهم ابن عابدين في [رسم المفتي] وهم الذين سماهم أسرى النقل المحض من كتب مخصوصة المقلدين

واني بعد أن حاربت هذه التقاليد بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ مع اتباع هدي الائمة من السلف الصالح كالذين ذكرهم القاضي لا تقليدهم ، أقدم على بيان ما أرى فيه المخرج للامة من الحجر الضيق المظلم إلى الفضاء المشرق بنور الله تعالى مبتدئاً بالاصول الآتية:

الاول اصل الاصول

في منافع الكون الدنيوية الاباحة بمقتضى فطرة الله ودينه المكمل لها

الاصل في جميع منافع الكون الاباحة للخلق بدليل هداية الفطرة ودينها، وقد بين ذلك الكتاب العزيز بمثل قوله تعالى (٢: ٢٩ هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا) وقوله (٦٧: ١٥ هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه) وقوله (٤٥: ١٣ وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه) فهم يعرفون منافعها بالتجارب ويترقون فيها بالتعاون حتى تكون معارفهم علوما مدونة ، وفنونا متوارثة ، وهداية الحواس والعقل كافية في ذلك بهدي الرسول ﷺ في قوله « أنتم أعلم بأمور دنياكم » وما في معناه رواه مسلم

ثم ان الله شرع الدين لعباده ليعلمهم ما لا تستقل عقولهم بمعرفته بالدلائل والتجارب وهو معرفته تعالى الصحيحة وعبادته التي ترضيه، وما يهذب أخلاقهم ويزكي أنفسهم من الفضائل ، ليعيشوا بالتعاون والتحاب والعدل والاحسان، ويجتنبوا الرذائل الضارة بأفرادهم وجماعاتهم الكبيرة والصغيرة كالظلم والعدوان، وبمجموع هذين الامرين يكونون أهلا لاجتناء ثمرة الدين في حياتهم الدنيا بقدر استعدادها المشوب بالشوائب الكثيرة — وأهلا للسعادة الكاملة في الآخرة

والدليل على ذلك ان الله تعالى قص علينا في كتابه دعوة أشهر رسله لاقوامهم فلم نجد فيها مايدل على ان ما بعثوا له تعليم أقوامهم الزراعة والتجارة والصناعة ، وانما وجدناها متفقة على عبادة الله وحده والنهي عن الشرك والظلم والفساد في الارض ، وعلى الامتنان على الناس بنعم الارض واستعمارهم فيها ، وكون الدين يزيدهم فيها قوة ونماء ، ووجدنا في قصة شعيب انه نهى قومه عن نقص المكيال والميزان وعن بخس الناس أشياءهم والفساد في الارض لان هذه الرذائل قد فشت فيهم

ووجدنا في أخبار بني اسرائيل أن الله تعالى حرم على اليهود طيبات كانت أحلت لهم بسبب ظلمهم تربية لهم ، وان نبيه عيسى عليه السلام أحل لهم باذن الله بعض ماحرم عليهم ، ثم جاء محمد رسول الله وخاتم النبيين ﷺ فوضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم كلها ، فعلمنا ان ذلك كان تحريما عارضا في شعب واحد معروف إلى أجل معلوم ، وان شريعة خاتم النبيين السمحة هي الدائمة

﴿ الاصل الثاني ﴾

ما أكمله الله من الدين فلا يقبل زيادة فيه

أكمل الله تعالى ببعثة محمد ﷺ دينه لجميع الشعوب والقبائل في جميع أقطار الارض إلى آخر الزمان فحدد لهم في كتابه وما بينه من سنة رسوله خاتم النبيين جميع ما يحتاجون اليه من أصول التشريع الديني العام الدائم ، وفوض اليهم ما وراء تلك الحدود ، ووعدهم باستخلافهم في الارض وتمكين دينهم وسيادتهم وقوتهم فيها ، وإظهار دينهم على الدين كله ، وختم بذلك النبوة والتشريع الديني ، فليس لاحد بعد كتاب الله القرآن وبيان السنة المحمدية له ، أن يفرض على البشر عقيدة ولا عبادة ولا تحريما دينياً لشيء من الاشياء ، ولا لعمل من الاعمال ، فالدين قد كمل فلا يقبل زيادة ورد من الاوراد ولا عبادة من العبادات ولا تحريم شيء ، وأسعد أتباعه من يقتدي فيه برسول الله ﷺ وأصحابه من بعده

﴿ الاصل الثالث ﴾

ما فوضه الله الى عباده من أحكام الدنيا

وأما مصالح الدنيا ومعاملاتها المدنية والاقتصادية والسياسية فقد ترك الشرع مالم يبينه منها إلى اجتهاد هذه الامة الكبيرة لانها لايمكن حصرها وهي تختلف باختلاف الازمنة والامكنة ، فما أدى اليه اجتهاد أحد من الافراد عمل به ولا يكون دينا لغيره ، وما أدى اليه اجتهاد أولي الامر من المصالح العامة من سياسة وقضاء عملوا به على انه ضبط للمعاملات للفصل في الخصومات وإقامة العدل ، ولكن ليس لاحد منهم أن يجعل شيئا منه دينا يكلف الناس أن يدينوا الله تعالى به . فكل مالم يكن في عهد رسول الله ﷺ دينا لا يكون بعده دينا كما قال الامام مالك بن أنس رحمه الله تعالى ، وقد كان مما يوصي به النبي ﷺ أمراء الجيش أو السرايا قوله « اذا حاصرت أهل حصن وأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ، ولكن أنزلهم على حكمك ، فانك لاتدري أتصيب فيهم حكم الله أم لا » رواه مسلم وأبو داود والنسائي من حديث بريدة (رض) وهو من الدلائل على تفويض مصالح الامة إلى أولي الامر منها كما فصلناه في تفسير قوله تعالى (٤ : ٥٩ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم)

﴿ الاصل الرابع ﴾

اجتهاد الفقهاء لايشرع عقيدة ولا فريضة ولا تحريما

والغرض من هذا أن آراء الفقهاء وأحكام الامراء والقضاة في المسائل الاجتهادية ليس من أحكام الله تعالى في عبادة ولا حلال ولا حرام ، فأما في العبادات فقد بينا حكمه ، وأما في المعاملات المالية ونحوها فاجتهاد الافراد لهم وعليهم ، واجتهاد أولي الامر بشرطه تجب طاعتهم فيه اذا حكموا به ولم يكن مخالفا لكتاب الله أو سنة نبيه ﷺ ، وانما تجب لاجل منع الفوضى وحفظ الحقوق ومنع العدوان ، واقامة النظام ، ولكن لايجوز لهم أن يسموه حكم الله تعالى ، ويدعوا ان الله تعبد عباده به ، وان المخالف له عاص لله تعالى فاسق عن أمره ، خارج عن هداية دينه ، يستحق عذابه في الآخرة ، فضلا عن كونه يخرج من الملة بانكاره أو استحلال مخالفته ، كما يتوهم أكثر

المسلمين في مخالفة اجتهاد الفقهاء ، ومنها ما نحن فيه من الكلام في أحكام الربا الاجتهادية: يتوهمون أن كل من خالف الصحيح المعتمد في المذهب الذي ينسب اليه في مسألة منه- ككون كل نفع للمقرض من المقترض ربا ـ انه واقع في الوعيد الشديد في آيات سورة البقرة بأنه محارب لله ولرسوله في الدنيا ، وأنه يقوم من قبره يوم القيامة كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ، وأنه حقت عليه لعنة الله في حديث « لعن الله آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه هم فيه سواء » رواه احمد ومسلم بهذا اللفظ من حديث جابر واحمد وأصحاب السنن عن غيره

بل أقول إن أصول علم الحديث تمنع أن يدخل في عموم هذا الوعيد الالهي الخاص بالكبائر من يأكل ربا الفضل (الذي جعله بعض الحنفية كمفتي الهند الذي رددنا عليه في كتابنا هذا بياناً لربا القرآن) في مثل صرف ريال مصري بأربعة أرباع الريال المعروفة مع تأخير في القبض أو اختلاف في المجلس مثلا ، كما أن الوعيد على الزنا لا يعم ما سمي باسمه من ذرائعه كالنظر واللمس ولو بشهوة

وما قررته في هذه المسألة موافق لأصول الأئمة المجتهدين كما انه هو المتبادر من النصوص، ولكن أكثر المسلمين يجهلونه، وفي بعض كتب الفقه ولاسيما كتب الحنفية نصوص فقهية في تكفير من يقول أو يفعل مايدل على عدم إذعانه واحترامه لهذه الكتب وما فيها من الفتاوى ، أو الطعن على مؤلفيها أوغيرهم من الفقهاء ، بشبهة ان ذلك يستلزم الطعن في شرع الله ودينه ثم في الله عز وجل ورسوله صلوات الله وسلامه عليه ، ولو جاز لأحد التكفير بمثل هذه اللوازم لكان من يكفر أحداً من المسلمين بهذه الآراء أولى بأن يحكم بكفره ، بل يمكن الاستدلال على كفره ابتداء بأنه افترى على الله وشرع لعباده مالم يأذن به

بل أقول ان جميع هؤلاء الائمة مجمعون على أن آراءهم الاجتهادية ليست شرعاً دينياً يجب اتباعهم فيه، وأنهم ليسوا إلا باحثين فيما شرعه الله تعالى لعباده مبينين لما يفهمونه منه ، وانه لايجوز لاحد العمل به إلا من ظهر له صحة دليله واقتنع به. وقد فصلنا هذا بدلائله وبالنقل عنهم رضي الله عنهم في مواضع من مجلة المنار، ومنها ماجمع في كتاب [الوحدة الاسلامية] وكتاب [يسر الاسلام، وأصول التشريع العام]

أطلت في هذه المسألة على ما سبق في معناها لفشو الجهل بها على عظم شأنها ، وأنتقل منها إلى بيان ما جاء في الكتاب العزيز في مسألة التحريم والتحليل والحرام والحلال في المعاملات المالية ، ثم إلى مجمل ما ورد في الاحاديث النبوية الصحيحة من النهي عن بعض المعاملات المالية ، وحكم هذه المناهي ومذاهب الفقهاء فيها . ثم أثني على ذلك بما عليه أهل هذا العصر في الاقطار الاسلامية التي تعامل شعوب الحضارة ودولها من المعاملات التجارية والشركات المالية ، وما هو محرم منها في دين الاسلام وما هو غير محرم ، وأستغني بهذا عن إفتاء من يستفتونني في هذه المسائل من الشرق والغرب وأبدأ ببيان الدلائل على أن التحريم الديني حق الله تعالى فأقول :

نصوص القرآن في التحريم الديني

(وكونه لله تعالى وحده)

ان التحريم الديني هو حق الله تعالى على عباده فليس لأحد من خلقه حق أن يحرم عليهم شيئاً إلا باذنه في وحي منه ، فكل ما قاله ويقوله الفقهاء في التحريم الديني باجتهادهم غير مستند إلى نص صريح من الشارع فهو باطل كالقول في أصول العقائد والعبادات ، دون صفة الاداء كالقبلة . ومن أدلة هذه القاعدة ما يأتي :

(١) قوله تعالى (٤٢ : ٢١ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله)

(٢) قوله تعالى (١٦ : ١١٦ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب) الآية

(٣) قوله تعالى (١٠ : ٥٩ قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا : قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون ؟) ويدخل في هذا ما أنكره على المشركين وذمهم عليه من تحريم بعض الحرث والانعام عاما أو خاصاً في آيات معروفة

(٤) قوله تعالى (٧ : ٣١ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) وفي تحريم الطيبات وتحريم الاطعمة آيات أخرى ليس هذا محلها

وقد اشترط أئمة العلم من السلف كالحنفية ان التحريم لا يثبت إلا بنص قطعي من الشارع بل قال بعضهم من القرآن دون الدليل الظني وسيأتي بيانه

شهر رمضان موسم العبادة الروحية البدنية الاجتماعية

كتبنا في السنين الخالية ، ونشرنا في مجلدات المنار الخالدة ، مقالات كثيرة في أحكام الصيام وحكمه وفوائده الصحية المتفق عليها عند الاطباء والاجتماعية التي تتفق فيها العادات، في مواعيد الطعام والدعوات عليها بين الاقران، والصدقات على الفقراء ، والاجتماع على بعض العبادات الخاصة بهذا الشهر كصلاة التراويح ومجالس الوعظ وتلاوة القرآن ، ولكل من هذه العبادات والعادات الاسلامية تأثير في النفس وشعور روحي خاص يزيد المؤمنين إيمانا بربهم ، ومودة بينهم ، وقوة في رابطتهم ، والذين لايصومون محرومون من حلاوة هذا الشعور الشريف وإن شاركوا المؤمنين في بعض ظواهره

وشر هؤلاء المفطرين من لا يشعر بألم حرمانه من هذه الحلاوة الروحية والعاطفة الملية ، كأنهم من الحيوانات أو الحشرات ذات الحياة الفردية ، فاني أظن أن ما يعيش عيشة الاجتماع منها كالنمل والنحل تشعر أفراده بلذة خاصة في تعاونها الاجتماعي فوق اللذة بتوفية أبدانها ما فيه قوام حياتها الشخصية والنوعية، وأعتقد أن جميع البهائم خير لأنفسها من فساق البشر المجرمين، وأن الصيام خير مانع للفسق وجناية الانسان على نفسه وعلى غيره، لافي أثناء صيامه فقط بل في كل آن اذا كان صيامه عبادة لاعادة . والفرق بين الصيامين أن من يترك الشهوات البدنية في النهار مجاراة لاهل ملته في أيام معدودات هي أيام شهر رمضان لايعدو عمله أن يكون تغيير عادة من العادات بتحويل ما كان يفعله في النهار إلى الليل، وهو لايخلو من الفوائد البدنية والاجتماعية ، وإنما صيام العبادة بالنية والاحتساب أي رجاء ثواب الله ومرضاته ، وآيته أي علامته الظاهرة زيادة الطاعة ولا سيما الصلاة واجتناب الآثام كصيانة اللسان من فحش القول والغيبة والنميمة والكذب، ولا شيء أدل على صيام العادة كترك الصلاة وكذا تأخيرها عن وقتها، كالذين يسهرون ثلثي الليل في اللغو المنهي عنه ليؤدوا سنة السحور في الثلث الاخير ثلث التهجد والاستغفار في الاسحار ، فيتسحرون وينامون، وأكبر ما يخسرونه جماعة صلاة

الفجر التي يشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار ويشهدون لأصحابها عند الله تعالى كما ورد في تفسير (ان قرآن الفجر كان مشهودا)

وقد ورد في الحديث عند الامام احمد وغيره « الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة » أي كالغنيمة التي ينالها الجيش من الاعداء بدون حرب ولا قتال، من حيث إنه لا يجوع الصائم فيه ولا يعطش في الغالب، لقصر النهار وعدم الحر، ويفسره حديث «الشتاء ربيع المؤمن» رواه احمد وأبو يعلى من حديث أبي سعيد الخدري (رض) باسناد حسن، ورواه البيهقي بزيادة « قصر نهاره فصام، وطال ليله فقام » أي قام فيه للتهجد بغير مشقة كصيامه وهو بهذه الزيادة ضعيف السند قوي المتن لأنه مفسر لما قبله فكل منهما يقوي الآخر

وإن أهم ما ينبغي بيانه في هذه الذكرى أن من يستحل الافطار في نهار رمضان كله بغير عذر شرعي من مرض أو سفر يكون كافراً مرتداً عن الاسلام فيبطل عقد زواجه إن كان متزوجاً ويحرم على زوجه أن تعامله معاملة زوجية، واذا مات في هذه الحالة أي من غير توبة لا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين وهو كذلك لا يرث ولا يورث، وحكم هذه الردة مجمع عليه لاخلاف فيه بين المذاهب الاسلامية . ولكن من الناس من لا يعرف معنى الاستحلال المخرج لصاحبه من دين الاسلام في هذه المسألة وغيرها كاستحلال ترك الصلاة والزكاة وفعل الزنا والسرقة والسكر وغير ذلك مما هو معلوم من الدين بالضرورة، فيظن ان معناه أن يعتقد أن ذلك حلال في نفسه فقط فان اعتقاد حله ينافي كونه معلوما من الدين بالضرورة، وانما الاستحلال هنا عدم الاذعان لحكم الشرع فيه وعده بالعمل كالمباحات من الشرب والأكل في نهار رمضان أو في لياليه، أو عد شرب الخمر كشرب الماء والاستمتاع بالاجنبية كالاستمتاع بالزوجة، لا لشعوره بحرمة الاوامر والنواهي الالهية ولا بالحاجة الى التوبة والاستغفار

فمن أبعد هذا المعنى أن يقع من مؤمن بالله ورسله وشرعه، بخلاف من يشتد عليه الجوع أو العطش فتغلبه شهوته على الأكل والشرب وهو يشعر بذنبه واستغفار ربه فهذا عاص لا كافر لأنه غير مستحل، وقلما يقع لمسلم في صيام مثل هذه الأيام من فصل الشتاء الذي سماه النبي ﷺ الغنيمة الباردة

وفيات الاعيان

﴿ الرزيئة القومية الوطنية بالشيخ محمد الجسر ﴾

قبيل فجر يوم الاحد ثالث شهر شعبان (١١ نوفمبر - تشرين الثاني) من هذا العام (١٣٥٣ هـ ١٩٣٤ م) رزئت الامة العربية والوطن السوري اللبناني بوفاة رجل لا كالرجال ، وفرد لا كالأفراد، بل علم لا تطاوله الاعلام : رزئنا بأخينا الشيخ محمد الجسر أبرع نابغة سياسي وطني، ابن استاذنا ومربينا الشيخ حسين الجسر أنفع عالم ديني عصري ، ابن الشيخ محمد الجسر أورع صالح صوفي، ثالث ثلاثة أنبتتهم لهذه الامة رياض مدينتنا طرابلس الشام ، فكان رزؤه مصابا كبيرا عاما لجميع أهل هذا الوطن على اختلاف أديانهم ومذاهبهم السياسية المتباينة التي لم تجمعها على غيره جامعة ، وانما كان إجماع طوائفهم على إكبار المصاب به فرعا لاجماعها على الاعجاب بعلمه بزمنه، وأدبه في معاشرته ، وعدله في حكمه ، وبراعته في سياسته ، مزايا لم تتفق في هذا الوطن لغيره ، بل أقول إن إجماع طوائف هذا الوطن على الاعتراف بها لرجل من أهلها معجزة من معجزات النبوغ العقلي، والتوفيق العملي

فحق لطرابلس أن تفتخر به على الامصار ، وحق لهذا البيت الاسلامي أن يباهي به البيوتات من جميع الاديان ، وحق لهذا الوطن أن يفيض حزنا ويذوب أسفا على هذا النابغة الذي فقده في أشد أوقات الحاجة اليه ، وقد كملت حنكته، وتمت خبرته ، وعمت الثقة به ، في بلاد تأبى عليها ذلك تربيتها الدينية وتقاليدها الطائفية، وتعاليمها المدرسية، التي لا نظير لها في وطن من أوطان أمة من أمم الارض

وأغرب مدارك هذا الاعجاز في ثقة نصارى لبنان بالشيخ محمد الجسر العالم المسلم المعمم ابن الشيخ حسين الجسر الذي انتهت اليه رياسة علماء الاسلام ، حفيد الشيخ محمد الجسر أشهر صلحاء صوفية المسلمين بالولاية والكرامات ، أن ينال هذه الثقة في عهد سيطرة الدولة الفرنسية على لبنان واعتزاز نصارى لبنان بها ، وهي التي تمد شنشان الاسلام ومجاهدة أهله من أسس تقاليدها السياسية والصليبية الثابتة التي لا تتغير ولا تتبدل ولا تتحول

كان الشيخ محمد الجسر أحد الافراد الذين شذوا دون طائفتهم باظهار الميل إلى الاحتلال الفرنسي فسخطت عليه وكان مسلمو بلده (طرابلس) أشدهم سخطا لخيبة رجائهم فيه أن يكون أول حامل للواء الوطنية فيهم، لانه أجدرهم بمعرفة خطر هذه السيطرة عليهم في دينهم ودنياهم ، ولم يكن يختلج في خاطر أحد منهم أن يكون أقدر رجل فيهم بل في بلادهم كلها على خدمة هذا الوطن الذي دهي بأثقل الدواهي القاصمة والفواقر المفقرة ، فيكون البدر الطالع في غاسق الظلم إذا وقب، والطبيب الآسي لشر سحرة السياسة النفاثات في العقد

كان أول منصب ظهر فيه للطوائف كلها فضله منصب القضاء الاهلي برياسة محكمة الجنايات للجمهورية فشهد له جميع المتقاضين وجميع العارفين بضعف القضاء في البلاد بأنه أعطى العدل والمساواة جميع حقوقهما حتى حكي عن بعض من كانوا أظهروا له العداء من إحدى الطوائف النصرانية أنهم وقعوا بين يديه في قضية يخفى مسلك الحق والعدل فيها ، ويتسنى للقاضي الجائر أن يتصرف كيف شاء في الحكم لمن يميل له أو عليه من خصومها ، وظنوا أنه آن له أن ينتقم منهم، ولم يلبثوا أن رأوا من عدله وإنصافه المالك عليه زمام أمره ما بدل خوفهم أمنا ، وبغضهم له حبا

ليس كثيرا على شيخ مسلم سليل بيت الفقه والتصوف وقد تولى رياسة محكمة الجنايات واؤتمن على الدماء، أن يكون عدلا في القضاء ، فهذا فرض يوجبه عليه دينه عقيدة وعلما وتربية ، فنص القرآن يوجب المساواة في العدل بين جميع الناس كبيرهم وصغيرهم ، غنيهم وفقيرهم ، قويهم وضعيفهم ، برهم وفاجرهم، مؤمنهم و كافرهم ، وانما بزغ نبوغ ابن الجسر كالشمس في توليه رياسة مجلس النواب اللبناني ست سنين كان يديره فيها كما يدير خاتمه في خنصره، فلا يتعاصى شيء على إرادته، فأعجب بسياسته وكياسته الوطنيون والاجانب على سواء

حتى اذا ما انتهت المدة القانونية لرئيس الجمهورية اللبنانية وأريد انتخاب الرئيس الذي يخلفه علم موسيو بونسو مندوب فرنسة السامي ورجاله كغيرهم أن السواد الاعظم من جميع الطوائف منتخبون الشيخ محمد الجسر لا محالة، حتى نواب الموارنة الذين يعدون لبنان بتأييد فرنسة لهم وطنا نصرانيا مورانيا كما صرح بذلك بطركهم

فكبر على غبطته أن يكون الشيخ رئيس جمهوريته ، ورأى أن المندوب السامي الفرنسي قد أظهر ارتياحه لانتخابه، ورضاه برياسته، فلجأت الى حكومة باريس العليا حتى أصدرت امرها الى مندوبها بوجوب منع هذه الكارثة ، فاذا يفعل وقد تجلى له انه عاجز عن منع انتخابه، وأن جلاء فرنسة عن لبنان وسورية أيسر خطبا من جعل رئيس جمهورية لبنان شيخا مسلما معمما ؟ لم ير حيلة للتفصي من هذه المعضلة إلا إقناع الشيخ بترك ترشيح نفسه لها، فبذل المستطاع من دهائه وأمانيه له، فأبت قناة الشيخ أن تلين لغمزته وحية دهائه أن تستجيب لرقيته ، فلما أيقن أن الانتخاب مفض إلى جلوسه بعمامته البيضاء على كرسي رياسة الجمهورية لم يجد مناصا من هذه النتيجة إلا إصدار أمره الدكتاتوري بالغاء دستور لبنان من أساسه

أكتب هذا مؤبنا ، لا مؤرخا له مدونا لسيرته، فاني أرجئها الى الجزء التالي وأقتصر هنا على بيان أكبر ما أحاط باعجابي من مزايا نبوغه الذي انفرد به ، فكان جديرا بحزني وحزن وطنه وأمته عليه ، وشعورهم بعظم الخطب بفقده بعد اكتمال حنكته واستعداده لما يرجى من الرجال العظام الافذاذ ، الذين لا يظفر تاريخ الامم بأمثالهم الا في بعض الاجيال ، عسى أن يكون في هذا التنويه عبرة للمنافقين الذين يظنون ان العظمة في نيل المناصب والرواتب ، ولو بخيانة الامة والوطن والاخلاص في العبودية للاجانب ، وأنى للمنافقين في صغار أنفسهم أن يعقلوا معنى العظمة الصحيحة ، أو مادونها من مراتب الفضيلة ؟

لا شيء يعزينا عن فقيدنا العزيز إلا ماروي لنا من تحقق ما كنا نتمناه من كتابة مذكرات حرة دون فيها ماعلمه وخبره في أثناء معالجته للامور العامة ومعاشرته للعاملين من الوطنيين والاجانب ، فهذه المذكرات كنز نفيس هي خير عوض تفيد الامة أنفع ما كانت ترجو أن تتلقاه منه ، ولكن الذي لا عوض عنه هو ما كانت ترجوه من عمله عند ماتتاح الفرصة للعمل ، بعد التمهيد له بالثقة وجمع الكلمة الذي لا ينهض بدونه وطن، فالمرجو من نجله الكبير وصنوه الكريم ، أن يعجلا بنشر كل ما يمكن نشره منها ، ونسأل الله تعالى أن يحسن عزاءهما ، ويطيل بقاءهما، وينفع الامة بهما ، وأن يديم ذكر هذا البيت فخرا وذخرا لهذا الوطن المسكين ، ويفرغ عليهما وعليه الصبر في هذا المصاب والله مع الصابرين

غاية مصطفى كمال من مراحله

لما علمت أن مصطفى كمال باشا صرح بأن له غاية يجري اليها في مراحل مقدرة، ورأيته قطع ثلاث مراحل منها ، ايقنت بالحدس المنطقي ان غايته أن يؤسس بالجمهورية التركية اللادينية دولة جديدة وقد فعل ، وامة جديدة تسمى تركية الى ان يتم تكوينها ثم تسمى باسمه فهو يقبل دخول كل عنصر فيها اذا قبل مقوماتها ومشخصاتها التي يقترحها وينفذها بالقوة – وامة جديدة غير الامة التركية المعروفة في تركستان وفي الاناضول ولكنها مركبة منها ومن اللغات اللاتينية ولا سيما الفرنسية وتكتب بحروفها حتى اذا نشأ عليها وحدها جيل جديد بعد الجيل الأول المخضرم نسبت اليه وتنقطع الصلة بين هذه الامة وجميع لغات الشرق الاسلامية ولا سيما العربية التي سبقه ملاحدة الاتحاديين الى مناوأتها ، واقدم هو وحده على الاجهاز عليها وقطع دابرها من الشعب التركي في مراحل خاصة بها ، وهو يعتقد انه لايتم له الاجهاز على الدين الاسلامي ومحو جميع آثاره من هذا الشعب الا بذلك ، ويظن أنه متفق مع زعماء البلاشفة على الانتهاء الى الالحاد والتعطيل بيد أنه يلوح لي أنه إن طال عمره وبلغ آخر هذه المرحلة فانه يضع لهذا الشعب الذي سينسب اليه دينا جديدا مستمدا من الديانة الطبيعية التي وضعها لاوربة بعض فلاسفتها ، فاستحسنها جميع شعوبها وعدوها موافقة للعقل والحضارة والسياسة ولكن لم يتدين بها أحد لان مصدر الدين الموافق للفطرة لا بد أن يكون مصدره غيبيا فوق سلطان العقل البشري لأنه هو ما يعجزها في كل ما تعجز عنه عقول البشر في الدنيا ، وهو وجهتها الروحانية الى ما تحتاج له وترتقي اليه من عالم الغيب

يظن الملاحدة الماديون أن الانبياء المرسلين هم الذين وضعوا الاديان التي دعوا اليها فيزين لبعضهم غرور القوة إمكان محوها ، ولبعض آخر أن يخضعوا أقوامهم الضعفاء إخضاعا دينيا كما يخضعونهم اخضاعا سياسيا واجتماعيا ، ولا تزال اكثر شعوب البشر ضعيفة قابلة لتجارب عجيبة كتجارب البولشفيك في الروس ومصطفى كمال في الترك ، ولكل بداية غاية ، وكل شيء بلغ الحد انتهى

مطبوعات جديدة

﴿ كتاب السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات ﴾

تأليف الداعي إلى السنة والصاد عن البدعة ، الشيخ محمد عبدالسلام خضر الشقيري الحوامدي مؤسس الجمعية السلفية بالحوامدية (جيزة) قال في طرته «قد ذكرنا فيه ٧٠٠ حديث مابين صحيح وحسن وقليل من الضعيف المقبول الوارد في الترغيب والترهيب، و ٩٦٠ بدعة أو أكثر في الصلوات والأذكار والصيام والحج وغير ذلك — و ١٣٠ من الاحاديث الموضوعة والخرافات الفاشية بين المسلمين»

كثرت الجمعيات الدينية في هذه البلاد، وان لبعضها مجلات، وأكثرها تعقد الاجتماعات لالقاء الخطب والمحاضرات ، وان من مؤسسي بعضها لعلماء رسميين من خريجي الازهر وغيره من المعاهد الدينية ، وآخرين من خريجي مدرسة دار العلوم وغيرها من المدارس الاميرية ، وأما الجمعية السلفية الحوامدية فهي تمتاز باشتغال رئيسها بكتب الحديث والدعوة إلى الاهتداء بها ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر بأدلة كتب السنة، فأعضاؤها يتناهون عن جميع البدع والمنكرات في الدين ، وينكرون على كل من يزعم أن البدعة الدينية تنقسم إلى حسنة وسيئة، ولا يقبلون قول أحد من الاحياء ولا الميتين في تحسين بدعة ولا تأويل سنة مما اهتدى به السلف الصالح ، وهم لم يتخذوا جماعتهم عصبية ولا كتب مؤسسها مذهبا يتعصبون له كالسبكية ، بل يقبلون نصيحة كل من ينصح لهم بعلم ويقبلونها،

وقد جربت مرشدهم وداعيتهم بالنصيحة فالفيته يقبلها مغتبطا مسرورا داعيا لي ، ولما رأيته في أول رسالة له ينقل الاحاديث النبوية من غير عزوها الى مخرجيها، وبيان ماقالوه في تصحيحها أو تضعيفها كما يفعل أكثر المؤلفين المعاصرين ومحرري المجلات حتى مجلة الازهر منها وانكرت عليه ونصحت له بالمراجعة وتخريج الاحاديث فقبل النصيحة ونوه بها في هذا الكتاب

ومن فوائد هذا الكتاب بيان البدع والخرافات الفاشية في هذه البلاد ، وإنكاره على العلماء الرسميين إقرار العامة عليها، وتأويل بعضهم لها بما يضلهم ويخدعهم بأنها مشروعة ، وصفحاته ٣٢٠ وثمن النسخة منه ٧ قروش ما عدا أجرة البريد

﴿ الثورة العربية الكبرى ﴾

للاستاذ أمين سعيد المحرر في جريدة المقطم عناية بدرس أطوار الشعوب الشرقية عامة والامة العربية خاصة ، فهو يجمع ما ينشر في الصحف والمصنفات الجديدة من أخبارها وأحداثها ويفصلها فصولا ويجعلها أبوابا وفهارس لتسهيل الرجوع اليها ، وقد ألف عدة كتب أبسطها وأتمها كتاب (الثورة العربية الكبرى) عرف موضوعه بقوله « تاريخ مفصل جامع للقضية العربية في ربع قرن » الذي أصدرته في هذا العام مطبعة (عيسى البابي الحلبي وشركائه بمصر) في ثلاثة أجزاء أو مجلدات موضوع الاول (النضال بين العرب والترك) وهو الحلقة الاولى من هذا التاريخ وفي مقدمته الكلام على الدولة العثمانية وتاريخها القديم والحديث مع العرب والجمعيات العربية التي أفضت إلى الثورة ، وموضوع الثاني (النضال بين العرب والفرنسويين والانكليز) وهو يشتمل على الحلقة الثانية منه وهو تاريخ الحكومة الفيصلية من قيامها حتى سقوطها مع تاريخ القضية العراقية من ابتداء الحرب العظمى حتى إنشاء الدولة الجديدة في بغداد سنة ١٩٢١) وموضوع الثالث (إمارة شرق الاردن وقضية فلسطين وسقوط الدولة الهاشمية وثورة الشام) وهو أكبر الاجزاء تبلغ صفحاته ٦٥٢ فهو يزيد على حجم اللذين قبله وصفحات أولها ١٣٠ وثانيهما ٣٣٦

لقد كان هذا الكتاب حاجة في نفس الامة العربية مهدها لها كاتب من أبنائها يجمع لها ما لم يجمعه غيره من مواد تاريخها الحديث فاستحق شكرها بالقول والعمل فشكر القول الثناء عليه ، والتنويه به باللسان والقلم ، ومنه نقده ببيان ما فات المؤلف من الوثائق ، وما نقصه من الحقائق ، وتمحيص ما لم يمحصه من المسائل ، وشكر العمل قراءة الكتاب ونشره الذي يساعد المؤلف على المزيد من اتقانه وتكميله في طبعة أخرى وتصنيف غيره من الكتب النافعة . وأرجو أن يكون لي عودة اليه بعد أن يتاح لي مطالعة الكثير منه . وإن فيما نشرته في مجلدات المنار من قبل وما لا ازال أنشره من سيرة الملك فيصل رحمه الله تعالى لحقائق عظيمة الشأن بعيدة الغور في تاريخ امتنا الحديث والوحدة العربية التي كنت في طليعة من كتب فيها ومن دعا اليها والله الحمد

فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صُوى و«مناراً» كمنار الطريق

٢٩ رمضان سنة ١٣٥٣ برج الجدي سنة ١٣١٣ هـ ش ٥ يناير سنة ١٩٣٥

مأساة أميرة شرقية

نقد وتحليل بقلم الأستاذ العلامة المصلح الشيخ محمد تقي الدين الهلالى

بسم الله الرحمن الرحيم

نشرت مجلة (The Illustrated Weekly of India Bombay
المصور الأسبوعى للهند ببماى فى ٢٧ أغسطس ٩٣٣) ضمن سلسلة مقالات فى تاريخ الشرق للكاتب الانكليزى (كراهام لويس) مقالا تحت عنوان „ مأساة أميرة عربية „ ارتكب فيه أخطاء عظيمة . وها أنا ذا مترجم مقاله فراد عليه بما يجلي الشبهة ويوضح الحقيقة بعد مقدمة وجيزة فى بيان سبب كثرة الأخطاء والأغلاط الجهلية ، والخطيئات العمدية . التى تكثر جدا فى كل ما يكتبه الافرنج عن الاسلام والمسلمين ، والشرق والشرقيين

مقدمة فى أخطاء المستشرقين وخطاياهم

أيجوز أن تتلق بالقبول كل ما يكتبون عن الشرق؟

لهؤلاء العلماء الاوربيين الذين يتسمون بالمستشرقين أخطاء ، ولهم خطيئات أيضا . أما أخطاؤهم فنشؤها القصور ؛ لأن أكثرهم إذا لم يكن كلهم يتعلمون الآداب والعلوم الشرقية بأنفسهم بمطالعة الكتب ، ويستعينون بتراجم أمثالهم ممن سبقهم ، فيلمون باللغات والعلوم إلماما ضعيفاً لا يمكن صاحبه أن يجلس على منصة الحكم ويقضي بالقسطاس المستقيم ، والكتب وحدها لا تهدي ضالا ولا تعلم جاهلا ، وما أحسن ما قاله أبو حيان النحوي وإن كان قد أخطأ فى إيراده بالتعريض بالامام ابن مالك

يظن الغُمر أن الكتب تهدى أخا فهم لادراك العلوم
ومن يُدري الجهول بأن فيها غوامض حيرت عقل الفهيم
إذا رمت العلوم بغير شيخ ضللت عن الصراط المستقيم
وتلتبس الأمور عليك حتى تكون أضل من تُوما الحكيم[١]

وقد قيل : لا تأخذ العلم عن صحفي ، ولا القرآن عن مُصحفي[٢]

فأكثر المستشرقين صحفيون فى العلوم الشرقية . ولنضرب لذلك مثلا (جورج سايل) أول من ترجم القرآن إلى الانكليزية، وهو أحد الثلاثة الذين شهد لهم العلامة أحمد بن فارس الشدياق رحمه الله بالمعرفة الحقيقية للغة العربية وحكم على سائر المدعين لمعرفتها على عهده فى البلاد البريطانية أنهم لا يعلمون . ولذلك قرأت شيئاً من ترجمته فوجدت فى الجزء الأول من القرآن أربعين غلطة وكتبت فى ذلك مقالات نشرتها فى مجلة الضياء الهندية فى السنة الماضية (١٣٥٢)

ومثال آخر رسائل أبى العلاء المعري ترجمها الى الانكليزية عالم انكليزى نسيت اسمه وطبعت فى أوربة ، طالعتها فوجدتها مشحونة بالأغلاط .

ومثال ثالث ترجمة محمد مار ماديوك العالم الأديب الشهير صاحب مجلة « اسلاميك كلتشر » أي الثقافة الاسلامية وله تصانيف جياد

---

(١) المنار : اشتهر اسم توما الحكيم حتى مضرب المثل في الجهل المركب من جهلين الجهل بالامر والجهل بهذا الجهل ؛ - اذقال الشاعر فى هجائه : —

قال حمار الحكيم توما لو أنصف الناس كنت أركب
لأنني جاهل بسيط وصاحبي جاهل مركب

(٢) الصحفى من يأخذ العلوم عن الصحف بدون تلق عن العلماء . وهو بالتحريك نسبة الى الصحيفة لأن العرب تنسب الى المفرد لا الى الجمع ، والمصحفى من يتلقى القرآن من المصحف لا عن القراء الحفاظ وكل منهما يكون كثير الغلط والخطأ

قرأت شيئاً من ترجمته للقرآن فوجدت فيها أغلاطا واضحة جدا ، وكتبت اليه بشيء منها فاعترف وأجابني شاكرا وطالبا المزيد ، الا في غلطة منها فانه أبى أن يعترف وعميَ عليه فهم الصواب فيها وهي في قوله تعالى (ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) ومثيلتها قوله بعد ذلك (ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون) ترجمها بما معناه أليسوا سفهاء الخ ووضع علامة الاستفهام في آخر الجملة وكذلك صنع بالتي بعدها ، فلم يميز بين (ألا) المركبة التي هي همزة الاستفهام ولا النافية كقوله تعالى (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير؟) وقول الشاعر:

ألا اصطبار لمن ولت شبيبته وآذنت بمشيب بعده هرم

وبين «ألا» الاستفتاحية البسيطة كما في الآية ، وفي قول امرىء القيس : ـ ألا أيها الليل الطويل ألا انجل ـ البيت ، فكتبت اليه جوابا وضحت له المسألة فرجع الى الاعتراف وقال : انني متعجب جدا من عدم انتباه الأستاذ الغمراوي لهذه الأغلاط ، وأنا قد اعتمدت عليه في تصحيح الكتاب ، وأقمت سنتين في مصر بقصد تنقيحه

ولو كان الزمان مواتيا والفرصة سانحة لصححت ترجمته من أولها الى آخرها ، لأنها أول ترجمة قام بها انكليزي مسلم وآخرها أيضا ، وان لم تسلم من الأغلاط المعنوية أيضا ، ولكنها على كل حال أفضل من تراجم النصارى

وأما الخطيئات فيرتكبها ثلاثة أضرب من المستشرقين :

(الضرب الأول) هم القسيسون المتعصبون كجورج سايل المتقدم ذكره ومارجليوث وزويمر ومن على شاكلتهم ، والحامل لهم على ارتكابها شدة بغضهم للاسلام وللشرق كله من أجل الاسلام .

(الضرب الثانى) السياسيون المستعمرون وغرضهم معروف ،

(الثالث) الأدباء الذين لا يترفعون عن الكذب وزخرف القول ليكتسبوا بذلك المال الوافر والشهرة الواسعة، واعجاب القراء الاوربيين الجاهلين ، الذين يصدقون كل ما يقرءون عن الشرق والشرقيين

ولعل (مستر لويس كراهام) محرر المقالات الشرقية الأدبية التاريخية فى مجلة « المصور الأسبوعى » التى تنشر باللغة الانكليزية فى مدينة (بمباى — الهند) من هذا الضرب الأخير ، فانه كتب مقالا فى المجلة المذكورة بتاريخ . . . . . . تحت عنوان (مأساة أميرة شرقية) وملأه بالأكاذيب والاخطاء والخطايا ، وستقف على ذلك فترى كيف يعبث كتّاب أوربة بالحقائق ، ويتحدثون عن التاريخ العربى بما يشبه قصص ألف ليلة وليلة ، لا فيما ينشر فى بلادهم فقط ، بل فيما ينشر فى الشرق الانكليزى وأكثر المستعمرات وشبه المستعمرات أيضا . ونحن عن ذلك غافلون أو متغافلون

قبل الشروع فى نخل مقال كراهام ووضعه على محك النقد يجب عليّ أن أعترف بأن هنالك قسما رابعا من المستشرقين هم بريئون من تعمد الخطيئات ومبرءون عنها ، وكانوا قبل هذا الزمان قليلا جدا ، فمنهم توماس كارليل وجيبون وكوثى ، وأما فى هذا العصر فهم بحمد الله كثير لا يحصون ، ولكن الخاطئين أكثر منهم بكثير، بل لامناسبة بينهم . فيجب علينا أن نفتح عيوننا ، وننظر ماذا يقال عن أدبنا وتاريخنا فى الصحف والمجلات (السينمات) ودور التمثيل وسائر الأندية ، ونغبر فى وجوه المبطلين اهـ

قال لويس كراهام:

الجمال فى النساء يجلب لمن تحلت به كفلين متساويين من سعادة وشقاء. وصحف التاريخ طافحة بالحوادث التى أتاح الحسن فيها للمرأة الثراء والغنى، والمكانة، والنعيم، والعذاب.

يظهر أن كل صورة ظهرت ملأى بالنور والغبطة تكون خاتمتها أبداً ظلمة وانحطاطا من شامخ الى هوة سحيقة.

ليلى بنت الجودى الغسانى رئيس القضاة وُهب لها جمال زاهر يحرق قلوب الرجال ويبعث أهواءهم. لقد اشتهرت شهرة واسعة بالجمال الفاتن منذ صباها. ولم تلبث أن تزوجت بمالك بن نويرة، وكان مالك صديقا حميما للبطل الاسلامى العظيم «خالد بن الوليد» ولأسباب خارجة عن هذه القصة أتى مالك عملا جعل خالدا لايثق به. وساءت العلاقات بينهما جدا، حتى انتهى ذلك الى أن صار كل منهما رئيساً لفرقة معادية للأخرى، وكلتا الفرقتين تبذل أقصى جهدها للفتك بالاخرى بحجة شرعية فى معتقدها الخاص. ولم تدم هذه الواقعة طويلا حتى وقع البائس مالك بن نويرة هو وحليلته ليلى اسيرين فى يد خالد

والآن قد ألممنا بشىء من وصف ليلى نقول انها وهبت قلبها لزوجها، وعزمت على أن تبذل كل مرتخص وغال فى الدفاع عنه لتربح حياته، وكانت النساء إذ ذاك محتجبات، وكان كشف وجوههن يعد خزيا وعاراً، ومع ذلك تزينت ليلى بحليها، وأرادت أن تجعل حسنها شفيعاً في زوجها، فعزمت على أن تقصد خالداً تطلب منه الرحمة، وتظهر أمامه سافرة، وتضم إلى حسنها شفيعاً آخر وهو أعذب ما تقدر عليه من الكلام لعله يهب لها حياة مالك

كانت تلك الليلة ليلة لهو وطرب وسرور، وانبساط وشرب خمور، في معسكر خالد ، والجنود مغتبطون قاعدون حول النار يصطلون ، ويعددون أعمال ذلك اليوم «الوقعة» . وبينما هم كذلك اذا بشبح متزمل بعباءة كثيفة يجتازهم حتى يقف أمام فسطاط خالد ، فما هي إلا همسة يهمسها الشبح للحارس حتى يلج الفسطاط ويرى خالداً مضطجعاً على سريره ليستريح ، وكانت ستائر الخيمة من الجوخ العالى الذى أخذ من الغنائم - وذلك السرير بعينه جاء من قافلة فارسية . وكان الفسطاط مضاء بنور ضئيل ، ورائحة العود تعبق فيه وتزيده روعة وجلالا ، وما وقع بصر خالد على الشبح حتى نزع العباءة الضخمة التى كانت تحيط به ، وظهرت ليلى أمام خالد ، ولم تلبث الا لحظة حتى جثت على ركبتيها ، وتفجر من بين شفتيها الجميلتين جدول منحدر من الكلام ، وكأن قلبها في مخالب طائر ، وأسعدتها عيناها ففاضت بالدموع ، فرأت ابتسامة على شفتي خالد ، واها ! لقد نجحت ! لقد أذاب جمالها قلب القائد الحربي الحديدي ، سرت ليلى بذلك

بغتة يكسر صوت خالد ذلك السكون وكان صوته غليظا خشنا من الغضب ، ما كادت ليلى تسمع رنين لفظه حتى جحظت عيناها من الرعب ، ولما رأت الرجل الذي دعاه خالد فزعت منه وأرادت ان تجفل ولكن دمها صار جمداً حين سمعت نص الحكم الذي فاه به القائد — اضرب عنق مالك في الحين ، وادع لى اماما يعقد لي على ليلى الآن

أما الرعب والفزع الذي وقع لهذه المرأة السالبة للعقول فلا يمكن وصفه. فتصور القارىء له خير من أن أصفه له ، فكرت ليلى لحظة وهي في غاية الاضطراب فتحققت أن جمالها هو الذي خذلها وأسلمها . لقد أنتج

عملها ضد المقصود ، فبدلا من أن توقظ رحمة خالد أيقظت هواه. لم يضع شيء من الوقت فبي الحال أبلغ البائس مالك الحكم ، وما شعرت ليلى وهي لا تزال جاثية ذاهلة أمام سرير خالد الا وصوت مالك يرشق قلبها المثقل بالآلام ضغثاً على ابالة ,, هذا هو سر القضية ، ما قتلني الا انت ،، .

وهكذا صارت ليلى زوجا لخالد لاعنة جمالها الذي كان نكبة عليها

حقا لقد كان جمال هذه المرأة مدهشا ، وناهيك أنه في وقعة عقرباء جالت جنود خالد جولة (انهزمت انهزامة قليلة) فهجم العدو على فسطاط خالد ، وكان سيدهم (مجاعة) قد أسرته خيل خالد من قبل ، فوجدوه مطروحا هناك موثقا ، فأراد هؤلاء البدو المتوحشون أن يقتلوا ليلى . لكن جمالها الفتان كان قد سرى في قلب (مجاعة) وعمل عمله ، فدفعهم عنها وأجارها منهم ، وأرادوا أن يفكوا أسره ، فأبى وفضل أن يبقى أسيراً عند ليلى ليمتع بصره بالنظر اليها حينا

واشتهر جمال ليلى وطار صيتها في الآفاق حتى صار الناس يتغنون به في المدينة ، فهاج هوى عبد الرحمن (بن أبي بكر) فأخذ يشبب بها ويتغنى بحبه لها ، وما زال هائما بها حتى أسعده الحظ بتزوجها فرفعها الى اعلى مكانة من الاجلال حتى هجر لأجلها نساءه وخليلاته (سراريه)

لكن ذلك الاجلال والعشق كان فارغا لأنه انما كان يحب الجمال الجسمي ، ضاربا عرض الحائط بجمالها النفسي ، كان زواجه غما عليها وحزنا ، لم تزل الاميرة البائسة تذكر مالكا وأيامه السعيدة . ولما وجدت نفسها في مستوى الحيوان الأعجم إن هي الا امتعة وملهاة، انقبضت نفسها ، واستولى عليها الهم ، وغلب عليها الصمت ، فنحل جسمها، وذبل جمالها فذبل معه حب عبد الرحمن لها

وفي خاتمة الأمر رجعت الى بيت أبيها لتقضى بقية أيامها في تفكير هادىء . وهكذا كانت عاقبة هذه المرأة العجيبة — كانت حياتها كما ترى حياة شاقة أدت لأجلها ثمنا عاليا حتى على حسنها وجمالها

(في الفسطاط)

صور الكاتب داخل فسطاط خالد صورة تضاهي غرفة أحد ملوك الهند في العصر الحاضر ، فهذه النارجيلة الطويلة قائمة منتصبة ، وهذه باطية بلورية مملوءة خمرا تحفها الكاسات النفيسة ، وهذه المباخر يتصعد في جو الحجرة دخانها ويعبق طيبها . وهذه المصابيح الجميلة معلقة يتوقد نورها ، وهذا خالد بن الوليد الذي اخترعته مخيلة كراهام مرتديا ثيابا فاخرة على الزي المصري تخاله أحد العمد المترفين جالساً على كرسي مزخرف بديع وتحت قدميه الحافيتين كرسي جميل لوضع القدمين ، وهاهي ذي المائدة البهية منصوبة عليها من الفواكه ألوان وافنان

وهذه ليلى ابنة الجودي عارية النصف الأعلى من جسمها تقريبا متزينة بأقراطها وفتخاتها وثلاثة أزواج من الأساور ، فزوج في عضدها وآخر أسفل قليلا من مرفقها وثالث في معصمها ، متجردة في سراويل بلا غلالة ولا درع ، وحجالها في أسفل ساقيها الى كعبيها ، غادة بيضاء ، وسيمة جيداء ، ملفوفة لفاء ، هضيمة الخصر عظيمة ما تحته ، طوالة زلجة برهرهة (ولولا التأدب مع المرحوم العلامة أحمد بن فارس صاحب الساق على الساق لأسهبت في سرد الأوصاف) ترى هذه المرأة الفتانة جاثية على ركبة واحدة ، محدقة النظر في وجه خالد العبوس ، جزوعا هلوعا ، مستعطفة مسترحمة بعينيها ومنظرها الذي يذيب الجماد ، بله ، جدول الكلام المنصب المنساب من شفتيها كما قال كراهام مخترع القصة نفسه

وأما خالد هذا الخيالي فيتصوره الرائي مقطب الوجه الا أن عينيه لا تستطيعان أن تخفيا ما سرى في جسمه ونفسه من الهيام بحسن هذه الدمية الجاثية بين يديه، وهي كما قال الكاتب (تراجيدي) أي مأساة ترق لها قلوب الأسود الهصر، والسباع الضارية، لو كانت حقيقية أو خيالية. أما وقد أساء مخترعها الى القراء بأن جعلها في الدعوى حقيقة تاريخية وفي الواقع خرافة خيالية فان ذلك يغض من روعتها ويقلل من تأثيرها ويشوش تصورها

فياليت شعري أكان كراهام لويس جادا أم هازلا، جاهلا أم متجاهلا، مستهزئا بنفسه ام بالقراء، ام بالتاريخ ام بالأدب، حين أخذ صورة امرأة خليعة من نساء الفرس الساكنين في بمباي ووضعها بين يدي صورة فلاح غني من ريف مصر في غرفة راجا هندي مترف، وقال للناس هذه صورة خالد بن الوليد القائد العربي، لا في بيعة بحمص او دمشق (فيكون الامر لولا النارجيلة والخمر قريبا) بل في معسكره بالبطاح من ارض بني تميم وهو في سرية متحفز لقتال اهل الردة ؟ لكن هذا الكاتب الظريف أبى له خياله الا ان يجعل فسطاطه مجلس كسرى او قيصر، واضاف اليه نارجيلة لئلا يحرم من زينة مجالس اولي النعمة والترف من أهل الشرق الاقصى . وليس على فكره بمستنكر ان يجمع الازمنة في زمان واحد، الامكنة المختلفة في مكان واحد، والاشخاص المتعددين في شخص واحد، كما سيأتي بيانه في تحقيق قصة ليلى ابنة الجودى. ولقد اعجبني جدا ماقاله الاستاذ معين الدين احد رفقاء دار المصنفين في رده على هذا الكاتب في مجلة معارف الأعظم كره بعد ان كذبه الكاتب واسدى اليه ما يستحقه من الاحتقار قال ما ترجمته : تصويره خالدا وفسطاطه كمن يصور المسيح على طيارة يحوم في جو باريس ويتفرج على قصورها . إه يتبع

التربية الاسلامية والتعليم الاسلامي

كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، تلوكهما الالسنة والاقلام ويجولان في جميع الاذهان ، ويتحدث بهما الرجال والنساء والولدان ، وقد أجمع الناس في هذا الزمان على أنهما مصدر السعادة للبيوت « العائلات » والشعوب أفرادها وجملتها ، ولو سألت كل فرد من أفراد هؤلاء الناس عن هذا الاجماع لأجاب انه حق لاريب فيه ، وانه من القضايا الضرورية التي لا يتوقف الحكم فيها على برهان ولا دليل .

ثم انك لو سألت كل واحد من هؤلاء عن تفسير هاتين الكلمتين وتفسير كلمة السعادة وعن الرابط بينها وبينهما الذي كانا بها علة أو سببا ، وكانت هي معلولة ومسببا أوسألته عما هو معروف الآن لكل مطلع على أحوال البيوت « العائلات » في بلده وأحوال الشعوب التي تشرحها جرائدها وتنشرها في العالم وعن تطبيق تلك القاعدة الاجماعية عليها في جملتها أو في تفصيل ما تشكو منه وتصفه من أنواع الشقاء في مصالحها الادبية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية بل لو سألته عن أفظع وقائع المظالم والجنايات والخيانات فيها ، هل وقع بفعل الناس من الاميين ومن على مقربة منهم ممن لم يتح لهم إلا التعليم الابتدائي أو الثانوي لأجابك كل واحد عن السؤال الاخير بأن كل ما ذكرت من أنواع الجرائم الكبرى لم يقترفه إلا النابغون في التعليم العالي وما يليه ، يجيبك هذا لانه هو القطعي المعلوم بالمشاهدة المنقول بالتواتر ، ولكنه يعجز عن الجواب عما قبله من فائدة التربية والتعليم ، ومن معنى السعادة ، ومن الوسط الرابط بينهما ، لان هذه كلها قضايا نظرية كان يقلد غيره فيها ويعد المسلمات من الضروريات

معنى كل من هاتين الكلمتين يختلف باختلاف متعلقه والغرض منه وكونه على منهاج يؤدي إلى الغرض أو يقرطس في الهدف. التربية تنشئة قوى الانسان الجسدية والعقلية والروحية بما تربو به وتنمي وتترعرع حتى تبلغ كمالها الشخصي في محيط الملة والامة ، فن أعمالها ما هو مفيد لكل أفراد الناس لأنه لا يختلف

باختلاف الاقوام في مقوماتها الملية ومشخصاتها الوطنية ، كتربية الابدان المبني على قواعد الصحة في الغذاء والنظافة والرياضة ، ومنها ما يختلف اختلافا واسع المسافة بعيد الشقة ، فما يعده بعض زعماء الاقوام والامم مصلحة يعده غيرهم من أكبر المفاسد ، وتفصيل ذلك يطول وليس من موضوعنا الآن ،

والتعليم تلقين العلم الذي يساعد التربية على تكميل الانسان وهو كالتربية منه ما لا بد منه لجميع الناس في كل زمان ومكان ، ومنه ما تختلف الحاجة اليه باختلاف الاطوار والاحوال ، وحاجة الاقوام والاوطان ، والاصل فيه أن يعلم النشء ما يرشده إلى العمل الذي لا بد له منه في حياته الشخصية والمنزلية والوطنية الخ

التعليم إفادة العلم والعلم بيان للعمل صفته وإتقانه . وأما الباعث للعامل على العمل بعلمه فهو ثمرة تربية النفس على ما يوجهها إلى طلب منافعها ومصالحها الحسية والمعنوية ، أو المادية والادبية - كما يقول كتاب عصرنا - أو إلى ما فيه الخير لها في المعاش وفي المعاد كما يقول علماء الدين ، فمنفعة التعلم رهينة بحسن التربية .

وهذه المباحث كلها طويلة الذيول ، متدفقة السيول ، وإنما أشرت تمهيدا للمسألة عن التربية الاسلامية والتعليم الاسلامي ما هما وأين يوجدان في هذا القطر ؟ أيوجدان في بيوت المسلمين كافة ، أو بيوت بعض الطبقات منهم ؟ أيوجدان في مدارس وزارة المعارف ، أو مدارس الاوقاف الملكية ، أو مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية ، أو المدارس الحرة ؟ أيوجدان في مدارس المعاهد الدينية الازهر وملحقاته ؟ الذي أعلمه أنا لا يوجد في بيوت المسلمين ولا في المدارس الرسمية ولا غير الرسمية ولا في المعاهد الدينية تربية اسلامية مدونة أو متبعة بالعمل في تنشئة أطفالهم في البيوت ثم تلاميذهم في المدارس والمعاهد على أخلاق الاسلام وآدابه وعباداته كالصدق والحرية والحياء والامانة وعزة النفس وبر الوالدين وصلة الرحم والتعاون والاقتصاد والتراحم واجتناب البذاء والفحش في القول الخ حتى يترعرع ويشب معتقدا أن المسلم باسلامه أعز الناس نفسا وأجدرهم بالكرامة واتباع الحق واحتقار الباطل وحب الخير للناس كافة ، وأنه يجب بذلك

أن يكون قدوة لهم في كل فضيلة وعادة وعمل، ولا يليق به أن يكون تابعاً ومقلداً لقوم آخرين فيما يعد تفضيلا لهم على قومه ، مع اعترافه لكل ذي حق بحقه ، وكل ذي فضل بفضله ، وبراءته من كل ما فشا في قومه من البدع والخرافات والعادات الضارة والسعي لازالتها عند ما يكون أهلا لذلك ، ولكن يوجد في بعض البيوت بقايا متبعة ذلك

وأما تربية المدارس فروحها تفرنج يقتل الاسلام قتلا بتفضيل كل ما هو افرنجي على ما يخالفه من عقائد الاسلام وشعائره وعباداته وأخلاقه وآدابه ومشخصاته ، وحسبك أن الصلاة التي هي عمود الاسلام وعنوانه ، ومغذية الايمان ، غير واجبة على أساتذة هذه المدارس ولا على تلاميذها فلا يطالب بها أحد ، كما أنها غير محرمة عليهم فلا يمنع من أرادها في غير وقت الدرس . وقد أجمع المسلمون سلفهم وخلفهم على أن من استحل ترك الصلاة يكون مرتدا عن الاسلام لا يشارك المسلمين في شيء من أحكامهم من إرث وزواج ولا يدفن في مقابرهم وان كان متزوجا انفسخ عقد زواجه بل يجب على الحكومة استتابته فان لم يتب قتل كفرا . وأما من ترك الصلاة وهو مؤمن غير مستحل فأهون ما قاله الفقهاء أنه يحبس حتى يتوب . كذلك الصيام اختياري في مدارس الحكومة المصرية ، وهو من أركان الاسلام من استحل تركه كفر

هذه المدارس قد وضع الانكليز نظامها ، وعينوا لها وجهتها وغايتها كما شاؤا ، ومن مقاصدهم فيها ألا يكون لمن يتعلم فيها أدنى شعور بأن لقومه ملة اسلامية ، لها من المزايا في دينها وتشريعها وحضارتها وتاريخها ما تعلو به على جميع الملل بل ما لا تشاركها فيه ملة أخرى . وقد اتفق أن جيء لمدرسة البنات السنية على عهد القس الشهير المستر دنلوب المسيطر على وزارة المعارف بناظرة انكليزية ممن تربين تربية حرة عالية ، فلما كتبت تقريرها المعتاد في آخر السنة المدرسية اقترحت على وزارة المعارف الزام جميع من يتعلم فيها من البنات أن يتعلمن

عقائد الدين الإسلامي وأحكامه ويؤدين عباداته من صلاة وصيام ، وعاقبة ذلك أن عاقبة هؤلاء البنات أن يكن أمهات مربيات لنشء الأمة ولا يصلح للتربية إلا الأم المتدينة الصالحة لأن تكون قدوة ، ولذلك أجمعت الأمم كلها على تربية البنات تربية دينية علمية عملية » قالت « ولما كان في هذه البلاد ثلاثة أديان كلها تأمر بعبادة الله وبالتحلي بالفضائل واجتناب الرذائل ، وهي الإسلام والنصرانية واليهودية ، ولما كان اختلاف التعليم الديني مضرا بالتربية ومخلا بوحدة الأمة ، وكان الإسلام هو دين الأكثرية الغالبة وجب جعله هو الدين الذي يبنى على أساسه نظام التعليم والتربية في هذه المدرسة ، فأنا أقترح جعله رسميا إلزاميا فيها

أتدري أيها القارئ ، ما فعلت وزارة المعارف بهذا التقرير ؟ لعلك تعلم أن القسيس دنلوب كان هو الوزارة وكان الوزير ومن دونه مستخدمين له أو آلات بيده ، وقد عزل جنابه هذه الناظرة عزلا ، وحفظ تقريرها أو مزقه تمزيقا .

جميع المدارس التي تسمى إسلامية في مصر تسير وراء وزارة المعارف في تربيتها وتعليمها سير القذة بالقذة وحذو النعل بالنعل ، حتى مدارس الأوقاف الملكية ، وكذا مدارس الجمعية الخيرية الإسلامية التي كان غرضها الوحيد على عهد رئيسها الأستاذ الإمام ومديرها حسن باشا عاصم « تغمدهما الله برحمته » تربية أولاد الفقراء من المسلمين تربية إسلامية خالصة وتعليمهم ما لا بد منه لكل مسلم من عقائد دينه وأحكامه وآدابه مع مبادئ لغته وسائر ما يلقن في المدارس الابتدائية من حساب وغيره . وغاية ذلك كله أن يكون أولاد الطبقات الفقيرة من المسلمين كما يجب أن يكون المسلم في أدبه وصدقه وكرامته وأمانته وموضع الثقة في عمله أيا كان

أتدري أيها القارئ المسلم ما أصاب هذه المدارس من الانتكاس والارتكاس بعد ذينك الرجلين المصلحين اللذين لم تنبت طينة مصر مثلهما منذ قرون؟ حسبك أن تعلم أن الجمعية أنشأت مدرسة للبنات تمرينهن على الرقص دون تمرينهن على

الصلاة ؟ وأما الثمرة العامة لتربية البنات وتعليمهن. فانك ترى النساء بعينك في الاسواق والشوارع والمحافل والمجامع، والملاعب والمراقص، والمراسح وفي الحمامات البحرية والجمعيات النسائية ، فقد بلغن من الخلاعة والرقاعة بل الاباحة دركا ، صار يستقذره الكتاب الاباحيون الذين دعوا اليه من قبل

ألفت كتابا (في حقوق النساء في الاسلام) أبنت فيه أن الاسلام كرمهن وأعطاهن من الحقوق الدينية والمدنية والسياسية مالم يسبق الى مثله أو مايقرب منه دين من الاديان ، ولم يبلغ شأوه فيه قانون ولا نظام وسميته (نداء للجنس اللطيف الخ) فقرظته الصحف وصرحت بأنه لم يكتب مثله في موضوعه ، فلم يبلغني أن جمعية نسائية ولا امرأة مسلمة طلبت الاطلاع على هذا الكتاب ، بل أهديته الى كاتبة أديبة مسلمة ينشر لها المقطم رسالات كثيرة في الآداب والعادات وغيرها فقرظته تقريظا حسنا ورغبت المسلمات في قراءته بقولها: ان مؤلفه يبذله لكل من تطلبه منهن بدون ثمن ، فلم يطلبه منهن أحد ، فأين الاسلام وأين التربية الاسلامية في مصر ؟

وإذا كان هذا شأن من يتعلمن ويتربين في المدارس التي تسمى إسلامية فما رأيك فيمن يتعلمن في مدارس جمعيات التنصير وراهبات الكاثوليك ؟ ان هؤلاء يحتقرن الاسلام وكل من ينتمي اليه ويحتقرن لغته أيضا . روت طالبة سورية في مدرسة أمريكانية أن زميلتين لها من بنات باشوات مصر قالتا لها وقد كلمتهن باللغة العربية : كيف ترضين أن تتكلمي بهذه اللغة القذرة !!؟ فلعنة الله عليها وعلى والديها ووالديها في الدنيا والآخرة . اهـ المقالة

(المنار) كنت كتبت هذه المقالة لمجلة التعليم الالزامي استجابة لطلبها ، وأردت أن أتم موضوعها بمقالة ثانية فحال دونها زحام شواغل دار المنار ، وقيل « شغل الحلي أهله أن يعار » والصحف قلما ينقل بعضها مقالات بعض ، ولكن قد يسرق بعضها من بعض ، وقد يكلف بعض محرريها أن يكتبوا لغيرهم صحفهم حتى يتفق أن يطلب منا مقالات وفتاوى لتنشر في صحف مصرية وغير مصرية في وقت واحد ! ! !

المولد النبوي

(احتفل في هذا العام به في بمباي (الهند) احتفالا وصفه مراسل البلاغ بما يأتي)

لم تشهد بمباي منذ سنوات احتفالا شعبيا رائعا كالاحتفال الكبير الذي أقامه مسلمو بمباي هذا العام في اليوم الثاني عشر من ميلاد أشرف الكائنات ، وفخر الموجودات المثل الأعلى ، ورحمة الله العظمى ، محمد بن عبد الله صلوات الله تعالى عليه وسلم ، في نحو الساعة الثانية والنصف بعد الظهر عقد المسلمون له في بمباي أعظم جلسة برياسة مولانا (هزهولينس تقدس ما آت پير سيد مطاع الدين متاميان جشتي صاحب) حضرها ما يزيد عن عشرين ألف نسمة ، يتقدمهم من أعيان المسلمين وكبرائهم عظمة السلطان صالح بن غالب القعيطي وخان بهادر شيخ علي باعكظة وقنصلا إيران والأفغان ، والدكتور خالد شلدريك ، والمستر محمود دبر الانجليزي محرر التيمس في بمباي (الذي أسلم مع زوجته وولديه منذ سنة في بمباي وكان محرراً في الاجبشيان دايلي ميل قبل سنوات) وزعيمة الهند مسز سروجيني نايدو ومولانا أبو السعود محمد سعد الله المكي وفضيلة الشيخ أحمد يوسف ورهط كبير من أعيان الفرس والهندوس وفضلى السيدات وكرائم العقيلات

وقد افتتح الجلسة مولانا أبو السعود سعد الله بعشر من القرآن الكريم ثم قرىء المولد النبوي الشريف ، ثم انتخبت هيئة الجلسة سمو السلطان صالح القعيطي لافتتاح الحفلة فاستهل الموقف بخطبة جليلة استعرض فيها حياة الرسول الأطهر ﷺ وأثر المدنية العربية في الشعوب الاسلامية وانتقالها إلى أوربا وأمريكا ، وأفاض في ذلك طويلا ببلاغة وطلاقة تنمان عن علم غزير وسعة اطلاع.

ثم وقف السردار سليمان قاسم ميتا وخان بهادر شيخ علي باعكظة وسيد أحمد صديق كهتري صاحب ، ومولانا خجندي صاحب ، وأيدوا بالاجماع أسناد تلاوة السيرة النبوية إلى مولانا (هز هولينس) رئيس الجلسة ، وقد وافق الحاضرون على ذلك ، فشرع حضرته في تلاوة السيرة النبوية الشريفة باللغة الانجليزية وأخذ في شرحها شرحا وافيا

ثم وقف الدكتور خالد شلدريك بعد أن قدمه أحد أعضاء الجلسة باسم المرشح الوحيد لعرش تركستان الصينية ، فاستهل الموقف بخطبة حماسية طويلة بالانجليزية أتى فيها بالسبب الذي دعاه لاعتناق الاسلام ، وكيف فتش طويلا وبحث كثيراً في كل ما كتب السلف والخلف عن الاديان، وأنه لم يقبل الدين الاسلامي إلا عن علم ومعرفة، وأنه خير الاديان وأقومها، إذ جاء في مصلحة المجتمع البشري ورفاهيته وأن الدين الاسلامي اجتذبه بسحره ومغنطيسه فاحتضنه بين يديه وهو ابن التاميز ، وليس هذا بعجيب

ثم انتقل إلى حالة المسلمين في الصين وعن رحلته فيها وقال ان عددهم أكثر من خمسين مليونا ، وأن مسلمي الهند يبلغ عددهم أكثر من سبعين مليونا ، وان عدد المسلمين في أفريقا يزداد يوما فيوما ، وأن برناردشو أنذر أوربا وأمريكا بأن الاسلام سيكتسحهما في الوقت القريب العاجل .

ثم انتقل إلى حالته الخصوصية وكيف اضطهد من البوليس وروقب في الصين وغيرها لقيامه بالدعاية الاسلامية والتبشير في كل محل حل فيه ، ووصف حالة المسلمين وما هم عليه اليوم من تشتت واضمحلال ، وقال إن خير طريق لتقدم المسلمين واسعادهم هو الرجوع إلى القرآن بالعمل بما فيه، ونبذ التحزب والشقاق بالاتحاد ، وان الكتلة المجموعة لاتقدر على قصمها اليد الواحدة

ثم وقف أحد الاعضاء وأعلن الحاضرين مشاركة (أعليحضرت آصفجاه الملك سمو نظام حيدر أباد مير عثمان عليخان خلد الله ملكه) للمحتفلين في شعورهم بنظم قصيدة عصماء في مدح النبي ﷺ تلاها العضو بصوت رخيم خاشع ملكت على الحاضرين مشاعرهم وعواطفهم، واستعادوها مراراً وتكراراً. والقصيدة بالفارسية ومطلعها كما يأتي :

(شه ملك رسالت صاحب تاج ومعراج آمد وزير وراز دار و نائب رب قدير آمد)

ثم وقف عضو آخر وأعلن المجتمعين بمشاركة حضرة صاحب الدولة يمين السلطنة صدر مهام الدولة سير كيشن برشا رئيس وزراء مملكة حيدر أباد دكن

بقصيدة غراء من نظمه في مدح أفضل الموجودات وأشرف الكائنات سيد العرب والعجم ﷺ باللغة الاوردية تلاها (سيد غو صاحب) بصوت عذب ونغم واستعادها الحاضرون أيضاً مراراً وتكراراً، والظاهرة الوحيدة التي يسجلها التاريخ هنا لصاحب الدولة يمين السلطنة أنه هندوسي لم يمت إلى الاسلام بصلة إلا أن حبه للرسول ﷺ جعله ينظم الكثير من قصائده ويجعلها وقفا عليه ﷺ

ثم وقف مولانا (خجندي صاحب) وقدم مسز سروجيني نايدو الهندوسية للحاضرين وخيرهم في أن يلتمسوا منها الخطابة بالاوردية أو الانجليزية فدوى المكان بالتصفيق وطلبوا منها الاوردية وتحمسوا لها كثيراً، ثم وقفت زعيمة الهند وتكلمت بالاوردية بفصاحة وطلاقة. والتمست أيضاً هي من الحاضرين أن يسمحوا لها بالتكلم بالانجليزية وقالت:

ان ضيوفنا الاعزاء الذين تشرفوا باعتناق الدين الاسلامي الحنيف ينبغي لنا أن نراعي شعورهم واحساسهم (تشير بذلك إلى المستر محمود دبر المسلم الانجليزي محرر التيمس وزوجته والدكتور خالد شلدريك) وأن نتكلم باللغة التي يفهمونها لكي لا يعدوا أنفسهم غرباء عنا، ثم انطلقت كالاسد الشرود فصالت وجالت بالانجليزية الفصحى فتكلمت عن محاسن الدين الاسلامي طويلا وعن عبقرية محمد (صلوات الله تعالى عليه) الفذة، وعن حياته وسيرته وأعماله، وكيف تغلغل الاسلام في العالم شرقا وغربا، وما كان عليه المسلمون من السلف من العز والسؤدد والشأن والسلطان، وكيف أن الهندوس مع وفرة عددهم وكثرة عددهم، يرتعبون كل الرعب ويحسبون للمسلمين ألف حساب، وان محمداً الذي جاء لتحرير العالم من ربقة الذل والعبودية، كذلك جاء تلميذه المهاتما (غاندي) اليوم لتحرير المتبوذين من ربقة الذل والعبودية، وان الاسلام لا يحتاج لامرأة مثلها أو غيرها من كبار الكتاب والفلاسفة أن يشرحوا محاسنه ولا أن يظهروا فضيلته

ثم انتقلت فجأة إلى الكلام عن حالة المسلمين اليوم وشقائهم، وتفرقهم وانحطاط قواهم وضعفهم، وعن الجهل والاضمحلال، وعن الذل والعبودية اللذين يرتع فيها أكثر المسلمين اليوم، وألحت بالائمة عليهم جميعهم لتقدم غيرهم من

الامم، واحتلال أماكنهم والتربع على عرش سؤددهم ومجدهم

وقالت إن الاسلام يحتضر فكما أن الحسين (رضي الله عنه) ذبح في كربلاء، فاليوم يذبح الاسلام في عقر داره، وإن كل بقعة من بلاد المسلمين هي كرب وبلاء، ونبهت المسلمين إلى تدارك حالهم، وجمع كلمتهم، ولم شعثهم، وتوحيد صفوفهم، وتنظيم أمورهم، وربط أولهم بآخرهم، وآخرهم بأولهم، وتدارك الامر قبل فوات الوقت، ثم قالت: إننا وإياكم نعبد إلها واحداً، وما قال الله أنا رب المسلمين، وانما قال تعالى جل شأنه أنا رب العالمين، واستغرقت خطبتها نحو ساعة كاملة

ووقف المستر محمود دير الانجليزي المسلم وتلا تقريراً كبيراً مؤثراً عن حياته الاولى وشغفه وبحثه في الاديان، وتطوع الكثيرين من أفاضل المصريين وعلمائهم في تسهيل مهمته وارشاده، وتنوير ذهنه مدة وجوده في مصر موظفا في تحرير الاجبشيان دايلي ميل، ومدح المصريين كثيراً وأثنى عليهم وقال: اننا نغبط أنفسنا معشر المسلمين اليوم وجود أمة فاضلة عربية مجيدة لها تاريخ حميد كالامة المصرية، وإن العالم ليدين لهذه الامة الناهضة الفتية بقسط وافر من حيويته ونهضته الآن، وأن مصر سحرته بجمالها، ورجالها أسروه بفضلهم وعلمهم وعبقريتهم، وأنه لن ينسى أصدقاءه المصريين مادام فيه عرق ينبض

ثم خطب بالانجليزية (ديوان بهادر كريشنا صاحب) أحد كبار الهندوس وأدبائهم مادحا الرسول الاعظم ﷺ وخطب بالاوردية نواب زاده سيد مرتضى خان صاحب رئيس المؤتمر الشيعي وبالكجراتية أيضاً مولانا نوربهاي صاحب

وانفضت الجلسة في الساعة السادسة والنصف تماما، وقد جهزت القاعة بالراديو وربطت بثلاث أحياء عظيمة اسلامية في بمباي ليتسنى لأكبر عدد ممكن من المسلمين سماع كل ما يجري من الحفلة حرفيا، ومثلت الحفلة اثنتان وأربعون هيئة اسلامية .

وفي المساء عقد المسلمون جلسة كبرى برآسة مولانا شوكت علي ومولانا عرفان صاحب وغيرهما من أهل بومباي في ميدان (حوته قبرستان) حضرها نحو ٣٠ ألفا من المسلمين وتليت القصة النبوية الشريفة، وانفضت الجلسة في نحو منتصف الليل.

ترجمة الشيخ محمد الجسر

(هذه خلاصة تاريخية لترجمته مستمدة من آله رحمه الله وأحسن عزاءهم عنه)

(١) تولى والده تربيته فصنع على عينيه وألبسه الزي العلمي الديني وهو في الثانية عشرة من عمره، وعلمه عقائد الدين وأحكامه بنفسه، وخرجه في المدارس الرسمية التركية وجعل له معلماً خاصاً يعلمه اللغة الافرنسية، لعدم العناية بتعليم الافرنسية في مدارس الحكومة العثمانية، وهو المعلم عثمان أفندي الارنؤوط الشهير بتعليم الافرنسية في طرابلس

(٢) في العشرين من عمره عين مديراً لمدرسة اللاذقية الاعدادية الرسمية فمكث فيها زهاء سنة، ثم نقل على سبيل الترقية مديرا للمدرسة الاعدادية الرسمية في طرابلس، وظل في هذا المنصب الى سنة ١٣٢٩ هجرية

(٣) في هذه السنة وقع الانقلاب الدستوري في الدولة العثمانية وتولت جمعية الاتحاد والترقي زمام الامر فيها، وكان والده العلامة معدودا من رجال السلطان عبد الحميد فكانوا ينظرون اليه نظر الريبة وإن لم يتدخل في سياستهم وربما أظهر نجله الشيخ محمد السخط عليهم فاستقال من مديرية المدرسة وأراد والده رحمه الله أن يسلك سبيلا حراً في العمل ويترك الوظائف فأطاعه وأخذ يشتغل بالتجارة فبورك له في عمله، وجنى منه ربحا غير قليل. وما كان يظن بمثل الشيخ في علو جاهه ومقامه العلمي أن يرضى لولده أن يكون تاجرا صغيراً ولكن سعة عقله وعلمه بحال زمنه كانا فوق أفق أقرانه من كبار العلماء وعامة الوجهاء

(٤) وكان والده رحمه الله قد ترك اليه من قبل ذلك بسنتين تحرير جريدة طرابلس فكان الشيخ محمد يشتغل بالتجارة وبتحرير هذه الجريدة في آن واحد وكان يكفيه أن يستغني بالتحرير عن التجارة، وكان غيره يعجز عن الجمع بينهما

(٥) وفي سنة ١٩١٢ ميلادية رشح نفسه للنيابة عن لواء طرابلس في مجلس المبعوثان، وكانت حكومة الاتحاديين قد رشحت لها رجلا تركيا مقيما في طرابلس، ولكن الطرابلسيين اجتمعوا إلبا واحداً على انتخاب الشيخ محمد

فرأت الحكومة أنها مضطرة الى موافقتهم فتنازلت عن مرشحها الخاص له ففاز بالنيابة فوزاً شعبيا باهراً كان يومه مشهوداً ، ولا تزال مهرجاناته حديث الناس حتى اليوم ، وقد استفاد من ممارسته لاعمال المجلس في سنة واحدة علما واختباراً واعتبارا في السياسة والنظام ، ما كان ليستفيده في خارجه الا في عدة أعوام

(٦) بعد ان أغلق الاتحاديون المجلس النيابي سنة ١٩١٣ عاد الى طرابلس ورشح نفسه لانتخابات المجالس العمومية للولايات ففاز فيها وذهب لبيروت فنال حظوة كبيرة عند الوالي باكير سامي بك الشهير ، ثم عند الوالي عزمي بك لما رآه فيه من الفضل والعلم والذكاء العجيب والدهاء الغريب ، وما لبث أن عرف الناس في بيروت وجميع أنحاء الولاية أن الشيخ محمد الجسر هو الرجل الذي يلي الوالي في النفوذ وإدارة دفة الحكومة طول مدة الحرب فأتاح له هذا المقام الرفيع أن يسدي الاحسان الى كثير من الناس من طرق ووسائل شتى ، فأجمعت القلوب على حبه ولا سيما النصارى الذين كانوا يرون من آثار شفقته مالم يكونوا يحتسبون

(٧) لما وضعت الحرب أوزارها واحتل الحلفاء البلاد وجدوا الشيخ محمداً في رئاسة المجلس العمومي التي شغلها طول مدة الحرب فأقروه فيها ، ثم اختلف مع الحاكم الفرنسي فاستقال حالا وكان يعرف سبيل الحياة الحرة الذي يغنيه عن الحكومة كما علمه أبوه فعاد فوراً الى الاشتغال بالتجارة في بيروت .

(٨) لكن الافرنسيين لم يتركوه فما لبث أن بلغ قراراً من الحاكم الافرنسي العام بتعيينه لرئاسة محكمة الجنايات العليا في بيروت فوجم لذلك لانه لم يسبق له اشتغال بأمور القضاء لا قاضيا ولا محاميا ، ولكنه قبل المنصب الرفيع وأخذ يجهد نفسه بدرس القوانين الجنائية حتى برع فيها وتمكن بفرط ذكائه من الاضطلاع بأعباء هذا المنصب على أكمل وجه فأدهش رجال القضاء وجماعة المحامين

(٩) مكث في هذه الوظيفة من سنة ٩١٩ الى سنة ٩٢١ وفي هذه السنة عهد اليه بمنصب رئيس النيابة العمومية في محكمة التمييز فمكث فيها شهرين تقريبا ثم عهد اليه بمنصب (وزارة الداخلية) في الحكومة اللبنانية ، وبعد سنتين عهد اليه [بوزارة المعارف] وظل فيها الى سنة ١٩٢٦

(١٠) في هذه السنة أعلنت الجمهورية اللبنانية فعين الشيخ محمد عضواً في مجلس الشيوخ اللبناني وانتخب رئيساً له، ولما أدغم مجلس الشيوخ في مجلس النواب انتخب رئيساً له، وظل في هذه الرئاسة ينتخب في كل عام بلا انقطاع ولا مزاحمة من أحد الى تاريخ ٩ مايو سنة ١٩٣١ إذ عطل الدستور وحل المندوب السامي الفرنسي المجلس النيابي

وقد كان سبب حل المجلس على ماهو مشهور موقف الشيخ محمد نفسه من قضية رئاسة الجمهورية فانه رحمه الله رشح نفسه لرئاسة الجمهورية وأيده في ترشيحه أكثر النواب ، ولكن بطريرك الموارنة ملأ سماء فرنسا صراخاً وعويلا لكي لا يكون على رأس لبنان حاكم مسلم ، وصور ذلك لوزارة الخارجية الفرنسية بصورة خرق للنواميس والتقاليد المعروفة عنها مع النصارى عامة والمارونية خاصة، ولم ينفع معه اقناع المفوض السامي المسيو بونسو أنه لم يكن يرى بأساً بنجاح المسلم بنيل هذا المنصب ، فظل البطريرك مصراً على رأيه يطالب فرنسة بتعصب صليبي صريح أن توسد رئاسة الجمهورية اللبنانية لشخص مسيحي لانه مسيحي حتى اضطرت وزارة الخارجية الى تنفيذ ارادته وأمرت المفوض السامي ببذل كل نفوذه لتحقيقه فحاول حمل الشيخ على الانسحاب فأبى وأصر على ترشيح نفسه حتى النهاية. وبعد مراجعات كثيرة أمرت وزارة الخارجية مفوضها السامي بحل المجلس وتعليق الدستور عند عدم النجاح في انتخاب المرشح المسيحي ففعل .

(١١) عزم الشيخ محمد عقب هذه التجربة عزماً قاطعاً على ترك الحياة السياسية لانه اذا اشتغل بشيء وجه له كل قواه، فانقطع للاشتغال بالعلم والمطالعة والتأليف فوضع مصنفات أهمها سيرة حياة والده مفصلة كان من مادتها ما كتبته له بطلبه ثم وعدني بعرضها علي قبل نشرها ، ودون مذكراته السياسية وما كان اعراضه عن مناصب الحكومة بصارف للوجوه عنه ، بل ظل محترما مبجلا محبوباً من الجميع حتى الافرنسيين أنفسهم ، وبقي كذلك لا يفكر بالحياة السياسية ولا تبدر منه أقل بادرة تدل على التقرب من رجال السياسة وطنيين واجانب الى أن وافاه الاجل المحتوم في التاريخ الذي بيناه في الجزء الماضي ، فكانت نهايته في كل أمر خيراً من بدايته، وانما الاعمال بالخواتيم ، غفر الله لنا وله وأدخلنا برحمته في عباده الصالحين

كلمات في الوحي المحمدي

أنشر هنا بعض ماجاءني من المكتوبات الخاصة لبعض قراء كتاب (الوحي المحمدي) من طبقات أهل العلم والرأي في الاقطار المختلفة فيما كان له من التأثير في أنفسهم

﴿ كلمة مجلى لرب السيف والقلم، العالم العلم، سليمان باشا الباروني ﴾

حضرة العلامة الجليل، المتفاني في اعلاء كلمة الله واحياء سنة رسول الله، فخر محققي العصر، الاستاذ السيد رشيد رضا دام موفقا

السلام عليك من أخ لك في الله مولع بتتبع أخبارك، ومطالعة آثارك، معجب بجهادك في دفع شبه الملحدين، وتأييد حجج المؤمنين. هذا وقد تلقيت بيد الاحترام هديتك الثمينة «مؤلفك الوحي المحمدي» فتتبعت - بشغف زائد - أبوابه، وتصفحته على سبيل الاجمال (الآن) فكان في نظري سيفا بتارا لرقاب أعداء الدين، وحجة بالغة للمؤمنين، فلله جهادك العظيم، ولله قلمك الفياض

أمدك الله بروح من عنايته، ووفق رجال الاسلام الى اقتنائه والعمل لما فيه، وسأكتب اليك غير هذا بعد أن أتفرغ لمطالعته مع تأمل ان شاء الله، ودم معززا ترسا للاسلام

بغداد في ٢٤ صفر سنة ١٣٥٣   من أخيك المخلص سليمان الباروني

﴿ الكتيب الوجيز، المغني عن الوسيط والبسيط، للاستاذ المستقل ﴾

(عبد الرحمن بك فهمي، أمين السر لتأسيس الوفد المصري من مصطفاه في القضية)

سيدي الاستاذ الجليل، السلام عليك ورحمة الله وبركاته (وبعد) فقد فرغت من تلاوة مؤلفك الفذ (الوحي المحمدي) ولا أقول فيه أكثر من أنني لم أعثر مدة حياتي على كتاب انشرح له صدري، واطمأن له قلبي، وارتاحت له كل

مشاعري، بعد كتاب الله غير «الوحي المحمدي» فجزاكم الله خير الجزاء عن الاسلام والمسلمين. وان هذا المؤلف الجليل القدر، لجدير بأن يقتنيه كل مسلم ويتلوه مثنى وثلاث ورباع، وهكذا حتى يستوعب كل ما فيه من درر وآيات بينات، يرد بها بقدر استطاعته أقوال الملحدين من أمته، ويدفع به سيل المهاجمين من غيرهم

متعك الله بالصحة والعافية لتبقى ذخراً للاسلام والمسلمين، والسلام عليك على من تحب وتختار ؟

فينا في ٥ يوليه سنة ٣٤ المخلص

عبد الرحمن فهمي

﴿ كلمة سعادة عالم التاريخ، ومربي العلماء والاستاذين ﴾

أمين باشا سامي الشهير

حضرة صاحب الفضل والفضيلة العالم العلامة الاستاذ الشيخ رشيد منشيء المنار، ومصدر العلم والمفيض على العالم أسطع الانوار

اليوم بحمد الله أتممت مطالعة كتابك الجليل (الوحي المحمدي) فحيا الله منك براعتك وإخلاصك، فقد صورت فيه عواطفك الشريفة فأبدعت تصويرها حتى زهاها الحسن، فأهنئك بهذه المكانة السامية من الادب والتوفيق الى أقوم المراتب العالية في تفسير آي الله الكريم، وأشكر لك شكر المخلص الحميم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

الداعي أمين سامي

محطة رشدي باشا برمل الاسكندرية في ٦ اغسطس سنة ١٩٣٤

(تقريظ علامة الاكراد الشيخ عمر القره داغي)

(المدرس بكردستان العراق في بلدة سليمانية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المؤيد رسالته ببراهين هادية لأولي الالباب، وعلى آله وصحبه وتابعيهم الى يوم الحساب

(وبعد) فقد وقفت على كتاب الوحي المحمدي للعلامة الشهير، والفهامة

التحريرى السيد محمد رشيد رضا أطال الله عمره فوجدته حاويا لحقائق قامعة لغياهب شبه المتمردين والمبتدعين ، وفوائد ترشد المتحيرين ، وفلكا مشحونا بدرر فرائد الشواهد النقلية الباهرة ، وفلكا مرصعا بكل كوكب دري توقد بالنكت والدلائل العقلية القاهرة ، وقد أتقن فيه براهين اثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ وما يتعلق بها واستقصاها ، فلم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، وغاص فيه نكتا قرآنية بحيث لم ينسج أحد على منوالها ، ولم تسمح قريحة بمثالها ، ويذعن بها العاقلون ، ولا يجحد بها إلا القوم الظالمون ، فشكرت الله تعالى على تزيين عصرنا بوجود هذا الحبر الذي هو علامة الزمان ، ولا يختلف في كمال فضله اثنان ، لا زال مستخرجا من بحر علومه أمثال هذه الجواهر ، ومتلألئا من سماء فضائله هذه النجوم الزواهر ، أدام الله نفعه للمسلمين ، ووفقه على نشر هذه الآثار المؤيدة للدين ، والدافعة لظلمة أوهام الشياطين ، بجاه سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين

ابن القره داغي عمر

﴿ تقريظ الاستاذ الفاضل الشيخ عبد الحميد الامام بقرية (ته نكي سدر) التابعة للسليمانية ﴾

بعد تقديم مقامات الاحترام ، وتبليغ قصارى مدارج السلام ، لحضرتكم الملفوف بالعلم اللذاب ، والكمال المستطاب :

إن سعيكم في سبيل توطيد أركان الدين المبين لمشكور ، وعملكم لتوثيق عرى الودة بين طوائف المسلمين لمأجور ، وجهادكم الذب والدفاع عن حوزة الاسلام لمبرور ، ولا يخفى لدى ذوي البصائر ما لأناملكم الشريفة من اليد الطولى على آحاد المؤمنين ، ولخريطة خيالكم لو قادة من الرئاسة العظمى على الناس أجمعين

فلله الحمد والمنة والشكر ، النعمة والثناء ، حيث لا يترك أمر هذه الامة اليتيمة شتى ، ولا يجعل شأنها بينها متفرقة فوضى ، بل يبعث في كل عصر من يجمع لها شملها ، ويلم شعثها ، من ينكر مالكم على العالم الاسلامي من النعمة العظمى ،

والفضيلة الكبرى ، مع أن ما تقاسونه من [illegible] والسهر خلال الليالي والأيام ، وما تتجرعونه في الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن ، وهي الحنيفية البيضاء ، والشريعة السمحة الأحدية الغراء ، من المرارات التي لا يفي بها التقرير ، ولا يبلغها التحرير ، لأن الوجدانيات لا تنال بالتعبير ، فجزاكم الله عن الإسلام والمسلمين آمين

وإن مما هز العالم وفي الآفاق لمع ، وسر آدم وبنيه أجمع ، إلا من في قلوبهم أكنة ، وعلى أبصارهم غشاوة ، وأسدلوا على بصائرهم الجهالة والغباوة ، تصنيف لطيف نبع من منابع أنامل حضرتكم الأستاذ ، وتفجر من ينبوع جمجمة ذلك الفاضل الملاذ ، فانتشر في الآفاق صيته وصداه ، واشتهرت لدى الفضلاء والعقلاء لطافة مبناه ، ولا غرو لأن موضوعه موضوع طالما طاف حوله الفحول ، وتزاحموا عليه بالمعقول والمنقول ، الحق يقال ما أتوا بالمصفى الغربل ولا بالمنقى المنخول ، وهو إثبات الوحي المحمدي ، المتوقف على إثبات الوحي المطلق توقف الكل على الجزء المادي ، المستدعى لإثبات عالم الغيب الذي هو ركن بل أساس للديانات كلها ، يرد كيد الماديين على نحورهم بالأدلة والبراهين الواضحة ، والسلطان والحجج اللائحة ،

نعم إن الأمور مرهونة بأوقاتها ، وإن زماننا هذا لأحوج الأزمان إلى هذا الكنز الثمين ، ألا يرى أن الحق منكوب بدعايات الزنادقة المارقين ، بدوام الخافقين في المشرقين ، ولعمري إن من غاص بالفكر في مستجادات ذلك العباب ، وسرح النظر في مكنونات ذلك الكتاب ، يستبين أن الديانة الإسلامية في الكفة الراجحة ، وإن نبيه عليه السلام جاء بالحجة الواضحة ، وإنه لنبي عظيم مؤيد من الله القادر ، لم ير له مثلا إنسان عين الإنسان ، ولن يراه أبدا ، فإني أرجو من حضرتكم أن تسمحوا من ذلك الكتاب بنسخة أو نسختين كيلا لا يحرم بلادنا عن شذاه ورياه ، يرحمكم الله في الدارين به وبأمثاله التي هي من ثمار حياتكم النافعة ، وهذا الحقير لا يتعاطى ما يعود عليكم بالغبن والخسران ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عبد الحميد الإمام

الحج في طوره المدني المترف

كان كثير من المسلمين يحجون إلى بيت الله الحرام رجالا أي مشاة على أقدامهم حتى إن هارون الرشيد حج ماشيا ، وأكثرهم يحجون ركبانا على الابل ، وبعضهم على الخيل والبغال والحمير ، وكان بعض أهل الاقطار البعيدة عن الحجاز في الشرق والغرب الذين وراء البحار أو في جزائرها يركبون السفن الشراعية فيقاسون في مصارعتها للأمواج وعواصف الرياح أهوالا ، يرون فيها من الموت صنوفا ألوانا ، وكانوا ينفقون في سفر الحج أموالا عظيمة، وربما استغرق سفر الحج سنة أو أكثر ، وكان مريد الحج يوطن نفسه على الموت فيكتب وصيته ويودع أهله لبعد الشقة وشدة المشقة ولفقد الامن على الانفس والاموال ، وكانوا يعدون ماينفقونه في سفر الحج أفضل نفقاتهم، ويعدون أفضلها في تطهير أنفسهم وتزكيتها ماينفقونه في نفس الحرمين الشريفين من الصدقات والقربات على أهلهما ، مهما يكن من عنائهم فيهما

ولما أنشئت البواخر الكبار المواخر في جميع البحار قربت المسافات، وقلت النفقات، ولكن أصحابها من شعوب الفرنجة المستعمرين للاقطار الاسلامية تواطئوا على معاملة الحجاج فيها أسوأ من جميع أصناف المسافرين، ليصرفوا أكثر أغنياء المسلمين المترفين عن الحج وزادوهم رهقا بما وضعوا من النظم الشديدة للحجر الصحي عليهم ، ووافقتهم الحكومة المصرية على ذلك فكانت معاملات رجالها للحجاج في موانيها ومحاجرها أقسى من كل يقاسونه في غيرها شدة وإهانة ونفقة ولا تزال تعد أرض الحجاز بيئة وبائية بسوء خضوعها للسيطرة الاوربية ، وقد مرت عشرات من السنين لم يقع فيها وباء في الحجاز ، ومن المعلوم بالقطع انه ماوقع وباء فيه من قبل إلا منتقلا اليه من غيره من الاقطار ولا سيما الهند ، ولا تزال الحكومة المصرية تفرض على من يسافر الى الحجاز لاداء فريضته ومن يعود منه معاملة شاذة مرهقة لاتعامل بمثلها من يسافر من الهند أو يجيء منها ، على أن وطأتها خففت في السنين الاخيرة ، وقد دخل موسم هذا العام في طور جديد من الراحة والسهولة والاقتصاد والانتظام بما أعدته له شركة بواخر مصر في باخرتيها زمزم والكوثر ، وسنبين ذلك في مقال آخر مع مايجب على الحجاج في دينهم شكرا على هذه النعم عليهم

فبشر عبادِ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام إن للإسلام صُوى « ومنارا » كمنار الطريق

٢٩ ذي القعدة ١٣٥٣ برج الحوت سنة ١٣١٣ هـ ش ٥ مارس سنة ١٩٣٥

فتاوى المنار

أسئلة من صاحب الامضاء في بيروت في الجن (س ٢٣ – ٢٦)

حضرة صاحب الفضيلة أستاذنا الجليل السيد محمد رشيد رضا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فكلما حز بنا أمر من أمور ديننا الحنيف لم نر سواك ملجأ نلجأ اليه ، وكلما نزلت بنا نازلة تلفتنا فهدانا [مناركـ] إليك ، وكشف لنا عن موضعك ، وقال بلسان الحال هذا هو إمام العصر ، ووارث علم الامام ، ورافع لواء السنة ، وهادم بناء البدعة فلا نجد عندئذ بدا من التوجه إليك في معاناتنا الدينية ، أبقاك الله للاسلام ذخراً ولساناً ، وحفظ عليك نعمة الأمنية وقمة العافية

مولاي الأستاذ : جرى الحديث بيني وبين أحد إخواني العلماء في جمع من أهل المعرفة فيما يدعيه بعض الدجاجلة من القدرة على استخدام الأرواح وتسخير الجن في قضاء الحاجات ، وشفاء الأمراض ، وقطع المسافات البعيدة في المدة الوجيزة ، وغير ذلك ، فأنكرت عليه قدرة الانسان على شيء من ذلك ، كما أنكرت أن يكون لهذه الأرواح سلطان على البشر إلا ما توسوس به إليه ، فاستظهر عليّ بالآية الكريمة (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) وحاول أن يتخذ منها دليلا على تسلط الشيطان على الانسان - فاحتكمت وإياه إلى الجزء الثالث من تفسير المنار ، وبمراجعته وجدنا كم قد اختصرتم القول في هذا الموضوع اختصاراً لا يشفي غلة المتطلع ، فآثرت أن أتوجه بالسؤال لفضيلتكم علكم تبسطون القول في [مناركم] الأغر في موضوعنا هذا بما يشفي ويكفي ، مع التفضل بالاجابة على ما يأتي

(س ٢٣) هل الآية قاطعة في وجود هذا النوع من التسلط كما يقتضيه ظاهر التشبيه ، وهل هناك دليل قاطع سواها ؟

(س٢٤) هل جاء في السنة الصحيحة ما يدل على شيء من ذلك ؟ وهل يصح

الاستدلال بحديث « ان الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم » على فرض صحته أم يحمل ذلك على المجاز والمراد الوسوسة ؟

(س ٢٥) هل من الممكن أن يخالط الشيطان الانسان في جسمه؟ وهل صحيح مايحكى من تزوج الآدميين بزوجات من نساء الجن ؟

(س ٢٦) هل يظهر الجن لبني آدم أم إن مادة الاجتنان تحكم بعدم ظهوره عياناً . أفيدونا من واسع علمكم بما يثلج صدورنا ، وتطمئن اليه نفوسنا ، ولفضيلتكم الأجر العظيم والشكر الجزيل م ؟

م ٠ ح
المحامي الشرعي

﴿ تسخير الناس للجن وسلطان الجن على الناس ﴾

[جواب المنار] إن كنت قد اختصرت في الكلام على الجن والشياطين في تفسير آية آكلي الربا من الجزء الثالث فقد أطلت في ذلك في تفسير آيات من سورة الأنعام والاعراف وغيرها وفي مواضع من المنار ، ولذلك أوجز هنا في الجواب فأقول : لو كان الجن مسلطون على الانس بما يشاؤن من نفع وضر وكان دجاجلة يسخرونهم في هذا كما يشاؤن، لتحكم هؤلاء الدجالون في أموال الناس وأنفسهم، ولتنافس الملوك والاغنياء في اصطناعهم ، ولكننا نراهم أحقر الناس وأفقرهم إلا من استطاع بدهائه أن يخدع بعض الاغنياء الجاهلين والنساء فيسلب أموالهم بالحيل كما ظهر في مصر في هذين العامين وفي غيرهما عند ما رفعت القضايا على بعض من اشتهروا باستخدام ملوك الجن ، على أن كثيراً من الناس حتى المتعلمين والاذكياء يخدعون بحوادث يخفى عليهم الدجل فيها ، وان لقوى نفس الانسان تأثيراً في كثير من الامور بما يخالف المألوف المعروف وهي شاذة لا تتخذ سنناً عامة

(٢٣) تخبط الشيطان من المس

إن آية تشبيه قيام آكلي الربا بقيام الذي يتخبطه الشيطان من المس ،لا تفيد دلالة قطعية على تسلط الجن والشياطين على الناس بما شاؤا من نفع وضر فان كان التشبيه مبنيا على ما كان معهوداً عن العرب وغيرهم ولا سيما النصارى من

اعتقادهم أن بعض الجنون يكون بملابسة الشيطان للمجنون من غير أن يكون إقراراً لهم عليه كما قال البيضاوي وغيره من المفسرين فالأمر ظاهر ، وإن كان يتضمن إقرارهم عليه كما يقول آخرون ، فهذه الملابسة غيبية لا نعرف حقيقتها ولا سببها، ولا تدل الآية دلالة قطعية على أنها تكون بسلطة للشيطان عامة أو خاصة هو مختار فيها، وربما كان الاقرب إلى العقل فيها ان الانسان إذا عرض له ضعف في أعصابه واختل إدراكه ومزاجه ، يحدث لنفسه مناسبة قوية بروح الشيطان الذي وظيفته الوسوسة فيقوى تأثيره فيها بهذا النوع من الجنون ، كما تقوى المناسبة بين جسد الانسان وبعض ميكروبات الامراض باختلال مزاج الجسم فتلابسه بما لا تستطيعه في حالة قوة الجسم وسلامته ، ولهذا جرب شفاء هـذا النوع من الجنون بالعلاج الروحاني الذي هو عبارة على توجه روح بشرية قوية طاهرة إلى روح المجنون بما يقويها ويطرد روح الشيطان منها ، ومن وسائل هذا العلاج الدعاء والرقية ، وهو المروي عن المسيح عليه السلام وعن دونه من الروحانيين ووقع لنا شيء منه ذكرناه في مثل هذا البحث من المنار وتفسيره

(٢٤) حديث « إن الشيطان يجري من آدم مجرى الدم من العروق » متفق عليه

هذا الحديث لا يدل على أن الشياطين مسلطون على الناس بما يشاءون من ضر ونفع غير ما هو ثابت في القرآن من الوسوسة لهم ، وإنما هو تشبيه لتغلغل وسوستهم في النفس وعدم شعور الناس بها إلا من راقب خواطره وأفكاره وحاسب نفسه على مثاراتها فهو كقول الشاعر * جرى حبها مجرى دمي في مفاصلي

(٢٥ و ٢٦) إمكان مخالطة الشيطان للانسان وظهوره له

الامكان العقلي لا نزاع فيه ، وما كل ممكن يقع ، وأما الشرع فلا يكلفنا تصديق ما يحكيه الناس من ذلك ، وظاهر قوله تعالى (٧: ٢٦ إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) أن الانسان غير مستعد لرؤية الجن والشياطين كما خلقهم الله ولكنهم قد يتشكلون بصور مادية لطيفة أو كثيفة ترى بالعينين ، فراجع تفسير هذه الآية (في ص ٣٥٩ — ٣٧٢ من جزء التفسير الثامن ففيه مباحث كثيرة في الموضوع

محاضرتي في جمعية الشبان المسلمين

ايها الاخوان

كنت عازما على أن أسمع في اجتماع هذا العام ولا أتكلم، حتى إذا ما فرغ الخطيب الاول صديقي الاستاذ المؤرخ الشيخ عبد الوهاب النجار من خطبته ، بدا لي أن أتعقبه أو أقفي عليه متطوعا بكلمة تكون مقابلة لكلامه من ناحية غير الناحية التي سلكها وهي لا مندوحة عنها فأقول :

مضت سنة الامم أن يسلك مرشدوها في الكوارث التي تنزل بها طريقتين (إحداهما) تهوين الخطب ، وتصغير الكارثة، وتقوية الرجاء بزوالها وانكشافها عن قريب ، إشفاقا عليها من اليأس ، وقد سلك هذه الطريقة الاستاذ فصور كارثة اليهودية الصهيونية بسحابة صيف تنذر فلسطين بطوفان عظيم ثم لا تلبث أن تنقشع وتزول، ولكنه توقع أن يكون خذلان اليهود فيها والقضاء على ملك اسرائيل الذي يحاولون تأسيسه في مهد ملك داود وسليمان بظهور مسيحهم الدجال الذي حذر منه الانبياء عليهم السلام وآخرهم خاتمهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أمر أمته أن تستعيذ بالله من فتنته في الدعاء المأثور بعد التشهد الاخير من الصلاة

فان كان المصاب بعدوان اليهود على فلسطين لا ينكشف إلا بظهور مسيحهم الدجال فياللهول وياللرزية ، إنه لبلاء لا ينكشف إلا في آخر عمر الدنيا ، ولا تلبث بعده أن تقوم الساعة

وقد أشار الاستاذ الخطيب إلى ما ورد في الاحاديث النبوية الصحيحة من القتال بين اليهود والمسلمين ، والبشارة بأن المسلمين يظهرون عليهم فيه ، وذهب علماؤنا إلى أن هذا سوف يقع في عهد المسيح الدجال

وأما الطريقة التي أريد سلوكها في بيان ما يجب على الامة العربية والشعوب

الاسلامية ، من العبرة بالنكبة اليهودية الصهيونية ، فهي طريقة الاسباب الدنيوية ، والسنن الاجتماعية ، التي يسير عليها أهل البصيرة والعلم قبل وقوع ما أنبأ به الانبياء عليهم السلام من مقدمات خراب العالم وقيام الساعة ، ومنها ظهور المسيح الدجال الذي رجحت في تفسير المنار أن اليهود سيهيئون أسبابه ومعجزاته بالعلوم الكونية

وإني — مع هذا — أعتقد أن العدوان الصهيوني الحال بمساعدة الانكليز على فلسطين لا ينتهي إلا بقتال بينهم وبين العرب ، لا أقول هذا تحريضاً لكم أيها الحاضرون عليه ، فاني لا أظن أن أحداً منكم أهلا ولا مستعدا له ، وإنما هذه عاقبة طبيعية لما هو واقع هنالك ، فقد ثبت في الاخبار المتواترة أن اليهود في فلسطين يقتنون السلاح ويستزيدون منه بالتهريب من أوربة ، وقد عثرت الحكومة على باخرة تحمل شيئا ليس بالقليل منه لليهود من أيام قليلة ، وان أمة غنية تريد إخراج قوم من ديارهم لحملها ملكا لها لا بد لها من الاستعداد للقتال ، فاليهود يجلبون السلاح المصري من أوربة ، والدولة الانكليزية قد نزعت سلاح عرب فلسطين من أيديهم ، وهي تريد نزع سلاح إخوانهم في شرقي الاردن عند سنوح الفرصة بمساعدة خونة العرب وسماسرتهم ، ومتى تم هذا يسمح لليهود بنزع أرض شرقي الاردن كما ينزعون أرض فلسطين ، هذا رأي لي قديم في عاقبة الحكومة الموقتة في شرقي الاردن طالما صرحت به لمن لقيت من أهل البلاد ، وقل من كان يعقله ، ولكنهم سيرونه بأعينهم

هذه مقدمة سنحت قبل الكلمة المقصودة من وقفتي هذه ، وهاأنا أسمعوها بالاختصار : ان خطر مايسمونه (المسألة اليهودية الصهيونية) كبير هائل جدا ، هو أكبر من كل ما قيل وما كتب في تكبيره وتهويله ، ولو ظل اليهود على اعتقادهم القديم وانتظار المسيح الذي بشروا به وفسروه بملك دنيوي يعيد لهم ما فقدوا من ملك سليمان عليه السلام بتأييد الله تعالى له بالآيات والمعجزات ، لما كان خطب الصهيونية هو

الخطر الذي أعنيه ، بل لما وجدت هذه الصهيونية التي نخشاها ونتقى الامة خطرها

تلك عقيدة دينية مرت القرون ولم يستعد اليهود لظهورها وإظهارها بقوة اجتماع ولا سلاح ولا مال، ولا عمل من الاعمال ، بل كانت مانعة لهم من الاستعداد لإعادة ملكهم من طريق الاسباب ، لاعتقادهم أنه سيكون بآيات إلهية هي فوق الاسباب ، ومثلهم فيه كمثل جماهير المسلمين — ولا سيما الشيعة — في عقيدة المهدي المنتظر بظهوره بعد أن تملأ الارض ظلماً وجوراً ، فيملؤها عدلا .

كانت هذه العقيدة من أسباب خنوع المسلمين وسكونهم، وسكوتهم على ما أصابهم من جور الظالمين المخربين منهم ، ثم من سلب الافرنج لأكثر ملكهم: كلما ظهر فيهم عاقل يدعوهم إلى الدفاع عن أنفسهم يصدونه بقولهم : ان الارض ملئت جورا وظلما ، وقد قرب زمن ظهور المهدي ولن ينقذها غيره ، ولم يخطر في بال أحد من زعمائهم أن يدعوهم الى الاستعداد لظهوره ليكونوا امامه كما كان المهاجرون والانصار مع النبي ﷺ لاعتقادهم أن ظهوره وعمله سيكون بالكرامات وخوارق العادات، ولذلك خدع ألوف منهم بظهور الدجالين المدعين لهذه المهدوية ولما هو فوقها ومنهم لما من ظهور المسيح ، كما فعل الباب والبهاء وغلام أحمد القادياني ، فكانت عقيدة المهدي المنتظر والمسيح المنتظر مثار فتن وحروب مبيرة، سفكت فيها دماء غزيرة

رأى بعض اليهود — الذين درسوا العلوم الكونية والاجتماعية والتاريخ في أوربة — أن قومهم يعللون أنفسهم بأمنية ظهور مسيح يجدد لهم ملكهم ، وأن القرون تتلو القرون على هذا الاعتقاد وهم لا يزدادون إلا تفرقا وذلا بفقد الملك، ورأوا من عبر التاريخ أن أفرادا من أصحاب الهمة والعزيمة قد أسسوا ممالك قوية، فوجهت عزائمهم إلى تأسيس ملك لقومهم بالاسباب الاجتماعيـة دون الاعتماد على الاوهام الاعتقادية المنافية لسنن الاجتماع ، فأسسوا هذه الدعوة الصهيونية على قواعد العلم والمال ، وتوحيد قوة الامة وجمع كلمتها

وضعوا لعملهم رأس مال كبير فكان بنك الصهيونية، ووضعوا دائرة معارف يهودية صهيونية، ووضعوا نظاما اجتماعيا لجمع كلمة الامة يعقدون له المؤتمرات تلو المؤتمرات في أمصار أوربة وأمريكة، ولقد كان اليهود - المتكلون على ظهور (مسيا) مؤيد بالعجائب والخوارق السماوية - ينفرون من هذا النظام ويعدونه كفرا وإلحادا، أو هرطقة وزندقة، ولكن الحقائق العلمية والمساعي العملية، ما زالت تدحض الآراء الوهمية، حتى صار يهود العالم كلهم أنصاراً للجمعية الصهيونية، حتى ان فقراء يهود اليمن والمغرب الجاهلين يهاجرون الى فلسطين، ليشهدوا تأسيس ملك اسرائيل

ما ينبغي لنا ولا نعاقل أن يستصغر عمل هؤلاء القوم أو يستكبر موضعهم به مهما يكن كبيراً في نفسه، فاليهود شعب قوي العزيمة، شديد الشكيمة، عظيم الكيد والحيلة، قد أحدثوا أعظم انقلاب في الدول والامم، وكان آخر ما أحدثوا انقلاب دولة الخلافة التركية الجديدة، ودولة القيصرية الروسية، ثم كانوا هم السبب في انكسار الدولة الالمانية القاهرة، في حرب المدنية العامة، وإن دولة بريطانية العظمى لترى نفسها مسخرة لهم في مساعدتهم على تأسيس ما سمته (الوطن القومي في فلسطين) بمقتضى وعدها لهم، ما يسمى (عهد بلفور) وهو الذي اجتمعنا للاحتجاج عليه اليوم كما نفعل في كل عام، وقد سبقونا هم الاحتفال بهذه الذكرى في مصر وفي كل قطر، وشتان ما بين اجتماعنا واجتماعهم، نحن نجتمع للندب والاحتجاج بالكلام، وهم يجتمعون للتآسي والتعاون بالاموال والاعمال

فالذي أنبه بكلمتي هو أن نعتبر بأعمالهم ونقتدي بهم فيها، بل نقتدي بما أمرنا به كتاب ربنا من المحافظة على ملتنا وأمتنا بالجهاد في سبيله بأموالنا وأنفسنا،

إن عدد اليهود في العالم كله بضعة عشر مليونا على أكثر تقدير — ١٥ أو ١٧ مليونا — وإن عدد المسلمين ليبلغ أربعمائة مليون، وان عدد العرب الذين يريدون نزع فلسطين من أيديهم لا يقل عن مائة مليون، وان اليهود خصوم للمسلمين،

والنصارى منهم على سواء، إنهم خصوم لهم في وطنهم المشترك ومعاهدهم المقدسة فيه، بل خصوم لهم في دينهم أي في دين الاسلام ودين النصرانية - كيف هذا ؟

ان عقيدة اليهود في إعادة ملك اسرائيل بالمسيح المنتظر تكذيب لدين الاسلام وتكذيب أصرح للمسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، فانه هو المسيح الذي بشرهم به أنبياؤهم فكذبوه، وهو الذي أنذرهم خراب هيكلهم السليماني حتى لا يبقى فيه حجر على حجر، وهم يريدون اعادته إتماما لتكذيبه. ومن عجائب همتهم وكيدهم أنهم يسخرون الدول المسيحية كلها لمساعدتهم الادبية، وسخروا بريطانية المسيحية لتأسيس هذا الملك لهم بقوتها السياسية والعسكرية، ومخالفة تقاليدها النصرانية والادبية، فانظروا إلى مبلغ كيدهم وقوتهم

ماذا عسى أن يفعل العرب في إيقاف الدولة البريطانية عند هذا الحد الذي بلغته من تسخيرهم لها وليس عندهم إلا الكلام ؟

ان في بلاد الانكليز خصوما لليهود كخصومهم في سائر بلاد أوربة، ولكنهم أعظم نفوذاً في هذه الدولة من خصومهم من أهلها، فماذا عسى أن يبلغ تأثيرنا فيها ؟ ان نفوذهم قائم على أساس المال والصحف السياسية لأنهم يملكون القسم العظيم من سهام شركاتها

وإن للعرب لقوة أعظم من قوتهم بكثرة عددهم وسعة بلادهم ونفوذهم المعنوي الديني في الهند وغيرها من الامبراطورية البريطانية، ولكنهم يجهلون وسائل الانتفاع بهذا النفوذ في جمع المال وفي تهديد الدولة الانكليزية وإلجائها إلى ترجيح مصلحتهم على مصلحة اليهود الصهيونيين.

وقد قلت لكم في هذا المكان من قبل: ان الانتفاع بهذه القوة العربية، من اسلامية ومسيحية، وبالقوة الاسلامية التي تؤيدها، يتوقف على نظام لا يجوز شرحه في هذه المحافل، وإني أعيد هذه النصيحة وأكرر التذكير بها عملا بقوله تعالى (فذكر إن نفعت الذكرى، سيذكر من يخشى) انتهت المحاضرة

(فتوى واقتراح ، على قارئي هذا الانذار)

إن من يبيع شيئا من أرض فلسطين وما حولها لليهود أو للانكليز فهو كمن يبيعهم المسجد الاقصى، وكمن يبيع الوطن كله لان ما يشترونه وسيلة إلى ذلك وإلى جعل الحجاز على خطر ، فرقبة الارض في هذه البلاد هي كرقبة الانسان من جسده ، وهي بهذا تعد شرعا من المنافع الاسلامية العامة ، لا من الاملاك الشخصية الخاصة ، وتمليك الحربي لدار الاسلام باطل ، وخيانة لله ولرسوله ولأمانة الاسلام . ولا أذكر هنا كل ما يستحقه مرتكب هذه الخيانة، وانما أقترح على كل من يؤمن بالله وبكتابه وبرسوله خاتم النبيين أن يبث هذا الحكم الشرعي في البلاد مع الدعوة إلى مقاطعة هؤلاء الخونة الذين يصرون على خياناتهم في كل شيء من المعاشرة والمعاملة والزواج والكلام حتى رد السلام

ورد في صحيح مسلم أن الله تعالى وعد رسوله ﷺ لأمته « أن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها » الخ ما معناه حتى يكونوا هم الذين يفعلون بأنفسهم ذلك ، وقد بينت في شرحه من جزء التفسير السابع (ص ٤٩٥ و٤٩٦ طبعة ثانية)

أنه ما زال ملك الاسلام عن قطر إلا بخيانة من المسلمين . فتوبوا إلى الله أيها الخائنون

(يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون * واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة ، وان الله عنده أجر عظيم)

قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث

تأليف الشيخ محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي

المتوفى سنة ١٣٣٢هـ — ١٩١٤م

نعي الينا القاسمي في شهر رجب من سنة ١٣٣٢ فكتبت له ترجمة نشرتها في هذا الشهر والذي بعده من مجلد المنار السابع عشر وصفته في أولها بقولي (ص ٥٥٨ منه)

« هو علامة الشام ، ونادرة الايام ، والمجدد لعلوم الاسلام ، محيي السنة بالعلم والعمل والتعليم ، والتهذيب والتأليف ، وأحد حلقات الاتصال بين هدي السلف ، والارتقاء المدني الذي يقتضيه الزمن ، الفقيه الاصولي ، المفسر المحدث ، الاديب المتفنن ، التقي الأواب ، الحليم الاواه ، العفيف النزيه ، صاحب التصانيف الممتعة ، والابحاث المقنعة ، صديقنا الصفي ، وخلنا الوفي ، وأخونا الروحي ، قدس الله روحه ، ونور ضريحه ، وأحسن عزاءنا عنه »

ثم ذكرت تصانيفه ورسائله (في ص ٦٢٨ منه) مرتبة على الحروف فبلغت ٧٩ ومنها هذا الكتاب (قواعد التحديث) الذي عني بطبعه نجله الكريم السيد ظافر القاسمي فتم في هذا الشهر (شوال سنة ١٣٥٣) وكان يرسل إلي ما يتم طبعه منه متفرقا لأنظر فيه ، وأكتب للقراء تعريفا به ، على علم تفصيلي بمباحثه وأسلوبه ، وتقسيمه وترتيبه ، فأقول :

ليتني كنت أملك من وقتي الحاشك بالضروريات ، الحاشد بالواجبات ، فرصة واسعة أو نجزاً متفرقة في شهر أو شهرين أقرأ فيه هذا السفر النفيس كله ، فأتذكر به من هذا العلم ما لعلي نسيت ، وأتعلم مما جمعه المؤلف فيه ما جهلت ، فهو الحقيق بأن يقرأ ما كتب ، ويحصى ما جمع ، لتحريه النفع ، وحسن اختياره في الجمع ، وسلامة ذوقه في التعبير والتقسيم والترتيب والوضع ، وقد بلغ في مصنفه هذا سدرة المنتهى من هذا العلم الاصطلاحي المحض ، الذي يوعى بكد الحافظة ، ويستنبط بقوة الذاكرة ، فلا يستلذه الفكر الغواص على حقائق المعقولات ، ولا الخيال

الجوال في جواء الشعريات ، ولا الروح المرفرف في رياض الادب أو المحلق في سماء الالهيات - إذ جعله كأنه مجموعة علوم وفنون وأدب وتاريخ وتهذيب وتصوف، مصطفاة كلها من علم حديث المصطفى صلوات الله عليه وعلى آله، ومن كتب طبقات العلماء المهتدين به ، كأنه قرص من أقراص أبكار النحل جنته من طرائف الازهار العطرية ، ومجّت فيه عسلها المشتار من طوائف الثمار الشهية ، فلعل الظمآن لهذا العلم لايجد فيه كتابا تطيب له مطالعته كله، فينهله ويعله ولا يمله ، كأنه أقصوصة حب أو ديوان شعر ، اللهم إلا هذا الكتاب

أقول هذا بعد أن طفت بجميع أبوابه ، وكثير من مباحثه وفصوله ، طوافا سريعا كأشواط الرمل في طواف النسك ، ثم قرأت فيه بعض ما اختلف العلماء في تحقيقه ، وبعض مالم يسبق لي الاطلاع عليه من مختارات نقوله ، فصح لي أن أصفه وصفا صحيحا مجملا يهدي الى تفصيل :

صفة للكتاب وما فيه

فأما تقسيمه وترتيب أبوابه وفصوله ومباحثه ووضع عناوينها ، فهو غاية في الحسن وتسهيل المطالعة والمراجعة بكثرتها ، وجعلها عامة شاملة لوسائلها كمقاصدها، وفروعها كأصولها ، وزادها حسنا مراعاته في الطبع بجعلها على أحدث وضع : من ترك بياض واسع بين سوادها، شامل المعدود بالارقام من مباحثها ، مع إفراطه فيه بترك بعض الصفحات بعد ختام للفصل أو البحث خالية كلها . ولكن اذا اشتد البياض صار برصا ،

ومن آيات إخلاص المؤلف وحسن اختيار الناشر أن طبعه في هذا العهد الذي توجهت فيه همم الكثيرين من أهل الدين وطلاب العلم إلى الاشتغال بما كان متروكا من علم الحديث والاهتداء بالسنن الصحيحة في هذه لاقطار العربية ، واجتناب الروايات الموضوعة والمنكرة والواهية ، واشتدت حاجتهم إلى معرفة الشذوذ والعلل والتعارض والترجيح فيها ، وبيان ذلك في كتاب سهل العبارة ، جامع لأهم مايحتاجون اليه من المصطلحات في الرواية والدراية، ووصف دواوين السنة من المسانيد والصحاح والسنن، وكل ما يرشد إلى الاحتجاج والعمل، وأحسن أقوال

الحفاظ ورجال الجرح والتعديل وعلماء أصول الفقه في ذلك، وانهم ليجدون كل هذه المطالب في هذا الكتاب دانية القطوف، مع زيادة يندر فيها المنكر ويكثر المعروف

وأما طريقة المؤلف في تدوينه فهو انه طالع كثيراً من مصنفات المحدثين والاصوليين والفقهاء والصوفية والمتكلمين والادباء من المتقدمين والمتأخرين، وكتب مذكرات فيما اختار منها في هذا الفن وما يتصل به من العلم، ثم جمعها ورتبها كما وصفناها، وقد وفى بعض المسائل حقها، ببيان كل ما تمس اليه حاجة طلابها، وأوجز في بعضها واختصر، إما ليمحصه في فرصة أخرى، وإما ليفوض أمره الى أهل البحث والنظر، ولا غضاضة عليه في هذا فامام المحدثين محمد بن اسماعيل البخاري قد سبقه في بعض أبواب جامعه الصحيح الى مثله

وقد فتح فيه بعد الخطبة والمقدمة تسعة أبواب لمباحث الحديث من فضله وعلومه ومصطلحاته ورواته وكتبه ومصنفيها ودرجاته وما يحتج به ومالا يحتج به وحكم العمل به وغير ذلك من المسائل في نوعي الرواية والدراية، فاستغرق ذلك ٢٥٤ صفحة، وفتح الباب العاشر لفقه الحديث ومكانه من أصول الدين والمذاهب فيه، وما روي وألف في الاهتداء والعمل به، فبلغت صفحاته بهذه المباحث ٣٨٣ يليها الخاتمة وهي في فوائد متفرقة يضطر اليها الاثري

الكتب التي استمد منها هذا الكتاب

وأما المصنفات التي استمد منها مباحث الكتاب ومسائله فأكثرها لأشهر علماء الاسلام من الأئمة المستقلين أو المنتسبين الى المذاهب المتبعة في الامصار المعتمدة عند أهلها، وأقلها للمشهورين عند عوام القراء ومقلدة العمائم بالعلم والعرفان، أو بالولاية والكشف والالهام، لهذا يجد فيه كل فئة من القراء ما تنتقد عليه نقله، من حيث تجد فيه كل فئة ما تعتمد ممن تقبل علمه ورأيه

وأما المؤلف فغرضه من هذا وذلك أن تنتفع بكتابه كل فئة من هذه الفئات، فأهل البصيرة والاستدلال يزدادون علما ونوراً بما اختاره لهم من كتب الأئمة وعلماء الاستقلال، ولا يضرهم مالا يوثق به من أقوال المقلدين ومدعي الكشف والالهام، ولكن الذين يقدسون هؤلاء يجدون من أقوالهم ونقولهم وكشفهم أنهم

يتفقون مع الآخرين على ان أصل هذا الدين (الاسلام) الاساسي المقدس المعصوم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه هو كتاب الله وكلامه (القرآن العظيم) ويليه ما بينه للناس بأمره من سنة رسوله خاتم النبيين ، التي تواترت أو اشتهرت عنه بعمل الصحابة والتابعين وأئمة الامصار ، ويليها ما صح عند هؤلاء الائمة من حديثه ﷺ المروي بنقل الثقات ، وما دون هذا من الاخبار والآثار التي اختلف الحفاظ في أسانيدها ، أو استشكل فقهاؤهم متونها ، فهو محل اجتهاد

ويجد قارىء هذا الكتاب من أقوال أصناف العلماء فيه ما لعله لا يجده مجموعا في غيره ، واني أورد نموذجا من مباحثه وطريقته في نقوله

المذاهب في الضعيف والمرسل والموقوف

من اهم هذه المباحث أقوال المحدثين في معنى الحديث الضعيف الذي وقع الاختلاف في العمل به ، فاستحبه بعضهم في فضائل الاعمال ، والاخذ به في المناقب ، ومن فروع هذا الاختلاف أن الضعيف في جامع الترمذي دون الضعيف في مسند احمد فيقبل من ضعاف المسند ما لا يقبل من ضعاف الترمذي لانها تساوي الحسان فيه

ومنها الاحتجاج بالحديث المرسل واختلاف المذاهب فيه ، واستثناء الجمهور مراسيل الصحابة ، وحجتهم وحجة مخالفيهم ، والاقوال في الموقوف على الصحابي الذي له حكم المرفوع والذي يعد رأيا له ، والاقوال في عدالة جميع الصحابة في الرواية عند جمهور أهل السنة وحجة مخالفيهم فيها ، وغير ذلك من المسائل التي لا يستغني عن معرفتها الذين هداهم الله في هذا العهد الى الاهتداء بهدي محمد ﷺ على صراط الله الذي استقام عليه السلف الصالح وهي كثيرة ، وقد بين المؤلف رحمه الله تعالى رأيه وفهمه في بعضها دون بعض ، وما كان لمن يعنى بكثرة النقل ، وعرض وجوه الاختلاف في العلم ، أن يمحص المسائل كلها فيه ، ويكون له حكم الترجيح بينها ، على ان رأي كل مؤلف في مسائل الخلاف ينتظم في سلك سائر الآراء ، والواجب على المطلع عليه من أهل العلم أن ينظر في دليله كدلائل غيره ، ويعتمد ما يظهر له رجحانه كما فعل المؤلف في بحث الجلال الدواني في الحديث الضعيف وأبدى رأيه في الاختلاف فيه إذ قال :

(٣٥) بحث الدواني في الضعيف

« قال المحقق الجلال الدواني في رسالته أنموذج العلوم: اتفقوا على أن الحديث الضعيف لا تثبت به الاحكام الشرعية ، ثم ذكروا أنه يجوز بل يستحب العمل بالاحاديث الضعيفة في فضائل الاعمال ، وممن صرح به النووي في كتبه لا سيما كتاب الاذكار ، وفيه اشكال لان جواز العمل واستحبابه كلاهما من الاحكام الشرعية الخمسة، فاذا استحب العمل بمقتضى الحديث الضعيف كان ثبوته بالحديث الضعيف وذلك ينافي ما تقرر من عدم ثبوت الاحكام بالاحاديث الضعيفة »

ثم نقل عن الدواني أن بعضهم حاول التفصي من هذا الاشكال وتصحيح كلام النووي بما أورده وناقش فيه ، ثم نقل عن الشهاب الخفاجي مناقشة للدواني في المسألة من شرحه للشفاء ، ورد عليه رداً شديداً فوق المعهود من لين الاستاذ القاسمي بأن حكم على كل مناقشات الخفاجي بأنها عادة استحكمت في مصنفاته لا يخفى واقف عليها بطائل، وأنه سود وجه القرطاس هنا . وأن كلام الجلال لا غبار عليه ، وأن مؤاخذته بمطلق الفضائل افتراء أو مشاغبة ، وختم الرد بقوله « فتأمل لعلك تجد القوس في يد الجلال ، كما رآها الجمال » اه

وأقول نعم إنها قد تحلت وتجلت بحلة الجلال والجمال ، ولو أن الثاني حول نظره عن كتب هذه الطبقة الوسطى من العلماء المستدلين كالدواني والنووي والمناقشة العلمية فيها ، إلى كتب المناقب والفضائل الجامعي كل ما روي من المحدثين ، وكتب الاوراد والتصوف التي لفقها من دونهم من المؤلفين ، لوجد فيها من الغلو في الاطراء المنهي عنه والتشريع الذي لم يأذن به الله ومن الاحتجاج بأقوال الصوفية ومقلدة الفقهاء وعباداتهم المبتدعة ، ما فيه جناية على عقائد الاسلام القطعية ، ومخالفة لنصوص القرآن والاحاديث الصحيحة ، ولوجدهم يحتجون عليها بقول من قالوا إنه يجوز الاخذ والعمل بالاحاديث الضعيفة ، وهم لا يميزون بين الضعاف التي ألحقوها بالحسن ، والمنكرة الواهية التي لم يقل بالاخذ بها أحد ، والتي نقل لنا القاسمي عن الامام مسلم في مقدمة صحيحه وعن غيره من الانكار عليها ما نقل ، ولعقد لهذا البحث فصلا خاصا به .

الموضوعات والاحاديث غير المخرجة

عقد المؤلف المقصد ٨: من الباب الرابع للكلام على الحديث الموضوع بعد أن تكلم على الحديث الضعيف بما نقلنا بعضه عنه آنفا وأورد في هذا المقصد ١٤ مسألة الخامسة منها فتوى الشيخ أحمد بن حجر الفقيه الشافعي في خطيب لا يبين مخرجي الاحاديث نقلا من كتابه الفتاوى الحديثية المخضرمة فلم يذكر فيها اعتماده على مانقله عن الحافظ ابن حجر في منع ولي الامر لهذا الخطيب من الخطابة اذا لم يكن محدثا يروي الحديث بنفسه، فعلم بهذا أن ما اشترطه على نفسه من التزام نقل الاقوال بحروفها أغلبي لا مطرد، ثم قال:

(٣٦) ماجاء في نهج البلاغة من وجوه اختلاف الخبر وأحاديث البدع

«سئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عما في أيدي الناس من أحاديث البدع واختلاف الخبر فقال «ان في أيدي الناس حقا وباطلا، وصدقا وكذبا، وناسخا ومنسوخا، وعاما وخاصا، ومحكما ومتشابها، وحفظا ووهما، ولقد كذب على رسول الله ﷺ على عهده حتى قام خطيبا فقال «من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» وانما أتاك الحديث أربعة رجال ليس لهم خامس»

«رجل منافق مظهر الايمان، متصنع بالاسلام، لا يتأثم ولا يتحرج، يكذب على رسول الله ﷺ متعمدا» ... وقد أخبرك الله عن المنافقين بما أخبرك ... ثم بقوا بعده (ع . م) فتقربوا الى الائمة بعده (١) ﷺ فولوهم الاعمال، وأكلوا بهم الدنيا، وانما الناس مع الملوك والدنيا إلا من عصم الله»

«ورجل سمع من رسول الله شيئا لم يحفظه فوهم فيه» الخ

«ورجل ثالث سمع من رسول الله ﷺ شيئا يأمر به ثم نهى عنه وهو لا يعلم، فحفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ، فلو علم أنه منسوخ لرفضه، ولو علم المسلمون أنه منسوخ لرفضوه»

«وآخر رابع لم يكذب على الله ولا على رسوله» ووصفه بجودة الحفظ ومعرفة الناسخ والمنسوخ والخاص والعام والمتشابه ومحكمه، ما عني به رسول

---

١) في نسخة من النهج: الى أئمة الضلالة والدعاة الى النار بالزور والبهتان

الله ﷺ من كل ذلك » ثم قال « وقد كان يكون من رسول الله ﷺ الكلام له وجهان : فكلام خاص وكلام عام ، فيسمعه من لا يعرف ما عنى الله به ، ولا ما عنى به رسوله ﷺ فيحمله السامع ، ويوجهه على غير معرفة بمعناه وما قصد به ، وما خرج من أجله ، وليس كل أصحاب رسول الله ﷺ من كان يسأله ويستفهمه ، حتى إن كانوا ليحبون أن يجيء الأعرابي الطارئ فيسأله عليه السلام حتى يسمعوا ، وكان لا يمر بي من ذلك شيء إلا سألت عنه وحفظته ، فهذه وجوه ما عليه الناس في اختلافهم وعللهم في رواياتهم » اهـ (من ص٥٤ و١٣٦)

(أقول) نقل المصنف عفا الله عنا وعنه هذا وسكت عنه ، ومقتضاه أنه لا يصح أن يقبل من أحاديث الصحابة المسندة المرفوعة إلا بعض أفراد القسم الرابع منهم ، وظاهره أنه لم يوجد منه إلا فرد واحد هو صاحب الكلام ، وكأنه شهد لنفسه — إن صح إسناده إليه — وإن عسى أن يكون مثله فيما أثبته بعد النفي ، ووجود مثله مشكوك فيه ، ولو صح معناه لكان هادما لكل ما نقله المصنف من قبول مراسيل الصحابة وموقوفاتهم التي قيل إن حكمها حكم المرفوع إلى النبي ﷺ وإن المرفوع من الوحي ، بل مبطلا لكل رواياتهم المرفوعة إلى النبي ﷺ أو مشككا في أكثرها ومبطلا لأقلها ، ولما نقله بعد ذلك في الباب الخامس الذي فتحه لمباحث الجرح والتعديل من قول جمهور أهل السنة بعدالتهم كلهم ، بل هو عنده واضعه هادم لكتب الحديث كلها صحاحها وسننها ومسانيدها ، ولكل ما وضع لرواتها ورواياتها من كتب التاريخ والجرح والتعديل والمصطلح والأصول ، ولما استنبط منها من القواعد والآداب وأحكام الفروع ، فكيف ينقله ويسكت عنه ؟ لعله لو طبع الكتاب في حياته لحذفه منه أو لرد عليه

رواية نهج البلاغة موضوعة ومن قال كله موضوع

إنني على مخالفتي لمن قال من الحفاظ إن نهج البلاغة موضوع بجملته على أمير المؤمنين علي عليه السلام وإن واضعه هو الشريف المرتضى أو الرضي ، وعلى ما عندي من النظر في مذهب من أطلقوا القول في الاحتجاج بمراسيل الصحابة والقول

بأن ماوقفه الصحابي مما لامجال للرأي فيه له حكم المرفوع ، واطلاق القول بأن جميع الصحابة (رض) عدول مع تعريفهم الصحابي بأنه من رأى النبي ﷺ وهو مسلم، وما سبق لي من التحقيق في هذه المسائل بمجلتي (المنار) اني على هذا كله أجزم بأن الجملة التي نقلها الجمال القاسمي هنا عن نهج البلاغة موضوعة على علي كرم الله وجهه ، ولكنني لا أقول إن الشريف هو الواضع لها فالله أعلم بواضعها

إن حفاظ الحديث لايعتدون برواية لخبر نبوي ولا لأثر صحابي ولا لقول محدث ولا فقيه إلا إذا كان له سند متصل رجاله معروفون يكون الحكم بقبوله أو رده تبعا لحال رجال هذا السند في ميزان الجرح والتعديل . وجامع نهج البلاغة لم يرو شيئا منه بالاسانيد المعروفة ولا المجهولة التي وجودها كعدمها عندهم ، فلهذا كان حكمه حكم الموضوع في ان رواياته لايحتج بها على رأي المعزوة اليه ، وان كان هذا لا يمنع أن يكون لبعضها أصل كما قالوا في الموضوعات والاحاديث المنكرة والواهية ، ولكن العمدة فيما يحتج به في الدين والعلم أن يكون له سند صحيح متصل بقائله لاشذوذ فيه ولا علة ، فلا يرد عليهم ماقاله المنكرون لحكمهم على نهج البلاغة بالوضع من ان عدم السند المتصل له على طريقتهم لا يقتضي أن يكون المروي كله أو جله كذبا مفترى، وأن يكون ناقله هو المفتري له ، ومن أن بعض مافي النهج مذكور في كتب أخرى مؤلفة قبل جمع الشريف له ، فإن المحدثين يقولون في روايات تلك الكتب ماقالوه فيه

ثم إن لعلماء فقه الحديث من وراء نقد أسانيد الاخبار والآثار نقداً آخر لمتونها من نواحي معانيها ولغتها وحكم العقل والشرع فيها وتعارضها مع غيرها ، ويشاركهم في هذا النوع من النقد رجال الفلسفة والادب والتاريخ ويسمونه في عصرنا النقد التحليلي ، ومن ثم استشكلوا كثيرا من الاحاديث حتى الصحيحة الاسانيد تكلموا عليها في شروحها ، وصنف بعضهم فيها كتبا خاصة بها أشهرها كتاب (مشكل الآثار) للطحاوي ، وكلمة نهج البلاغة التي نحن بصدد البحث فيها لا تثبت امام هذا النوع من النقد ، بل يكون مثلها فيه (كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا) أو (كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف)

لا تذر منه ذرة ، لهذا نحكم بأنها موضوعة على امام الأئمة الأعظم علي كرم الله وجهه واني أشير في هذا التقريظ الى المهم من مستندات وضعها ، فان سهل المراء في بعضها لم يسهل في جملتها ، فأقول :

مستندات وضع رواية نهج البلاغة

(أولها) انه لم يكن في عهد أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه أحاديث في البدع ولا في غيرها تتداولها أيدي الناس فنقبل دعوى سؤاله عنها ، فان الصحابة رضي الله عنهم لم يدونوا الاحاديث ويلقوها الى الناس ، بل لم يصح عنهم انهم كتبوا منها الا قليلا لم تتداوله الايدي ، أصحه صحيفته كرم الله وجهه التي كان علقها بسيفه ، فقد قال « ما كتبنا عن رسول الله ﷺ إلا القرآن وما في هذه الصحيفة » رواه الشيخان وأصحاب السنن الاربعة ، وكان فيها تحريم المدينة كمكة وأحكام العقل أي الدية وفكاك الاسير ولا يقتل مسلم بكافر — كما في روايات البخاري ، وفي مسلم ان فيها « لعن الله من ذبح لغير الله » وزاد النسائي وأحمد على ذلك

وروى البخاري والترمذي عن أبي هريرة انه قال مامن أصحاب النبي ﷺ أحد أكثر مني حديثا إلا ما كان من عبدالله بن عمرو فانه كان يكتب ولا أكتب ، والمحدثون لا يعدون ما يوجد في صحيفة محدث أو عالم رواية صحيحة عنه إلا إن حدث أنه سمعها من صاحبها ، ويسمونها الوجادة بالكسر ، واختلافهم في الاحتجاج بها معروف ، ومن المشهور عندهم الاختلاف في رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وهو محمد بن عبدالله بن عمرو بن العاص ، قالوا كانت عنده صحيفة فأنكروا عليه مالم يصرح بسماعه من ابيه عن جده وحملوه على النقل من تلك الصحيفة مع احتمال ان يكون مافيها هو ما كتبه جده عبدالله بن عمرو مما سمعه من النبي ﷺ

(ثانيها) أن تقسيم الاخبار الى ما ذكر ولا سيما الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والمحكم والمتشابه والحفظ والوهم وعلل الحديث تقسيم فني حدث بعد عهد الصحابة والتابعين مما اصطلح عليه المصنفون في أصول الفقه بعد الشروع في تدو

الاحاديث ولم يكن مما يدور على ألسنتهم ولا مما يروونه عن النبي ﷺ وما ورد في القرآن من هذه الالفاظ لم يرد كله بهذه المعاني الاصطلاحية التي حدوها حتى قوله تعالى (ما ننسخ من آية أو ننسها) الآية كما حققناه في تفسيرها ، وكذلك المحكم والمتشابه ، وما روي من أثر القاضي الذي سأله علي عن معرفة الناسخ والمنسوخ بهذا اللفظ فقال لا ، قال هلكت وأهلكت ، ما أراه يصح فانه لم يرو عن علي أنه كان يسأل قضاته عن ذلك ولا أنه كان يعلمهم إياه ، وروي مثل هذا الاثر عن ابن عباس . وقد ورد في النسخ آثار أخرى تدل على أن معناه عندهم أعم من معناه الاصطلاحي . وكانوا يقضون بالقرآن ثم بالسنة العملية التي قضى بها النبي ﷺ أو الخلفاء من بعده . ولم يكن في أيديهم أحاديث قولية من موضوع بحثنا يقضون بها ، و يطلب منهم معرفة ناسخها من منسوخها مثلا . وجملة القول في هذا النقد أن ذلك الكلام في جملته مما يستبعد أن يجمله علي (رض) تفصيلا لأنواع الاحاديث التي قيل إنه سئل عنها ، وإن كان معناه غير الاصطلاحي مما لا يعزب عن علمه الواسع

(ثالثها) ان حديث « من كذب علي متعمداً » الخ لم يكن سببه كذب المنافقين عليه ﷺ ولا كان المنافقون يبالون بهذا الوعيد ، وفي القرآن ما هو أشد عليهم ، وإنما هو للتحذير من جريمة الكذب عليه ﷺ وأنه ليس كالكذب على غيره ليحتاط كل مؤمن فيه

(رابعها) أن المنافقين الاقحاح الذين كانوا يستحلون الكذب عليه ﷺ كانوا كلهم من أهل المدينة وما حولها ولم يكن في المهاجرين أحد منهم ، وأكثر كذبهم كان للدفاع عن أنفسهم لا في رواية الاحكام الشرعية لغش المؤمنين بها ، فان هذه الاحكام لم تكن تعنيهم ، وكانوا يتربصون بهم الدوائر ظانين أن الاسلام يزول بوفاة النبي ﷺ أو بظهور المشركين أو الروم عليهم . وقلما بقي إلى خلافة علي أحد منهم ، فقد آمن أكثرهم قبلها بظهور أمر الاسلام على الروم والفرس كما وعد الله رسوله ﷺ فان وجد شيء من رواياتهم فهو قليل فيما لا شأن له . خلافا لما تتقوله الرافضة على الصحابة حتى كبار المهاجرين منهم ، ويحتجون بعبارة نهج البلاغة الموضوعة على رفض أحاديثهم

(خامسها) أن زعمه تقريب المنافقين إلى الأئمة الذين قبله رضي الله عنه وعنهم وتوليتهم إياهم الأعمال وأكلهم الدنيا بهم، فيها نظر من وجوه، نعم إن من العلوم بالضرورة من تاريخه وسيرته كرم الله وجهه أنه لم يكن يثق بدين معاوية وعمرو ابن العاص اللذين توليا مصر والشام في إمامة عمر، وأنه كان يعتقد بحق أنهما من طلاب الدنيا والملك، ولكنهما لم يكونا من رواة الأحاديث التي قيل إنها في أيدي الناس في عهده، وليس فيما روي عنهما في الصحاح من بعده ما هو محل تهمة وهو قليل، ليس لمعاوية في صحيح البخاري إلا ثمانية أحاديث ولا لعمرو إلا ثلاثة أحاديث، ولم يكونا من المهاجرين الأولين فإن عمراً أسلم بين الحديبية وخيبر أو في صفر سنة ثمان. ومعاوية أظهر إسلامه عام الفتح، وروى الواقدي أنه كان أسلم بعد الحديبية وكتم إسلامه والواقدي لا يحتج بروايته، وعلى كل فهما ليسا من المهاجرين السابقين، ولكن الطعن في سياستهما بحق، لا يقتضي الطعن في روايتهما بدون شبهة، بله الطعن في إيمانهما، ولقد كانت سيرة عمرو في مصر حميدة ولا تزال محل إعجاب مؤرخي الإفرنج وغيرهم، فهل كان هذا إلا من هداية الإسلام؟

(سادسها) أن الرجل الثاني من رواة الصحابة الصادقين الذي وهم في حديثه ولم يكذب، والثالث الذي عرف الناسخ ولم يعرف المنسوخ، هما مما يحكم العقل بإمكان وجودهما وأن تعذر معرفة أشخاصهما، ونقاد الأحاديث من الحفاظ والفقهاء هم الذين قاموا بما يجب من التمييز بين الروايات عن الجميع، ومن معرفة سيرة الرواة كلهم ووزنها بميزان الجرح والتعديل، ولذلك لا يقبلون حديثاً ولا أثراً ليس له سند معروف كهذا الأثر وأمثاله من آثار نهج البلاغة

(سابعها) قال في آخر الكلام عن القسم الرابع من رواة الصحابة وهو الفرد الكامل في الصدق والضبط والعلم والفهم« وليس كل أصحاب رسول الله ﷺ من كان يسأله ويستفهمه، حتى إن كانوا ليحبون أن يجيء الأعرابي الطارىء فيسأله عليه السلام حتى يسمعوا » وهذا القول فيه نظر وبحث من وجوه (منها) أنهم كانوا يسألونه ويستفهمونه عن كل ما يشكل عليهم حتى النساء لا تمنعهن مهابته

ﷺ عن الواجب لاقترانها بلطفه وتواضعه ، ومن استحيا من سؤال كلف غيره ان يسأله عنه كما أمر علي المقداد بسؤاله عن حكم المذي اذ كان كرم الله وجهه مذاء . وقد أغضبوه مرة لكثرة سؤالهم وهو على المنبر حتى سأله بعضهم من ابي؟ لشكه فيه فقال « ابوك حذافة » رواه الشيخان (ومنها) أنهم لم يكونوا يسألونه ﷺ عما نهاهم الله ورسوله عنه من السؤال وقد فصلناه في تفسير (٥: ١٠٤ يأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) من جزء التفسير السابع ص ١٢٥ (ومنها) أن سبب نهيهم عن كثرة السؤال الثابت في الصحاح أنه يقتضي كثرة أحكام التكليف والله ورسوله يريدان التخفيف عن هذه الامة (ومنها) أن الأعراب لم يكونوا يعلمون هذا النهي فكان أحدهم يسأل عن كل ما يخطر بباله ويرى أنه محتاج اليه ، وكانوا كلهم يحبون الزيادة من العلم فيعجبهم سؤال الاعرابي الطاري ، ولا فرق بينه كرم الله وجهه وبين سائر علمائهم في شيء من ذلك ، إلا أنه كان في الذروة منهم ، وفي الآيات والاحاديث الصحيحة ما يدل على ما قلناه ، وهذه الاربعة تضم الى ما قبلها وما بعدها .

(وثامنها) أن هذا الكلام في جملته قد وضع بالاصطلاح الجدلي ليكون أساسا لمذهب الشيعة الامامية في الطعن على الخلفاء الثلاثة وعلى « جمهور » الصحابة من المهاجرين والانصار الذين نزل القرآن مصرحا برضى الله عنهم ورضاهم عنه ، وبعدم الاحتجاج بالاحاديث المروية في الصحاح والسنن ، ويعارضه ما هو مخالف له من المروي عن علي (رض) بأسانيد الثقات في اعتقاده وعلمه وعمله وتأييده وولايته للائمة الذين قبله وفي قضائه والاحاديث المروية عنه ، وفي أسلوب كلامه أيضاً ، وله نظائر في نهج البلاغة وغيره مما أفردوا بحكايته عنه وعن آله (ع . م) من غرائب بأسلوب يشبه نظريات المتكلمين وتكلفات المولدين

كلام ابن ابي الحديد في شرح كلمة النهج

هذا واني قد راجعت بعد كتابة ما تقدم شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة فرأيته يستشكل هذا الكلام ويتكلف تصحيح معانيه لأن شرحه للنهج مبني على التسليم لروايته فرض بقاء بعض المنافقين بعد النبي ﷺ ومخالفة حديثه ﷺ

كذب كثير منهم بقصد الاضلال على جاهليته من اشتغالهم بالحرب والفتح والغنائم عما كانوا ينقمونه من أمور الاسلام وتصريحه بأنه قد صح إيمان بعضهم

والحق أن أكثر الموضوعات في هذا الباب كان من مبتدعة الرافضة والخوارج وغيرهم ، وقد قال (ابن أبي الحديد بعد ذكر هذا من ص ١٥ مجلد ٣) ما نصه :

« وقد قيل انه افتعل في أيام معاوية خاصة حديث كثير على هذا الوجه ، ولم يسكت المحدثون الراسخون في علم الحديث عن هذا بل ذكروا كثيرا من هذه الاحاديث الموضوعة وبينوا وضعها وان رواتها غير موثوق بهم ، إلا ان المحدثين إنما يطعنون فيما دون طبقة الصحابة ولا يتجاسرون في الطعن على أحد من الصحابة لأن عليه لفظ الصحبة ، على أنهم طعنوا في قوم لهم صحبة كبسر بن أرطاة وغيره

« فان قلت : من هم أئمة الضلالة الذين يتقرب اليهم المنافقون الذين رأوا رسول الله ﷺ وصحبوه للزور والبهتان ؟ وهل هذا إلا تصريح بما تذكره الامامية وتعتقده ؟ قلت ليس الامر كما ظننت وظنوا ، وإنما يعني معاوية وعمرو ابن العاص ومن شايعهما على الضلال كالخبر الذي رواه من رواه في حق معاوية »

(وذكر بعض أحاديث الفضائل وقول الباقر فيها ثم قال (في ص ١٧) :

« واعلم أن أصل الاكاذيب في أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة فانهم وضعوا في مبدأ الامر أحاديث مختلفة في صاحبهم حملهم على وضعها عداوة خصومهم (وأشار إلى بعضها ثم قال) فلما رأت البكرية ما صنعت الشيعة وضعت لصاحبها أحاديث في مقابلة هذه الاحاديث » (وأشار إلى بعضها برأيه) والمحدثون بينوا كل ذلك ولم يكن فيهم طائفة تسمى البكرية

ثم أقول ان هذا التقسيم الذي قاله صحيح في جملته واستدلاله ، وإن أسلوبه الكلامي والمنطقي قوي ولكن علمه بالروايات ضعيف ، فالرجل معتزلي متكلم ومتشيع غير محدث . والاحاديث الموضوعة في العقائد وأصول الاحكام والتفسير لم يضع أحد من الصحابة شيئا منها ، لا مؤمنوهم الصادقون وهم السواد الاعظم ولا منافقوهم القليلون الذين ربما كانوا قد انقرضوا عند وضعها ، وانما وضعها الزنادقة من مسلمة اليهود والمجوس وملاحدة الشيعة الباطنية لا الامامية

ولكن الامامية خُدعوا بالكثير منها لظنهم أن أولئك الملاحدة منهم ومن أكثر الصحابة كانوا أعداء لعلي وأهل بيته فلا يوثق برواياتهم ، مع قلة علمهم بنقد الروايات، وقد اشتهر الشيعة بالكذب عند المحدثين والمؤرخين حتى الافرنج وأهم أسبابه ما أشرت اليه . وحسبي هذا الاستطراد الضروري في تقريظ كتاب (قواعد التحديث) وأعود الى بيان أهم فوائده فأقول :

أهم فوائد الكتاب المقصودة منه بالذات

الجمال القاسمي رحمه الله تعالى من المصلحين المجددين في هذا القرن (الرابع عشر للهجرة) وغرضه الاول من هذا الكتاب بث هداية الكتاب والسنة في الامة على منهاج السلف الصالح وتسهيل سبيلها ، وما أهلك المسلمين في دينهم ودنياهم إلا الاعراض عن هذه الهداية التي شرع الله الدين لأجلها

ولهذا الاعراض سببان أهونهما الجهل البسيط وهو عدم العلم بما خاطب الله الناس في كتابه ، وبما بينه لهم رسوله ﷺ منه بسنته وهديه ، وبما كان عليه أهل العصر الاول عصر النور من الاهتداء بالكتاب والسنة علما وعملا وخلقا وجهادا وفتحا وحكما بين الناس ، وأعسرهما وأضرهما الجهل المركب وهو التعليم التقليدي لكتب المتأخرين من المتكلمين والفقهاء والصوفية ، والاستغناء بها عما كان عليه السلف ومنهم أئمة الامصار من المحدثين والفقهاء بشبهة شيطانية ، هي أن فهم الكتاب والسنة خاص بالمجتهدين ، وأن المتأخرين من العلماء أعلم بما فهمه المصنفون المقلدون للائمة في القرون الوسطى ، وأولئك أعلم بما فهمه الائمة المجتهدون منهما مباشرة ، وان العلماء على طبقات في تقليد بعضهم لبعض عدها بعض متأخري الفقهاء خمسا ، وعدها الشعراني من متأخري الصوفية ستا ، كل طبقة تحجب أهل عصرها عما قبله ، حتى تجرأ بعض من يؤلفون ويكتبون في المجلات ممن أعطوا (لقب كبار علماء الازهر) – وهم الطبقة العاشرة على حساب الشعراني – على التصريح في عصرنا هذا بأن من يؤمن بآيات القرآن في بعض صفات الله تعالى على ظاهرها يكون كافرا (!!!) وتجرأ بعض من قبله منهم على التصريح في مجلس ادارة الازهر بأن من يقول إنه يعمل بما صح من الاحاديث على خلاف فقهاء المذهب فهو زنديق (كما بيناه في المنار وفي تاريخ

الاستاذ الامام) وهؤلاء يكرهون علم الحديث وأهله وقد صرح الحفاظ الاولون بأن الوقيعة في أهل الاثر من دأب أهل البدع كما نقله المؤلف (في ص ٣١)

نقوله ودروسه وغرضه الاصلاحي فيهما

نقل لنا الجمال القاسمي بحسن اختياره وجماله وقسامته في إرشاده ، نصوصا من كتب أشهر الأئمة من علماء الملة المستقلين ، وكتب المنتسبين الى مذاهب الكلام والفقه والتصوف المقلدين ، صريحة في اتفاق الجميع على وجوب الاهتداء والعمل بكتاب الله وسنة رسوله واتباع سلف الملة في الدين ، وعلى خطأ من يخالفهم في هذا بما يقطع ألسنة الذين يصدون عن سبيل الله من عميان الجهل المركب ، الذين لايعلمون ، ولا يعلمون أنهم لا يعلمون ، وهم الذين وصفهم أبو حامد الغزالي بقوله : وأولئك هم العميان المنكوسون ، وعما هم في كلتا العينين ، فهذه حكمة نقلها عن كل طبقة من العلماء المشهورين حتى المعاصرين له ولنا من المصنفين ومحرري المجلات العلمية ومنها المنار ومما نقله عنه ما ترى في ص ٢٥٠ ولكنه لم يصرح باسمه ولا باسم صاحبه خوفا من الحكومة

وصفت الاستاذ القاسمي في ترجمة المنار له بالاصلاح ، ورددت على من ينكر على هذا الوصف بما بينت به طريقته فيه ، واستنبطت مما اطلعت عليه من كتبه ومن حديثي معه أربعا من مزاياه في الاستقامة على هذه الطريقة .

(أولاهن) سبب تدريسه لبعض الكتب المتداولة كجمع الجوامع وكتب السعد التفتازاني وما هي كتب اصلاح بل فنون اصطلاح أشبه بالألغاز

(الثانية) الاستعانة بنقول بعض المشهورين على اقناع المقلدين والمستدلين جميعا من المعاصرين بما يقوم عليه الدليل

(الثالثة) أنه كان يتحرى مذهب السلف في الدين وينصره في دروسه ومصنفاته ، وما مذهب السلف إلا العمل بالكتاب والسنة بلا زيادة ولا نقصان وذكرت شاهدين من شعره على مذهبه هذا

(الرابعة) أنه كان يتحرى في المسائل الخلافية الاعتدال والانصاف ، واتباع مايقوم عليه الدليل من غير تشنيع على المخالف ولا تحامل

وقد أطلت في هذه بما لم أطل فيها قبلها ، وذكرت ما أنكره عليه بعض متبعي السلف من أنه خالفهم في كتابه (تاريخ الجهمية والمعتزلة) وكتابه (نقد النصائح الكافية) وبينت ما توخاه من التأليف بين فرق المسلمين الكبرى فيهما ، بما لا محل لاعادته هنا ، وانما ذكرت هذا الموضوع لأذكر به من يستنكر مثله في هذا الكتاب ، وقد نقل فيه عن داعية السلف المحقق العلامة ابن القيم سبقه إلى مثله وتصريحه بأن في كلام كل فرقة ومذهب حقا وباطلا

كذلك: وقد ألف الاستاذ الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله بعده كتاب (توجيه النظر ، الى أصول أهل الأثر) وهو في موضوع (كتاب قواعد التحديث) والعلامتان الجزائري والقاسمي كانا سيين في سعة الاطلاع وحسن الاختيار ، الا أن الجزائري أكثر اطلاعا على الكتب ، وولوعا بالاستقصاء والبحث ، والقاسمي أشد تحريا الاصلاح ، وعناية بما ينفع جماهير الناس ، فمن ثم كان كتاب الجزائري وهو أطول قاصرا على المسائل الخاصة بمصطلح الحديث وكتب المحدثين التي قلما ينتفع بها الا المشتغلون بهذا العلم ، فقد وفى بعض مسائلها حقه من الاستقصاء بما لم يفعله القاسمي ، ولكنه أطال كل الاطالة بتلخيص (كتاب علوم الحديث) للحاكم النيسابوري وهي اثنان وخمسون نوعا ، ثم بما لخصه من (كتاب علل الحديث) لابن ابي حاتم الرازي ، ثم بما استطرد من الكلام في مبحث كتابة الحديث الى الكلام في « الخط العربي وتدرجه بالترقي الى وصوله للكمال الذي عليه الآن ، وما يحتاج اليه بعد هذا الكمال من علائم الوقف والابتداء » وهو على اطالته في هذا الفن لم يراعه في العمل فكتابه كأكثر الكتب القديمة ، وكتاب القاسمي كما علمت في تقسيمه وتفصيل عناوينه والبياض بينها لتسهيل المطالعة والمراجعة، فهو في هذا وفي طبعه على أحسن ما انتهت اليه الكتب الحديثة ، كما أنه أكثر جمعا ، وأعم نفعا ، وخلاصة القول في تقريظ هذا الكتاب أننا لا نعرف مثله في موضوعه وسيلة ومقصدا ، ومبدأ وغاية ، فنسأل الله تعالى ان يحسن جزاء مؤلفه وطابعه ، وان يوفق الامة للانتفاع به ،

كتاب الامام ، ورأيه في تفسير المنار

(وفي مؤلفات صاحبه عامة وكتاب المنار والازهر خاصة)

بسم الله الرحمن الرحيم

(من أمير المؤمنين ، المتوكل على الله رب العالمين ، يحيى بن محمد حميد الدين)

حضرة العلامة الهمام ، والاستاذ الفاضل عز الاسلام ، السيد محمد رشيد رضا الحسيني ، مد الله عمره في طاعته ، وأدام حميد سعيه وإفادته ، وشريف السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، تناولنا كتابكم المؤرخ ١١ رمضان الكريم ، وقد وصل ما أرسلتموه من أجزاء تفسيركم الكبير ، وذلك أحد عشر جزءاً وشكرنا اهتمامكم بارسالها ، وهو تفسير حري بكل اعتبار وتقدير ، وما نظرنا مؤلفاتكم إلا بعين الاكبار والاستحسان ، لما تحويه من جليل المقاصد ، وجزيل الفوائد ، وتشبعها بروح الانصاف ، وصبها في قالب ذلك النفس النفيس المعبر عن المقصود بغير تكلف ، والقيام من نصرة الاسلام بما يشفي الغليل بلا تكلف ولا تعسف ، ووصل أيضاً (المنار والازهر) وساءنا بلوغ الامر إلى تلك العبارات في وقت يجب أن نكون فيه جنبا إلى جنب لنصرة الاسلام ، فتداركوا الامر بكل ممكن من الحكمة عافاكم الله تعالى

وانا نحثكم على إكمال التفسير المبارك ، فاكماله ينبغي أن يكون من أجل ما يتوجه اليه اهتمامكم وعنايتكم ، والمثوبة على ذلك من الله جزيلة ، ومنفعة المسلمين به جليلة ، ونسأل الله تيسير ما أشرتم اليه من أسباب الكمال في إدارة البريد وسواها ، وقد أمرنا الولد عبد الله الوزير عافاه الله بايصال مائة جنيه بواسطة بعض المصارف بعد الوقوف على إمكان وصولها بهذه الطريقة ، ولعل هذه السطور لا تصل اليكم إلا بعد وصولها

وتفضلوا بارسال أحسن المصنفات في الرد على شبه النصارى الحديثة التي ينسبونها إلى الاسلام ، والدعاء مستمد ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وحرر في ٢ شوال سنة ١٣٥٣ هـ

(جواب المنار العام، بعد جواب صاحبه الخاص)

هذا نص كتاب جلالة الامام، أيد الله بعلمه وحكمه العرب والاسلام، فأما مجموعة تفسير المنار فقد أرسلت إلى مقامه العالي بأمره، وكان قد وصل اليه بعضها متفرقا، وسنقر عين مقام الامامة بزيادة العناية باكمال التفسير المطول، وبما شرعنا فيه من كتابة التفسير المختصر المفيد !

وأما كتاب (المنار والازهر) فقد أرسلناه معها لانه صدر في وقت شحنتها وما ساء مولانا الامام من بلوغ الامر في مسألة شيخ الازهر إلى الحد الذي أشار اليه، جدير بأن يسوء كل مسلم فكيف بمثله في مقام امامة العلم والحكم والغيرة على الاسلام ومصالحه، وقد بذل هذا العبد الضعيف كل وسعه في تدارك الخطب قبل تفاقمه، وعجز مثله عن درء مفاسده، بتكرار النصيحة للاستاذ الأكبر الشيخ محمد الظواهري، امتثالا الامر النبوي المطاع «الدين النصيحة» الخ وعوا تاه العلامة الشيخ عبد المجيد سليم مفتي الديار المصرية في سعيه الحميد إلى الصلح، فحال اختلاف الظواهر والبواطن من الشيخ دون نجاح السعي

ثم أرجأت إصدار (كتاب المنار والازهر) أكثر من سنة ونصف لعله يتذكر أو يخشى، ويكفينا أمره بما هو أليق بمنصبه وأولى، فكان ما جناه عليه اجتهاده أن أسخط جماعة الازهر والمعاهد الدينية كافة من سيرته، وصار علماؤهم وطلابهم كلهم إلبا عليه، يشكون منه ويهتفون باسقاطه في أزهرهم ومعاهدهم، ويطعنون عليه في الجرائد والمساجد والشوارع، وتظاهرهم عليه سائر طبقات الامة خاصيها وعاميها حتى أعيا الحكومة تدارك أمره معهم، وكان المخرج له من ذلك استقالته من رياسته عليهم، ولكنه مازال يرجح جميع ضروب الاهانة، على ماهو دونها من ذل الاستقالة، ولو كان أمر عزله منوطا بالحكومة وحدها لعزلته، وأراحت نفسها والامة منه، فرئيسها ووزير الاوقاف فيها أعلم الناس بمساويه ولا سيما الرسمي منها، وقد أظهر التحقيق عليه بعض ما يجهله الجمهور منها، وقد كانت نازلته من النوازل المحلية، فصارت من الفتن العامة الاسلامية، فنسأل الله عز وجل أن يقي العلماء وسائر المسلمين شرها ويجزي من تولى كبرها، بقدرته القاهرة وحكمته البالغة في الظالمين، ورحمته الخاصة بالمتقين المحسنين. آمين



قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صُوًى « ومناراً » كمنار الطريق

٢٩ ذي الحجة ١٣٥٣ برج الحمل سنة ١٣١٣ هـ ش ٣ إبريل سنة ١٩٣٥

فتاوى المنار

أسئلة من بيروت بعد مقدمة في الاصلاح

(بسم الله الرحمن الرحيم)

صاحب الفضل والفضيلة المرشد المعظم الاستاذ العلامة السيد محمد رشيد رضا، حفظه الله. السلام عليكم ورحمة الله تعالى ، وبعد فقد هدانا الله لاقتناء تفسيركم الجليل ومناركم الاغر على رغم من يخوفنا من التقرب اليكم أو مطالعة كتبكم أعداء الدين علماء السوء بدون أن يستطيعوا أن يبرهنوا بدليل معقول على مبدئهم السيء.

ثم أصبحنا ولله الحمد نطالع كتبكم التي ينطق لسان حالها بما أمر الله به رسوله الكريم ﷺ بقوله (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) فنجد فيها كنزاً لا يفنى فنزداد بها حبا وندعو من نحبه لاقتنائها

قد عودتمونا أن لا نسير في الظلمات أو مكبين على وجوهنا ، وأن ننبذ التقليد ونجيل النظر في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهذه دعوة سامية تهواها الفطرة ويقدسها العقل ، فأصبحنا ولله الحمد بترك التقليد أحراراً غير عبيد العبيد . إنما قد اعترانا بعض الصعوبات لتطبيق فكرتكم السامية تطبيقا كاملا شأن كل حديث

فالتجأنا إليكم لتهدونا إلى أقوم السبيل ، وما كنا بشاغلي فضيلتكم بالاجابة على سؤالنا لو وجدنا في كتب التفسير أو في أجزاء المنار الاخيرة بغيتنا بكاملها .

فهذه أسئلة كلها بقصد التعلم والاستفادة فتكرموا بالاجابة عليها في منار كم الاغر لتكون الفائدة أعم ، إذ نرى أن من الصعب أخذ الاحكام من الكتاب والسنة لمن لا يتمكن من الانقطاع للتفقه ، خصوصا وقد اختلف في كثير منها كبار العلماء والائمة المجتهدون (رض) رغم انقطاعهم للعلم ، ولم يكن اختلافهم في الفروع المستنبطة من أحاديث غير متواترة فحسب، بل في الاركان وأعمال أجريت من قبل الرسول الاعظم ﷺ ألوف المرات . فكيف بنا اليوم ونحن مضطرون للسعي لمعيشة عيالنا ، وتضحية أعظم أوقاتنا بذلك نظراً للضائقة المعلومة ، أليس من الضروري أن نحيط بعلم الحديث بكامله ؟ نعم ان آيات الاحكام في القرآن الكريم لا تتجاوز المائة وخمسين كما يقال ، ولكنها غير مفصلة ولا يمكن الاكتفاء بها دون السنة والحديث . فما العمل ياسيدي العلامة ؟

أما اذا أردنا أن نتبع ماقاله الامام الشوكاني (رح) من سؤال العامي للعالم عن المسألة ودليلها فيصبح المتعلم عاميا لعدم استطاعته تخصيص عمره لاستنباط ذلك من القرآن والسنة ، ومن جهة ثانية قلما نجد عالما يهدينا الى الدليل ولو طلبنا اليه ذلك ، وأكثر ما هنالك يقول كما في الكتاب الفلاني أو حاشيته، فاهدونا هدانا الله وإياكم إلى طريقة نسير بها على نور ونطمئن بها في ديننا.

وكذلك نرجو من حضرة الاستاذ أن يجيبنا على مايلي :

١ — ما هو خير كتاب يجمع آيات الاحكام وأحاديث الاحكام

٢ — هل يوجد دليل شرعي للمقلد ينجيه يوم الحساب باتباعه من قلده اتباعا أعمى ؟ وما أقوى دليل للمقلدين غير (وأولي الامر منكم) لأنه لاحجة لهم بها؟ فاذا كان الجواب سلبيا فكيف سكت عن هذا علماء كثيرون ممن ينتمي للمذاهب والذين ألفوا كتبا عظيمة حصروها في مذهبهم فقط ؟

٣— رجل عنده دراهم لايشتغل بها ويحب أن يفيد الفقير البائس خصوصا في مثل هذا الوقت الضيق بأكثر من حصة الزكاة دون أن ينقص ماله ويعرضه

نفسه للحاجة ، فهل اذا وضع تلك الدراهم في مصرف وأخذ عنها ربا وأعطاه لهذا الفقير يثاب على ذلك ؟ أو ان هذا الامر الذي لا يقبله العقل يتبع قاعدة درء المفاسد مقدم على جلب المنافع ، ويعد من المفاسد !

٤ — ذكرتم في تفسيركم الجليل ان ابليس من الملائكة ، ولا يخفى ان الله تعالى سمى الملائكة رسلا ، والرسل معصومون من الخطأ ، فكيف نوفق بين تسميته ملكا وعصمة الملائكة ؟

وختاما نسأل الله تعالى أن يقويكم لاتمام التفسير ولو بصورة موجزة وكذلك كتاب أحكام الربا الذي تفضلتم ووعدتم فيه ويديم نفعكم للمسلمين ويعد لنا في عمركم ودمتم خير مرشد تلميذكم عزت الرادي

(جواب المسائل البيروتية ٢٧ ـ ٣٠ وكلمة في مقدمتها)

(١) قولك في الذين يخوفونك من كتبنا ولا سيما تفسيرنا أذكرك في دفعه بأنه لا يوجد فيهم أحد يصح أن يسمى عالما من علماء التقليد فضلا عن علماء الاستقلال وإن كان دون إمامة الاجتهاد، وإنما هم أحد فريقين معمم جامد حاسد، أو عامي مقلد لحاسد ، ممن لا يميز بين الحق والباطل ، ويقل في كل منهما من اطلع على المنار أو تفسيره أو علم بما لهما من المكانة عند أكبر علماء الاقطار الاسلامية وأولها مصر فأكبر علمائها على الاطلاق يفضلون تفسير المنار على تفاسير المتقدمين والمتأخرين في الهداية وحاجة العصر اليه وغير ذلك كالعلامة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الازهر الاشهر والعلامة الشيخ عبدالمجيد سليم مفتي الديار المصرية وغيرهما ، ولا نعلم أنه يوجد عالم رسمي في مصر يصد عن سبيل الله التي يبينها المنار وتفسيره الا شيخ السوء الذي خذله الله خذلانا لم يسبق له في العالم الاسلامي نظير حتى أجمع أهل العلم وطلابه على إهانته وإسقاطه في الازهر وسائر معاهد العلم، وعدم الثقة بعلمه ولا بدينه ووافقهم جمهور الامة ، ولم يتبعه في ضلاله وإضلاله الا شيخ واحد أعمى البصيرة والبصر، وحسبكم (كتاب المنار والازهر) مبينا لهذه الحقائق ، وحسبكم من وصف هذا الاعمى افتراؤه الكذب الصريح

على من يحسده ويذمه ، وتفضيله كتب مقلدة المقلدين من الدرجة الخامسة على نصوص الكتاب والسنة وعلى كتب قدماء الأئمة ولاسيما حفاظ الحديث منهم، ونصره للبدع على السنة ، وأفظع من كل ذلك تكفيره لمن يؤمن بظاهر نصوص القرآن في صفات الله تعالى كالسلف الصالح بدون تأويلات بعض خلف المتكلمين لها. ونحمد الله تعالى أن كفانا شر هؤلاء الخامدين الجامدين ، وجعل لنا حظا من الوراثة المحمدية في قوله تعالى لرسوله ﷺ (إنا كفيناك المستهزئين) وكان آخر نصر لنا عليهم ظهور كتابنا (الوحي المحمدي) وما كان له من التأثير والتفضيل في العالم الاسلامي حتى انه طبع في العام الماضي الذي ظهر فيه مرتين وهو يطبع الآن الطبعة الثالثة قبل انتهاء السنة الثانية

(٢) ان ماندعوكم اليه من هداية الكتاب والسنة واجتناب التقليد المذموم بالنصوص لا يستلزم الاطلاع على جميع كتب الاحاديث ولا على أكثرها ، ولا القدرة على استنباط الاحكام منها ومن القرآن، ولا على ترجيح بعض أقوال المجتهدين على بعض ، فأهم أحكام الدين الواجبة على كل مسلم هي المجمع عليها التي لا اجتهاد لاحد فيها ، وهي قسمان أعلاها المعلوم من الدين بالضرورة الذي يعد جاحده كافراً كفر خروج من الملة، ولا يعذر المسلم بجهله إلا اذا كان حديث عهد بالاسلام أو نشأ في شاهق جبل لم يعاشر المسلمين كما قال علماء العقائد والفقه جميعا ، والقسم الآخر يعذر بجهله العوام وقد فصلنا ذلك مرارا في المنار وفي تفسيره

وما زاد على الاحكام المجمع عليها وهو الاحكام الخلافية الاجتهادية فأمرها أهون لان جهلها لا ينافي الاسلام ، والعلم بالمنصوص منها أسهل ، وأخذه من كتب أهل الحديث أقرب من أخذه من كتب فقهاء التقليد ، وسنذكر لكم أهم كتبها

وأهم من هذه الاحكام الفقهية الاجتهادية هداية الكتاب والسنة في العلم بالله وتوحيده وأصول الايمان وشعبه وثمراتها من التقوى والتوكل والجهاد بالمال والنفس في سبيل الله وإعلاء كلمته وإعزاز دينه ، ولا تجد في كتب الفقه من هذا شيئا، وكتب التصوف ممزوجة بالبدع والخرافات إلا قليلا منها، فهذا أهم ماندعوكم اليه ، وكل سورة من سور القرآن حتى القصيرة تعطي متدبرها من هذه الهداية مالا

تغني غناءه الكتب الطويلة من دونها كما رأيتم في تفسيرنا للفاتحة وخواتيم سور القرآن ، ويمتاز تفسير المنار على جميع التفاسير بأنه مؤلف لاجل هذه الهداية من أقرب طرقها إلى الفطرة والعقل وصحيح النقل ،وقد شرعنا في (التفسير المختصر المفيد) الذي يسهل على كل قارىء فهم القرآن والاهتداء به ، فنسأل الله تعالى توفيقنا لاتمامه ونرجو من جميع اخواننا الدعاء لنا بذلك ، وكتاب واحد من كتب الصحاح أوالسنن يكفي في هذه الهداية ، وخيرها صحيح مسلم لأنه أسهل من صحيح البخاري وأحسن جمعا وافادة ، وإن كان للبخاري مزايا أخرى

(٣) إن ماذكرتموه عن القاضي الشوكاني من سؤال العامي للعالم عن المسألة التي يجهلها وعن دليلها قد قاله غيره من دعاة الاتباع ، النهاة عن الابتداع ، وهو يقابل مايقوله المقلدون من وجوب سؤال علماء المذهب الذي ينتمي اليه والاخذ بما يقولونه له بغير دليل ، فانه بزعمهم ليس أهلا لفهم الدليل ، وهو زعم باطل بالبداهة فان العامي يكتفي من الدليل بالاجمالي ، حتى قول العالم ان في مسألته حديثا صحيحا صريحا ، أو ليس فيها نص فيعمل فيها بأصل البراءة ، وبحديث « وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها .وقد فصلنا هذه المسائل من قبل في مواضع من المنار وفي تفسير قوله تعالى (لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسؤكم) من سورة المائدة وقد جمعنا ما كتبناه فيها مع غيره في كتاب (يسر الاسلام) ومنه يعلم خلاف ما استشكله السائل هنا . ولكن المشكل الذي يعسر حله قلة علماء الكتاب والسنة واعتياد أكثر مدعي العلم على كتب المتأخرين ، وأكثر ما فيها آراء لمؤلفيها لا يعرف منها ماله أصل وما ليس له أصل من الكتاب والسنة فلا يشعر قارئها بأن له صلة بربه ولا يميز بينه وبين مازيد عليها من الخرافات والجهالات والبدع.

وأكبر شبهاتهم على إيثار هذه الكتب ان فهم الدين منها أسهل من فهمه من الكتاب والسنة وهي شبهة باطلة ، فان بيان الله أفصح وأجلى من كل بيان ، ويليه سنة رسول الله ﷺ الذي كلفه بيانه دون غيره

(٤) ان أولي الأمر الذين أمر الله بطاعتهم بعد طاعته وطاعة رسوله إنما يطاعون في الحكم بما شرعه من الاحكام ، وجعل لهم حق الاجتهاد فيما لا نص

فيها من القضايا والمصالح ، ولم يجعل لأحد حقا في تشريع العقائد ولا العبادات ولا التحريم الديني . وهذه الكتب ممزوجة بما لاحق لاصحابها فيه من التشريع ، ومن شرع في الدين فقد جعل نفسه شريكا لله كما قال (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله ؟)

﴿ أجوبة الأسئلة ﴾

(٢٧) خير الكتب في أحكام القرآن وأحاديث الأحكام

لا يعلم خير الكتب في هذا وغيره إلا من أحاط بها علما وفهما، وحسب السائل أن يعرف الموجود المطبوع منها . وأشهر تفسير أحكام القرآن المطبوعة تفسير أبي بكر احمد بن علي الجصاص من كبار الحنفية والقاضي أبي بكر بن العربي من كبار المالكية ، وأشهر كتب أحاديث الاحكام (منتقى الاخبار) وشرحه (نيل الاوطار) للقاضي الشوكاني من علماء الحديث وهو مطبوع ومعروف للسائل . وكتاب (بلوغ المرام) للحافظ احمد بن حجر العسقلاني ، وهو أخصر من (منتقى الاخبار) وليس فيه من الضعاف مثل ما في المنتقى وله شروح أشهرها (سبل السلام) للعلامة المجتهد محمد بن اسماعيل الأمير الصنعاني وهو مطبوع ايضا وخير منهما كتاب الالمام بأحاديث الاحكام وهو غير مطبوع

(٢٨) هل يوجد دليل شرعي على التقليد الاعمى

إن أصول عقائد الاسلام وضروريات أحكامه المجمع عليها كلها قطعية يجب على كل مسلم العلم القطعي بها ولا مجال فيها لتقليد أحد ، والتقليد فيها مخالف لنصوص القرآن القطعية . ومن مفاسده ان أهله لا ثقة لهم بدينهم وانما هو رابطة جنسية أو اجتماعية لهم قد يتركونها لترجيح رابطة أو منفعة أخرى عليها كما هو واقع في بلاد الترك من حكومتهم ومن أفراد كثيرين في البلاد التي فشا فيها الالحاد والتفرنج .

وقد نقل الينا في هذه الايام ان أحد الوطنيين من طائفة المسلمين الجغرافيين قال لبطرك الموارنة في لبنان انه مستعد للتعمد بالنصرانية المورانية التي هو رئيسها اذا هو فاز بما يعارض به عميد فرنسة في سورية ولبنان في مسألة احتكار الدخان فمثل هذا القول لايمكن أن يصدر من مؤمن بدين الاسلام لأنه كفر صريح به لايتوقف على التعمد الماروني ، بل فقد قائله الشعور بشرف الرابطة الاسلامية

نفسها، ودعاة التقليد الاعمى من المعممين الجاهلين يحتجون على جواز التقليد وصحته بتعذر العلم الاستدلالي وفهم نصوص الاسلام في هذا العصر فلم يبق إلا التقليد ، وانما يعنون تقليد الناس لهم على جهلهم، ولو كانوا على علم بدينهم لأمكنهم أن يعلموا غيرهم ما يكونون به مثلهم ، ولما قالوا ان هذا العلم صار متعذراً ، وليس متعذراً في نفسه بل هو في منتهى اليسر ، واذا كان يغرهم أن بعض الاميين ومن في حكمهم من العوام يثق بما يقولون له إنه دين من غير بينة — أفلا يرون ان جميع المتعلمين في المدارس المصرية لا يقيم لعلمهم وزنا ، ولا يقبل منهم قولا ؟

وأما السؤال عن سكوت كثير من المؤلفين عن بيان هذه المسائل المهمة فسببه الجهل ، وما أهلك المسلمين وأضاع دينهم عليهم بعد أن لبس عليهم الحق بالباطل إلا أمثال هذه الكتب، التي ينقل بعض ملفقيها عن بعض ، ما ليس للناقل ولا للمنقول عنه به علم، وهل جاء قولهم بل اعتقادهم بتعذر العلم اليقيني بالاسلام إلا من اعتمادهم على هذه الكتب ، وهل يصدون أمثالكم عن كتبنا إلا لجهلهم وعجزهم هذا ؟

(٢٩) أخذ الربا من البنوك لانفاقه على الفقراء

من المعلوم بالدين بالضرورة ان الربا القطعي لا يجوز أخذه لاجل التصدق به لان التقرب إلى الله لا يكون بما حرمه الله فان هذا تناقض بديهي البطلان ، ولكن لاستغلال المال في الشركات المالية من المصارف وغيرها أعمالا ليست من الحرام القطعي قد بيناها من قبل وسيكون كتابنا الذي وعدنا بإكماله خير مفصل لها إن شاء الله تعالى

(٣٠) كون ابليس من الملائكة المعصومين

ان كون ابليس كان من الملائكة هو ظاهر الآيات في قصة السجود لآدم، وقد قلنا إنه يعارضها آية سورة الكهف في استثنائه منهم (إلا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه) وقلنا ان الجن اسم جنس لهؤلاء المخلوقات الخفية ومنهم نوع الملائكة المعصومين لقوله تعالى في العرب الذين كانوا يقولون ان الملائكة بنات الله (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) فالتحقيق إذن أن ابليس وذريته نوع من هذا الجنس أي الجن المكلفين غير المعصومين ومنهم أشرار كالشياطين

﴿ باب المقالات ﴾

خطبة الامام الملك ابن السعود الموسمية

(في وفود الحاج سنة ١٣٥٣)

(مقدمة) جرت عادة الامام عبد العزيز الفيصل ابن السعود منذ ولاه الله أمر الحجاز وأمنه أن يأدب لخواص وفود الحاج من جميع شعوب المسلمين مأدبة عظيمة تكون خير وسيلة لجمعهم في مكان واحد وتعارفهم وتآلفهم (ومن ذا الذي يستطيع جمعهم هذا غير ولي أمر البلاد ؟) وأن يلقي عليهم في هذا الجمع الحافل خطابا جامعا يذكرهم بما من الله به عليهم من إكمال دينه لهم وإتمام نعمته عليهم الذي أعلنه لهم في حجة الوداع رسوله محمد خاتم النبيين ﷺ الذي بعثه رحمة لجميع العالمين، ويلم في هذا الخطاب بحالهم العامة وما يجب عليهم من شكر هذه النعمة، بإحياء ما أماتته البدع من هذه الهداية ، ويذكر لهم خطته هو في الدعوة إلى التوحيد والوحدة الإسلامية وجمع كلمة المسلمين ، ويسمح لكل من شاء منهم أن يتكلم ويبدي رأيه في قوله وعمله وغير ذلك مما يرى فيه المصلحة العامة ، وإن هذه لسنة من أفضل السنن التي جرى عليها الخلفاء الراشدون ، واهتدى بها السلف الصالحون ، ثم أماتها الملوك المستبدون ، حتى جهلها الخلف الطالحون

وقد أقام جلالته مأدبة هذا الموسم في يوم الاثنين سادس ذي الحجة الحرام (سنة ١٣٥٣) وبلغ عدد من لبوا دعوته اليها خمسمائة ونيفا من خواص مشارق البلاد ومغاربها نقلوا كلهم إلى القصر الملكي بالسيارات الخاصة ، وكانت الموائد التي نصبت لهم ثلاثا ورأس جلالته إحداها وسمو ولي عهده الامير سعود الثانية وسمو نجله ونائبه في الحجاز الامير فيصل الثالثة ، وبعد فراغهم منها صعدوا إلى الطبقة العليا من القصر حيث ألقى عليهم جلالته خطابه الحكيم ، وتلاه من تلاه من الخطباء ، مشيدين بالحمد لله ثم الثناء عليه ، وإقرار ما فيه من دعوة الحق الى الاصلاح ، فنحن ننقل ذلك عن جريدة أم القرى الغراء :

نص خطبة الامام الملك

قال جلالته بعد ان حمد الله وشكره على نعمائه :

إننا في غنى عن التنوية بعظمة هذا اليوم فان الله سبحانه وتعالى قد جعل اجتماع المسلمين فيه لأداء فريضة الحج الذي هو ركن من أركان الاسلام من جهة والتعارف والتآلف من جهة ثانية ، وقد هدانا الله جل شأنه الى الصراط السوي في معاش الدنيا و (حياة) الآخرة ، فقال في كتابه العزيز : (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقوا) ، فالاعتصام بحبل الله واجب على كل فرد من أفراد المسلمين ، لان العز كله والخير كله بذلك، فاذا نحن حدنا عن هذا السبيل خسرنا الدنيا والآخرة

والحقيقة ان حبل الله عز وجل هو كلمة لا اله الا الله ، إذ لا معبود سواه فهو الاول والآخر ، وعبادته باتباع ملة ابراهيم قال تعالى في كتابه العزيز (واتبع(١) ملة ابراهيم حنيفاً) فمن واجب كل انسان ان يعمل بما أمر الله به وأن يطيع مولاه صاحب النعمة عليه ولا يكون ذلك إلا بالعمل بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام . وقد أرسل الله الرسل لهداية الامم والشعوب ، وإنقاذهم من الضلالة ، وكانت هداية نبينا عليه الصلاة والسلام ان أرسله الله جل شأنه في أحسن القرون وان بعثه الى جميع الامم وقد أزال الله ببعث النبي الكريم الشبهة والضلال ، فكانت بركة الله ثم بركة رسوله علينا عظيمة لاتعد ولا تحصى .

وقد امرنا الله تعالى على لسان نبيه بأمور عظيمة الشأن لو عملنا بها لكان حالنا اليوم غير مانرى . لقد جعل أركان الدين الحنيف خمسة وهي شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان ، فالله سبحانه وتعالى يأمرنا بالعمل بها مع الاخلاص النقي والنية الحسنة ، فاذا صدعنا باوامره جل شأنه غفر ذنوبنا وأولانا نعماءه ،

فاذا فهمنا ذلك وعلمنا ان الخير بحذافيره بما أمرنا الله وجبت علينا طاعته ،

---

١) أول الآية (٤ : ١٢٥) ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا)

وطاعته كما قلت هي الاعتصام بحبل الله، وذلك باجتماع المسلمين وتعاضدهم وتكاتفهم بأن يكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضهم بعضاً، ولكننا أضعنا أوقاتنا في شقشقة اللسان بدون فائدة. لقد تراشقنا بالكلام فتنابذنا، فكانت هذه الفرقة، وهذا الهوان. ولو تركنا هذه الامور التي لاطائل تحتها لكانت رحمة ربي علينا عظيمة

يجب أن نعبد الله ونطيعه كي يوفقنا، فعلى كل انسان ان يحاسب نفسه فيجتنب المعاصي والمنكرات ويتبع أوامر الله عز وجل

هنالك احزاب تتطاعن، على أي شيء؟ لا أدري؟ لقد ادخل الشيطان وساوسه في عقولنا، فتركنا حبل الله المتين، فتفرقنا ايدي سبا

أما نحن فتعرفون يا إخواني سيرتنا، ليس لنا من المقاصد والغايات الا ان تكون كلمة الله هي العليا. نحن سرنا في الجادة ولم يكن عندنا مال ولا رجال، نحن أهل بادية، وان ماترونه اليوم لم يكن الا من بركة الله تعالى، نحن نعاهد الله سبحانه وتعالى على السير في هذا الطريق مهما وجدنا فيه من العقبات، نعاهد الله ونقسم أمامكم على ذلك، واننا لن نتنكب عن الطريق السوي مهما تحملنا من المتاعب والمشاق

ان الذي يجمع شملنا ويوحد بيننا هو أمر صغير في ذاته ولكنه كبير وعظيم، هو الائتلاف حول كلمة التوحيد والعمل بما أمر الله به ورسوله

ان أحب الامور الينا ان يجمع الله كلمة المسلمين فيؤلف بين قلوبهم، ثم بعد ذلك أن يجمع كلمة العرب فيوحد غاياتهم ومقاصدهم ليسيروا في طريق واحد يوردهم موارد الخير، واذا نحن أردنا ذلك فلسنا نروم اتمامه في ساعة واحدة، لان ذلك يكون مطلباً مستحيلاً، كما اننا لا نرمي من وراء ذلك الى التحكم بالناس. وإنما غايتنا أنه اذا لم يكن لنا من وراء هذا التضامن خير، فلا يكون لنا من ورائه شر على الاقل.

كلكم يذكر حوادث العام الماضي، وهذا السيد عبد الله بن الوزير وهذا السيد الحسن الادريسي، الجالسان الآن بجانبي، ما كنا نظن ان يكون بيننا وبينهم عداوة وبغضاء، ولكن الاشرار فرقوا بيننا. والله عز وجل قد جعل

بعد هذا التباغض ألفة بيننا (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم) لقد خشي المسلمون عاقبة هذا التنابذ الذي حصل بيننا ولكنه أفضى الى خير جم طرب له المسلمون . جاء ابن الوزير الى هنا . وحدثني في هذا المكان الجالس فيه الآن بشأن الخلاف ، فقلت له ماذا تبغون ؟ اذا أنتم قتلتموني من يخسر ؟ أنا وحدي؟ واذا أنا قتلتكم من يخسر ؟ أنتم وحدكم ؟ لا ، لا ـ الخسارة علينا وعليكم على حد سواء. ولما عرفت اننا وإياهم متفقون على ان نتائج هذه الفرقة الخسران، وان هذا الخسران واقع علينا جميعاً ، أمرت بالقرطاس والقلم وجلست أنا وإياه وحدنا ، ووضعنا مواد المعاهدة التي اطلعتم عليها والتي قابلها المسلمون بالارتياح . فالى مثل هذا التضامن أدعو المسلمين اليه والعمل به .

أكثر الناس يقولون ان الاغيار هم الذين ضربونا بالصميم ففرقوا بيننا . هذا كلام . ماذا عمل الاغيار ؟ الحق ان الضرر والخسران لم يأت الامن أنفسنا، فنحن المسئولون عن ذلك . نحن نسعى للتفرقة ، ونحن نعمل للبغضاء . أذكر لكم مثلا بسيطا يعرفه كل واحد منكم : ان صحفنا وجرائدنا اذا تكلمت عن مسلم أو عربي تكلمت عنه بشدة وقسوة ، وبلاذع القول ، ولكنها إذا تكلمت عن غربي تكلمت بآداب واحترام فلماذا ؟

يا إخوان وجب علينا ان نحترم أنفسنا ونتكاتف ونتعاضد، فاذا نحن سرنا على هذه الطريق وفقنا الله سبحانه وتعالى ، واحترمنا العدو قبل الصديق . يجب أن نداوي أنفسنا بطاعة الله سبحانه وتعالى فطاعته مصدر كل عز وخير لنا

هذا ماعن لي ذكره والله أسأل ان يوفقنا وإياكم لصالح الاعمال إه

(المنار) هذه الخطبة تدعو الى توحيد الملة في العقيدة والاتباع، واجتناب الابتداع، وتوحيد الامة بجمع كلمة شعوبها وقبائلها، واجتناب الشقاق والتفرق بينها، وضرب له خير مثل باتفاقه مع اليمانيين، الذي حمده وسر به جميع المسلمين ، واعجب به غير المسلمين من الغربيين والشرقيين ، كما ابتهجت الامة العربية بما صرح به في هذا الموسم لكشافة العراق وغيرهم من بذل جهده لجمع كلمة الامة العربية وسنبينه بعد

خطبة الاستاذ التفتازاني

ثم قام الاستاذ الفاضل السيد محمد الغنيمي التفتازاني فالقى خطبة رنانة كان لها تأثير عظيم وهذا نصها

يارجل العرب

لقد شاء الله ولا راد لمشيئته ان تكون رجل الساعة، وأن نصبح نحن الذين كنا بالامس من ألد أعدائك وخصومك في مقدمة من يناصرونك عن حب وإجلال واكبار .

ولم يكن ذلك غلوا أو وليد شهوة مستعرة أو اربة عاجلة ، ولكن مجلسك الذي نجلسه الآن تستطيع ان تقدر من مظاهره مبلغ فضل الله عليك

أليس من أكبر دلائل فضل الله عليك ان يكون آل الادريسي عن يمينك ووزراء اليمن عن شمالك والتفتازاني خطيب محفلك الآن ، وقد كان هؤلاء جميعاً بالامس سيوفا عليك .

شهد الله انك أرضيت الله، واعليت كلمة الله، واحييت ما اندرس من شرعة الله ، وامنت السبيل الى بيت الله، فلم يكن بد من ان يجزيك الله سبحانه وتعالى أحسن الجزاء جزاء هذه المنن الخوالد .

يارجل العرب

منذ أربعة عشر قرنا بعث الله من بين هذه الجبال الجرد والهضبات المتواضعة رجلا يحمل المشعل الاول ، يخرج الناس على ضوئه من الظلمات الى النور، وينزع عن أعناقهم أطواق الرق التي أصارت منهم طبقـات غير متلاصقة هي أشبه بالسوائم، حتى اذا ما أنقذ البشرية ضوء ذلك المشعل ، كانت إثر ذلك النكبة الشاملة، إذ تعامى المسلمون عن ذلك النور فغشيتهم ظلمته فأنستهم الله فأنساهم أنفسهم، فهم الآن كريض كله قروح ، وكل قرحة داء مختلف ، وكلما داويت جرحا سال جرح*

والآن وقد أراد الله ان يدوي صوت أخاذ لينفذ الى أعماق القلوب من بدوي صقله الطبع المحض، وهذبته الغريزة البريئة ، فهو في بلد محمد ليستعيد مجد دين محمد .

وما كان موقفك الاخير مع اليمن الا موقف الاخوة الاسلامية والنبل العربي المحض ، وقد قضيت على دس الدساسين وكيد المغرضين، واتبعت سياسة الباب المفتوح ، فلا اغلق الله لك بابا .

يا جلالة الملك

ان الحجاز معبد يفد اليه المسلمون طواعية لذلك التحنان الذي يحسونه بين جوانحهم، وكان لزاما أن يجدوا فيه انسهم وراحتهم ، وانك ولله الحمد لتسمع من كل وافد مبلغ مايحسه من غبطة واعتزاز ازاء هذا الامن الشامل من مشارف الشام الى أقاصي اليمن ، ومن البحر الاحمر الى الخليج الفارسي . فقد شهدت بعيني رأسي كيف تستطيع الفتاة العذراء ان تجتاز درب المدينة آمنة على ما تحمل من مال، بينما كانت تلك الدروب بالامس مباءة إجرام ومصدر إذلال

يارجل العرب

ان للمسلمين أمانة على كاهلك ، لئن آدت بها الجبال فلن يئود بها هذا الكاهل الذي استطاع ان يحمل التبعة جميعاً، هي أن تصافيهم، وأن تواصل الجهد في تأمين سبيلهم الى حج بيت الله وزيارة مسجد رسول الله ﷺ ، وان العرب في أنحاء العالم ليحسون الاعتزاز بكل مايرونه من مواقفك المجيدة في سبيل نصرتهم، والدفاع عن قضيتهم، فأنت منهم واليهم

ان الاسلام هو جنسية شاملة لا يعرف شعوبية ولا اقليمية يستلزم بنيه ان يؤدوا حقوقه على أن يقوموا بواجباته أيضاء وانك لحامل العلم اليوم في سبيل نصرة العرب والاسلام حفظك الله وآزرك بروح من عنده ووفقك ورجال دولتك الذين عرفناهم ، فعرفنا جنوداً يطيعون قائدهم عن حب واكبار لا عن قسر وخوف، والحب هو دعامة الحياة اه

ثم تقدم الشيخ اسماعيل الغزنوي فترجم خطاب جلالة الملك الى اللغة الاوردية

ثم اعقبه جلالة الملك أمان الله خان ملك الافغان السابق ، فالقى خطابا باللغة الفارسية ترجمه الى اللغة الاوردية الشيخ اسماعيل الغزنوي وهذا نصه :

﴿ خطاب أمان الله خان ملك الافغان السابق ﴾

أخي الملك :

كيف يمكنني ان أكتم ما يجيش في قلبي من الاعجاب بدراية جلالتكم وحنكتكم في اجتياز تلك المفاوز التي أوجدتها أيدي أبالسة الانس وأحاطتها بأشواك حداد طالما اعترت من قبلها الامم الاسلامية التي تخضبت أكنافها بالدماء، ولكن إيمانكم وحزمكم أيها الاخ الذي اؤتمن على أرواح المسلمين حال دون إهراق الدماء . فهنيئا للاسلام ببطل مثلك، وهنيئا لي بصداقتك التي غدت إعجابا وتقديراً عظيما .

هذا وإني لاعنى لو أن المسلمين ممن حضروا ناديكم العامر يعون ماتفضلتم به من النصائح الثمينة ، ويأتمرون بها فيما بينهم في كل عام ، إذن لكان الاسلام بخير بل بألف خير .

وليس كبيراً على جلالتكم ان ترشدوا المسلمين بآرائكم الصائبة وأن تبثوا بينهم هذه الفكرة الجيدة ، حتى يعلموا أننا اذا عبدنا الله حق عبادته لايسهل على أحد ان يستعبدنا ، وأن يسترق أعناق المسلمين في بطاح هذه الارض التي ضاقت بما تشاهد من شذوذنا الحاضر عن الجادة القويمة، حتى أوذي الاسلام في عزيز أوطانهم ،وذهب أكثرها مغانم لمن كانوا مغانم لنا طيبة، يوم انشقوا على أنفسهم واختلفوا في دينهم ودنياهم .

ويزيد نصائح جلالتكم قوة ان كل ماتتفضلون به لم تنصحوا المسلمين والعرب باتباعه الا بعد ان ضربتم لهم المثل العالي بأنفسكم بحرصكم على الاخوة العربية والاسلامية في المعاهدة الشريفة التي عقدتموها .

وإني لاعانق جلالتكم باسم من عقدوا على أعمالكم الخناصر . وأصافحكم على البر والخير الدائم ان شاء الله . اهـ

وعقبه سعادة وزير الافغان المفوض السيد محمد صادق المجددي فألقى الخطاب القيم التالي

(خطاب وزير الافغان المفوض في المملكة العربية السعودية وفي مصر)

(الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله، لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون) والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي قرنت البركة بذاته الشريفة ومحياه، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وعلى آله وصحبه ومن والاه الى يوم يبعثون

أما بعد فأسترحم من صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية أن ألقي كلمة في هذا المحفل الاسلامي : ياصاحب الجلالة أحييكم بتحية الاسلام باسم جلالة ملكنا المعظم المتوكل على الله محمد ظاهر شاه أيده الله، وباسم الشعب الافغاني، واستمنح من جلالتكم ان تأذنوا لي بأن أوجه خطابي الى إخواني المسلمين، إخواني حجاج بيت الله الحرام ووفود الملك العزيز السلام :

مافرضت هذه العبادة الا لأداء ركن من أركان الاسلام ولحكم تتعلق بالسفر الى المشعر الحرام الا وهي التعارف، والاستفسار عما يحتاج اليه المسلمون في أمور معادهم ومعاشهم ولا يحصل ذلك الا بتبادل الافكار والآراء من أولي الابصار، فارجو منكم أيها الاخوان أن تستسيغوا من هذا المنهل العذب الذي (هو) سائغ شرابه، وتعاونوا على البر والتقوى، وتعاضدوا لاعلاء كلمة الله كي تفوزوا بمرضاة الله، واتبعوا سنة نبيكم سيدنا محمد رسول الله المنزل عليه — (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) — ولا تضيعوا هذه الفرصة فانه تعالى يقول — (ما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس باي أرض تموت ان الله عليم خبير)

ها أنتم على وشك ان تقفوا في عرفات والمزدلفة وتبيتوا في منى ثلاثة أيام بلياليها، فهل تريدون ان تنتفعوا أو تنفعوا إخوانكم بالسؤال عن موجبات تأخر المسلمين، وان تكبحوا جماح وساوس الشياطين، وتأخذوا في جد واجتهاد لاعلاء كلمة الدين، والله سبحانه هو نعم المولى ونعم المعين ؟

قال سيدنا رسول الله ﷺ : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) الله أكبر الله أكبر، لا اله الا الله والله أكبر، الله أكبر ولله الحمد والسلام عليكم...

الخطب الاكبر بانتهاك حرمات الله

(في يوم الحج الاكبر ، بعد تلك الخطب الجامعة في محفل الحاج الاكبر)

في يوم العيد الاكبر ، الذي سماه الله يوم الحج الاكبر ، في الشهر الحرام ، في البلد الحرام ، في البيت الحرام ، بين الركن والمقام ، عند طواف ركن الاسلام ، يظهر ثلاثة رجال بلباس الاحرام ، من حجر اسماعيل عليه السلام ، ويهجمون بخناجرهم اليمانية ليغمدوها في صدر رجل الاسلام مقيم شعائر الاسلام ، حافظ مشاعره العظام ، كافل الامن فيها لاهل الايمان ، من عدوان أمثالهم الخارجين عن شرع الله ، أي رجل ارادوا أن يقتلوا قاتلهم الله ؟

الامام عبد العزيز الذي أعزه الله وأعز به الاسلام ، ابن عبد الرحمن الفيصل الذي رحم الله به جزيرة العرب وجعله فيصل التفرقة ، بين الاسلام والزندقة ، وبين السنة والبدعة ، ابن السعود الذي اسعد الله به العرب وأعزهم وأذل من يحاول إذلالهم ، تصدى لهذه الجناية هؤلاء الثلاثة من المنتهكين لحرمات الله ، المستحلين لأقدس ما حرمه الله ، النابذين لكتاب الله ، المستبيحين لأشرف ما حظره الله ، المؤثرين لطاعة شيطانهم من الانس والجن على طاعة الله ، في قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من الله ورضوانا) وناقضي عهده وسنته في قوله ممتنا على خلقه (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) لامغتالا ومقتلا ، وناكثي وعده واستجابة الدعاء لخليله ابراهيم صلى الله عليه وسلم في سورته وسورة البقرة بأن يجعل هذا البلد آمنا ، ومتعمدي عصيان رسوله خاتم النبيين إذ قال في مثل هذا اليوم في منى من حجة الوداع مبلغا لأمته ، خطيبا على ناقته « أي يوم هذا ؟ » قال الراوي فسكتنا حتى ظننا انه سيسميه سوى اسمه فقال « أليس يوم النحر ؟ » قلنا بلى ، قال « أي شهر هذا ؟ » فسكتنا حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه ، فقال : « أليس بذي الحجة ؟ » قلنا بلى ، قال « فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ، ليبلغ الشاهد منكم الغائب ، فان الشاهد عسى أن يبلغ

من هو أوعى منه » الحديث متفق عليه ... البخاري في كتب العلم ، والاحاديث في حرمة مكة ، وأنه لا يجوز أن يقتل في أرض الحرم كله صيد ولا ينفر حتى من ظل يستظل به ، ولا يقطع شجره كله مشهور عند المسلمين ، ومشهور أن المشركين كانوا في جاهليتهم يحترمون البيت الحرام والشهر الحرام ، وان الرجل كان يرى قاتل والده في الحرم فلا يعرض له بأذى مادام فيه ، على ما تواتر عنهم من تقديس أخذ الثار والاستهانة بسفك الدماء

كان أولئك الثلاثة شراً من عبدة الاصنام فيما حاولوا من اغتيال إمام المسلمين وحامي بيت ربهم ، وسكانه والوافدين اليه من حجاجه وغيرهم ، في أقدس مكان منه ، في أقدس زمان منه ، عند أداء أقدس نسك فيه وهو طواف الا فاضة ، فأي عدو لله ولرسوله ولدينه ولحرماته هم ؟ هذا امر إمر ، وجرم نكر ، هذه جناية لا افظع ولا أكبر منها في الاسلام ، اذ لا يمكن وقوع مثلها في غير هذا الزمان وهذا المكان وهذا العمل ، وهذا الرجل ، الا وهو الامام عبد العزيز ملك المملكة العربية الذي فعل في تأمين الحرمين الشريفين ما عجزت عن مثله دول الاسلام من بعد الخلفاء الراشدين الى عهده حماه الله وأيده ونصره وخذل كل عدو له واذلهم

هذا شأن الجناية في نظر الدين وحكم كتاب الله وسنة رسوله وإجماع المسلمين ، وأما شأنها في نظر السياسة العامة من اسلامية ودولية فقد كان فيها من الخطر لو ظفر هؤلاء الاشرار الفجار الذين هموا بما لم ينالو كما فعل أعتهم من المنافقين في غزوة تبوك من الهم بتشريد راحلة النبي صلى الله عليه وسلم به لقتله صلوات الله وسلامه عليه — مما لا يسهل على أحد أن يحيط به ، وأقربه من الفكر كما قال وكتب كثير من الحجاج أن يختل الامن العام في ذلك اليوم العظيم ويقع من المذابح في الحجاج ما تسفك فيها دماء الالوف منهم ، وقد يفضي ذلك الى اختلال الأمن في الحجاز وتدخل دول اوربة فيه لحفظ رعاياهم .

تبا لمغري هؤلاء الاغرار الفجار ومشتريهم لاحداث هذه الفتنة التي هي أعظم خطر على الاسلام والمسلمين في حرم الله ومشاعره وإقامة ركنه ، فلعلهم

لو نالوا ما أقدموا عليه لكان وراء ذلك من الخطر على استقلال الحجاز ووضعه تحت مراقبة دول الاستعمار مالا يعقله هؤلاء الاشرار ولا يبالي به فيما يغاور شيطانهم المجهول المختار إذ لا يعقل أن يقدم هؤلاء العوام الاغمار على تعريض أنفسهم للهلاك في الدنيا والآخرة من تلقاء أنفسهم وهاك ما صدر من بلاغ رسمي عنهم

البلاغات الرسمية

(رقم ٢٤)

نبدأ بحمد الله الذي أخزى أعداءه في كل موقف ، وأفسد كل تدبير لهم ، وآخر ذلك أنه عند ما كان جلالة الملك المعظم يطوف طواف الافاضة الساعة الواحدة عربية من صباح يوم الجمعة العاشر لشهر ذي الحجة ، وبينما هو في الشوط الرابع عند الحجر الاسعد تقدم منه شخص معه خنجر وهمَّ بطعن جلالته وكذلك كان اثنان آخران من الخلف يحملان الخناجر ، فالتقط سمو الامير سعود الرجل الامامي ليرمي به بعيداً فعجل أحد رجال حرس جلالته الرجل برميه بالبندقة فقتلته ، وهم أحد النفرين اللذين كانا في الوراء بطعن سمو الامير سعود ولكنه أصيب برصاصة من الحرس فقتلته ، كذلك قتل الشخص الثالث ، وثبت أن هوية الفاعلين من زيود اليمن ، والتحقيق جار لمعرفة أسباب الحادث والدافعين له . ونحمد الله على أن جعل كيد أهل الكيد في نحورهم ، وجلالة الملك وسمو ولي عهده أتما الطواف كأن الحادث لم يقع وهما من فضل الله بكل خير وعافية ، ويستقبلان وفود المهنئين بالعيد السعيد كجاري العادة ،

١٠ ذي الحجة سنة ١٣٥٣

(رقم ٢٥)

في الساعة الواحدة عربية من صباح يوم الجمعة الواقع في العاشر من ذي الحجة شرع حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم وحضرة صاحب السمو الملكي ولي العهد ورجال حاشيتهما وحرسهما الخاص وثلة من الشرطة بقيادة مفوض شرطة الحرم ،

في طواف الافاضة . وكان الحرس والشرطة تواكب جلالة الملك وسمو ولي العهد من الامام واليمين والخلف وكان البيت على اليسار ولا يفصل بينه وبين جلالته وسموه أحد من الحاشية والحرس ، وبعد انتهاء الشوط الرابع التزم جلالة الملك الحجر الاسود وتقدم في سيره إلى أن حاذى باب الكعبة واذا برجل يخرج من فجوة حجر اسماعيل الشامية منتضياً خنجره وهو يصيح بصوت مرتفع وبكلام غير مفهوم تماما فقابل لدى خروجه أفراد الشرطة الذين يسيرون في مقدمة الموكب الملكي فسلك به أحدهم قاصداً رده ولكن المجرم عاجله بطعنة من خنجره فوقع الشرطي الشجاع احمد بن موسى العسيري على الارض ودمه يقطر ، فأمسك بالمجرم شرطي آخر مجدوع بن شبيان ولكنه أصيب بطعنة من خنجر المجرم فمال إلى جانب رفيقه . وفي هذه اللحظة شوهد رفيق المجرم الاول يتقدم من خلف الموكب والظاهر أنه خرج من الفجوة الاخرى لحجر اسماعيل وجاء من جهة الركن اليماني إلى قرب الحجر الاسود فاستمد رجل الحرس الملكي ببنادقهم إلا ان جلالة الملك أصدر أمره المطاع في تلك الساعة الرهيبة الحرجة بأن لا يستعمل الحرس البنادق والرصاص إلا حين الضرورة القصوى . فلما ثبت ان المجرم قد طعن شرطيين باسلين وان المجرم الثاني على وشك أن يصل إلى سمو ولي العهد تقدم عبد الله البرقاوي أحد الحارسين الشخصيين لجلالة الملك من المجرم الاول وأطلق عليه بندقيته قبل أن يتمكن من ارتكاب جنايات أخرى فخر صريعا عندمدخل حجر اسماعيل ، وأما المجرم الثاني فانه تقدم مشهراً خنجره أيضاً وكاد أن يطعن سمو ولي العهد طعنة نجلاء إلا ان خير الله الحارس الشخصي لسموه عاجله برمية من بندقيته فأردته قتيلا في الوقت الذي لامس خنجره أسفل الكتف اليسرى لسمو الامير سعود، فلم تحدث الطعنة سوى خدش بسيط ولله الحمد والمنة . وحينما رأى المجرم الثالث ماحل برفيقيه وكان قد خرج على مايظهر من حجر اسماعيل مع المجرم الثاني واتجه من جهة الركن اليماني إلى جهة الحجر الاسود أطلق رجليه للريح قاصداً النجاة بنفسه فصرعه رصاص بنادق الشرطة والحرس الملكي فسقط

على الارض وهو ينازع وظل على قيد الحياة مايقرب من ساعة تمكن المحققون في أثنائها من معرفة اسمه وهو علي .

ولم يمكن أن يعرف عن الجناة ساعة الحادثة شيء يدل على هويتهم إلا أن ملابسهم وخناجرهم تدل على أنهم من الزيود اليمانيين وتتراوح أعمارهم بين الخامسة والثلاثين والخامسة والاربعين

وفي هذه الاثناء أخطر مدير الشرطة العام مهدي بك بالامر في منى فحضر على رأس قوة كافية من الشرطة وشرع في إجراء التحريات والتحقيقات لمعرفة شخصية الجناة والتحقيق عن الاسباب الدافعة لهم على ارتكاب هذه الجريمة الشنعاء وسط بيت الله الحرام وبقرب الكعبة الشريفة وفي ذلك اليوم المبارك .

وقد حصل هياج شديد بين حجاج بيت الله الحرام واشتدت نقمة الجند والشعب حينما عرف أن الجناة من أهل اليمن وكاد أن يحصل مالا تحمد عقباه لولا أن تدارك جلالة الملك الامر بحكمته وأصدر أمره الكريم المشدد إلى قواد جنده الموجودين في مكة وإلى مدير الشرطة العام بالاهتمام بصيانة أرواح الحجاج اليمانيين من الاعتداء واتخاذ كافة التدابير التي تقضي على كل من تحدثه نفسه بتخديش حرمة الحرم وإقلاق حجاج بيته الحرام، وكان لهذه التدابير العاجلة أحسن الاثر في منع وقوع أي حادث من حوادث الاعتداء فقضى الناس مناسكهم وأتموا حجهم بكل راحة وطمأنينة ولله الحمد والمنة

وقد بث مدير الشرطة العام عيونه وأرصاده بين حجاج اليمن الذين ثبت ان الجناة منهم فتوصل قبل كل شيء إلى معرفة ان ثلاثة من الزيود كانوا يقيمون بخلاف سائر رفاقهم الزيود مع الشوافع من الحجاج اليمانيين عند امرأة في جبل أبي قبيس فلفت ذلك الامر نظره فحقق عنهم فوجد أنهم متغيبون عن منزلهم ولم يعودوا اليه منذ يوم الوقفة وأرسل على الفور قوة إلى المكان وفتش الغرفة التي كانوا فيها فعثر على ملابسهم وفيها جوازات باسم ثلاثة أشخاص هم :

(١) النقيب علي بن حزام الحاضري مستخدم في الجيش اليماني المتوكلي ونمرة جوازه (٩٨) تاريخ ١ شوال ١٣٥٣ وهو صادر من مأمور الجوازات بصنعاء ومصدق عليه من عامل صنعاء

(٢) صالح بن علي الحاضري شقيق الاول جوازه رقم (٣٤) بتاريخ شوال ١٣٥٣ وحرفة لمذ تور مزارع، الجواز صادر من مأمور الجوازات ومصدق عليه من عامل صنعاء

(٣) مسعد بن علي سعد من حجر برقم ٦٣ تاريخ ٥ ذي القعدة ١٣٥٣ والجواز صادر من أمير الحج اليمني السيد محمد غمضان وصاحبه عسكري في الجيش اليماني المتوكلي. ولدا عرضت جثث القتلى على الامرأة التي كانوا في دارها عرفت أحدهم صاحبها وميزت ملابس الاثنين الآخرين نظراً لتغير منظر الوجه في الاثنين المذكورين وذكرت ان أخت مطوف الشوافع أسكنتهم عندها ، ولدى التحقيق مع هذه صادقت على أقوال الاولى وقد أجرى مدير الشرطة العام التحقيق من جهة أخرى مع شيخ اليمانيين بجدة فاعترف بانه أعطى ورقة التصريح للسفر من جدة باسم مبخوت وذلك بواسطة أخيه علي بن مبخوت الفران بجدة، وقد استجاب هذا وحقق معه وعرضت عليه جثث القتلى وصورهم الفوتوغرافية فعرفهم واحداً واحداً وذكر ان أحدهم مبخوت بن مبخوت الحاضرى هو شقيقه بينما الاثنان الآخران هما صالح بن علي وعلي بن الحاضرى وكلاهما شقيقان وشهد هذا الفران بأنه اجتمع مع أخيه بجدة وبات أخوه عنده ثم حضر معه إلى مكة وبات مع أخيه والاثنين الآخرين من الجناة في جبل أبي قبيس وهو ذهب إلى عرفات ، أما الثلاثة فانهم تأخروا في مكة ولم يحجوا ولم يجتمع بهم إلا في يوم العيد في الطواف وبعد الطواف ذهب هو إلى مقام ابراهيم بينما الثلاثة ذهبوا ومكثوا في داخل حجر اسماعيل.

ولم يعثر للآن على مسعد العسكري المستخدم في الجيش المتوكلي كما انه لم يعلم للآن السبب الذي حدا به إلى ترك جوازه مع المجرمين وقد دفنت جثث المجرمين أمس بعد أن عرفت شخصياتهم وما يزال الفران في السجن.

١٤ ذي الحجة سنة ١٣٥٣

﴿ تأثير الحادثة في العالم ﴾

اضطربت أمصار الشرق والغرب وتجاوبت برقياتها من الملوك والرؤساء والعظماء والجماعات مهنئين لملك العرب وزعيم المسلمين، ومن جلالته شاكراً لهم - ومن شركات الاخبار البرقية والجرائد السياسية في العالم مذيعة للنبأ المعظم مستفظعة للجناية

شارحة لتأثيرها كأنها حدثت لتعظم شأن الرجل وتعلي قدره ، وترفع ذكره ، وقد أكبر حاضروها ومستمعو خبرها ما كان من رباطة جأشه وقوة عزيمته إذ أتم طوافه وكان أول شيء فعله العناية بحجاج اليمن والمبالغة في تأمينهم على أنفسهم والظهور لمقابلة المهنئين بإقباله وبشاشته المعتادة، وكان أسر ما سر جميع المخلصين للأمة العربية البرقيات المتبادلة بين جلالته وجلالة الإمام يحيى الذي استنكر الجناية أشد الاستنكار ، وكرر التهنئة بأبلغ عبارات الإخلاص .

(تشرف الكشافة العراقية بلقاء جلالته وخطابه لهم)

في الساعة الثالثة والدقيقة ١٥ من يوم السبت زارت الكشافة العراقية يتقدمها كامل بك الكيلاني القائم بأعمال المفوضية العراقية بجدة القصر العالي حيث تشرفوا بمقابلة حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم ، وقد شملهم جلالته بعطفه وعنايته ومكثوا لدى جلالته ما يقرب من ثلاثة أرباع الساعة ، ألقى خلالها رئيسهم خطبة ضافية فشكر لحكومة جلالته العطف الذي شمل اخوانه منذ أن دخلوا في بلاد جلالته ثم أنشدت الكشافة (نشيد العيد) و(نشيد الوطن) وحيوا جلالة الملك ثلاثا . ثم تكلم [illegible] عليهم من درره ما كان له أكبر الأثر في نفوسهم، فقال أيده الله :

﴿ خطاب جلالته على كشافة العراق ﴾

(وعهده العام للإسلام والعرب والعراق)

مسرور من هذه النهضة العلمية المباركة التي ظهرت في العراق والتي سيكون لها أكبر الأثر في تقدم العرب ، وأنا مسرور أيضا بمشاهدتكم في بلادي لتزداد بالتعارف الصلة التي تربط بلادنا ببلادكم وشعبنا بشعبكم ، ويتضاعف سروري بلقيانكم لأنكم أول بعثة تأتينا من العراق ، فذكرى هذه البعثة ستبقى في نفوسنا .

«تردالينا في كل يوم من النهضة في العراق ما يسر الخاطر ويشرح الصدر ، ونحن إذا فرحنا لذلك فإنما نفرح لأنفسنا لأننا نحن والعراق واحد ، تربطنا به روابط كثيرة ، وأهمها أننا والعراقيون عرب ، وخصائصنا واحدة فكل ما يسر العراق يسرنا ، وكل مصيبة تصيب العراق هي مصيبة لنا ، نألم لألم العراق ونفرح لفرحه ، وكذلك مصالحنا مشتركة فالعراق هو في الحقيقة سدلنا يحول دون توغل

أحد في بلادنا ، فلا عجب اذا نحن عنينا بأمره عنايتنا بأمورنا

« لذلك أنا أقول لكم في هذا الحفل الحاشد : إنني أعاهد الله على ثلاثة أمور

١ — نحن دعاة ندعو المسلمين لان تكون كلمة الله هي العليا أعاهد الله ثم أعاهد المسلمين على ان لا أحيد عن ذلك قط

٢ — أعاهد الله على ان أكون أنا وعيالي وجندي مجاهدين في سبيل العرب وفي نصرة العرب

٣ — أعاهد الله على أن سأبقى ما زلت حيا محافظا على الود مع العراق بنفسي وشيعتي

هذا كلام من مسلم عربي يعاهد الله عليه في بيت الله الحرام أمام هذه البعثة »

ثم ودعت البعثة جلالته وغادروا القصر إلى صيوان الخاص بسمو ولي العهد حيث هنأت سموه بالنجاة ، وألقى الاديب عبد الهادي افندي الشماع أبياتا عامرة نالت استحسان الجميع ، ثم تكلم سمو ولي العهد فقال :

(كلمة ولي العهد الامير سعود)

« ان هذه الحادثة لا تهمنا ، لا يهمنا إلا اعلاء الشريعة الاسلامية وكلمة التوحيد أولا ، وتأمين الامن في بيت الله الحرام ليتمكن الوافدون من اداء مناسكهم بطمأنينة ثانيا ، فمن واجب العرب أن يكونوا يداً واحدة لنصرة هذا الدين الحنيف ، ولا حياة للعرب إلا بنصرة الدين ، وبالاتحاد المتين ، وبغير هذا لا يتم شيء قط .

« ونحن نرحب باخواننا أبناء العراق ، ونتمنى للعراق كل خير وهناء » اهـ

ثم أنشدت الفرقة نشيد (بلاد العرب) وودعوا سموه قاصدين صيوان سمو الامير فيصل فقدموا لسموه واجبات التهاني والولاء ، وألقى الاستاذ نعمان العالي أفندي خطبة فياضة كان لها الوقع المعظم ثم تكلم سمو الامير فقال :

(كلمة نائب الملك على الحجاز الامير فيصل)

« لقد عبر الاخ الخطيب عن شعور الجميع ، وردد صدى ما تكنه النفوس من العواطف المتبادلة بين الشعوب العربية ، والحقيقة أن العرب جسم واحد وبلادهم واحدة ، فاذا نزل أحدهم في بلدة من البلدان العربية فلا يشعر أنه غريب عن بلده ، وأنتم يا اخواني أحييكم وأحيي فيكم هذه النهضة القويمة ، وأرجو أن لا تعتبروا أنفسكم إلا في بيوتكم الخاصة ، فهذه البلاد هي بلادكم والشعب اخوانكم ،

﴿ محاريب المساجد ومذابح الكنائس ﴾

اعلم أن المحراب يطلق في اللغة على معان، الغرفة وصدر البيت وأكرم مواضعه ومقام الامام من المسجد والموضع ينفرد به الملك فيتباعد عن الناس، الاجمة وعنق الدابة (قاموس) والمذبح عند أهل الكتاب هو المحراب بالمعنى الأول وهو مقصورة داخل حجرة أمام المعبد تسمى تلك الحجرة الهيكل يصعد اليها بسلم ذي درجات قليلة لا يدخلها إلا الكهنة ومن يأذنون لهم من المذنبين الذين يطلبون المغفرة وهذه المقصورة عبارة عن أربعة أعمدة لا يزيد ارتفاعها عن متر إلا قليلا وفوقها سقف تحته خلاء توضع فيه القرابين ودم المسيح في زعمهم وبعض ماء المعمودية للصلاة عليها يوم العيد ثم يخرجها الكاهن ويوزعها على من في المعبد تبركا وعليها ستارة فهي كالمقصورة التي توضع على قبور بعض أموات المسلمين بدون فرق غير أن المذابح أقل منها طولا وأصغر منها حجما. وأما محراب مساجد المسلمين فهو علامة تمثل حصن في وسط حائط المسجد غير مجوفة: أو بتجويف في وسطه يبلغ ارتفاعه أزيد من مترين ليكون دليلا على جهة القبلة لمن لم يعرفها كالبوصلة (بيت الابرة) التي اتخذت لذلك وليكون مبينا لمقام الامام من صف المأمومين لأن السنة أن يقوم الامام أمام وسط الصف، فهي مخالفة لمذابح أهل الكتاب شكلا ووضعا وصورة وغرضا كما يعلم من بيان كل، من رؤية المحاريب في المساجد والمذابح في الكنائس فاني رأيت ثلاثة مذابح في الكنيسة المرقسية بالاسكندرية على الشكل والوضع اللذين بينتهما أولا وعرفت الغرض منها بواسطة أحد كهنة الكنيسة القس (فلبّس) والنهي عنه بقوله عليه الصلاة والسلام في حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما المروي عن سالم بن أبي الجعد (اتقوا هذه المذابح) وقوله ﷺ في حديث موسى الجهني « لاتزال هذه الامة أو أمتي بخير مالم يتخذوا في مساجدهم مذابح كمذابح النصارى » هو المذبح أي المحراب بالمعنى المخصوص وهو المقصورة المخصوصة لانه الخاص بكنائسهم كما قال ابن مسعود رضي الله عنه « انما كانت للكنائس فلا تتشبهوا بها » لا مطلق محراب لأن الغرض ابعاد المسلم عن التشبه بهم فيما هو من اختصاصهم دينيا أو دنيويا ولذا أتى النبي ﷺ في حديث

عبدالله بن عمر رضي الله عنهما باسم اشارة الحرس وأن المهدية وأتى في حديث موسى الجهني بأداة التشبيه وعبر فيهما بالمذابح ولم يعبر بالمحاريب

لايقال إن النبي ﷺ ترك وضع هذه العلامة في المساجد مع قيام المقتضي فتركها سنة وفعلها بدعة لان النبي ﷺ غرز خشبة في مسجد قوم أسامة الجهني بعد أن خطه لهم لتكون دليلا على القبلة كما روى الطبراني في الاوسط عن جابر ابن أسامة الجهني (رض) فانه قال في حديثه « فأتيت وقد خط - أي النبي ﷺ - لهم مسجدا وغرز في قبلته خشبة فأقامها قبلة » اه من المنهل المورود عن السيوطي في رسالة في هذا الموضوع فدل ذلك على مشروعية وضع علامة للقبلة لارشاد الضال فهي من قبيل التعاون على البر ولا خصوصية للخشبة إلا بدليل

وعسى أن يكون هذا مستند عمر بن عبد العزيز (رض) في وضع محراب وعلامة ثابتة للقبلة في وسط حائط مسجد النبي ﷺ على شكل يخالف مذابح أهل الكتاب وان لم نقف على صورته مجوفا أو غير مجوف والمشهور انه لم يكن لمسجده ﷺ محراب في زمنه

ولئن روى البيهقي في السنن الكبرى عن وائل بن حجر قال حضرت رسول الله ﷺ حين نهض إلى المسجد فدخل المحراب ثم رفع يديه إلى التكبير ثم وضع يمينه على يساره على صدره ، وهو يدل على انه كان لمسجد النبي ﷺ في زمنه محراب يدخله غير انه كان مخالفا لمذابح أهل الكتاب بدليل النهي عنها ولا معنى لتأويل المحراب في حديث البيهقي بصدر المسجد وأشرف مكان فيه والا لقال دخل المسجد ووقف في صدره وأشرف مكان فيه لان المناسب لصدر المسجد الوقوف فيه لا الدخول الذي هو نقيض الخروج ، فلم يحدث عمر بن عبد العزيز (رض) حدثا في الاسلام لم يكن في زمن النبي ﷺ ولا في زمن السلف الصالح ويبعد كل البعد أن يجهل عمر بن عبد العزيز وسلف الامة مذابح أهل الكتاب وكنائسهم في الشام فلا ينبغي اذا أن يجهل محراب مسجد النبي ﷺ مثلها مع ورود النهي عن التشبه بهم خصوصا في شعائرهم الدينية ثم يقره المسلمون على ذلك مع شدة حرصهم على اتباع السنة والانكار على مبتدعها ، نسأل الله أن يوفقنا الى اتباع السنة ويهدينا سواء السبيل

(ناصر الجندي بمعهد الاسكندرية)

العبرة بسيرة الملك فيصل

رحمه الله تعالى

(١٠)

كان آخر ما كتبته عن عملي مع الملك فيصل الخاص بالوحدة العربية أنني أطلعته على البرنامج الذي وضعته لها فقبله كله وجزم بقبول إخوته الثلاثة له وأن يكونوا إلبا واحداً على والدهم ليقبله ، وأننا اتفقنا على عقد جلسات خاصة بيني وبينه للباحثة في وسيلة تنفيذه ، وأن نكتم ذلك عن كل أحد (قال جلالته) حتى إحسان بك الجابري - أي رئيس أمنائه ، على أن إحسان بك حلف لي يمين جمعية الجامعة العربية في اليوم التالي لهذا الاتفاق (أي ٨ شوال سنة ١٣٣٨ الموافق ٦ يوليو (تموز) سنة ١٩٢٠) فصار عندي أمينا على كل عمل يعمل للأمة العربية ولكن هذا لا يبيح لي أن أفشي له ما هو خاص بالملك فيصل إلا باذنه

وأقول هنا ان فيصلا كان مخلصا معي في السعي للوحدة العربية لأنه أعقل من والده وإخوته الذين اختبرهم ابن السعود ويئس من اخلاصهم ومن صدقهم كما كتب لي في الملحق الذي كتبه بخطه ووضعه في كتابه واطلع عليه فيصل كما تقدم ففهم منه أنه لا يصدقه هو أيضا فعذره ولم يرجع عن رأيه في السعي معي للاتفاق معه قبل كل أحد .

ثم عرض في هذا الشهر (يوليو) ما شغلنا عن عقد هذه الجلسات وهو تصدي فرنسة للعدوان على استقلال البلاد وسلوك الملك فيصل ووزارته مسلكا غير مرضي للمؤتمر العام ولا لحزب الاستقلال الذي هو حزبه المعلن للاستقلال وأنصبه مالكا للبلاد ، وكان الشعب كله مع مؤتمره ومع الحزب والجمعية الوطنية ، ولهذا تحول عن الملك فيصل حتى يصح أن يقال انه لم يبق معه إلا أفراد من الموظفين الرسميين عنده ومن المتهمين بالاتصال به لأجل المنافع الشخصية

وقد يئست من قبل أنه لم يكن لي حظ من الملك في الشام وراء سعيي للاتفاق معه على الوحدة العربية إلا اقناعه وإقناع حكومته بمشروع تنظيم قوى العشائر

السورية والقبائل العربية السورية للدفاع الوطني وان هذا لم يتم لي

وقد كتبت في صفحة المفكرة الاجمالية لشهر يونيو (حزيران) أربع مسائل (الاولى) منها هذا نصها : لم أر في الشام عملا اصلاحيا قط لا في الحكومة ولا في الاهالي فالحكومة ضعيفة يغلب على أفرادها ماطبعتهم عليه الادارة التركية من المداراة والجري على ماتعودوا والخضوع الملك وإن كان كفيصل سهل القياد ولو كان الوزراء على شيء من الابتكار وحب الاصلاح لعملوا عملا عظيما واستعانوا عليه بفيصل

«والمسألة الثانية في وصف إرادة فيصل وإدارته وحاله في حلمه وغضبه وسيرته مع الامة والحكومة والحزب والجمعية ومعيشته الخاصة ونفقاته بين نفوذ إحسان بك الجابري وصفوة باشا العوا ، وليس شرحها من مشرب المنار .

والمسألة الثالثة في وزارة هاشم بك الاتاسي الذي وصفته فيها بالطيب القلب الحلبي وذكرت مكانته عند الملك فيصل وخصصت بالذكر من أعضاء وزارته الدكتور شهبندر ويوسف العظمة العضوين الجديدين اللذين كنا اقترحنا إدخالها في هذه الوزارة في جلساتنا الخاصة مع الملك فيصل لما نرجو فيهما من قوة الشباب التي يعتدل بها ضعف الشيوخ ، وجملة ما قلته فيها ان الآمال قد خابت فيها .

والمسألة الرابعة في الاستاذ الشيخ كامل قصاب رئيس الجمعية الوطنية الذي كان في الشام أنشط عامل مستقل برأيه، واثق بنفوذه، غير مبال بمن يخالفه، ولكنه أشد من فيصل في هذا ؟

ومما كتبته من المذكرات الخاصة باختلال بطانة الملك فيصل وظهارته في يوم السبت ١٠ يوليو مانصه:

سرقة دفتر يومية خزينة البلاط

علمت ان أمين صندوق البلاط الملكي (محمود الحابي) سرق دفتر يومية البلاط وأن فيه قيوداً لما كان يبذله لاعانة العصابات وأمثال ذلك من النفقات الجنونية وان صفوة باشا العوا ناظر الخزينة الخاصة أراد أن يحقق وبدأ باستنطاق

من هنالك ليلة الجمعة السابقة التي سرق فيها الدفتر (أي ٢ يوليو) فحال احسان بك الجابري رئيس الامناء دون استمرار التحقيق وفر الجاني ولم يبحث عنه أحد، ولا يختلف اثنان في أنه أعطى الدفتر للفرنسيين

وقد سرق مثل هذا الدفتر قبل الآن عند ما كان صفوة باشا في مكة المكرمة كما أخبرني هو نفسه اهـ

هذا ما كتبته بنصه في ٢٣ شوال ١٠ يوليو (١٩٢٠) والذي أتذكره أن الدفتر سرق من جيب الملك فيصل، ولقد كان هذا الدفتر أكبر حجج الجنرال غورو في إنذاره الطاغي الرهق الذي أنذر به الملك فيصلا زحفه على الشام، وكنت أسمع أخبار بذل فيصل المال للعصابات التي تخرج على السلطة الفرنسية وتقاتلها في حدود لبنان وكذا على الانكليز في حدود فلسطين ، وأسمع ان بعض شبابنا من أعضاء الجمعية والحزب كانوا من مناصرة هذه الاعمال الصبيانية ، فلا أكلمه ولا أكلم أحداً منهم في شيء من ذلك لاعتقادي أنه من العبث

ولهذا لم يكن عندي رجاء في شيء من أمر هذه الدولة إلا ما حاولته مع فيصل من السعي للوحدة العربية مع أمراء الجزيرة وزعمائها وإقناع والده بذلك قبل كل شيء لانه يتوقف عليه كل شيء ، وإلا مشروع توحيد العشائر والقبائل الذي يئست منه قبل اليأس من هذا ؟

ولو نفذوه لما كان استيلاء الجنرال غورو على دمشق بما علم الناس من السهولة بل لأمكن للبلاد أن تقاوم زمنا طويلا كما علم بعد ذلك من الثورة التي خسر الفرنسيس فيها ألوفا كثيرة من القتلى وملايين كثيرة من الفرنكات ، ولكان يرجى أن تدخل بالمطاولة في طور جديد ينتهي بخير مما انتهت به ثورة العراق

على ان فيصلا قد استفاد من أغلاطه الكثيرة في سورية فوائد عظيمة أفادته في سياسة العراق فوائد جزيلة ، وبلغني انه كان يعترف بهذا ، وسيعلم المطلع على ما يجمله من خاتمته المؤسفة في دمشق شيئا من مرونته العجيبة وصبره، وعجز اليأس أن يطرق باب قلبه

تأبين أحمد زكي باشا

ألفت في القاهرة لجنة من رجال الادب لتأبين أحمد زكي باشا المشهور في الاقطار (بلقب شيخ العروبة) وكان الاحتفال بعد تمام الاستعداد له بدار (الاوبرة الملكية) في مساء ١٣ شوال الماضي الموافق ١٨ يناير (ك ٢) سنة ١٩٣٥م تحت رعاية وزير المعارف أحمد نجيب بك الهلالي ألقيت فيها بضع خطب و بضع قصائد لادباء العربية في مصر وغيرها من الامصار . وكان موضوع كلمتي (أحمد زكي باشا والدين) وهذا نصها بالتقريب

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها السادة والسيدات

لا تنتظروا أن تسمعوا مني تأبينا بليغا المرحوم أحمد زكي باشا كالذي تسمعون من إخواني الخطباء أعضاء لجنة التأبين ، فليس هذا من دأبي، وموضوع كلمتي لا يدخل في باب المناقب ولا يتسع لها ، ولا تباح فيه المبالغات الشعرية ، فانه خاص بما كان بينه وبين ربه عز وجل

جعل إخواني أعضاء اللجنة مناقب الفقيد العلمية والعملية موضوعات معدودة واقتسموها بين الخطباء منهم ، ورغبوا الي أن أختار لنفسي موضوعا أقول فيه كلمة أقضي بها حق مودته علي ، وبعد اعتذار لم يقبلوه مني اخترت أن أجعل عنوان كلمتي (أحمد زكي باشا والدين) والمهم لم يذكروا هذا في مناقبه لانهم يريدون بتأبينه أن يعرضوا على الناس ما كان له من صلة بهم وخدمة لهم

ولكن رأيي واعتقادي أنه يجب الالمام فيه بجميع جوانب تاريخه ، وأنه لو أمكن أن يستشار الآن فيما يذكر به لكان ذكر صلته بربه آثر عنده وأحب اليه ، وان الذين يحبون معرفة سيرة رجل مثله يودون أن يعرفوا هذا الجانب منها وهو أعلاها ، وربما يظن كثير منهم أن الرجل المدني العصري مثله يكون غير متدين

وأظن أني أعلم أصدقاء أحمد زكي بما كان من مكانة الدين من نفسه ، فان أول عهدي بمعرفته أن التقينا في سنة ١٩١٦ هـ ١٨٩٩ م عند المرحوم ابراهيم باشا نجيب وكيل الداخلية ، وقد أخبره الباشا أن الذي عقد عروة التعارف بيننا هو

الرجل العظيم الشيخ محمد عبده إذ طلب منه أن يرشده إلى عالم يعرف الدين معرفة صحيحة معقولة ليكافئه تلقينه لنجليه (مصطفى واسماعيل) فكان هذا التعريف سببا لتوادنا ورغبته في قراءة المنار ، ودمت المودة بيننا لم يعرض لها نفصام (وكان من قضاء الله تعالى وقدره أن كان المتكلم هو الامام للذين صلوا على الفقيد صلاة الجنازة ، ولم يذكر هذا في الكلمة بل سبق ذكرها فيما كتبت عن وفاته

فأنا ألقي على حضراتكم كلمة وجيزة فيما خبرت من تدينه بعد مقدمة مختصرة في بيان أن للدين أعظم تأثير في أعمال الناس الخاصة والوطنية وأنواعها ، حتى العسكرية والسياسية منها ، وأعظم تأثيره هو الاخلاص والصدق والامانة ، فان من لا يؤمن بالله واليوم الآخر والجزاء فيه قلما يعمل إلا لمنافعه الشخصية من المال والجاه

أما هذه المقدمة فهي شهادة على معنى قولي هذا شهد بها رجل من أعظم رجال أوربة الذين قاموا بأعظم الاعمال السياسية لدولة لامتهم ووطنهم وهو البرنس بسمارك مؤسس الوحدة الالمانية ، نقلها لنا عنه أعظم رجال أمتنا في مصر وهو الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رجل الاصلاح الديني والوطني الاكبر ، الذي ربى كثيرا من رجال الدين والوطنية ومنهم الزعيم الوطني العظيم سعد باشا زغلول ، والعلماء الذين لا يرجى إصلاح الازهر إلا بهم ، ترجمها الامام من (كتاب وقائع بسمرك التي نشرها بعد وفاته مين سره موسيو بوش) ونشرت ترجمتها في (رمضان سنة ١٣١٦ هـ يناير سنة ١٨٩٩) من السنة الاولى للمنار

اتفق على هذه الشهادة أعظم رجال الشرق والغرب ، ولخصت منها اليوم على اختصارها مايكفي لاثبات ماأريد عرضه هنا الغرض الذي ترجمها الامام ونشرناها لاجله ، إذ قال بعد ذكر اطلاعه على كلام بسمارك :

« فاستحسنت ترجمته ليطلع عليه من لم يعن بقراءة هذا الكتاب من شباننا الذين يرون أن النسبة الى دينهم سبة ، والظهور بالمحافظة عليه معرة ، وليعلموا أن الايمان بالله وبوحي الحي إلى أنبيائه ليس نقصا في الفكر ، ولا ضلة عن صحيح العلم ، ولا عيبا في الرياسة ، ولا ضعفا في السياسة »

كان هذا الكلام من البرنس بسمارك على مائدة الطعام عنده وكان سببه

سقوط شيء من مرق الطعام على غطائها فقال البرنس كلاما خلاصته أن قلب الجندي يشرب الايمان فيغوص فيه كما غاص هذا المرق في نسيج هذا الغطاء فيكون هو الذي يحمله على بذل روحه في الدفاع عن وطنه

فقال أحد جلسائه : أتظن سعادتكم أن الجندي يخطر بباله هذا في ميدان القتال ؟ قال لو كان يخطر بباله لما كان هو ذلك الوجدان الفطري » الخ

ثم قال بسمارك في سياق حديثه ما نص ترجمته بالعربية مختصرا :

« إنني لا أفهم كيف يعيش قوم وكيف يمكن لهم أن يقوموا بتأدية ما عليهم من الواجبات ، أو كيف يحملون غيرهم على أداء ما يجب عليه إن لم يكن لهم إيمان بدين جاء به وحي سماوي ، واعتقاد بإله يحب الخير ، وحاكم ينتهي اليه الفصل في الاعمال في حياة بعد هذه الحياة » ثم قال

« لو نقضت عقيدتي بديني لم أخدم بعد ذلك سلطاني ساعة من زمان ، اذا لم أضع ثقتي في الله لم أضعها في سيد من أهل الارض قاطبة ، . . .

« لو لم يكن لي إيمان بالعناية الالهية التي قضت بان يكون لهذه الامة الالمانية شأن كبير ، وأثر في الخير عظيم ، لطرحت لساعتي ما حملته من اثقال وظائف الحكومة ماذا أقول ؟ بل لولا ذلك الايمان لما قبلت شيئا من هذه الوظائف ، لأن الرتب والالقاب لا بهاء لها في نظري ، لولا يقيني بحياة بعد الموت ما كنت من حزب الملكية ، لو لم يكن هذا اليقين لكنت جمهوريا بالفطرة ، يتبين ذلك من الغارات التي أشنها على هنات (خصال الشر) رجال الحاشية من مدة تزيد عن عشر سنين من هذا يظهر أن إيماني قد بلغ من القوة أعلاها حتى حملني بقوته على أن أكون ملكيا اسلبوني هذا الايمان تسلبوني محبتي لوطني » اه المراد منه

وقد استدل على كلامه بثروته الموروثة ومجده الموروث ومحبته للحياة الخلوية الزراعية حتى قال إن الاسرة المالكة في بلاده ليست أنبل من أسرته

بعد هذا التمهيد أذكر لكم ثلاث شهادات وجيزة على تدين فقيدنا في أول عهدي به ووسطه وآخره (الاولى) اننا كنا في أول عهدنا نتلاقى كثيرا في ليالي رمضان مع جماعة من الاصدقاء كلهم يصومون ويصلون ، وكان أكثر سمرنا فيها

البحث في المسائل الدينية إذ كانوا يسألون من تعجبهم أجوبته من المشكلات التي تثيرها المعارف العصرية على الدين ، فكانت هذه المباحث وقراءة المنار هما الباعثان للفقيد رحمه الله تعالى على المراجعة الخاصة بيننا في المسائل الدينية عند الحاجة ، ومنها أنه دارت بينه وبعض علماء الشرائع والقوانين الفرنسيس بباريس في صيف سنة ١٩٠٤ محاورة في عشر مسائل سألوه عن رأيه فيها ، منها بحث الاجتهاد في الفقه ، ومعنى اقفال بابه عند العامة وعند أهل التحقيق ، ومعنى القانون والفرق بينه وبين الشريعة ، فاستمهلهم ريثما يكتب الى بعض اولي الاختصاص في مصر ويدلي اليهم بجوابهم عنها ، وارسلها الى صاحب المنار فأجبته عنها وأرسلتها اليه فترجمها لهم ثم أخبرني بأنها كانت كافية ومقنعة ، وهي منشورة في المجلد السابع للمنار سنة ١٣٢٢ تحت عنوان (الاسئلة الباريسية) والغرض من هذا أنه كان يهتم بالدفاع عن الاسلام وبإقامة حجته فهذا بعض عهدي به في وسط عشرتنا شهدت به

وأما آخر ما أشهد به كغيري فهو ماسبقني الى التنويه به في قصيدته الاستاذ خليل بك مطران ، وهو انه عني في آخر عمره ببناء هذا المسجد المحكم على أحدث قواعد الفنون ليذكر به بعد موته الى ماشاء الله من عمر الدنيا

فان قيل ان في هذا ما فيه من حب الشهرة فانني أكاشف هذا الجم بسر أفضى به إلي قلما يعرفه أحد ، وهو انه قد فعل في هذا القبر ، بباعث الشعور الديني الكامن في أعماق النفس ، حتى أشربته في أخفى مكان من سويداء القلب ، مالعله لم يخطر في بال أحد من الغلاة في التبرك بآثار الانبياء والصالحين ، وأقول إنه ليس بمشروع في هذا الشرع المبين

ذلك أنه عند ما كان في مكة المكرمة كلف المرحوم الشيخ عبد القادر الشيبي أمين مفتاح بيت الله الحرام أن يرسل إلى غار حراء من يكنسه ويجمع كناسته ويحفظها في وعاء ففعل ، فأخذها وبذل له من الجعل أو الاكرام مابذل ، ثم جاء بهذه الكناسة ووضعها في القبر الذي أعده لدفنه تبركا بها ، ليقدم على الله في الدار الآخرة معفرا بغبار الغار الذي كان يتحنث فيه ونزل عليه الوحي أول مرة وهو فيه رسوله محمد خاتم النبيين . صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم الى يوم الدين ، آمين

ثورة الازهر ومنتهى علاجها

ظهر لكل ذي بصر وبصيرة أن المجلس الأعلى للازهر والمعاهد الدينية لما يفقه أن هذه الالوف الكثيرة من طلبة العلوم الدينية في حالة ثورة فكرية وجدانية أثارها شيخه الظواهري بسوء سيرته ومظاهر سريرته ، فمنه بدأت الفتنة واليه تعود ولا علاج لها إلا إخراجه من المشيخة ، والمجلس الأعلى لقيا لا حكمة ورأيا ، لم يحاول علاجها الا باخضاعهم له تعبداً وقهراً ، مع العلم بدرجة احتقارهم له اعتقاداً ووجدانا ، وإصرارهم على مقته ولعنه سرا وإعلانا ، وندائهم باسقاطه جهرا في الازهر وملحقاته كلها ، وفي كل مسجد ومعهد وموقف ومقعد وسوق وشارع ، وبأنهم مثلوا له جنازة تبرأ اليهود والنصارى والمسلمون من تشييعها ودفنها في مقابرهم ، ويعلمون أن جمهور العلماء والمدرسين في الازهر ومعاهده موافقون الطلبة في رأيهم وشعورهم

قرر المجلس ما قرر من الطرد لبعضهم وتبليغ الحكومة ما يتبع ذلك من وجوب تجنيدهم فلم يخضعوا ، وهدد من لم يحضر الدرس في موعد عينه فلم يحضروا ، ولكنه اخترع شبهة قبلها كثير من الناس على علاتها وهي أنهم يتحدون أولياء الامور ويملون عليهم إرادتهم مطالبين لهم بعزل رئيسهم ولا يعقل أن تقبل حكومة أو رياسة أن تكون مأمورة ورعيتها الآمرة ، فنصح لهم بعض الزعماء الذين يحترم رأيهم وتقبل نصيحتهم أن يعودوا إلى دروسهم ويفسحوا للحكومة الرشيدة المجال لحل الاشكال ففعلوا ، وعادوا وقلوبهم لم تخرج من صدورهم ، واعتقادهم وشعورهم ووجدانهم لا تزال صاخبة السلطان على ألسنتهم وحركاتهم وسكناتهم ، فرأى الشيخ أنهم لم يحضروا الدروس خضوعا لرياسته ، ولا توبة عن إهانته ، فأمر مجلسه الاعلى باصدار قرار بتعطيل الدروس في الازهر والمعاهد كلها وإلغاء هذه السنة من حسابه ، فائتمر ، وليكن الدين وعلومه وعشرة آلاف طالب من طلابه ومئات الالوف من الجنيهات تنفقها الحكومة والاوقاف عليهم ، فداء الشيخ الظواهري بغيض الامة والملة ولا حرج ، ولكن الظواهري سيخرج من الازهر مذءوما مدحورا ، ولا يجد له من مجلسه ولا من غيره وليا ولا نصيرا ، وإنما مطالبة الطلبة بعزله أخرته الى أجل كما نصحنا لهم في تصدير كتابنا (المنار والازهر)

(كريم اميركاني ينشر الوحي المحمدي في الشرق)

وكريم مصري ينشره في الغرب

لما زار مصر مستر كراين الامير كاني صديق العرب والاسلام الشهير آخر مرة في الربيع الماضي كنت قد أصدرت الطبعة الثانية من كتاب الوحي المحمدي ، فأخبرته بموضوعه ، وبأني قد أهديته إلى كل من عرفت عناوينهم من علماء أوربة المستشرقين ، وأحب أن أهديه إلى علماء أمريكة منهم ، وأرغب اليه أن يتفضل علي بعناوين من يعرف منهم ومن غيرهم . ولما سافر من القاهرة إلى الاسكندرية بعد أن تغدينا مع بعض أصدقائه على مائدته في فندق (الكونتيننتال) كعادته في كل زيارة ، عهدت عند توديعه إلى صديقه ومساعده على مشروعاته النافعة الاديب المعروف (جورج أنطونيوس) أن يذكره بمسألة هذه العناوين بعد استراحته في الاسكندرية ، ثم لما طال الامد على سفره من الاسكندرية إلى أوربة فأميركة أرسلت طائفة من نسخ كتاب الوحي إلى مكتبه المعروف في نيويورك مع خطاب له أرجوه فيه أن يتولى هو إيصال هذه النسخ إلى المستشرقين الذين يرغبون في قراءة أمثال هذه الكتب الاسلامية في بلاده ، ومر فصل الصيف والخريف ولم يبلغني عنها شيء ، وما كان من اللائق أن أسأله عنها بالكتاب ، وقد كان أخبرنا هنا أنه يريد أن ينقطع عن كل عمل حتى يدون مذكراته في بلده

بيد أنني نسيت وهو لم ينس ، فقد جاءني في أوائل شهر (شوال الماضي الموافق يناير سنة ١٩٣٥م) كتاب من الاستاذ جورج انطونيوس من القدس يبلغني فيه أنه لم يقصر في تنفيذ ما كنت عهدته اليه في أمر هذا الكتاب ، وفيه تحويل بمبلغ مائتي دولار من جناب مستر كراين يقول انه يرغب أن تكون ثمنا لنسخ من كتاب الوحي المحمدي ترسل إلى المعاهد العلمية في الشرق لاجل تعميم هداية الدين الحنيف ، بهذا الاسلوب العصري الطريف ، فشكرت لكل من المحسن بماله والمحسن بعقاله ووساطته فضله ، وسيكون لجميع المعاهد العلمية والاندية الادبية حظ من هذه النسخ في الاقطار العربية والهندية والملاوية وسائر الاعجمية حتى الصين فوق ما سبق لي إهداؤه من الكتاب مما لا أحصيه ، فليعتبر بهذا مشتركو المنار الماطلون وغيرهم من المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدك اللهم بما حمدت به نفسك، وباسمك أشرع في الثلث الأول من هذا التفسير المختصر لكتابك العزيز، الذي كثر علي الالحاح بطلبه من المؤمنين الراضين عن (تفسير المنار) المطول، المفضلين له على غيره، بتحريه بيان ما أنزلته لاجله من الهدى والاصلاح للبشر في أمري الدين والدنيا، وموافقته لحاجة هذا العصر في معارفه، واقامة حجة الاسلام والدفاع عنه، بالجمع بين صحيح المأثور والمعقول، أحبوا أن أكتب لهم على نهجه تفسيراً وجيزاً يسهل على كل ذي حظ من اللغة العربية أن يتدبره ويهتدي به، وعلى كل عالم أن يقرأه كله لطلاب العلم في زمن قصير، فاياك أستعين على إتمامه بما تحب وترضى من بينات الهدى والفرقان، وإياك أسأل أن تؤتيني به وفيه الحكمة وفصل الخطاب، وأن تعلمني من لدنك علما، وتهب لي فهما وحكما، حتى يكون القرآن حجة لي لا حجة علي، واهد اللهم به كل من قرأه بنية صحيحة، واحفظنا جميعا من زيغ من يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله

واني أنصح لقارئه أن ينوي بالنظر فيه الاستعانة به على تدبر القرآن والتفقه فيه والاتعاظ به لاصلاح نفسه، والاستعداد لاصلاح غيره، بالدعوة الى الحق وفعل الخير وإقامة العدل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعاون على البر والتقوى بين الخلق، وجمع كلمة المسلمين، دون المراء والجدل في الدين ونصر المختلفين فيه

وسيجدني إن شاء الله أتحرى أن أصور له المعاني الصحيحة التي تدني اليه هذه المقاصد مجتنبا ما يشغله عنها من مباحث اللغة كاشتقاق الألفاظ، وذكر الحقيقة والمجاز، ووجوه الاعراب، واصطلاحات الفنون، وأصول الكلام والفقه، الا ما كان إشارة يسهل فهمها على جمهور القراء، ككلمة تعليل وتمثيل، وإجمال وتفصيل، ومجمل ومبين، ومطلق ومقيد، وشرط وجواب، واستئناف بيان، وحديث مرفوع مثلا، فان وجدت خفاء أو إشكالا في بعض العبارات أو المسائل وأردت كشف الغطاء عنها، أو الوقوف على ما فيها من الأحكام والحكم بالتفصيل، فراجع لفظها أو معناها في تفسير المنار المطول مستعينا بفهارسه، وبعدد الآيات والسور. وأرجو ان يكون ما هنا أقرب إلى الصواب مما قد يخالفه هنالك، وأذكر القراءات المتواترة بدون عزو إلى رواتها للاختصار، مع بيان معانيها وحكمتها بالايجاز، إلا ما يتوقف على التلقي بأداء حفاظ القراء كالامالة وتسهيل الهمزة مثلا، وقد قدرته بثلاثة أجزاء كل ثلث من القرآن في جزء، وكنت بدأت بالثلث الثاني من قبل، وأسأل الله أن يعينني على إتمامه كما يحب ويرضى في زمن قصير، وهو على كل شيء قدير ﴿ وكتبه محمد رشيد منشيء المنار بمصر في ذي القعدة سنة ١٣٥٣

الكلمة الاخيرة لمشتركي المنار المطل

أحمد الله انني وقفت حياتي في خدمة الاسلام بالدعوة اليه والدفاع عنه وبيان حقيقته من كتاب الله بأهدى تفسير له وأصحه وأوضحه ، وباحياء سنة رسوله خاتم النبيين ﷺ وإبانة ما خالفها من البدع ، وبالفتاوى المؤيدة بالدلائل في كل ما يشكل على المسلمين من أمر دينهم وما يتعلق به من أحكام دنياهم ، وبالرد على خصوم الاسلام من الماديين والملحدين ودعاة النصرانية ، وببيان مقاصد أعدائهم من المستعمرين وتنبيههم لما يجب من مقاومتها ، وقد شرحت هذه المقاصد في ٣٤ مجلداً من المنار ، و١٢ جزءاً من تفسير القرآن الحكيم ، وكتباً أخرى آخرها (الوحي المحمدي) وليس لي على هذه الاعمال مساعد بل أكلف فوقها أعمالا كثيرة منها الاجوبة على مشكلات كثيرة ترد علي من جميع الاقطار وغير ذلك ككتابة مقالات للجرائد والمجلات وإلقاء محاضرات ومناظرات في الاندية والجمعيات ، وكتابة فتاوى لبعضهم وارسالها اليهم في البريد ، بله المسألة العربية وأعمالها

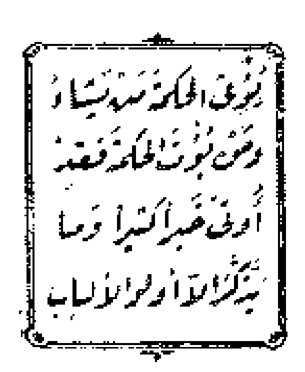
واني لشواغلي هذه قصرت منذ ربع قرن أو أكثر في أعمالي الادارية والمالية حتى كثرت الديون لي وعلي فطالبت المشتركين في المنار بما يسهل عليهم من أداء أو تقسيط أو صلح على بعض المطلوب مع من يعسر عليهم أداء جميعه ، أو طلب اسقاطه كله ممن يعجز عن بعضه ، وكررت هذا في السنتين الماضيتين فلم يستجب لي إلا أقلهم

واذا كان هذا جزاء صاحب المنار من أكثر قرائه على خدمة الاسلام وهم أجدر المسلمين بتقديرها والمساعدة عليها بقيمة الاشتراك القليلة أو بعضها فأي عنوان يكونون لأمتهم ؟ وكان خطر ببالي أن أطلب منهم اجازة سنة لأصدر للامة السفر الاول من (التفسير المختصر المفيد) الذي يرون مقدمته هنا واجعل ثمنه للاوفياء منهم نصف ثمنه من غيرهم فلما قاربت السنة عز علي ذلك فعزمت على الثبات والجمع بين إصدار التفسيرين المطول والمختصر والمنار ، راجيا منهم قضاء حقه بقدر الاستطاعة فقط

اني سأنشر أسماء أكثرهم دينا للمنار في ملحق للتذكير به لانه يثقل علي الكتابة لكل واحد منهم ، وأنصفهم فيما يجيبون به ، ومن أصر على المنع والسكوت فانني أقطع عنهم المنار والله يتولى جزاءهم في الدنيا والآخرة وهو حسبي ونعم الوكيل

فبشر عبادِ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب





قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صُوًى و «منارًا» كمنار الطريق

٣٠ المحرم ١٣٥٤ برج الثور سنة ١٣١٣ هـ ش ٣ مايو سنة ١٩٣٥

فتاوى المنار

أسئلة من صاحب الامضاء ببيروت

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حضرة صاحب الفضل والفضيلة سيدنا ومولانا العالم العلامة الاستاذ الجليل السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء حفظه الله تعالى . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فاني أرفع إلى فضيلتكم الاسئلة الآتية راجيا التكرم بالاجابة عليها ولكم عظيم الشكر :

(١) هل يجوز تحكيم العقل في المسائل الشرعية الدينية المنصوص عنها في الكتاب والسنة والاجماع والقياس المعتبرين ؟ فان كثيراً من الناس يحاولون تحكيم العقل في المسائل الشرعية الدينية فيقبلون منها ما يوافق عقولهم ويتركون ما يخالفها ، وإن كان في ذلك نص أو إجماع أو قياس . فهل هذا يجوز أم لا ؟

(٢) هل يجوز التقليد والتلفيق من مذاهب الائمة الاربعة ولو لغير ضرورة قبل العمل أو بعده في المعاملات والعبادات كالوضوء والغسل والتيمم والصلاة كمن توضأ وضوءاً واجباً أو اغتسل غسلا واجباً من ماء قليل مستعمل في رفع حدث مقلداً لمذهب الامام مالك ، وترك الدلك مقلداً لمذهب الامام الشافعي ، وترك النية مقلداً لمذهب الامام أبي حنيفة ، يكون وضوءه أو غسله صحيحاً أم لا ؟

(٣) هل هذان الحديثان الآتيان صحيحان معتمدان غير منسوخين يجوز العمل بهما أم لا ؟ وهما « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » « من قلد عالماً لقي الله سالماً »

(٤) هل كتاب [لوائح الانوار البهية وسواطع الاسرار الاثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية] تأليف الشيخ محمد بن احمد السفاريني الاثري الحنبلي وكتاب [المحلى] تأليف الامام أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم صحيحان معتمدان يجوز الاعتقاد والعمل بجميع ما أتى فيهما أم لا ؟

(٥) هل ماورد بخصوص ظهور المهدي المنتظر والدجال والدابة ونزول سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام وحكمه بالشريعة الاسلامية صحيح معتمد يجوز اعتقاده أم لا ؟

(٦) هل أعمال الحقنة في أحد السبيلين أو في الشرايين أو تحت الجلد أو التطعيم ضد مرض الجدري أو غيره أو استعمال المضمضة أو الدواء للثة أو الاضراس أو الاسنان لاجل تصليحها أو منع وتسكين الآلام والاوجاع عنها وتغير طعم الفم وبلع الريق مفطرة للصائم أم لا ؟

(٧) هل يجوز للانسان أن يرتهن داراً أو دكانا بقيمة معلومة على أجل معلوم بشرط أن ينتفع المرتهن بالدار أو الدكان من سكنى أو ايجار أو غيره سواء كان الايجار من الراهن أم غيره أم لا ؟

(٨) هل يجوز بيع الوفاء أم لا وما كيفيته تفصيلا ؟

تفضلوا بالجواب ولكم الاجر والثواب عبد الحفيظ اللاذقي

(أجوبة المنار)

(٣١) تحكيم العقل في الدين

ماشرع الله الدين للناس إلا لانهم لايستغنون عن هدايته بعقولهم ، ومن كان يؤمن بدين منزل من عند الله لايمكن أن يقبل مايوافق عقله منه ويرد مالا يوافقه من المسائل التي يعتقد ان الله فرضها عليه من الاعمال أو حرمها عليه من التروك ، فمن فعل ذلك كان غير متبع لدين يؤمن به قطعاً ، وإنما يكون متبعاً لهواه بغير هدى من الله ، فوظيفة العقل أن يعلم ويفهم ليعمل ، لاأن يتحكم في دينه ولا في قانون حكومته الذي هو وضع بشر مثله

ثم ان عقول الناس تختلف اختلافا كثيراً فيما يوافق أصحابها وما لايوافقهم وذلك يقتضي أن يكون لكل فرد ممن يحكمون عقولهم في الدين دين خاص به والمجموع أديان كثيرة بقدر عددهم إن صح أن يسمى اتباعهم لها دينا ، وهو لا يصح . فتحكيم العقل في كل مسألة من مسائل الدين مخالف لحكم العقل الصحيح ، وإنما المعقول أن يطلب العاقل الدليل على أصل الدين فمتى ثبت عنده وجب عليه

أن يتبع كل ما علم أنه منه، فنحن قد أقمنا البرهان العقلي على نبوة محمد ﷺ ورسالته فمن آمن به وجب أن يتبعه في كل ما جاء به من أمر الدين ، ومنه ما هو قطعي مجمع عليه بين المسلمين لا مجال للعقل في البحث عنه ولا عن أدلته ، ومنه ما ليس كذلك فاختلفوا في إثباته ونفيه بالتبع للاختلاف في أدلته وفي وجه دلالتها عليه كما بيناه مراراً تارة بالتفصيل وتارة بالاجمال وآخرها ما في فتاوى الجزء الماضي من المنار، ومن ذلك الاختلاف في القياس هل هو دليل شرعي أم لا وفي حقيقته وفي صفة دلالته وموضوعه وغير ذلك فلكل مسلم أن يبحث بعقله عن ذلك من طريقه فيقبل ما صح منه بالدليل لا بالهوى ، ولا يجب على أحد أن يقبل كل ما يقوله له بعض مدعي العلم الديني وإن رآه غير معقول بدون دليل شرعي ، وليس من الدليل ذكر الحكم في كتاب من كتب المذاهب كما بيناه في الفتوى المشار اليها أخيراً (راجع ص٦٨٨)

(٣٢) التلفيق في تقليد المذاهب

الاصل فيمن قلد مذهباً أن يعرف أحكامه في المسائل ويعمل بها لثقته بأدلتها إجمالا أو تفصيلا أو وراثة ، ومن كان له نظر في الادلة فله أن يعمل بما اعتقد صحته في بعضها مخالفا لغيره وإن أدى ذلك إلى التلفيق بين الاقوال وعدم موافقة صلاته لمذهب واحد من المذاهب الاربعة كاختلافها في الماء المستعمل والقليل والكثير وأحكامها ، وفي وجوب قراءة المأموم للفاتحة مثلا ، لانه إنما يعمل بما يعتقد صحة دليله في الشرع في كل فرع ، لا بقول فلان وفلان لذاته ، ولكن يشترط ألا يخالف الاجماع في ذلك ، وأما من عرف أقوال هذه المذاهب المختلفة دون أدلتها فاختار لنفسه من كل منها ما وافق هواه لسهولته مثلا فهو متلاعب بدينه متعبد بغير علم ولا تقليد لامام وثق بعلمه ودينه

(٣٣) حديث «أصحابي كالنجوم» أخرجه البيهقي عن ابن عباس وهو غير صحيح

(٣٤) جملة [من قلد عالما لقي الله سالما] ليست بحديث نبوي

(٣٥) كتاب لوائح الانوار الالهية للسفاريني من أجمع الكتب للعقائد الاسلامية وما روي من الاحاديث والآثار وأقوال السلف فيها ، ولا يخلو من أقوال ضعيفة

وآراء مختلف فيها ، والعقائد يجب إثباتها بالادلة القطعية ، ودونها ماورد في أخبار آحاد ظنية صحيحة السند تسلم إذا لم يعارضها قطعي . وأما الروايات الضعيفة فلا يجوز اسنادها الى النبي ﷺ ولا الاحتجاج بها ولا العمل بها في المسائل العملية فضلا عن العقائد الدينية

(٣٦) كتاب المحلى في الفقه للامام ابن حزم من أجل كتب فقه الحديث على مذهب الظاهرية الذين لا يقولون بالقياس ، ولمؤلفه أفهام وآراء اجتهادية خالف فيها غيره من الفقهاء يخطيء فيها ويصيب كغيره من العلماء ، فمن اقتنع فيها برأيه وفهمه كان كمن اقتنع برأي غيره من أئمة الفقه فانه إمام مجتهد كغيره . فالعبرة بالدليل والعلماء نقلة ومرشدون

(٣٧) المهدي المنتظر : راجع الاحاديث المتعارضة والاختلاف فيه وفيها فقد بسطناه في الكلام على قيام الساعة واشراطها من أواخر تفسير سورة الاعراف (ص ٤٥١ — ٥٠٢ من جزء التفسير التاسع)

(٣٨) أحاديث الدجال ، راجعها في ص ٤٨٩ من الجزء المذكور أيضا

(٣٩) أحاديث نزول المسيح واعتقادها . راجع المسألة في ص ٧٥٣ من مجلد المنار الثامن والعشرين

٤٠ الحقن وما يفطر الصائم

أعمال الحقن بانواعها والمضمضة بالماء والدواء لا تفطر الصائم وبلع الريق بالاولى وانما يفطره بلع شيء غير الريق من مائع أو جامد لانه يعد من الطعام والشراب اللذين لا يتحقق الصيام إلا بالامساك عنهما مع نية التعبد ، وراجع تفصيل أحكام الصيام ومفطراته في تفسير آياته من جزء التفسير الثاني ولا سيما الفصول الملحقة به في الطبعة الثانية

٤١ حكم الانتفاع بالرهن

ارتهان الدار والعقار بالصفة المذكورة غير جائز لأنه من أكل أموال الناس بالباطل ، وإنما ورد في رهن المحلوب والمركوب أنه ينتفع بهما في مقابل نفقتهما

٤٢ بيع الوفاء

(٤٢) بيع الوفاء كنت أعهد له صورة في بلادنا يقول الفقهاء بصحتها فراجعوا المسألة في كتاب مجلة الاحكام العدلية لسهولته ، وليس من شأن المنار تفصيل المعاملات المدنية الاجتهادية

(حكم الصلاة والصيام في القطبين وكون طلب العلم في سبيل الله)

(س ٤٣ و ٤٤) من صاحب الامضاء في انكلترة

ماقولكم دام فضلكم فيما هو آت

(١) تعلمون ان الانسان كلما ذهب نحو القطب اختلفت ساعات الليل والنهار فهي عند خط الاستواء ١٢ ساعة ليلا و١٢ ساعة نهاراً وعند القطب ستة أشهر ليل باستمرار وستة أشهر نهار باستمرار وتختلف فيمابين ذلك درجات

فما حكم الشرع في مسلم يسكن في أقصى شمال الكرة أو أقصى جنوبها ويريد إقامة أحكام الشرع الشريف من صلاة وصيام ؟

(٢) ورد في الحديث الصحيح عن أنس رضي الله عنه «من خرج في طلب العلم كان في سبيل الله حتى يرجع » رواه الترمذي ، فهل الخروج في طلب العلم كالخروج للمقاتلة في سبيل الله في الثواب فقط أو في سقوط أحكام الشرع الشريف عن الشخص المكلف من صلاة وصيام ؟؟ دكتور محمود زين الدين

طالب بانكلترا

(٤٣) حكم مواقيت الصلاة والصيام في القطبين وما يقرب منهما

قد بينا هذه المسألة في المنار وفي التفسير ومنها في تفسير الآية (٢: ١٥٢ فمن شهد منكم الشهر فليصمه) الواردة في صيام شهر رمضان (ص ١٦٢ من جزء ... من الطبعة الثانية) وهذا نصه :

قال الاستاذ الامام : وانما عبر بهذه العبارة ولم يقل «فصوموه» لمثل الحكمة التي لم يحدد القرآن مواقيت الصلاة لاجلها ، وذلك ان القرآن خطاب الله العام لجميع البشر وهو يعلم أن من المواقع مالا شهور فيها ولا أيام معتدلة بل السنة كلها قد تكون فيها يوما وليلة تقريبا كالجهات القطبية ، فالمدة التي يكون فيها القطب الشمالي في ليل وهي نصف السنة يكون القطب الجنوبي في نهار وبالعكس، ويقصر الليل والنهار ويطولان على نسبة القرب والبعد عن القطبين ويستويان في خط الاستواء وهو وسط الارض

أرأيت هل يكلف الله تعالى من يقيم في جهة القطبين وما يقرب منهما أن يصلي في يومه (وهو سنة أو مقدار عدة أشهر) خمس صلوات إحداها حين يطلع الفجر، والثانية بعد زوال الشمس الخ ويكلفه أن يصوم شهر رمضان بالتعيين ولا رمضان له ولا شهور ؟ كلا ان من الآيات الكبرى على كون هذا القرآن من عند الله المحيط علمه بكل شيء لا من تأليف البشر ما تراه فيه من الاكتفاء بالخطاب العام الذي لا يتقيد بزمان من جاء به ولا مكانه ، ولو كان من عند النبي ﷺ لكان كل ما فيه مناسبا لحال زمانه وبلاده وما يليها من البلاد التي يعرفها ، ولم تكن العرب تعرف أن في الارض بلاد... ها كعدة أشهر أو أشهر من أشهرنا وأشهرنا ولياليها كذلك

فنزل القرآن وهو علام الغيوب وخالق الارض والافلاك خاطب الناس كافة بما يمكن أن يمتثلوه ، فأطلق الامر بالصلاة والرسول بين أوقاتها بما يناسب حال البلاد المعتدلة التي هي القسم الاعظم من الارض ، حتى إذا وصل الاسلام إلى أهل البلاد التي أشرنا إليها يمكنهم أن يقدروا الصلوات باجتهادهم والقياس على ما بينه النبي ﷺ من أمر الله المطلق — وكذلك الصيام ما أوجب رمضان إلا على من شهد الشهر وحضره ، والذين ليس لهم شهر مثله يسهل عليهم أن يقدروا له قدره . وقد ذكر الفقهاء مسألة التقدير بعد ما عرفوا بعض البلاد التي

يطول ليلها ويقصر نهارها ، والبلاد التي يطول نهارها ويقصر ليلها ، واختلفوا في التقدير على أي البلاد يكون ؟ فقيل على البلاد المعتدلة التي وقع فيها التشريع كمكة والمدينة ، وقيل على أقرب بلاد معتدلة إليهم وكل منهما جائز فانه اجتهادي لانص فيه .

(٤٤) حديث من خرج في طلب العلم » الخ

معنى الحديث أن من خرج في طلب العلم النافع كان خروجه في السبيل أي الطريق الموصلة إلى مرضاة الله كسائر أعمال البر ، فان كلمة سبيل الله عامة لا خاصة بالقتال ، وأحكام الشرع من الصلاة والصيام وغيرهما لا تسقط عن المقاتلين في سبيل الله لأنهم مقاتلون ولا عن غيرهم لاجل تفضيل عملهم ، والصلاة أفضل الاعمال بعد الايمان ، وهي لا تسقط عند أحد من المكلفين إلا بعذر منصوص كالحيض والنفاس ، وتجب على المقاتلين حتى في حال القتال إلا أنه يسقط عنهم بعض أعمالها البدنية كما ورد في قوله تعالى (٢ : ٢٣٨ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين ٢٣٩ فان خفتم فرجالا أو ركبانا فاذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم مالم تكونوا تعلمون) أي فصلوا في حالة الخوف راجلين أو راكبين على مطاياكم وخيولكم ، ويسقط الصيام عن المريض والمسافر والحائض والنفساء وعليهم الاعادة ، فلا أدري من أين جاءت السائل شبهة سقوط الاعمال الشرعية عن المقاتلة في سبيل الله فسأل عن الخروج في طلب العلم هل هو مثل القتال في هذا أم لا ؟

هذا وان طلب العلم لا يعد في سبيل الله إلا إذا كان مطلوبا في الشرع ، وكان الاشتغال به بنية شرعية صالحة ، ولم يكن سببا لارتكاب الطالب في أثناء طلبه شيئا من المعاصي أو تركه لبعض الفرائض كما يفعله أكثر طلاب العلوم الدنيوية من المسلمين في أوربة بدون عذر ، فهذا لا يمكن أن يكون في سبيل الله

الأزهر الازهر ، الانقلاب الاكبر

أحمد الله عز وجل أن حق رجائي وصدق مقالي الذي بسطته في تصدير كتاب (المنار والازهر) إذ بينت أن الشيخ الظواهري قد بلغ من إفساده الغاية وأنه لا يوجد في العلماء من هو أهل لرياسته وإصلاح هذا الفساد غير واحد يعرفه أهل الأزهر كلهم ويعرفه غيرهم، ووصفته بصفاته التي لا يجرأ أحد أن يدعيها لغيره، بعد أن صرحت بهتاف مجاوري الازهر في ثورتهم باسمه ولقبه ثم نصحت لهم قائلا:

إخواني: إنكم ستنالون ماترضون: من تولي من تمقتون عنكم، وتولية من تحبون عليكم، لا بقوة مظاهرتكم لزيد وتظاهركم على عمرو، بل لأنه الحق والخير والمصلحة، ولان الامة الاسلامية كلها معكم فيه، ولأنكم في عهد وزارة تقدر هذه القوى الاربع قدرها، وجديرة بأن ترضي الله بارضائها الخ ما قلنا وما هو ببعيد

نشرت هذا التصدير في الجزء السادس من منار هذا المجلد (٣٤) الذي صدر في آخر شهر شعبان (سنة ١٣٥٣) وحدث بعد ذلك من الأحداث ماجعل بعض الناس يظنون أن قدم الشيخ الظواهري في الازهر أرسخ من قدم محمد توفيق باشا نسيم في الوزارة، وأن مجلس الازهر الاعلى ظافر في تأييد شيخه الظواهري وإخضاع العلماء والطلاب له أذلة مرغمين، أو يحرمهم من كل ما لهم من حقوق العلم والدين، فقلت في آخر الجزء الذي قبل هذا وهو التاسع الذي صدر في سلخ ذي الحجة « إن الشيخ الظواهري سيخرج من الازهر مذؤما مدحوراً، ولا يجد له من مجلسه الأعلى ولا من غيره وليا ولا نصيرا » وكذلك كان فقد قضى الله أن لا يمر هذا الشهر (المحرم سنة ١٣٥٤) حتى يخرج الظواهري منه مذؤما مدحورا، ويتولى رياسته الاستاذ الأكبر المصلح الشيخ محمد مصطفى المراغي مؤيداً منصورا

لاغرو فما نحن ممن يرمي الاقوال على عواهنها ويتبع فيها هوى النفس، وانما نتكلم عن سنن الله عز وجل في الاجتماع، وما هذه الكلمة بالاولى في بابها

ولا هذه اليتيمة بالفذة بين أترابها ، فقد كتبت في الجزء الرابع من المجلد ٢٩ (الذي صدر في سلخ المحرم سنة ١٣٤٧) عن توليته للمشيخة بعد الثناء على دولة مصطفى باشا النحاس باختياره لها :

« ان بيان ما اجملته من الحكم بأن هذا المنصب لا يصلح له في هذا الوقت الا هذا الرجل يتوقف تفصيله على بيان حالة الازهر من نواحيها المتعددة، وبيان مزايا الشيخ العقلية والادارية، ومعرفته بحالة العصر من نواحيها المختلفة، وما يحتاج اليه الاسلام من التجديد والاصلاح ، وفوق هذا كله استقلاله في فهم الدين والعلم فهو في الذروة العليا من نجباء تلاميذ الاستاذ الامام (رح) فعسى أن يجعله الله هو المتمم لما بدأ به استاذه واستاذنا من إصلاح الازهر »

ونشرت في الجزء الخامس الذي صدر في سلخ ربيع الاول من تلك السنة مذكرة الاستاذ في إصلاح الازهر التي قدمها للحكومة وقررفيها بما أوتي من الشجاعة « أن نتائج الازهر والمعاهد تؤلم كل غيور على أمته وعلى دينه، وقد صار من الحتم لحماية الدين لا لحماية الازهر أن يغير التعلم في المعاهد ، وأن تكون الخطوة الى هذا جريئة يقصد بها وجه الله تعالى فلا يبالي بما تحدثه من ضجة وصريخ فقد قرنت كل الاصلاحات العظيمة في العالم بصريخ »

وكتبت في الجزء السابع الذي صدر في سلخ جمادى الاولى منها مقالا في (إصلاح الازهر وما يتبعه من المعاهد) بينت فيها وجوه حاجته الى الاصلاح وتأثير رياسة المراغي في ذلك حتى تعلقت به آمال الشعوب الاسلامية وشخصت له أبصار الشعوب الاوربية

ثم نوهت في فاتحة المجلد الثلاثين الذي صدر في المحرم سنة ١٣٤٨ ببشائر الاصلاح والرد على الشامتين من دعاة النصرانية الذين صرحوا في بعض صحفهم وكتبهم بأن أفكار الشيخ محمد عبده التي تغلغلت في عقول المفكرين ، وكان لها المجال الواسع لدى الشبان المسلمين ، تلقى أشد الانكار من أرباب العمائم الجامدين، قالوا « ولهذا نجد مريدي الشيخ عبده متضائلين لا يقدرون أن يجهروا بافكارهم لقلة عددهم ، ولشدة مقاومة الجامدين لهم »

ثم قالت « وانّا نبشر هؤلاء الشامتين، الذين يتربصون ريب المنون بالاسلام والمسلمين ، بان طلائع النصر قد رفعت أعلامها على رءوس المصلحين، وانتهت رياسة علماء الدين الى أحد تلاميذ الاستاذ الامام ، ونوابغ مريديه الاعلام، وهو الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الازهر ، وقد لقي من جلالة ملك مصر وحكومته من المساعدة ، بقدر ما كان يلقي الشيخ محمد عبده نفسه من المناهضة والمعارضة الخ . ومنه أن رسالة التوحيد صارت تقرأ في القسم العالي من الطلبة النظاميين ، وتفسير المنار هو المرجع لمدرسي التفسير فيه »

على أن تلك السنة (١٣٤٨) لم تنتصف الا وقد انتصفت منا فتن الدهر باستقالة الشيخ المراغي من هذه الرياسة فكتبت في الجزء السادس الذي صدر في سلخ جمادى الآخرة منها صفحة واحدة ذكرت فيها ما راع العالم الاسلامي من نبأ استقالته وما أكبروه من خلقه العالي بها ، وصرحت بأنه « لا بد للمسلمين أن يستفيدوا من مواهبه في يوم من الايام »

نعم ، وها هو ذا قد طلع صباحه وذرّ قرن شمسه ، وحق إلهام المنار وصدق قوله

حكمة الفصل بين الرياستين

كل ما قرره الاستاذ المصلح في مذكرته للحكومة من سوء حالة الازهر والمعاهد الدينية وشدة حاجتها إلى الاصلاح بل حاجة الدين الاسلامي اليه كان قليلا بالنسبة إلى ما أدخله عليه الشيخ الظواهري بعد ذلك من الفساد والافساد في التعليم والادارة ، والنفاق والشقاق في العقائد والأخلاق ، حتى قال أحد كبار العلماء الواقفين على الدخائل إنه لا يمضي على هذه الحال خمس عشرة سنة ويبقى في الازهر ومعاهده أحد يعرف حقيقة الاسلام ، وكان كلما اشتد الفساد اشتدت دعاية شيخ الأزهر في اطراء الازهر وتعليم الازهر ، وإصلاح الازهر ، !!

لو أن الشيخ الظواهري عرف قدر نفسه وطور وقته فاستقال من رياسة الازهر والمعاهد عقب استقالة الوزارة الممقوتة رغم أنفها حتى لا يضطر إلى الاستقالة رغم أنفه لخفي على كثير من أهل الازهر وغيرهم كثير من مساويه

ومن ريائه ومن دعايته الباطلة التي كان يضل بها الناس عن إفساده ، ولما علم أعلم الناس بأخلاقه ودخائله ماعلموه باصراره على غيه من إقدامه على إذلال أهل الازهر كافة من الشيوخ المدرسين ومن الشبان المجاورين له أو حرمانهم من العلم والدين والرزق إذا لم يقبلوا الذل بالخضوع والخنوع لمن يعتقدون فساده وإفساده لهم ولمعاهدهم ، ولقد كان ظهور هذه الغاية السوءى لهم خيراً من بقائها خفية عليهم

ولو أن الشيخ الظواهري استقال من أول الامر لكان من الممكن أن يخلفه من لا يقدر على ادارة الازهر واصلاح ما فسد فيه من الشيوخ المشهورين فاما أن تتجدد الثورة لمقاومته فيصدق جماهير الناس قوله وقول اعوانه في أهل الازهر إنهم ثوار متمردون، وإما أن يخضعوا فيستمر الاستبداد ، وما ولده من الافساد ، وكل منهما شر مناف للمصلحة

فاصرار الظواهري على غيه وبغيه كان شراً له وخيراً للازهر ومعاهده وللاسلام والمسلمين ، وكان خير ما فيه ما انتهى اليه من اقتناع جلالة الملك كالحكومة والامة بأنه لا يوجد في العلماء أحد يصلح لهذه الرياسة الا الشيخ محمد مصطفى المراغي ، وان من الضروري أن يعهد بها اليه ويعطى حق الاستقلال فيها كما اشترطه في مشيخته الاولى التي استقال منها مختاراً عند ما نوزع في استقلاله

إن خير ما استفاد الأزهر من سوء سيرة الظواهري أنه تألم منها وشعر بسوء عاقبتها فثار في وجهها وهب لمقاومتها ، وخير من هذا أنه عرف الرجل الوحيد الذي يرجى أن ينقذه منها وصرح بطلبه وجعله الركن الركين لثورته ، فلم تكن كثورة الطفل الذي يشكو ألم المرض ويأبى الدواء ، بل عرف المرض وعرف الطبيب النطاسي الذي يجب تفويض أمر العلاج إليه ، وحاول الهدم لأجل البناء ، وجمع كما يقول علماؤه بين التخلية والتحلية ، فهذه فائدة ثورة الأزهر التي رجوت خيرها وكنت أرد على كل من يستنكرها وينكر على أهلها صورتها وشكلها ويخشى سوء عاقبتها ، وإن كانوا موقنين أنهم على حق فيها

ذلك بأن الازهر كان كالمصاب بداء السل أو مرض السكتة ، يبرح به الداء ويهوي به الى الفناء وهو لا يشعر ، وكان هوى السلطان يعبث به فيميل معه

كيف شاء ، ولقد جاء المصلح الحكيم الاول (الاستاذ الامام) فكان الشيوخ يواتونه ما كان السلطان راضيا عنه ، فلما رأوه معه بيّن بين صاروا يدارونه في الادارة اقوة حجته ولا ينفذون له ما يقتنعون به ، حتى إذا أظهر الامير له العداء تظاهروا كلهم عليه ، وأجمعوا على أن الازهر معهد ديني محض لايجوز الاشتغال فيه بغير العبادة وعلومها ،لا علاقة له بأهل الدنيا ولا بعلومها،حتى رضوا أن يكون للقضاء الشرعي مدرسة مستقلة يدير أمر التربية والتعليم فيها ناظر مدني لا ديني ، ثم جاء طور آخر فوض أمره الى الحكومة ووضع له رجالها قانونا جديداً أخضع له جميع الشيوخ على علاته

جمود الازهر بالامس وثورته اليوم

كان الازهر يتقلب في هذه الاطوار ويعبث به الأمير وحده ثم تعبث به حكومته بأمره ،وشيوخه كما قلنا ليس لأحدهم في ذلك رأي،والطلاب لا يشعرون بما يراد بهم من خير أو شر ، وعلم أو جهل ، فاستقال المصلح الحكيم الاستاذ الامام من ادارته ، فاهتز مسلمو الهند لاستقالته ، وأنحوا بالتثريب والتأنيب على الامير وحكومته ، وعلى علماء الازهر وعلى الامة المصرية ، ولم يرتفع للأزهر صوت ولو ثار أهله عشر ثورتهم هذه وأرادوا بها ابقاء الامام وعدم قبول استقالته لتم لهم ما أرادوا ، فقد كانت الحرية يومئذ أتم منها اليوم

فالفضل الاكبر في إيقاظ الازهر من نومه وفي ثورته الحية الشريفة لسوء إدارة الشيخ الظواهري وعناده ، وإصراره على ما كان من استبداده ،ومطاردته للعلماء والمجاورين في الجامع الازهر نفسه ، حتى جعل الجند والشرطة يدخلونه بنعالهم ويخرجون طلابه من المسجد ومن حجراتهم مقهورين حاسري الرءوس حفاة الاقدام،يتلونهم الى السجون كقطاع الطرق والمجرمين عتلا ، ويسومونهم خسفاً وذلاء (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين ،لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم)

لا أبغي الآن أن أعيد ذكر تلك المساوي لبيان ما كان من مفاسدها، وانما أريد أن أحمد الله على حسن عاقبتها بخذلان فاعلها وابطال كيده للاسلام ومعاهده،

وأن أذكر أهل الازهر بما يجب عليهم من حمد الله وشكره أن بدلهم بذلك الشر خيراً ، وبذلك الافساد إصلاحا ، فانه اذا أراد بقوم خيراً جعل لهم النقم عبرة وتمحيصا، ومن النعم تربية وتأديباً، ووسد أمورهم الى أهلها ، ويسر لهم القيام بحقها

نصيحتي الثانية للأزهر

واني لاقول لهم كلمة نصح ثانية لعلهم لا يسمعونها من غيري في طور هذه النعمة، كالكلمة التي قلتها في حال اشتداد الثورة ، وإني لاشد يقينا بصحة هذه مني بتلك وقد نطق الزمان بصدقها ، أقول إنكم نلتم خير ما طلبتم بثورتكم في خبر الاحز من نفي واثبات ، وسلب وإيجاب ، وهو ما أيدتكم به الامة ورضيته لكم واجه الحكومة وجلالة الملك إليه ، وهو أهون الامرين اللذين يتوقف عليهما إصلاح الازهر ، وبقي أشقهما وأعسرهما ، وهو استعدادكم لقبول الاصلاح الذي اتفقتم والامة على أنه قد وسد الى خير أهله ، وأقدرهم على النهوض بأعبائه ، فما أنتم فاعلون اليوم؟

إنما يستفيد الناس في كل حال وزمان بقدر استعدادهم ، فقد نشأ السيد جمال الدين نابغة القرون في بلاد الافغان ولم يشعر بمزاياه الا بعض أمرائها ، ثم جاء مصر فاستفاد منه بعض المستعدين للانقلاب السياسي والمدني والادبي ، ولم يستفد من رأيه وتأثيره في الاصلاح الديني والعلمي الا الشيخ محمد عبده ، وله اعترف السيد بأنه خليفته في كل انقلاب دعا إليه ، وقد أتيح للشيخ من دعوة هذا الاصلاح وممارسته في إدارة الازهر الرسمية وفي تدريس التوحيد والتفسير والبلاغة والمنطق ما لم يتح لاستاذه السيد، وكان الآخذون عنه أكثر عدداً ، وأوسع زمنا، ثم كان من عاقبته فيه ما أشرنا اليه آنفا، وما أغنت عنه كثرتهم من الاصلاح شيئا، إذ لم يكونوا يبغون أخذ الاصلاح عنه ، لانهم لم يكونوا مستعدين له، وقل من كان منهم يفكر فيه

وها أنتم أولاء تجاه ثاني المصلحين وثالث القمرين، ولقد كان يطلب العلم في الازهر كما يطلبه غيره، ولكنه كان أقرب أهله اليهما في عقلها وأخلاقها، ولا سيما الشجاعة وعزة النفس ، واستقلال الارادة والفهم ، وبهذا كان أجدر من خلف الاستاذ الامام بإصلاح الازهر، فيجب أن يكون حظه من استعدادكم في النصف الثاني من

القرن الرابع عشر أكبر من حظ استاذه واستاذنا من استعدادهم في النصف الاول منه ، عسى أن يكون متمما لما بدأ ، ولا يتسنى له هذا الا اذا كان استعداد كم للقبول متمما لاستعداده للايجاب ، فالمراغي لا يقدر على ان يخلق الازهر خلقا جديدا ، وغاية ما يرجى له من سعيه وجهده ، أن يبلغ به أحسن ما استعد له أهله بعد زوال المانع الذي كان يحول دون ذلك ، بل قال الحكماء الربانيون ان للرب الخلاق ذي القوة المتين سننا في التكوين يعد بها الشيء للشيء فيتعلق الايجاد بالاستعداد بمقتضى الحكمة في التقدير وامتناع الجزاف والخلق الأنف فيه . وهو معنى الايمان بالقدر ، ونص القاعدة الاجتماعية في قوله تعالى (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وإن للمنار مقالة في هذا الموضوع عنوانها (الاصلاح والاسعاد على قدر الاستعداد) نشرت في المجلد الرابع منه (ص ٦٨١) سنة ١٣١٩

يوشك أن يكون الازهر اليوم أقل علما واخلاصا في الطلب مما كان في أول هذا القرن ، ومما كان في قرون التدلي التي قبله ، ولعله صار على ضعفه في العلم أشد شعوراً بالحاجة الى الاصلاح أو استعدادا له ، ولا يصح هذا الرجاء عند الشيخ المراغي الا بقدر ما يرى في العلماء والطلاب من المشاركين له في الصفات الثلاث التي كان بها أهلا للاصلاح ، : الشجاعة وعزة النفس واستقلال الارادة والفهم ، وما وراءهن الا العلم بحقيقة الاصلاح ، وحسن النية فيه ، وطلب الغاية العليا منه ، وهي ما في الاسلام والقرآن من روح الانقلاب العام المصلح للبشر ، ومقاصده العشرة التي بيناها في كتاب الوحي المحمدي ، وهذه كلها امور كسبية تعليمية ، وأما تلك الصفات الثلاث فهي وهبية في الاصل ، وإنما تفيد فيها التربية الصحيحة للنابتة الجديدة تربية الارادة وجهاد النفس ، وأين أنتم من هذه التربية وأين هي منكم ؟

قد ذكرتكم آنفا في هذا المقال بمذكرة الاستاذ التي قدمها للحكومة عقب توليه الأولى لرياسة الأزهر ، وقوله فيها إن الاصلاح الذي يحتاج إليه الاسلام كله لا الأزهر وحده يقتضي قلب نظام التعليم من أساسه الخ وعلمتم أنه كان وضع قانونه لاجل النهوض بهذا القلب والتجديد ، متوقعا ما يلزمه ويقترن به عادة من الصراخ والعويل ، فحيل بينه وبين ما يريد فاستقال ، وخلفه من نهض بضد ما أراد ، وهو

الهدم والافساد ، وأهمه سوء التصرف في مناهج التعليم ، واقناع المعلمين والمتعلمين بأن الترقي لا يكون الا بالنفاق والدسائس والسعاية ولا غاية له الا متاع الدنيا ، فاستشرى الفساد فصار الاصلاح أشق ، ولن يتم إلا بما قلناه إجمالا ، وسنفصله في مقال آخر إن شاء الله تعالى

﴿ تأثير تولية المراغي لرياسة الأزهر ﴾

لقد كان سرور الناس بهذه التولية عظيما في مصر وسيظهر أنه يكون عاما في جميع الاقطار الاسلامية، ورأينا تهاني الناس لهذا الامام المصلح أضعاف المعهود في تهاني أصحاب المناصب ولولا أن أكثر علماء الازهر أظهروا سخطهم على الظواهري من قبل لما أقمت وزنا الا لتهاني من نعرف رأيه وخلقه منهم، فالشيخ الظواهري نفسه قد هنأ المراغي أيضا ، ولكننا رأينا جميع طبقات الشعب من الامراء والوزراء والوجهاء والادباء وغيرهم مجمعين على هذا ، وانا لنرى الوفود تغدو وتروح الى داره في حلوان والى ادارة الازهر والمعاهد الدينية في القاهرة مثنى وثلاث ورباع وجماعات في كل يوم ولا ندري متى ينتهي هذا الزحام، وانني انقل عن الجرائد اليومية خبر وفود علماء المعاهد وكلمة الاستاذ الاكبر لهم على سبيل النموذج وهو ما نشر الاهرام في سياق التهاني والمقابلات قالت تحت عنوان (وفود العلماء) في ٣ مايو سنة ١٩٣٥

كانت إدارة المعاهد الدينية في أثناء هذه المقابلات قد اكتظت بوفود العلماء الحاشدة من مدرسي معاهد الاسكندرية وطنطا ودمياط ودسوق والزقازيق وأسيوط ومن العلماء المندوبين للتدريس في مختلف المعاهد الدينية ومن الطلاب والعلماء المفصولين الذين تقررت إعادتهم الى دروسهم ووظائفهم في جلسة المجلس الاعلى التي عقدت أول أمس ، وما إن لمحوا فضيلته قادما حتى احتاطوا بالسيارة من كل ناحية واتخذت أصواتهم ترتفع بفوهم : فليحي الامام الاكبر . فليحي المصلح الاسلامي . فليحي والد الازهريين البار . وقد أرادوا أن يحملوا فضيلته على أعناقهم ولكنه أبى ، وكان يلح في الاباء كلما ألحوا في الطلب ثم قال لهم :

أرجو أن تهدؤا قليلا حتى أتمكن من أن اصعد على قدمي . وقد اجابوا فضيلته الى ما طلب وأخذوا يشقون له طريقا حتى تمكن من الصعود الى مكتبه

ثم تقدم بين يدي فضيلته خطباء هذه الوفود وشعراؤها واخذوا يلقون كلماتهم وقصائدهم وقد ذكروا مواقف معينة لفضيلته في اصلاح الاسر ورعايتها بمختلف القوانين والتشاريع وتنظيم الاجراءات القضائية الخاصة بالمحاكم الشرعية وغير هذا من ضروب الاصلاح والتجديد، وهنا وقف فضيلة الاستاذ الاكبر وقال

كلمة الاستاذ الاكبر

« اشكركم شكراً جزيلا على هذه العواطف الكريمة التي تجلت في أقوال خطبائكم وقصائد شعرائكم . وأرجو أن تنوبوا عني في تبليغ هذا الشكر الى جميع إخوانكم والى جميع الطلبة في معاهدكم، كما أرجو أن نستقبل جميعاً: علماء وطلابا بدء دراستنا وقد زال ما كان في قلوبنا

كان ضغن وكانت عداوة بين العلماء والطلبة وبين الطلاب والطلاب. ولكنني اعتقد أن ذلك لم يكن الا في مقام اختلاف الرأي وتباين المذهب في صدد حادث طارىء ، ولكل وجهة ولكل رأيه ومذهبه. وأنا شخصيا ممن يقدسون حرية الرأي ويحترمون رأي الخصوم كاحترامهم لرأي الاصدقاء ، وأرجو أن تكون حرية الرأي صفة من صفات العلماء . وقد عهدتم في سيرة السابقين والسلف من العلماء انهم كانوا يحترمون آراء مخالفيهم . وما كان احدمنهم يخالف أو يخاصم الا وهو بعيد كل البعد عن الهوى والغرض . وعلى اساس حرية الرأي يبنى الدين وتبنى الاخلاق ويبنى العلم . ويكون البناء خير ما نشتهي ونود اذا كانت المخالفة في الرأي خالية من الهوى والغرض

لقد كانت فتنة وجدت أول الامر شرارة نارها في طريق الاتفاق والمصادفة ثم أراد بعض الناس أن يجعل العلماء وطلاب العلم حطب هذه الفتنة الشعواء. ولكن الله سبحانه وتعالى وقى المسلمين شرها ، وخرجتم من هذه الفتنة لا اقول خرجتم من غير أن يظهر للناس بعض عيوبكم . فقد ظهرت عيوب في بعض الطلاب . وظهرت عيوب في بعض العلماء ، لان هؤلاء وهؤلاء قد قرنوا المطالبة بالاصلاح

بشيء من العنف، وشيء من الخروج عن الخلق الكريم : الخلق الكريم الفاضل الذي يجب ان يكون حلية طالب العلم الديني ، وحلية العالم الديني .

ويمكنني في هذا المقام أن أصرح لكم ولجميع المسلمين في مختلف الاقطار باني أفضل وأوثر أن تخرج المعاهد الدينية رجلا ذا خلق وفيه جهالة على أن تخرج إماما من الأئمة وفيلسوفا جم البحث حاشد الذهن لا خلق له . وليس من الخير للدين ولا لاهل الدين ولا للمسلمين والاسلام أن يوجد علماء اشرار لاخلق لهم، لان مهمتكم التي وجدتم لها ووجدت لها المعاهد هي إيجاد رجال يقومون بحراسة الدين ويرضون الله بعملهم ، يتجافون عن الدنيا ويعزفون عن أعراضها إذا وجدوا في طريقها الذلة والمهانة والمسكنة واهدار الخلق ، والله سبحانه وتعالى لا يرضى عن عن طائفة من الطوائف وجدت لاعزاز دينه ثم استخدمت مواهبها لاذلال أهل هذا الدين الحنيف .

لكم في سيرة السلف من علماء المسلمين وفي آبائكم في الازهر الشريف قدوة خير ، كانوا يرضون بالكفاف من العيش مقبلين على العلم إقبال المخلص لله ولرسول الله . ولست الآن من الواعظين الزاهدين الذين يرغبون في أن يباعدوكم عن الحياة، وإذا لبست هذا الثوب فقد تكذبني الظواهر، فانتم تروتني أستمتع بالحياة جهد ما استطيع ، ولكني أدلكم على طريق المتاع : الزهد في الحياة طريق المتاع فيها .

وجهوا أنفسكم واجتهدوا أن تخلقوا في أبنائكم هذا الروح ، روح الاقبال على العلم لله وللرسول ، روح إرضاء العلم للعلم على أن تجعلوه مقصدا لا وسيلة

العلم شريف لا يرضى المذلة والمهانة ، فاذا أكرمتم أنفسكم رضي الله عنكم ورضيت الناس ، ومتى رضي الله عنكم ورضيت الناس وجدتم من الدنيا اقبالا وسعت اليكم دون أن تسعوا اليها .

وكنت أحب أن أجعل هذا الحديث معكم طويلا، ولكن وقتي ضيق وعملي كثير ، فاكتفي واقف عند هذا القدر ، وأرجو في الختام أن تكونوا رسل خير للامة الاسلامية ، وأن يوفقنا الله جميعا ويرشدنا للبر والخير والسلام اه

﴿ خليج العقبة الحجازي و طمع الانكليز فيه ﴾

خليج العقبة أعظم ثغر لدار الاسلام الاولى في جزيرة العرب التي بناها رسول الله ﷺ وخلفاؤه وأوصاهم في مرض موته بأن لا يبقى فيها دينان، ومهد السبيل لفتح سياجها الشمالي باسرائه الى المسجد الاقصى وغزوته لتبوك، وأتم عمله خليفتاه أبو بكر وعمر (رض) بفتح بيت المقدس والشام ، فهذا الثغر الحجازي هو الحلق الذي يدخل منه الى جوف هذه الدار، والخط الممتد منه الى معان وتبوك فالشام فالعراق هو حبل الوريد لحياة هذه الدار، ولم يكتف الانكليز بالسيطرة على فلسطين وشرقي الاردن باسم الانتداب حتى أرادوا التوسل بذلك الى السيطرة الحربية والتجارية على هذا الثغر وهذا الخط لتكون حياة الحجاز ونجد في قبضتهم مع القسم الشمالي من دار الاسلام حتى لا يبقى للاسلام دار مستقلة، واستعمالهم لعلي وعبد الله ابني الملك حسين لهذه السيطرة ومنازعة الملك عبد العزيز ابن السعود لهم فيها معروفة ، وتأجيل الفصل في هذا النزاع الى مفاوضة ثانية بعد مفاوضة بحره معروف، ولكن الانكليز يمهدون السبيل لهذا الغرض القديم مرة بعد أخرى وقد أحدثوا في هذا الربيع حدثا مخيفا بزيارة رئيس أركان الحرب العامة للعقبة وحدود شرق الاردن أوجب على الجرائد تجديد البحث فنشر المقطم في ٢٨ مارس سنة ١٩٣٥ برقية في الموضوع علق عليها محرر المباحث العربية فيه المقال الآتي في اليوم التالي:

﴿ العقبة بين مصر والحجاز وانكلترا ﴾

لخص مكاتب المقطم اللندني في برقياته أمس رسالة نشرتها جريدة المورننج بوست لمكاتبها من عمان جاء فيها « ان منطقة العقبة وقد كانت تابعة لمصر من مدة طويلة ستكون موضوعا لمباحثات دولية، وان السر ارشيلدمنتغمري مستبرد رئيس هيئة أركان الحرب العامة يتعهد مواقع الدفاع في شرق الاردن ويحقق مسألة الخلاف بين الحجاز وشرق الاردن على الحدود ويطالب الملك ابن سعود أن تكون العقبة له »

والواقع أن زيارة رئيس هيئة أركان الحرب لفلسطين وشرق الاردن في مثل هذه الآونة من الحوادث التي استوقفت الانظار فقد استدل منها الناس على عناية البريطانيين بمستقبل تلك البلاد ورغبتهم في تحصينها والدفاع عنها إذا لزم الامر

ولكن هنالك ملاحظة تتعلق بالدفاع عن تلك البلاد نريد أن نلفت النظر إليها ونطرحها للبحث لما لجتها من الوجهة الحقوقية والدولية، وخلاصتها ان فلسطين وشرق الاردن ليست من ممتلكات التاج البريطاني فتحشد فيها الحكومة البريطانية القوات وتجعلها دار حرب وكفاح في حالة حدوث حرب بينها وبين دولة أجنبية، وانما هي وديعة أودعتها جامعة الامم لبريطانيا لكي تعدها للاستقلال وحكم نفسها بنفسها على أن تجلو عنها وتعيد اليها حريتها واستقلالها يوم تبلغ أشدها، وتصبح قادرة على حكم نفسها، وذلك بقرار تصدره جامعة الامم نفسها كما جرى مع العراق فقد تحررت من الانتداب بموجب قرار أصدرته الجامعة في سنة ١٩٣٢.

وفضلا عن ذلك فان صك الانتداب البريطاني لفلسطين وشرق الاردن الذي أقرته جامعة الامم في سنة ١٩٢٢ لا ينيل بريطانيا هذا الحق ولا يعترف بجعل البلاد جزءاً من أجزاء ممتلكاتها فقد جاء في المادة ١٧ من هذا الصك ما نصه :

« يجوز لحكومة فلسطين أن تنظم على قاعدة اختيارية القوات اللازمة للمحافظة على السلم والنظام وللدفاع عن البلاد بشرط أن تكون تحت إشراف الدولة المنتدبة ولا يجوز لحكومة فلسطين استخدام هذه القوات لاغراض غير ما تقدم إلا بموافقة الدولة المنتدبة وفي ماعدا هذا لا يجوز لادارة فلسطين أن تجمع قوات عسكرية أو بحرية أو جوية أو تبقيها عندها

« وليس في هذه المادة ما يمنع إدارة فلسطين من الاشتراك في نفقات القوات التي تكون في فلسطين، ويحق للدولة المنتدبة في كل وقت أن تستخدم طرق فلسطين وسككها الحديدية وموانئها لحركات القوات المسلحة، ونقل الوقود والمهمات »

هذا ماورد في صك الانتداب خاصا بالعلاقات العسكرية بين الدولة المنتدبة والبلاد المشمولة بالانتداب، والمقصود بها هنا (فلسطين وشرق الاردن) وهي لايجوز لهذه الدولة أن تجعلها قاعدة من قواعدها الدفاعية ولا أن تزجها في حرب إذا خاضتها وإن لم يك هنالك ماينذر بقرب اعلان هذه الحرب -- لانها بلاد مستقلة ذات سيادة ولانها ليست سوى وديعة موقتة بيد بريطانيا ، ولايجوز المودع (بالفتح) أن يتصرف بالودائع ويغيرها أو يبدل شكلها إلا لضرورة

ومع كل ما يكتب ويقال فاننا نعتقد أنه ليس هنالك مايبعث على التشاؤم وإنما أردنا التذكير من وجهة عامة ، ولفت نظر ذوي الشأن إلى أن البلاد التي ينتدب لها لاتعد جزءاً من ممتلكات الدولة المنتدبة ليجوز لها أن تتصرف بأمورها، وإنما هي وديعة موقتة أودعت تحت يدها لاجل تسميه جامعة الامم وتحدده

مصر والعقبة

ولقد كانت العقبة - وهي لاتبعد عن حدود مصر الشرقية في الوقت الحاضر سوى بضعة كيلو مترات والواقف في آخر هذه الحدود يشاهدها بالعين المجردة- جزءا من أجزاء مصر حتى عهد الخديو إسماعيل فتنازل عنها لتركيا ، ولما حددت الحدود نهائيا بين مصر وتركيا في سنة ١٩٠٦ أدخلت نهائيا ضمن الحدود العثمانية وألحقت بلواء الكرك (شرق الاردن اليوم) وصارت جزءا من أجزائه

الحجاز والعقبة

ولما نشبت الثورة العربية في أثناء الحرب العظمى احتل العرب هذا الثغر في سنة ١٩١٧ واتخذوه قاعدة لاعمالهم العسكرية في جنوب سورية فألحق من ذلك العهد بحكومة مكة ، وظل جزءا من اجزائها حتى يوم ١٨ مارس سنة ١٩٢٤ فأعلن الملك حسين تنازله موقتا عن إدارة معان والعقبة لامارة شرق الاردن، وفي يوم ١٨ يوليو سنة ١٩٢٥ أعلن الامير عبد الله ضم معان والعقبة نهائيا إلى امارته وذلك بناء على اتفاق عقده مع اخيه الملك علي وذلك في الوقت الذي كان فيه ابن سعود يهاجم الحجاز ويحاصر جدة

ابن سعود والعقبة

وأبى ابن سعود ان يعترف بما تم بين الملك علي والامير عبدالله بعد استيلائه على الحجاز وأعلن انه لا يقر ماوقع بل يعده من قبيل التواطؤ ، وانه لا يزال يعتبر معان والعقبة من اقطار الحجاز ، وان ماجرى بين الاخوين لا يقيده ولا يسري عليه

وأثيرت هذه المسألة في المفاوضات التي دارت في جدة بين الحكومة السعودية والحكومة البريطانية فتقرر الاحتفاظ بالحالة الراهنة فيها إلى أن تعين الظروف المناسبة لتسوية مسألتها تسوية نهائية مع الوعد من جانب الحكومة السعودية بأن لا تتدخل في إدارتها

هذا ماتم الاتفاق عليه في شهر مايو سنة ١٩٢٦ في جدة بين السر جلبرت كليتن باسم بريطانيا ، والامير فيصل السعود باسم الحكومة العربية السعودية ، وقد تعهدت فيه هذه الحكومة بأن تحترم الحالة القائمة في هذه المقاطعة إلى أن تعين الظروف المناسبة ، فهل حانت هذه الظروف الآن ؟ وهل ذهاب رئيس هيئة أركان الحرب الآن إلى فلسطين وشرق الاردن - ويقولون إنه جاء ليحقق عن هذه المسألة - صلة بحلول هذه الظروف ؟ إننا نشك في صحة هذه الرواية وندعو الى مقابلتها بالاحتياط ، فلم يرد في المصادر الاخرى مايدل على أن الحكومة السعودية أثارت هذه القضية أو أنها تنوي اثارتها على الاقل ، كما انه ليس هنالك مايدل على أن بريطانيا تعيدها بسهولة الى الحكومة السعودية لاعتبارات معروفة بداهة ، وإنما هي أقوال تقال ، وإشاعات تشاع ، ويراد بها ذر الرماد بالعيون ، وسنرى ما يكون

أمين سعيد

(المنار) الحق أن ثغر العقبة ثغر عربي حجازي في موقعه الجغرافي ، فسكان ضفتيه ما زالوا من صميم عرب الحجاز ، وتصرف الدولة العثمانية في إدارة هذه البلاد كان من حقوق سيادتها على الحجاز وسورية الجنوبية (فلسطين) والشمالية ومصر ، ولما شعرت بطمع انكلترة فيه ألحقته بالحجاز نهائيا كما بينت ذلك في الجزء الثاني والثالث من مجلد المنار التاسع سنة ١٣٢٥ وهو

مسألة العقبة

(منقولة من ص ١٥٧ ج ٢ م ٩ منار الذي صدر في صفر سنة ١٣٢٥)

كان أهل الرأي في الدولة وأصحاب النفوذ في المابين يرون منذ شرع في سكة الحجاز الحديدية أن من الضروري إحداث ناشط لها ينتهي بفرضة العقبة في البحر الاحمر ، وقال بعضهم اذا عجزنا عن إيصال السكة إلى الحرمين فان ربحنا من السكة لا يكون قليلا اذا استعضنا عن ذلك بايصالها إلى العقبة . وقد اجتهد الصدر الاعظم ومختار باشا الغازي وعزت باشا العابد وصادق باشا المظم اجتهاداً عظيما في إقناع السلطان بوجوب إنشاء هذا الناشط منذ سنين فكان يأبى ذلك ويحتج بأن هذا يكون وسيلة لتداخل الانكليز في بلاد العرب . فلما أعيا أمر ثورة اليمن اقتنع بأن إخضاع تلك الولاية وتمكين السلطة فيها من بعض فوائد ناشد العقبة من سكة الحديد فأمر به وأرسلت الجنود العثمانية الى العقبة لتمهيد العمل .فلما رأت انكلترا ذلك خافت من الدولة على مصر أضعاف ما كان يخاف منها السلطان على بلاد العرب.واعتقدت أنه ما دفع السلطان على هذا العمل إلا ألمانيا الدائبة في مناهضة انكلترة وأنه لا يبعد أن يتفق السلطان مع عاهل الالمان على الزحف على مصر بعد وصول الناشط الى العقبة فارادت بناء معاقل عسكرية هناك باسم مصر فكانت الدولة بالمرصاد فمنعت الجنود المصرية من البناء بالتهديد فأنشأت انكلترة تعارض الدولة بان جنودها احتلت نقطة مما كانت سمحت به لمصر من أرض سيناء واشتدت في ذلك بلسانها وبلسان الحكومة الخديوية التي تنطق بوحيها على ان انكلترة قد غيرت حدود مصر في شبه جزيرة سيناء في الخرائط الجغرافية التي جددتها المدارس المصرية منذ بضع سنين

(مسألة العقبة)

(منقولة من ص ٢٣١ ج ٣ م ٩ منار الذي صدر في ربيع الاول سنة ١٣٢٥)

بينا في الجزء الماضي أن حقيقة المسألة عسكرية لا إدارية تتعلق بالحدود فهي أول وليد ولدته لنا سكة حديد الحجاز فالدولة العلية ترى أن انكلترا تخاف عاقبة

هذه السكة على مصر فهي تريد اتقاء الخطر باقامة المعاقل الحربية في شبه جزيرة سينا ، لان محاربتها في مصر اذا هي دخلت فيها غير معقول وهي تخاف من انكلترا على سورية والحجاز اذا هي جعلتها تبعة عسكرية باسم مصر ولذلك كان السلطان غير راض بانشاء ناشط من السكة إلى العقبة ولما اضطر الى ذلك باستفحال الثورة في اليمن رأى ان انكلترا أنفذت الجنود المصرية إلى العقبة للبناء كما قيل ورأت الجنود المصرية ومن يقودها من الانكليز أن العساكر العثمانية بالمرصاد ، فظهر الامر وبدأ الخلاف بالشكل الذي عرفه الناس وهو أن الترك قد اعتدوا الحدود المصرية ولعل الذي نبه الترك إلى أخذ الحذر من الانكليز هو تعيين خمسة آلاف جنيه مصري في ميزانية مالية مصر باسم شبه جزيرة سيناء

فهم الانكليز من جعل العقبة تابعة لولاية الحجاز ان الدولة العثمانية تريد بذلك أن تمنعها منهم بسياج ديني وهو إثارة سخط المسلمين في مستعمراتهم وغيرها عليهم اذا مدوا أيديهم اليها وما كانت الدولة لتحسن استخدام هذه القوى المعنوية ولو كانت تريد ذلك لما حال دونه جعل العقبة تابعة لسورية لأنها على كل حال من جزيرة العرب التي أوصى النبي ﷺ في مرض موته بأن لا يبقى فيها دينان وأن يخرج منها يهود يثرب ونصارى نجران ، وقد قاوم الانكليز ما توهموه من الدولة بايهام من جنسه فأنشأوا يوهمون شعبهم وسائر الشعوب الاوربية بأن السلطان يريد تهييج التعصب الاسلامي على المدنية الاوربية وربما وجدوا لايهامهم شبهة في ثرثرة احداث السياسة في مصر الذين جعلوا اسم الاسلام والخلافة ضيعة يستغلونها وإن أضاعوا الاسلام الذي لا يعرفون منه إلا اسمه

لولا ان الدولة العثمانية حذرة من عمل عسكري في سيناء باب سوريا والحجاز لما بالت أن تزيد في مساحة ما سمحت به لمصر منها ، ولولا ان انكلترا حذرة من تركيا على مصر لما عظمت من أمر الحدود المصرية ما عظمت ، ولولا انها تتوقع هيجان مسلمي مصر أو ثورتهم اذا استحكمت حلقات الخلاف بينها وبين تركيا لما أمرت بزيادة جيش الاحتلال . فاذا كان سبب النزاع هو ما يعبرون عنه بسوء التفاهم فما أسهل سبيل الاتفاق مع حفظ شرف الدولتين وهو أن تعترف تركيا

بحدود مصر التي ذكرت في فرمانات تعيين الخديويين وفي تلغراف الصدر الاعظم الملحق بفرمان عباس حلمي باشا الثاني وتتعهد انكلترا بأن لا تعمل في شبه جزيرة سيناء عملا عسكريا . وقد أساءت الدولة المدخل فعسى أن تحسن المخرج

نحن نعتقد ان الدولة العثمانية لا يخطر لها على بال — وهي في هذه الحال — أن تزحف على مصر ، أما انكلترة فلا يبعد أن تقصد إقامة المعاقل الحربية في شبه جزيرة سيناء باسم مصر باعتبار مصر حكومة اسلامية لا تعد اقامتها على أبواب الحجاز أو امتلاكها لجزء من الجزيرة مخالفة لوصية النبي ﷺ . وقد كان يكون ذلك بكل هدوء وسلام لو لم تعارضه الدولة العثمانية وتقاومها فيه انكلترا بعد عجز الحكومة المصرية — وانما نعني بالهدوء والسلام هدوء نفوس المسلمين وسلامة قلوبهم . وأن تظفر انكلترا بتركيا ظفراً مبينا وتلزمها بالاعتراف بالحدود كما تريد وتجعل بعد أرض سيناء معسكراً ولو مصريا فان كل مسلم في الدنيا يتألم ويضطرب قلبه ويظن بالدولة الانكليزية ظن السوء ويتوقع الاعتداء على الارض المقدسة كل يوم ، وقد عرفنا من حكمة هذه الدولة في السياسة البعد عن جرح الشعوب في قلوبها ، وإن هي جرحتها في أبدانها ورؤوسها (مصالحها وحكامها)

ان جميع عقلاء المسلمين يفضلون دولة انكلترة على جميع الدول واذا أيقنوا بأن قطراً من أقطارهم واقع تحت سلطان أجنبي وكان لهم اختيار في الترجيح فانهم يرجحون بريطانيا العظمى على غيرها . ويعتقد رجال الاصلاح منهم أنه لا يمكن الاتيان بعمل يحيي الاسلام وينفع المسلمين في بلاد اسلامية غير مصر والهند ، بل لا حرية للمسلمين في الدعوة إلى كتاب ربهم المنزل ، وسنة نبيه المرسل ، إلا في هذين القطرين فلبريطانيا العظمى أن تعتقد هذا الاعتقاد عونا لها على كل دولة تناوئها في الشرق ، وعليها أن تحافظ عليه وتتحامى مواقف الظنة فيه فان امتلاك القلوب بالحكمة ، خير من امتلاك الرقاب بالقوة ، ولتكن آمنة جانب المسلمين واثقة بتفضيلهم إياها على غيرها مادام دينهم محفوظا ومعاهده المقدسة آمنة من اعتداء الاجنبي عليها ، أو تداخل غير المسلم فيها ، ولا يصدنها عن هذا الاعتقاد تشدق المغررين بالغوغاء ، فالزبد يذهب جفاء ، وانما الناس بالعقلاء والفضلاء اهـ

هذا ما كتبته منذ ٢٩ سنة في تحذير الانكليز من الاعتداء على خليج العقبة باسم مصر التي كانت مستقلة تحت سيادة الدولة العثمانية وتذكيرهم بأن التدخل في أمرها يعده جميع المسلمين اعتداء على الدين الاسلامي نفسه ، وإن الخوف على الحجاز الآن من جعل هذا الخليج تحت سيطرة الانكليز أشد مما كان في عهد الدولة العثمانية من جوانب كثيرة أهمها أنه يمكنهم من قتل الاسلام صبرا في عقر داره وجعل الحرمين الشريفين تحت سيطرتهم العسكرية بحجة الانتداب على شرق الاردن وخدمة أميره عبد الله ابن الملك حسين وهي حجة باطلة ، وما اعتداؤهم ولا غيرهم على الاسلام إلا بمساعدة الخونة من المسلمين ، فعلى ملك البلاد العربية السعودية أن يحفظ حق الاسلام ووصية نبيه ﷺ على هذه البلاد التي حرمها على غيرهم بوصيته في مرض موته ، وما فعله علي بن الحسين وهو محصور في جدة من هبة العقبة ومعان لأخيه عبد الله لا قيمة له شرعاً ولا قانونا في ذاته كما قرره المؤتمر الاسلامي العام في مكة المكرمة سنة ١٣٤٤ ولا في حيلة الانتداب كما حرر المقطم وغيره — والعالم الاسلامي كله يؤيد الملك عبد العزيز الفيصل في حفظ حق الحجاز، وعلماؤه وخطباؤه وكتاب صحفه مستعدون لتأييده باقامة الثورة على هذه الدولة (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)

كانا نعلم أن الملك عبد العزيز ليس له من القوة الحربية ما يمكنه من اخراج الانكليز من العقبة وما وراءها اذا أراد ذلك، وكانا نعلم أيضا أن الدولة الانكليزية لا تزحف بجنودها غير المسلمين لقتاله على حدود الحجاز ونجد، وأن تجنيدها بعض المرتزقة من فقراء المسلمين لقتاله باسم المحافظة على إمارة عبد الله بن الحسين البغيض لأهلها ولغيرهم لا يرجى لهم الظفر به ، وان هذا التهور إن تجرؤا عليه قد يفضي الى انفجار بركان الحقد من المسلمين عليهم في كل مكان، وظهور ما ليس في الحسبان.

وقد كانت زيارة رئيس أركان الحرب لهذه الحدود بدء تهييج للصحف الاسلامية عليهم في فلسطين وسورية ومصر ، ثم سكن الهياج بما نشرته حكومة شرق الاردن من بلاغ رسمي بأنه ليس في خط العقبة ومعان عمل عسكري . وكل ما يحتمل وقوعه فهو أهون من اقرار الانكليز على أي عمل أو سلطان على هذا الخليج.

الشقاق بين العرب المسلمين

شر ما آل اليه في فلسطين

العرب أقدم الامم لغة وحضارة وعمرانا فلهم العرق الواشج في حضارة قدماء المصريين والكلدانيين والفينيقيين، ودولتهم الاسلامية قضت على ملك الفرس وامبراطورية الروم في الشرق في ثلث قرن ثم امتد سلطانها قبل انقضاء القرن من المحيط الغربي إلى الصين وطفق يناوش شعوب أوربة في الشمال، ثم لم يكن سبب تمزيق هذا الملك العظيم الا الشقاق والتنازع على الرياسة من أكبر مجتمعاته وهو الخلافة فالملك الى أصغرها وهي المناصب الدولية والعلمية والدينية فرياسة القبيلة والقرية، فرياسة العشيرة والأسرة، وقد آل بهم هذا الشقاق الى زوال سلطانهم عن الشعوب الاعجمية وضعف نفوذهم فيها والجامعة الاسلامية التي تربطهم بها، ثم الى زوال استقلالهم في شعوبهم المحافظة على جامعتها العربية الممتدة من سلطنة مراكش في المغرب الى سلطنة مسقط وعمان في المشرق، وقعت كل هذه الكوارث كلها والعرب كلهم غافلون عن أسبابها وعللها، ومقدماتها ونتائجها وكلها ترجع إلى الشقاق والتنازع في الرياسة

وقد بدؤا يستيقظون رويداً رويدا لما حل بهم فرأوا بعين بصيرتهم ثم بأبصارهم ان أكبر الكوارث الطارئة وأشدها خطرا كارثة تواطؤ أكبر دول الارض قوة وسلطانا وهي الدولة البريطانية وأقوى شعوب الارض عصبية وثروة وكيدا ومكرا وهو الشعب اليهودي — وتوجيه قواهما الى انتزاع وطن عربي كامل من أهله وطردهم منه واعطائه لليهود ليؤسسوا فيه ملكا جديداً بالرغم من ملتي عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام يكون فاصلا بين الشطر الافريقي والشطر الأسيوي من الامة العربية قبل أن ينجح دعاة وحدتها العامة في سعيهم فيحول دون اتحاد مصر أو اتصالها بفلسطين وما وراءها — الى غير ذلك من المقاصد التي لا محل لشرحها وأهمها مسألة الحجاز وجزيرة العرب

الواجب على الشعوب العربية كلها تجاه هذا الخطر الذي يهددها في فلسطين أن تهب كلها لدرئه ودفعه ، بل يجب على الشعوب الاسلامية غير العربية أن تساعدها على ذلك أيضا لمكانة المسجد الاقصى الذي لقب بحق « أولى القبلتين وثالث الحرمين » فيه ، ولما في وجود دولة يهودية تكفلها الدولة البريطانية من الخطر على الحجاز ونجد أو قوة المملكة العربية السعودية الحامية للحجاز وحافظة الامن فيه وكان المعقول أن تسمع الدعوة الى هذا من فلسطين

وبحمد الله أن وجد في فلسطين عقل مفكر ورأي مدبر سعى له سعيه ، ولم يقدر عليه غيره ، ألا وهو السيد محمد أمين الحسيني المفتي الاكبر للبلاد ، ورئيس المجلس الشرعي الاسلامي الأعلى فيها ، سعى الى تأسيس مؤتمر اسلامي عام يعقد في المسجد الاقصى في ليلة ذكرى الاسراء والمعراج ففاز ، وجعل المسألة الفلسطينية ركنا من أركان المسألة العربية الاسلامية العامة ، فصار زعيما إسلاميا عاما بعد ما كان زعيما فلسطينيا خاصا

اضطرب لدعوة هذا المؤتمر دول الاستعمار وخاطبوا زعيمتهم انكلترة بوجوب منعه أو تضييق الحرية على أعضائه ، واضطربت له دولة الترك اللادينية لما قيل من انه سيقرر إحياء منصب الخلافة الاسلامية التي ألغت صورتها الرسمية وكل ماله صلة شرعية بها من بلادها ، وتكره أن يتجدد لها ذكر في أي قطر من العالم الاسلامي ، واضطربت له الحكومة المصرية السابقة لما لا يعقل له سبب الا مثل الوهم الشيطاني فكانت فتنتها فيه هي التي تولت الكيد له والسعي لخيبة مؤسسه والداعي اليه الزعيم الحسيني باغراء بعض أعضائها بما ظهر أثره منذ الليلة الاولى لعقده ، ثم في الجلسة التي اختاره فيها المؤتمر رئيسا له ثم في جلسات أخرى ، ثم حتلافهم الى زعيم الحزب الفلسطيني المناوئ لرئيسه السيد الحسيني وهو راغب النشاشيبي الذي كان رئيس بلدية القدس للتشاور والسعي لتحديد له ، ولقد كنت مقاومة تدبيره لاجل المصلحة على أنه كان مقصد سعي هنالك وأنا استاذه

كنت من أعضاء هذا المؤتمر ، وكنت أشعر بالدسائس التي كانت تدبر للكيد وتدار من حوله فأتجاهلها ، ودعيت إلى حفلة الشاي التي أدبها النشاشيبي لأعضاء

المؤتمر فلم أستجب لها ، ولكنني كلمت بعض عقلاء فلسطين وأحرارها في السعي للصلح بين النشاشيبي والحسيني فقيل لي إنه لا سبيل إليه الآن أو مطلقاً،فأمسكت عن الكلام فيه ، ثم كلمني بعض الخاصين في مصر بالسعي لذلك . فلم أجد له مجالا ولا منفذاً ، وإن أكره شيء إلي في العالم النفاق والشقاق والتنازع على الرياسة وحب الاهواء

آل أمر هذا التنازع بين النشاشيبية والحسينية — وهو قديم — أن سقط راغب بك في انتخاب رياسة بلدية القدس وفاز عليه الدكتور حسين بك الخالدي من الاسرة الخالدية بمساعدة الحسينية فاتفقت هاتان الأسرتان الشريفتان وكانتا متنازعتين فسر محبو الاتفاق وجمع الكلمة وانحصرت معارضة الاصلاح في أسرة النشاشيبي والمنكرين على السيد أمين الحسيني والمجلس الاسلامي الأعلى للاختلاف في الرأي أو لأغراض شخصية،وحزب الحسيني أقوى من كل هؤلاء في فلسطين نفسها،ويؤيده أهل الرأي والمكانة في سائر البلاد العربية وفي الشعوب الاسلامية غير العربية ،ولا يعرف النشاشيبي ولا حزبه أحد في هذه البلاد والشعوب إلا أفراد في مصر ممن كانوا شايعوه على إسقاط السيد الحسيني من رياسة المؤتمر الاسلامي لغرض عارض ،وكلهم يوافقونه على مقاومة اليهود وعلى جمع كلمة المسلمين على هذا العمل وغيره ،وإذاً لا يجد المعارضون له الآن في مصر ولا غيرها وليا ولا نصيراً

على أن هذه العاقبة السوءى لم تفل من حد حزبهم بل زادته مضاء وتهوراً حتى كان من عقابيل هذه الحمى كتاب نشر في جريدة الجامعة الاسلامية الفلسطينية طبعت صورته بالزنك وقيل إنه من خط الامير شكيب أرسلان بامضائه إلى السيد أمين الحسيني يدعوه به إلى نشر الدعاية في البلاد لدولة إيطالية ، وقد رأينا كل من اطلع على هذا الكتاب في هذه الجريدة ممن يعرفون خط الامير شكيب وممن يعرفون انشاءه وممن يعرفون مذهبه ومشربه السياسي في خدمة الأمة العربية والملة الاسلامية من سن الصبا إلى سن الشيخوخة أنه مزور عليه ، والظاهر أن المزورين له ظنوا أن القارئين له يصدقون فحواه المراد منه بشبهة ما كتبه الامير من تنفيس السنيور موسوليني بسعيه عن مسلمي طرابلس وبرقة برد المبعدين منهم

عن ... وهم إليها وفتح أبواب الرزق لهم بعد أن دب الفناء إليهم ، ومن منع دعاة الكثيوسة من الطعن في دينهم ومحاولة تنصيرهم ، وغير ذلك مما قد اشتهر ولم يقدر على تكذيبه أحد . إلا أن بعض الناس كرهوا هذا التصريح من الامير المجاهد في سبيل العرب بعدما كان من شدة جهاده لايطالية في تنكيلها بهؤلاء من قبل، فقال بعضهم إنه أي التصريح يجوز أن يكتبه غيره ولا يجوز أن يكتبه هو وإن كان يعلم أنه حق . وطعن آخرون به عليه عن رأي أو وجدان ، أو هوى وشنآن

نحن لا ندخل في هذا ولا نجادل فيه بما نعلم - ومنه تودد أيطالية للدولة العربية السعودية ، مع بقاء التودد الى دولة الامام اليمانية - لانه ليس من موضوعنا لا مجاراة لمن يرون أنه لايجوز الاعتراف للمستعمر بحسنة ولا بالرجوع عن سيئة ، وإنما نقول إن هذا المكتاب المتفق على أنه مزور قد أريد به هدم زعامة السيد أمين الحسيني بالذات ، وهدم زعامة الامير شكيب بالعرض أو الوسيلة ، وكل منهما حصن حصين للعرب وللاسلام ، أحكمت بناءه سنن الله في الاجتماع بما أوتي كل منهما من استعداد عقلي وخلقي ، وعمل سياسي أو قلمي ، ومواتاة لحوادث الزمان وما أتيح له من ثقة الناس به ، فبات خصوم البلاد العربية والملة الاسلامية من اليهود ودول الاستعمار يحسبون لهما كل حساب ، فهدم كل منهما جناية على الامة والملة والاوطان العربية ، وخدمة للصهيونية والدول الاستعمارية ، لا يقدر أحد أن يدعي أن محاولي هدمهما يستطيعون إيجاد أحد يغني غناءهما ويبلي بلاءهما أو يوجدوا في فلسطين زعيما يحل مكان أمين الحسيني في عقله وتدبيره وتأثيره في مجاهدة الصهيونية ، دع مكانته في الشعوب الاسلامية ، ولا كاتبا بليغا سياسيا مؤرخا يقوم مقام الامير شكيب في بلاغة قلمه وقوة حجته وثقة الامة العربية والشعوب الاسلامية برأيه وإخلاصه ، ولا أبرأهما في هذا من الخطأ في بعض الرأي أو القول ، وسبحان المنزه عن كل عيب

وإنما الامر الثابت بادي الرأي ان هذا الطعن فيهما بالباطل ومحاولة التشكيك في إخلاصهما هو خدمة لليهود وللانكليز وعون لهما على طرد العرب من هذا الوطن العربي وما فيه من الخطر على الشعوب العربية كلها وعلى مصلحة الدين الاسلامي ، وهو أخس مظاهر الشقاق الذي افتتحنا هذا المقال بالتذكير

بمضاره ، وانا أعتقد أن الظفر المنوي فيه سيكون – بل هو كائن – للعيمين (؟)
المجاهدين ليس للحزب المالي المناوي، لها منه شيء ، وحسبك من زيادة الشقاق
تعديه من الافراد الى الجرائد العربية التي يجب اتفاقها في هذا العهد على مصلحة البلاد .
وقد بلغني ان خصومها قد افترصوه وشرعوا في تأليف حزب جديد لهدم زعامة
الحسيني وأنصاره اذ علموا أن حزب النشاشيبي سيقتل نفسه بمناوئته ، ولا بد
لحزب الحسيني من حزب آخر يجهز عليه أو يحاول اسقاطه ..

فأنا بما فطرت وربيت عليه من مقت الشقاق، ومن كراهة العصبية للافراد
والاحزاب، ومن التدين بالدعوة الى الاصلاح ، أدعو عقلاء الفلسطينيين الى جمع
الكلمة واصلاح ذات البين ، معتقداً أن أشرف ما يفعله حزب النشاشيبي ورئيسه
راغب بك والاستاذ الفاروقي صاحب جريدة الجامعة الاسلامية أن يبدؤا باستنكار
الكتاب المزور والبراءة منه واستهجان مضمونه ، وأن يكف الفريقان عن الطعن في
أنفسها هجوما ودفاعا ، وما طعن الانسان بأخيه إلا طعن بنفسه ، كما قيل في تفسير
قوله تعالى (ولا تقتلوا انفسكم) وقد بلغني ممن لا أتهمه أن الاستاذ الفاروقي
ما نشر الكتاب المزور الا بعد ان شهدت له جنة اعتمد عليها بصحته ، ولو
صحت شهادتها لما كان له ان ينشره وهو صار مفرق للكلمة ، وقد بالغ الامير
شكيب في تفنيده دفاعا عن نفسه بالحق ، ولكنني كرهت من هذه المبالغة انها
كانت ضراما في نار الشقاق وتخريب العرب بيوتهم بأيديهم كما وصف الله اليهود
في عصر التنزيل بقوله (٥٩ : ٢ يخربون بيوتهم بايديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا
يا أولي الابصار) وقوله بعده (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بانهم قوم لا يعقلون)
بل صرنا اليوم وقد اجتمعت كلمتهم علينا شرا مما كانوا يومئذ ، فعلى الفريقين أن
يكفوا عن هذه المطاعن وأن يفوضوا لأهل الرأي المخلصين وضع أساس للصلح
المعقول الذي يحفظ ... كل منهم على قاعدة قوله تعالى (وتعاونوا على
البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب)
وليسعوا كل إلى الجاه والمجد فيما لا يضر الامة بتفرقها، وإلا كان جميع على الباغي
المزور . وكاتب هذا اول من يستجيب لذلك ويسعى له بسعيه مع الساعين (إن
أريد إلا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب)

كتاب حياة محمد (ص)

(الحكم بين المختلفين فيه)

(١)

ألف بعض كتاب الاوربيين مصنفات في تاريخ سيدنا محمد رسول الله وخاتم النبيين ﷺ أو ترجمة حياته عرف غير واحد منها باسم (حياة محمد) كان آخرها فيما علمنا للكاتب الفرنسي البليغ موسيو درمنغام ، ويقال إنه أقربهم إلى صحة الرواية لانه اعتمد على المصادر الاسلامية وأوسعها عنده سيرة ابن هشام ،وأجدرهم بحسن النية فيما أخطأ فيه فانه حاول الجمع بين اعتقاده واعتقاد المسلمين والتقريب بينهما بقدر ما تعطيه بلاغته الفرنسية في مدح النبي ﷺ وتصوير فضائله

أعجب بهذا الكتاب الدكتور حسين بك هيكل الكاتب المصري الشهير ولسان حزب الاحرار الدستوريين في جريدتهم (السياسة)فطفق يترجمه وينشره في صحيفة السياسة الاسبوعية الخاصة بالعلم والادب والفنون متصرفا في الترجمة تصرف « عرض ونقد » فكان لما ينشره أحسن تأثير في قلوب قرائها من المسلمين سرهم منه أن رأوا هذا الكاتب المصري صار من أنصار الدين بنشر لم أمثل ما كتب الافرنج في النبي ﷺ وما هو خير منه ، بعد أن كان لجريدة السياسة من المقالات ما أوقع بينها وبين المنار ما لم ينسه قراؤهما ثم اتفقنا ولله الحمد وكانت أشد الصحف تعاونا معنا على اصلاح الازهر

ثم اتفق في أثناء عرض الدكتور هيكل لهذا الكتاب (حياة محمد) أني كنت أكتب بحث (الوحي المحمدي) في تفسيري لسورة يونس (ع.م) وكان غرضي الاول منه دحض شبهات القائلين من الافرنج وغيرهم بالوحي النفسي يعنون انه نابع من نفس النبي وصادر عن استمداد عقله الذي يعبرون عنه في هذا الصدد بالعقل الباطن ، ونفي ما به الروح الغيبي المعبر عنه بقوله تعالى (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا)ولكن هؤلاء الماديين لا يؤمنون بعالم الغيب ولا بأن للانسان روحا مستقلا نفخ فيه من ذلك العالم، فهم يسندون كل

ما ثبت عندهم من مدارك الانسان غير الحسية ولا العقلية المنطقية إلى اسم جديد سموه العقل الباطن ، ومنه ماثبت من إخبار المنومين بالتأثير المغناطيسي بالغيب ، وما يسمونه قراءة الافكار ومراسلة الافكار. وقدرأيت أن مانقله هيكل عن درمنغام من الكلام على بدء الوحي المحمدي ومقدماته قدجمع فيه جميع الشبهات التي يمكن الاحتجاج بها على أن هذا الوحي نفسي ،وقد لخصته في عشر ، رددت عليها أقوى رد ،ثم أثبت أن وحي القرآن من عالم الغيب ، بما بسطته من كليات مقاصد القرآن العشر ، واستحالة كونها من عقل محمد واستمداده ، واستحالة ان يكون مادونها من العلم والفهم والعمل بما وقع أو يقع مثله لاحد من البشر في سن الكهولة

لم أقرأ كل مانشره هيكل من هذا الكتاب ،ولكن علمت أنه يضم كتابا مستقلا في ذلك فتح بابا للاشتراك فيه ،ثم صدر هذا الكتاب مطبوعا أحسن طبع،ونشرت له دعاية واسعة في الصحف فكان له تأثير حسن ، وتفضل علي المؤلف بنسخة منه جاءت في وقت حاشد بالشواغل الكثيرة : منها إتمام المجلد ٣٤ من المنار ، والجزء الثاني عشر من التفسير ، وما يقتضيانه من خاتمة وفهارس وتصدير ، ومنها الشروع في الطبعة الثالثة لكتاب الوحي المحمدي،والشروع في(التفسير المختصر المفيد)اختصاراً وطبعاً وقداشتدالالحاح بطلبه، لهذا أرجأت مايوجبه علي سروري به من مطالعته وتقريظه إلى فراغ أرى أن انتظاره لا يعدو شهرين، بيد أني تصفحت مقدمته وبحث مقدمة بدء الوحي منه فعجبت لمؤلفه كيف أقر درمنغام مؤلف الاصل على مزاعمه فيها بعد تفنيدي لها في كتاب الوحي المحمدي وقد اطلع عليه وذكره في الكتب التي استمد من مباحثها في مصنفه ، فان أدري أغفل عن تفنيدي لشبهاتها العشر وإثبات الوحي الالهي بكليات مقاصد القرآن العشر أم ماذا ؟فهذه المسألة أنكر المنكرات في أصل الكتاب ولم يفطن لها الجمهور فيه ولا في فرعه ، ولا لفروعها المنكرة وهي كثيرة وقد أنكروا ما هو دونها

ثم رأيت من علماء الازهر وغيرهم من يسألني عن رأيي في هذا الكتاب، ومنهم من يطالبني بالرد على ما أنكروا عليه منه ،ورأيت بعضهم رد عليه في بعض الصحف فلم أقرأه ، ثم جاءتني رسالة بعد رسالة يوجب علي مرسلها الرد عليه ه وإنقاذ الدين مما

يثيره من الشك فيه ، الفاتن للشباب المصري بتمويهه » ويرى كغيره أني أولى الناس به وأقدرهم عليه ، وهو في حسن ظنه هذا يشير إلى سوء ظن باحتمال أن أحابي المؤلف بالسكوت عن الانكار عليه ، فصار السكوت بعد السؤال من كتمان العلم الذي أوجب الله بيانه ، وحظر كتمانه، ولعن أصحابه

وأنا أنشر ألطف الرسالتين نقداً وأحسنهما أدبا ، وأذكر من الثانية المنكرات التي أشار إليها بأرقام صفحاتها ، وما عدا هذا من طعن في الكاتب والمقرظين لكتابه فلا يجب نشره ، وربما يكره وقد يحرم، ولا يتوقف عليه إنكار المنكر ولا إحقاق الحق ، وأجيب بما أعتقد انه الحق الواجب بالايجاز ، ولعلي أعود إلى تقريظ الكتاب ونقده في جملته ، من مسائله وأسلوبه ولغته ، لانه جدير بذلك بشهرة مؤلفه وتأثيره ، عسى أن يكون النقد العادل عونا على تنقيحه ، فيكون النفع به منقحا في طبعة أخرى أتم وأعم

﴿ الرسالة الأولى للاستاذ العالم الباحث صاحب الامضاء ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حضرة صاحب الفضيلة العالم الشهير السيد « محمد رشيد رضا » منشىء المنار الاغر

السلام عليكم ورحمة الله : أما بعد فان كتاب الدكتور هيكل « حياة محمد » ﷺ حين كان ينشر على صفحات جريدة السياسة الاسبوعية كان الذين يتحرجون عن وصمة سوء الظن بلا موجب يحسنون الظن بصاحبه ويقولون لعله أخذت بيده العناية الالهية فوضعته في صفوف الذابين عن الحقائق الدينية ، الناشرين لمحاسن الشريعة المحمدية ، فأنشأ يبرز للناس مخدرات عرائس السيرة في ثوب قشيب يلائم ذوق العصر ، ويناسب والثقافة الحاضرة حيث لم يتح لهم إذ ذاك أن يقفوا على جله فضلا عن كله ، فلما ظهر في عالم المطبوعات ما عتموا أن تهافتوا على اقتنائه بناء على ذلك الظن ، ثم طفقوا يقرؤنه بفضل عناية وكمال تدبر ، فما لبثوا أن بدا لهم منه مالم يكونوا يحتسبون من تشويه للحقائق القطعية ، وتمويه على الضعفاء بالاغراق في إلباس الباطل ثوب الحق ، وصوغ الخيالات في ثوب الحقائق ، وإقرار ما ليس بثابت عند أئمة الدين ، وانكار ما هو معلوم للخاصة

والعامة من المسلمين . وحسبنا الآن توجيه ثاقب نظركم إلى أمر واحد هو أساس جميع أخطائه أو جلها، ألا وهو انكاره جميع المعجزات المحمدية سوى القرآن ، ولو أنه اقتصر على مجرد هذا الانكار لتأولنا لحضرته وقلنا لعله أراد أن القرآن العظيم هو المعجزة العظمى التي تتضاءل في جنبها سائر المعجزات ، ولكنه قد علل الانكار المذكور بأن تلك المعجزات بأسرها مخالفة لسنن الله عز شأنه ، وأن تجويز شيء منها مناف لما نطق به القرآن من أن تلك السنن لا تتبدل ، وزعم أن أحاديث المعجزات كلها موضوعة إما لمحاولة أن يجعل له ﷺ من الآيات مثل ما لموسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام، وإما لتشكيك من يؤمنون بقوله تعالى(ولن تجد لسنة الله تبديلا) فهذا نص لا يحتمل تأويلا في أنه لا يدين بشيء من المعجزات الكونية، فانه قرر أن وقوع شيء منها تبديل للسنن الالهية وأنه محال ، ويا ليت شعري ماذا يصنع بالآي القرآنية المتضمنة لمعجزات الانبياء من نحو انقلاب العصا حية ، وفلق البحر لموسى ، وإبراء الأكمه والابرص وإحياء الموتى لعيسى عليهما الصلاة والسلام

لهذا نلجأ إلى عظيم غيرتكم ، وعليّ همتكم، أن تغيثوا الدين بمثل ما عودتموه من استئصال شأفة الالحاد ببواهر البراهين الساطعة ، وصوارم الحجج القاطعة، على وجه يروق الكافة ، ويخلب ألباب الخاصة والعامة

وإلى الحق تعالى نضرع أن يؤيدكم وكل من يقوم لله في نصرة الحق بروح منه، إنه تعالى نصير المجاهدين المخلصين والسلام عليكم ورحمة الله »

محمد محمد زهران

منشىء مجلة الاسعاد سابقا

هذا نص الرسالة الاولى، وأما المنكرات المبينة في الثانية فهذا نصها :

(١) قصة أبرهة والكعبة في الصفحة ٦٤ (٢) أسطورة شق الصدر - هكذا عنوانه - ص ٧٢ (٣) بدء الوحي ٩٥ (٤) ما نسبه إلى السيدة خديجة (٥) ما قال في الاسراء ص ١٥٣ وما بعدها (٦) ما عقب به معجزة الغار (٧) تلبيسه في قصة سراقة ١٧٩ وما بعدها (٨) دعواه أن النبي ﷺ أقر المنكر ٤٣٣ (٩) عزوه إلى عائشة ما لا يليق

﴿ جواب المنار ﴾

مقدمة وتمهيد

إن العدل وإيثار الحق على الخلق يوجب علي قبل النظر في هذه المسائل لأعلم ما فيها من حق وباطل ، أن أقول انني حسن الظن في خطة الدكتور محمد حسين هيكل الدينية الجديدة ، وأعتقد أنه يريد بها خدمة الاسلام ومناهضة الالحاد والاباحة على انني كنت بينت فيما نشرته من الرد على المتهمين به في المنار وفي جريدة كوكب الشرق أنني أعني بالالحاد معناه المستعمل في القرآن وهو الزيغ الذي قد يكون بما دون الكفر المخرج لصاحبه من الملة ، وأرى أن هذا الكتاب يجذب كثيراً من الزائغين إلى الايمان بنبوة محمد خاتم النبيين : الذي أكمل الله ببعثته وبكتابه المنزل عليه الدين ، من المفتونين بالافكار المادية وتقليد أصحابها ، وإن من هؤلاء من يعرف له ما أنكره عليه غيرهم ، وإن أكبر خطأ رأيته فيه تبعا لا صله الفرنسي من شبهات الوحي النفسي يخفى على أكثر قرائه أو على من لم تتمكن هذه الشبهات من نفسه قبل قراءته ، فان موسيو درمنغام نفسه ينقل رواية رؤية النبي ﷺ لملك الوحي والتلقي عنه ، والدكتور هيكل زاد هذه المسألة بسطا ، وإن أخطأ كل منهما فيما ذكرا من مقدماتها باجتهادهما ، وما اعتمدا عليه من رواياتها الباطلة لقلة اطلاعهما ، أو عدم اضطلاعهما بالتمييز بين الراجح والمرجوح منها ، وأنى لهما أن يعلما أن ابن هشام وأستاذه ابن اسحاق أخذا بالرواية المرسلة في حديث بدء الوحي وأنه كان رؤيا منامية فخالفا رواية الصحيحين المسندة المرفوعة الى النبي ﷺ وقد حاول بعض الحفاظ أن يجمع بين الروايتين فأخطأ ؟

وأما ما ادعاه الناقد من انكار المؤلف لجميع معجزات النبي ﷺ وتشكيكه في القرآن وما دون ذلك من المنكرات فسننظر فيها بعيني الحق والعدل ولا أشك في اختلاف وجهة نظر الاستاذ الناقد وأمثاله من واسعي الاطلاع على كتب المناقب والسير وهو أن الاصل عندهم أخذ كل ما فيها أو جله بالتسليم وعدم تمييز أكثرهم

بين ما هو صحيح منها وما هو موضوع أو منكر — ووجهة نظر الدكتور هيكل وأمثاله في قاعدة الأصل في الأشياء الشك فالتحليل والنقد، وعدم وقوفهم على قواعد علماء الأصول والمحدثين في ذلك الذي يعبرون عنه بالتعادل والترجيح. والواجب على مثلي أن يكون وسطا بين الفريقين، وهو موقف دقيق فإن من كل منهما من يعد بعض ما يؤيد به الدين عند الآخر نافيا له أو مشككا فيه، وإنما المهم الأعظم التمييز في البحث بين ما هو قطعي في الدين يعد جحوده خروجا من ملة الإسلام وما ليس كذلك، وبين ما يعد سنة وما يعد ابتداعا، وما دون ذلك مما لا يجب علمه، ولا يضر جهله وإن صح أصله.

يعلم أهل الحديث أن أكثر ما روي من الخوارق وما في معناها لا يثبت برواية قطعية متواترة يعد حجة على النبوة يجب الإيمان بها، بل لا يصح بحديث مسند مرفوع يتخذ دليلا ظنيا عليها، وأن المحدثين تساهلوا في رواية الضعاف والمنكرات منها لأنهم عدوها من باب المناقب التي تنفع أو لا تضر، وأن بعضهم لم يتحاموا رواية الموضوعات أيضا، ألم تر أن أشد المتأخرين منهم عناية أو تساهلا في تصحيح ما لا يصح أو تقويته كالسيوطي يقول في الروايتين الطويلتين في المولد النبوي إنهما منكرتان شديدتا النكارة، ولولا أني رأيت الحافظ أبا نعيم ذكرهما في كتابه (دلائل النبوة) لما ذكرتهما، يعني في خصائص النبوة. وهاتان الروايتان عليهما مدار قصص الموالد الرائجة بين الناس، ولعل أكثر الذين يسمون العلماء أو كبار العلماء يجهلون نكارتهما وبطلانهما، ولعل من يتجرأ على هذا الإنكار عند الجمهور يتهم بالكفر أو بالتقصير في حب المصطفى على الأقل، وإنه ﷺ لغني عن تأييد نبوته أو حبه بالباطل بل لا يجوز ذلك، وإنا لنعلم أن كل ما وجهه إليه أعداء الإسلام من الطعن فيه أو أكثره فهو من هذه الروايات الباطلة، وأكثر علماء عصرنا يجهلون هذا ويعجزون عن الرد عليه بالأدلة المقنعة، حتى إن كثيرا من قراء كتاب الدكتور هيكل يرون أنه من أقوى المدافعين عن الإسلام حجة من حيث يراه آخرون أشدهم طعنا عليه وهدما له!! أفما لهذا التباعد بين المسلمين من حد؟ بلى ولكن من ذا الذي يضع هذا الحد الفاصل بين الحق والباطل؟

أهم ما ينكره الازهريون والطرقيون على هيكل أو أكثره مسألة المعجزات أو خوارق العادات وقد حررتها في كتاب الوحي المحمدي من جميع مناحيها ومطاو بها في الفصل الثاني وفي المقصد الثاني من الفصل الخامس بما أثبت به أن القرآن وحده هو حجة الله القطعية على ثبوت نبوة محمد ﷺ بالذات ونبوة غيره من الانبياء وآياتهم بشهادته لا يمكن في عصرنا إثبات آية إلا بها، وأن الخوارق الكونية شبهة عند علمائه لا حجة، لأنها موجودة في زماننا ككل زمان مضى، وأن المفتونين بها هم الخرافيون من جميع الملل ، وبينت سبب هذا الافتتان ، والفروق بين ما يدخل منها في عموم السنن الكونية والروحية وغيره . فعسى أن يطلع عليها المختلفون في كتاب هيكل لان حكمنا بينهم لا يكون فاصلا بدونها

﴿ استدراك على تفسير ج ٩ و ١٠ في القراءات ﴾

ذكرنا في تفسير (إذ قال يوسف لأبيه يا أبت) تصرف العرب في هذا النداء وفاتنا ذكر القراءات فيه ، وقد فتح التاء ابن عامر في جميع القرآن بناء على أن أصلها يا أبتا فحذفت الالف ، وكسرها الآخرون بناء على أنها عوض من ياء المتكلم وتناسبها الكسرة ، وقلبها ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب هاء في حال الوقف . و (غيابة الجب) قرأها نافع في الموضعين (غيابات) بالجمع . وحذف بعضهم همزة (الذئب) في حال الوقف . و (هيت لك) قرأها ابن كثير بالضم كحيث ، ونافع وابن عامر بكسر الهاء كغيظ وهي لغة ، والباقون بفتحهما معاً . وغرضنا من ذكر القراءات اللغوية أن تعرف فلا تنكر إذا سمع من القراء غير المشهور عندهم ، ومن المعنوية بيان معانيها وحكمتها

ووقع في تفسير هذين الجزأين ما اقتضى بعد طبعه تصحيحا أو تنقيحا عند طبعه على حدته

﴿ الشيخ عبد المحسن الكاظمي ﴾ الشاعر العراقي الشهير توفي قبيل انتهاء هذا الشهر (المحرم) وسننشر له ترجمة في الجزء الآتي رحمه الله تعالى

منار المجلد الخامس والثلاثين

(تجديد جهاده ونظامه، والتعاون عليه بيننا وبين كرام قرائه)

وخلاصة تاريخه المؤثرة

ما قصر منشئ المنار في شيء مما وقف عليه حياته من خدمة القرآن للأمة وأشار إلى مقاصدها الخاصة في فاتحة العدد الاول، بل شمر واستبق، فكان له من التأثير عند خواص العقلاء العارفين بما أصاب المسلمين من الوهن والضعف والتفرق وبما يحتاجون من الاصلاح الذي تتوقف عليه حياتهم أو نجاتهم من الذل والاستعباد ما لم يسبق له نظير الا في صيحة (العروة الوثقى) التي تجلت فيها روح موقظ الشرق وحكيم الاسلام (السيد جمال الدين الافغاني) ببلاغة الاستاذ الامام (الشيخ محمد عبده المصري) وكان كل ما صدر منها ١٨ عددا، هزت القلوب وأيقظت العقول، وكان الغرض من إنشائها إثارة العالم الاسلامي وجمع كلمته لدفع عبودية الاستعمار الاوربي وتجديد دولة اسلامية عزيزة تتولى في ظل حريتها ما يجب من الاصلاح الديني والدنيوي - وكان رأي السيد جمال الدين أن الثورة أقرب الوسائل لتجديد الملة بالعلم الصحيح والعمل المفيد في ظل الاستقلال والقوة

وأما غرض المنار فهو إعداد الأمة لهذا التجديد وأول وسائله بيان أمراض الامة وأسبابها ووصف علاجها وتأليف الجماعات للتعاون على المعالجة المطلوبة، وكان الاستاذ الامام أول من ناط أمله به في الاصلاح المطلوب كله، وكان يصرح به في مجالسه لمن يراهم أهلا لفهمه أو استعدادا لطلبه، وهو الذي أغناه عن كتابة وصيته للامة، اذ الوصية لا تكون الا كلاما مجملا، لما انشىء المنار لبيانه مفصلا، والناس لا يفهمون من الكلام الا بقدر ما استعدوا لفقهه والاعتبار به، ولا يكون ذلك الا بالتدريج كما أشار اليه في آخر عبارة له من كتاب كتبه لنا في سنة ١٣٢٠هـ ١٩٠٢م وقد نشرناها بخطه منقولا بالعكس الشمسي منقوشا بالزنك في ص ١٠٢٣ من تاريخ الاستاذ الامام وهي

(خط الأستاذ الامام)

(كلمة الاستاذ الامام في المنار والاشتراك فيه من آخر السطر الاول)

« الناس في عماية عن النافع وانكباب على الضار ، فلا تعجب اذا لم يسرعوا بالاشتراك في المنار فان الرغبة في المنار تقوى بقوة الميل الى تغيير الحاضر ، بما هو أصلح للآجل وأعون على الخلاص من شر الغابر ، ولا يزال ذلك الميل في الاغنياء قليلا ، والفقراء لا يستطيعون الى البذل سبيلا ، ولكن ذلك لا يضعف الامل ، في نجاح العمل ، والسلام ، في ١١ سبتمبر سنة ١٩٠٢ محمد عبده

مضى المنار لطيته ، وما زال بتوفيق الله وحوله وقوته ، يرتقي في كل معراج من معارج عمله ، دون كسبه ونظام معيشته ، فمنشوه قد نشأ وشب وشاب على الزهد في الدنيا وجدانا وعملا ، لا رأيا وعقلا ، فهو يرى أن الزهد لا يجوز أن يتجاوز شعور القلب ، الى التقصير في الكسب ، لكن قال رسول الله ﷺ « كل ميسر لما خلق له » متفق عليه ، وروى بزيادة ـ اعملوا في أوله ـ وبهذا الزهد يسر الله أن ينصرف بكل قواه الى الاصلاح والتجديد الاسلامي علما وبحثا ، ودعوة وحجة ، ودفاعا واقناعا ، حتى صار موضع ثقة خواص المسلمين غير الخرافيين في العالم الاسلامي كله في إصلاحهم ، كما قال الاستاذ المراغي شيخ الاسلام الاكبر ، وخليفة الاستاذ الامام على إصلاح الازهر ، لمولوي مشير قدوائي من كبراء مسلمي الهند وقد سأله أن يروي عنه لمسلمي الهند كلمة فيما يجب عليهم من الاصلاح فقال ما خلاصته :

إن المسلمين لا يرجى لهم صلاح الا بالقرآن على الوجه الذي يفسره به المنار ، اه فان كان سبقه إلى مثل هذه الكلمة أحد فضلاء الهند منذ ثلث قرن (وهو مولوي محمد إنشاء الله) فالاستاذ الاكبر يقول في إصلاح جميع البشر بدعوة الاسلام التي بثها المنار كلة أكبر من كلته للفاضل الهندي وهي ما كتبه بعد مطالعة (كتاب الوحي المحمدي) في كتاب لمؤلفه وهي

« أستطيع بعد أن فرغت من قراءة كتابكم (الوحي المحمدي) أن أقول انكم وفقتم لفتح جديد ، في الدعوة الى الدين الاسلامي القويم ، فقد عرضتم خلاصته من ينابيعه الصافية عرضا قل أن يتيسر إلا لفرع من فروع الشجرة النبوية المباركة وقد استطعتم أن توفقوا بين الدين والعلم توفيقا لا يقوى عليه إلا العلماء المؤمنون ، فجزاكم الله عن الاسلام أحسن ما يجازى به المجاهدون » الخ

لقد أكبر آخرون من أئمة الامة في الحكم وفي العلم ، وخواصها في الرأي والفهم (كتاب الوحي المحمدي) حتى قال بعضهم ان هذا الكتاب إلهام إلهي لا علم كسبي لمؤلفه ، جديد من علوم القرآن جاء مصداقا لحديث « لا تنتهي عجائبه » وانه معجزة جديدة للنبي صلى الله عليه وسلم نفثها في روعه أو نفخها في روحه جده (ص) وقالوا أقوالا أخرى كثيرة كبيرة ، ولكنها تصغر تجاه كلة الشيخ الاكبر الوجيزة « عرضتم خلاصته من ينابيعه الصافية » الخ فلو أن غيره ألقى كلة « خلاصته » لقيل لعله لم يحط بمعناها علما

تلك فائدة زهد منشيء المنار في دنياه له وللناس وهي علمية خالصة ، وأما مضرة هذا الزهد له فهي مالية خاصة به ، ذلك أنها أوصدت أمامه باب طلب الرزق ، وفتحت عليه باب الدين ، حتى كادت تقضي على المنار الذي كان مفتاح كل خير ، فاني لم أستطع ان أعنى بنظام ادارته وضبط حسابها ولا مراقبته بنفسي ، وانما تركتها من أول يوم لمن لم أحاسبهم عليها ، فتعاقب عليها أفراد كان أكرمهم بي أقربهم مني ، وأشدهم حبا لي ومشاركة لي في السراء والضراء ، ولكنهم أجهل مني بالدنيا وأعجز عن كل عمل لها ، فأنا تركت مطالبة قراء المنار بما لهم عليهم من حق النفقة عليه لاجل أن أوفيهم حقهم وحق الامة كاملا بقدر استطاعتي ، وهؤلاء تركوا مطالبتهم بهذا الحق بغير بدل من علم أو عمل ، فكانوا يقبلون من أهل الوفاء

منهم ما يؤدونه من تلقاء أنفسهم، ولا يطالبون غيرهم من المشتركين ولا يذكرونهم، ولا يدعون أحدًا إلى الاشتراك بل لا يرسلون المنار إلى كل من طلبه، ويقل في الناس من يؤدي حقا لا يطالب به إلحاحا وإلحافا، ولا سيما ناسنا المحروم أكثرهم من التربية الدينية العالية، ومن النظام المالي والتعاون على الأعمال العامة، والاهتمام بالإصلاح الملي، وقد سبق لنا في بعض المجلدات بيان درجات المسلمين في الوفاء وتفاضل شعوبهم وتفاوت أصنافهم، وطبقات كل شعب فيه وكان أفضلهم عرب الجزيرة ومسلمو روسية من التتار وغيرهم ومسلمو السودان، ويليهم مسلمو جاوه وما حولها من العرب والوطنيين، وقد حالت الحرب العامة بيننا وبين مسلمي روسية ثم أجهزت البولشفية عليهم في دينهم ودنياهم، وصار ديننا على مسلمي جاوه بل اندونسية كلهم أكثر من غيرهم، ولم نقطع المنار عن الماطلين منهم، بل أفسدت الحرب سائر الشعوب في كل شيء، كل على قدر استعداده وحاله، حتى كادوا يكونون ماديين اباحيين، أو حيوانات شهوانيين، أو وحوشا مفترسين، وسنحت الفرصة لإصلاح هذا الفساد العام بالإسلام، وهو ما تصدينا له بكتاب (الوحي المحمدي) وأردنا تجديد جهاد المنار لأجله وشرعنا في تجديد جماعة له، ولكن هل يجدد قراؤه مساعدته عليه؟

الجناية المالية على المنار

الحق أقول إن أشد الناس جناية على مالية المنار هو منشئه المنفرد بتحريره وتصحيحه، ويليه من تولوا إدارته من أهله، ويليهم غيرهم ممن تولوا عملا فيها من كتبة ومحصلين، وكانوا في أول أمرهم غير مخربين ولا معمرين، وكانت إساءة المسيء منهم خفيفة الضرر، ثم كان بدء الإهمال والاختلال منذ رحلتي إلى الهند فالعراق فسورية (سنة ١٣٣٠ هـ ١٩١٢ م) فاستغرقت هذه الرحلة بضعة أشهر أخرج أخي في أثنائها كاتب الإدارة منها ولم يستبدل به غيره ولا قام بعمله، وكذلك فعل من تولى الإدارة بعده من أهلي، ولم ينفعهم نصحي، أو لم يطيعوا أمري، ولكنهم وعدوا وأخلفوا، وهموا وسوفوا فأسرفوا، وما كنت أعلم قدر جنايتهم تفصيلا، ولا عجز دخل المنار عن نفقته إلا قليلا، إذ كانوا يأخذونه من دخل المطبعة والمكتبة، حتى إذا ما اشتدت العسرة، وانحصر عمل المطبعة فيما نطبعه لأنفسنا، وعجزت المكتبة عن نفقتها ونفقتنا، وكثر الدين علينا، اضطررت

الى البحث عن مشتركي المنار فوجدت (وقد ذهبت كوارث الحرب بخيرهم وفاء) ان عدم مطالبة الادارة للباقين بقيمة الاشتراك ، قد اتخذه أكثرهم عذرا لعدم الوفاء ، بل ربما حسب بعضهم انه يرسل اليهم بالمجان ، فاستنجدتهم فلم أجد منجدا ، بل استغثتهم فلم أجد غواثا الا عند قليل منهم ، حتى رأيتني مضطرا الى وقف اصدار المنار في سنته القابلة سنة ١٣٥٤ ولو على سبيل التجربة ، عسى أن أجد له من يقوم بنفقته من الاوفياء منهم ، وكيف أجد بتركه مالم اجده به؟

رجحت هذا الرأي من أول سنة ١٣٥٣ حتى اذا قاربت الانتهاء عظم علي الامر ، وقد رباني الدين على الثبات واتقاء إبطال عمل أشرع فيه ، فرأيت أخيرا أن أكاشف القراء بحقيقة الامر ، فان أكثرهم لا يعرفه ، وقد يعذر نفسه بتقصيرنا ولا يعذرنا ، أو يظن كل مقصر منهم ان تقصيره لا يضر المنار لكثرة من يؤدي له حقه أو يزيدون عليها من اهل الغيرة على الاسلام ، وقد علمت ان تأخير صدور بعض اجزائه عن موعدها او ضياع بعضها على أفراد منهم قد جعلوها سببا لعدم إرسال الاشتراك عدد سنين ، وهو منع لحقنا الكثير الثابت بدون عذر لمانع بحجة منعنا لحقه القليل الذي لم يثبت له وقد يكون بعذر صحيح لنا . فان حق الاشتراك يثبت في كل سنة بدخولها ، وقد يكون لعدم سقوط بعض الاجزاء اسباب غير تقصير الادارة الذي قد يكون لعذر ايضا ، ولم يطلب احد من المشتركين جزءا إلا ارسلناه إليه ، وقد جرت العادة ان الذي يقضي ما عليه هو الذي يقتضي ماله ، وإذا سكت عن المطالبة بما له من يفر من مطالبته بما عليه ، والحق حق ، عند من يؤمن بالحق ،

﴿ الدعوة الى الصلح والاصلاح ، وتجديد خدمة الاسلام ﴾

انني وقد بينت مالي وما علي أدعو قراء المنار إلى الصلح عما مضى بمقتضى ما يرضيهم من السماح والفضل ، وتجديد عهد التعاون على خدمة الله والامة بالوقوف على سواء العدل ، بأن يلتزم كل منهم تجديد الاشتراك فيه كتابة يلتزم فيها دفع القيمة في أول السنة كما تفعل الامم التي سادت بهذا النظام علينا ، أو في أثنائها وإن كان درجة دون ما قبلها

وأما العهد الماضي فلكل منهم أن يطالبنا بما لم يصل اليه من الاجزاء فنرسله

اليه كاملا، وله في المتأخر عليه من قيمة الاشتراك أن يحاسب نفسه عليه بينه وبين الله تعالى ، ثم يؤدي ما يعتقد أنه حق عليه وان نقص عما عندنا في دفاترنا ، وأن يكون الاداء بحسب استطاعته ناجزا أو مقسطا بالاسابيع أو الشهور أو السنين ، وله أن يصالحنا عليه ان كان معسرا بانظاره الى الميسرة ، بأن يلتزم ما يتيسر له نقدا أو نسيئة مؤجلة ، ونبرئ ذمته من الباقي إن طلب الابراء ، ومن كان عاجزا عن أدائه كله أو بعضه الآن أو عجز بعد الالتزام ، وطالبنا بالعفو عنه أو الحط منه أجبناه ، مصدقين له فيما يشهد عليه الله الرقيب على كل شيء ، والاصل عندنا في قراء المنار حسن الظن والتماس العذر

وقد اخرنا هذا الجزء استعدادا لهذه التسوية ، وأحصينا ديوننا على الماطلين لاجل نشرها فيه فكانت مخجلة فان على كثير منهم عشر سنين او عشرين سنة أو أكثر . تركنا نشرها واخترنا ما بينا ، وإنا مرسلون فيه وثائق طلب الاشتراك مطبوعة لكل منهم لاجل إمضائها وإعادتها الينا ، ونرجو أن يكتب إلينا بما يختار من امر الماضي وسنرسل الجزء الاول من المجلد ٣٥ لمن يعيدونها الينا موقعة بخطوطهم ، متعاونين معنا على تجديد الاصلاح ، متعاهدين على الوفاء والنظام ، وتجديد هداية الاسلام سنعرض عليهم نظام الدعوة وجمع الكلمة الذي مهدنا سبيله في العام الماضي

المنار في طوره الجديد

كنت أرجو عند إنشاء صحيفة المنار أن تكون ميدانا تتبارى فيه جياد الاقلام فيكون لسان حالهم في مسائل الاصلاح وجدد التجديد الديني والاجتماعي والادبي صرحت بذلك في بيان المقاصد العامة من فاتحتها ، ولكن كاد يشتهر في الناس أن المنار وقف أهلي حبس تحريره على صاحبه ، وإنما هو وقف خيري عام للمصلحين والمجددين فأنا أدعوهم وقد كثر في هذا العهد عددهم الى ما دعوتهم اليه منذ بضع وثلاثين سنة اذ كانوا قليلي العدد ، وأحتكر لنفسي تفسير القرآن الحكيم المطول والتفسير المختصر المفيد لكثرة إلحاح الامة علي بانجازهما على المنهج الذي فضلوه على غيره ، وكذا الفتوى العامة بالدليل الا أن يتصدى احد لمساعدتي عليهما ، وافتتح سائر الابواب لمن أراد دخولها من أهلها اذ لم يعد وقتي يأذن لي باعطائها حقها ، وأرى الامة في أشد الحاجة الى ما يأتي منها